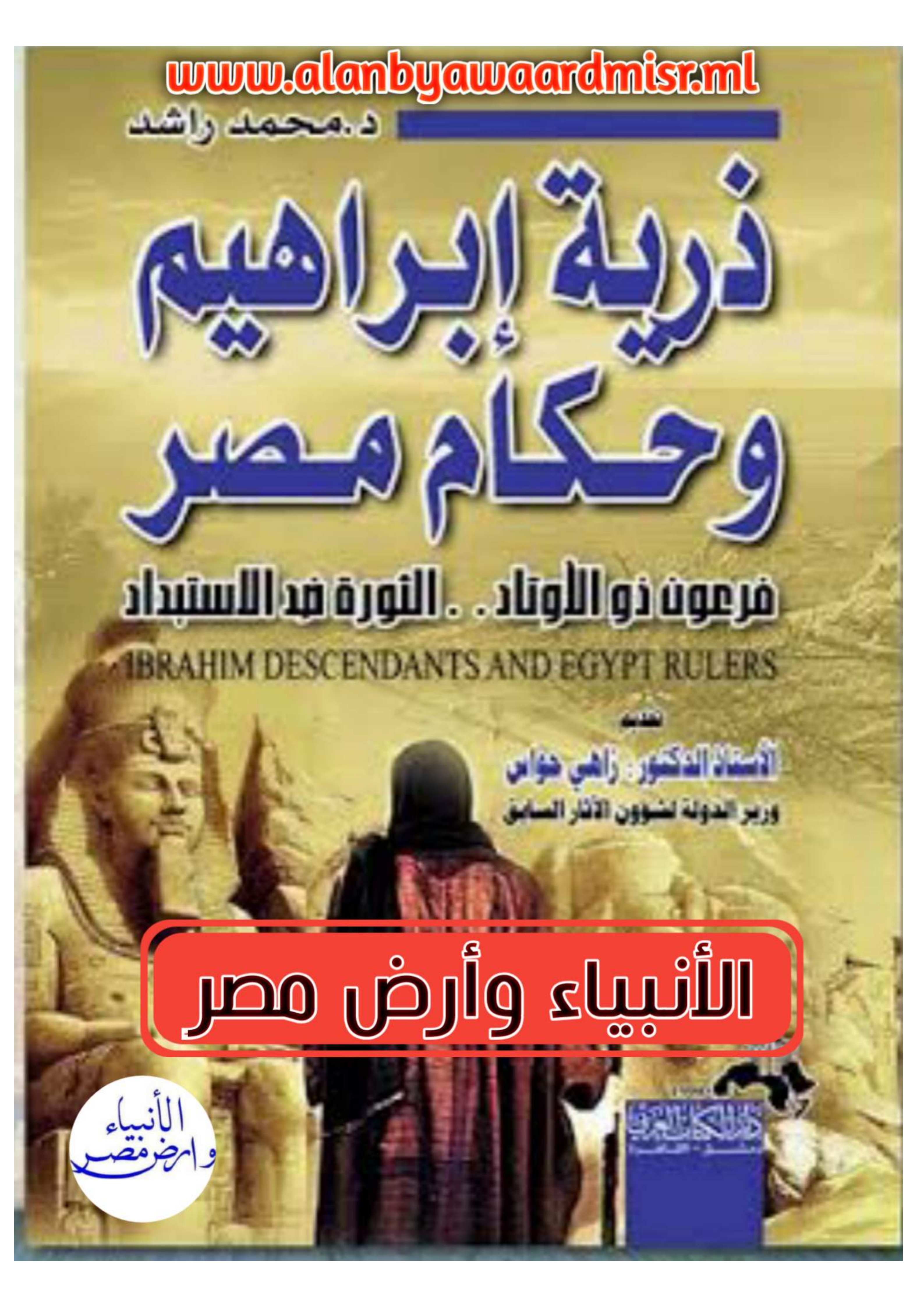

www.alanbyawaardmisr.ml
د.محمد راشد
ذرية إبراهيم وحكام مصر
فرعون ذو الأوتاد .. الثورة ضد الاستبداد
IBRAHIM DESCENDANTS AND EGYPT RULERS
تقديم
الأستاذ الدكتور: زاهي حواس
وزير الدولة لشؤون الآثار السابق
الأنبياء وأرض مصر
الأنبياء وأرض مصر

إهـــداء

إلى المؤمنين بالله ربّاً وبالإسلام ديناً

وبمحمد ﷺ

نبيّاً ورسولاً

د / محمد راشد حماد

شهادة شيخ الأثريين

أ.د. عبد الحليم نور الدين

إن بنى إسرائيل الذين عاشوا فى مصر لا نعرف على وجه اليقين حتى الآن فى عهد أىٍّ من ملوك مصر قد خرجوا وإذا كان البعض قد ربط حادث الخروج باسم الملك رمسيس الثاني فإن الأمر لا يعدو أكثر من مجرد افتراض اعتمد فيه أصحابه على كون رمسيس الثاني هو صاحب الأحداث البارزة وليس هناك من أدله أثرية أو نصية تشير إلى ذلك.

كذلك حاول بعض الباحثين ربط حادث الخروج بأسماء ملوك من الأسرة الثامنة عشرة مثل تحوتمس الثالث وأمنحتب الثاني وإخناتون وغيرهم.

وهكذا سيظل الأمر مثار جدل بين الباحثين إلى أن تبدوَ فى الأفق أدلة وبراهين قاطعة تحسم هذا الأمر[1].

(١) عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص: ٤٨٧

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور: زاهى حواس

وزير الدولة لشؤون الآثار السابق

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يكشف عن فترة هامة فى تاريخ مصر وهي حقبة الهكسوس التي تتميز بندرة مصادر المعلومات عنها ويرجع ذلك فيما يبدو إلى أن الهكسوس وحكامهم كانوا من البدو الرعاة الذين لم يسجلوا أحداث حياتهم الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وذلك لعدم اهتمامهم بتعليم أفراد كل من الطبقة الدنيا والوسطى منهم وإنما اقتصر اهتمامهم بتعليم بعض أفراد الأسرة الملكية الحاكمة ومن يتصلون بهم من الأسر الأخرى بصلات النسب والقرابة على عكس المصريين القدماء الذين انتشر التعليم بين كافة طبقاتهم، وكان ذلك سبباً فى غزارة ما وصل إلينا من معلومات عن الأحداث المختلفة فى مصر القديمة وما جاورها من الأمم وخاصة بالقرب من حدودها الشرقية والجنوبية والغربية وبعض جزر البحر المتوسط. هذا فضلاً عن أن الله ﷻ قد دمر المدينة التي كان يسكنها الهكسوس خلال فترة حاكمها الذي أشار إليه القرآن باسم فرعون حيث ورد به قوله- تعالى ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف، ١٣٧).

كما يكشف هذا الكتاب أيضا عن حياة بعض ذرية إبراهيم عليه السلام، سواء فى مصر أو خارجها وهم الإسماعيليون وبنو إسرائيل والآدميون والميديانيون وهم

جميعاً ينتمون إلى قبائل البدو الآسيويين وقد تمكنوا من إقامة علاقات مختلفة مع حكام مصر سواء أكانوا من الهكسوس البدو الرعاة الآسيويين أو ربما الهندو أوربيين الذين تمكنوا من احتلال مصر وارتقاء عرشها خلال الفترة التي أطلق عليها عصر الاضمحلال الثاني أو مع المصريين القدماء، وخاصة خلال ما يسمى بالعصر المتأخر.

كما يتضح من خلال هذا الكتاب كذلك أثر أنبياء الله ورسله ودورهم فى حياة الإنسان فى العالم القديم وقد تم استنتاج ذلك من بعض النصوص الدينية والأدبية فضلاً عن التعاليم والنصائح والحكم فى مصر القديمة وغيرها من بلدان العالم القديم بعد دراستها وتحليلها وعقد مقارنات بينها وبين ما ورد بالكتب المقدسة والأحاديث النبوية الشريفة بينما تم استبعاد ما رواه بعض المؤرخين القدماء، فضلاً عن ما كتبه بعض المؤرخين المحدثين عن هؤلاء الرسل حيث إنهم قد شوهوا سيرتهم وخاصة من ناحية أنسابهم وأصولهم العريقة وصفاتهم وبعض ما صدر عنهم من أفعال وأقوال بما لا يتفق مع مرتبة الاصطفاء الإلهي لهم وربما دفع هؤلاء المؤرخين إلى ذلك أسباب عرقية ودينية متطرفة أو عدم تحريهم الدقة فيما كتبوه فضلاً عن سوء الفهم والالتباس.

وفى النهاية لا يسعني إلا أن أثنى على الجهد العلمي الذي بذله الباحث فى هذا الكتاب الذي يعد إضافة هامة لتاريخ مصر القديم.

أ.د/ زاهى حواس

وزير الدولة لشؤون الآثار السابق

شكر وتقدير

إنه لا يفوتني أن أتقدم بأسمي آيات الشكر والتقدير إلى السيد الاستاذ الدكتور/ زاهى حواس وزير الدولة لشؤون الآثار السابق لاهتمام سيادته بآثار مصر والآثاريين على حد سواء والى السادة الأساتذة أعضاء لجنه المراجعة لما بذلوه من جهد كبير لإظهار هذا الكتاب بصوره مشرفة والى السيد الدكتور/ هشام الليثي مدير عام إدارة النشر العلمى والى الأستاذ/ محمد سعد.

كما يتحتم عليَّ أيضا أن أعبر عن عظيم شكري وامتناني إلى السيد الأستاذ/ وليد ناصيف مدير عام دار الكتاب العربي وأيضا السيد الأستاذ/ طه عبد الرءوف سعد لاهتمامهما بإخراج هذا الكتاب فى أكمل صورة.

والله ولى التوفيق

د/ محمد راشد حماد

مقدمــة

يحاول هذا الكتاب أن يلقي الضوء على ذرية إبراهيم عليه السلام وخاصة الذين أقام منهم علاقات مختلفة مع حكام مصر من الأجانب الذين أطلق المصريون القدماء عليهم اسم الحقاخاسوت والذي حُرِّف باليونانية إلى الهكسوس أو من الوطنيين وخاصه ابتداءً من عصر الإضمحلال الثاني حتى نهاية العصر المتأخر ولا تسعفنا النصوص القديمة سواء فى مصر أو غيرها من الإمارات والممالك ببلاد الهلال الخصيب أو بشبه الجزيرة العربية لاقتضاب هذه النصوص وشحتها فى مصر القديمة وإنعدامها تقريباً لدى ذرية إبراهيم الذين لم يتركوا أية نصوص مكتوبة أو منقوشة تشير إلى هذه العلاقات وذلك لاعتيادهم على عدم تسجيل أحداث حياتهم. وقد ظلت هذه العاده سائدة بينهم حتى مبعث الرسول محمد ﷺ.

باستثناء نصوص التوراة التي هي من وحي الله ﷻ إلى نبيه ورسوله موسى عليه السلام ولكن الكتَّاب الذين قاموا بإعادة تسجيل هذه النصوص قد أجروا تعديلات عليها إما بالإضافة إليها أو الحذف منها مما أخرجها عن مصداقيتها.

أولاً: قبائل البدو الرعاة (الهكسوس)

تمكن هؤلاء البدو من احتلال مصر وحكم قومها بعد أن حققوا انتصاراً ساحقاً على أواخر ملوك عصر الدولة الوسطى وقد عاشت بعض ذرية إبراهيم فى كنفهم كما ارتبطت بعض ذريته الأخرى بهم بعلاقات قرابة وتجارة ومن أهم ما تميزوا به:

١- أنهم كانوا على نقيض المصريين القدماء الذين استقروا على ضفاف النيل منذ

آلاف السنين واكتسبوا خبرات عظيمة فى كافة المجالات وخاصة السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية وفى الآداب والعلوم المختلفة كالرياضيات والتاريخ والجغرافيا والفلك والكيمياء والطب والهندسة حيث رفضوا الاندماج معهم بغرض المحافظة على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحرصاً منهم على ذلك فقد شيدوا مدناً يقيم بها سواهم حتى لا يختلطوا مع غيرهم من أهل مصر، كما أحجموا عن الأخذ بآداب وعلوم المصريين وكان اتخاذ ملوكهم أسماء وألقاب حكام مصر الوطنيين وتوقيرهم لبعض الآلهة المصرية نوعا من المكر والخداع السياسي.

٢- أن ما تركه حكام الهكسوس وقومهم من مشغولات أو مبانٍ أو نصوص يعد قليلاً جداً وعثر على معظمه خارج مصر وخاصة فى فلسطين والعراق وبعض جزر البحر المتوسط، وأكثرها تم صنعه بأيدي الصناع المصريين القدماء وقد أعاد هؤلاء الأقوام استخدامها ودوَّنوا عليها أسماءهم وأحداث عصرهم بكتابة مصرية قديمة ركيكة وربما ما ذكره الله ﷻ فى قرآنه الكريم والذي يتمثل فى تدميره ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون له أثره المباشر فى ذلك.

٣- أنهم كعادة البدو الرُّحل الذين لا يستقرون فى مكان واحد لا يميلون إلى تسجيل أحداث عصرهم فلم يتركوا نصوصاً تتناول كيفية دخولهم إلى مصر وانتصارهم على حكامها فضلاً عن حروبهم مع أمراء طيبة وعلاقاتهم مع الممالك والإمارات خارج حدود مصر أو أسماء ملوكهم أو بعض علومهم أو آدابهم ومعظم ما تم تسجيله عن هذه الأحداث أو غيرها يرجع إلى أقوام آخرين منهم:

أ - المصريون القدماء من كتاب أمراء الأسرة السابعة عشرة فى طيبة فضلاً عن بعض القادة العسكريين أو ضباط الجيش الذين سجلوا حروب المصريين معهم

اقتبس منه المؤرخ اليهودي يوسيفوس وغيره وقد أشار فيه إلى الأحداث التي شهدتها الساحة المصرية أثناء إقامه بني إسرائيل فيها ولكن هذا المؤرخ اليهودي كان مثل أقرانه من كتاب التوراة لم يلتزم بالأمانة فيما ينقله فعدّل وبدّل فيه بما يرفع من مكانة قومه من اليهود وانتهى به الأمر إلى أن زعم بأن قبائل البدو الهكسوس هم اليهود بما يعني أنهم قد حكموا مصر وكثيرا من ممالك وإمارات بلاد الشام كما أشار كتاب التوراة إلى أن بعض ملوك العصر المتأخر فى مصر قد أقاموا علاقات اجتماعيه واقتصادية وعسكرية وسياسية بينهم وبين بعض ملوك مملكة إسرائيل الموحدة فضلاً عن ملوك مملكتي يهوذا وإسرائيل بعد انفصام عرى الوحدة بين الأسباط وخاصة فى مضمار المصاهرات السياسية وغيرها فضلاً عن تقديم بعض هؤلاء الملوك المصريين العون العسكري لهاتين المملكتين الذي كان من أهم نتائجه صد هجمات كل من الآشوريين والبابليين أما النصوص المصرية فقد أشارت إلى قيام بعض هؤلاء الملوك بحملات عسكرية لمهاجمة كل من مملكتي يهوذا وإسرائيل وقد تمكن بعضهم من الاستحواذ على غنائم كثيرة جُلِبَتْ معهم إلى البلاط الملكي المصري فضلاً عن إجبارهم ملوك كل منهما على دفع الجزى والضرائب وقد تم الكشف عن نصوص مصرية قليلة ترتبط ببعض الأحداث التي وقعت فى حياة بعض أنبياء بني إسرائيل فى مصر ومنها السنوات السبع العجاف والدم والظلام وشق ماء البحر والهروب عبر الحدود الشرقية وتأويل الأحلام والرعود والنار والعصا الثعبانية واليد البيضاء وغير ذلك، وقد سجل أغلبها بعض كتّاب عصر الدولة الحديثة وغيرهم من كتاب العصور التالية الذين فيما يعتقد ينتمي عدد منهم إلى أصول أجنبية حيث قاموا بإخفاء الأسماء الحقيقية المرتبطة بهذه الأحداث وأحلُّوا مكانها أسماء كل من ملوكهم وكبار أشرافهم كما غيروا أسماء الأماكن التي وقعت بها والعصور التي حدثت فيها.

ثالثا: ذرية عيسو بن إسحاق بن إبراهيم

أقامت هذه الذرية فى أرض كنعان مع ذرية عمهم يعقوب فلما ضاقت هذه الأرض عليهما لكثرة مواشيهما انتقلت ذريه عيسو إلى أرض سعير الحورى التي تقع جنوب البحر الميت وتمتد إلى خليج العقبة وقد أشارت النصوص المصرية القديمة خلال عصر الدولة الحديثة إلى وجود علاقات تربطهم بحكام مصر، كما أكد كتاب التوراة استمرار هذه العلاقات بعد هذا العصر وخاصة فيما يسمى بالعصر المتأخر.

رابعاً: ذرية إسماعيل ومديان ابنى إبراهيم

أغفلت النصوص المصرية القديمة الإشارة إلى ذرية كل من إسماعيل بن إبراهيم وأيضاً مديان بن إبراهيم ولم تتحدث عن أي نوع من العلاقات بينهما وبين حكام مصر ولكن التوراة قد أكدت وجود علاقات تجارية بين الإسماعليلين من جهة وحكام مصر من جهة أخرى ويبدو أن هؤلاء الحكام كانوا من قبائل البدو الهكسوس.

خامساً: اختلف المؤرخون فى تحديد جنسية القوم الذين أطلق عليهم كتاب التوراة «المصريين» سواء فى عهد يوسف أو فى عهد موسي عليه السلام ومما ذكره هؤلاء الكتاب.

أ - حينما أحضر إخوة يوسف أخاهم الأصغر بنيامين من أرض كنعان إلى أرض مصر بناء على طلب العزيز (يوسف) الذي دعاهم جميعاً إلى تناول الطعام فى بيته» وقال قدموا طعاماً فقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين»[1] (سفر التكوين: ٤٣/٣١-٣٢).

ب - حينما قرر موسى الخروج بقومه من مصر بناء على أمر الرب، قال لقومه

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين: ٤٣/٣١-٣٢

أن يطلبوا أمتعة من الذهب والفضة وثيابا من المصريين على سبيل الإعارة «وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى حيث طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وأعطي الرب نعمه للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين»[1] (سفر الخروج: ١٢/٣٥-٣٦).

ولم يستدل على اسم مصر فى اللغة المصرية القديمة مما أدى إلى الاعتقاد بأنه لفظ مشتق من اللغة السامية التي استخدمت فى شبه الجزيرة العربية أو العراق أو الشام والذي عرف عند الكنعانيين والفينيقيين والميتانيين والآشوريين والبابليين والفارسيين والمعينيين والعبرانيين فى صيغ مختلفة منها مصري، مصرو، مُصَري، مُصري، مَصُر، مصُورا، مصُوروت وتعني هذه الكلمات الحصن، الحد، الدرء[2] وقد استمر كتّاب التوراة فى استخدام هذا اللفظ خلال العصر المتأخر فى مصر ومن ذلك «كلمة الرب التي صارت على إرميا النبي عن الأمم عن مصر عن جيش فرعون نخو ملك مصر»[3] (سفر إرميا:٢/٤٦) وأيضاً: «هكذا يقول الرب ها أنذا ادفع فرعون حفرع ملك مصر ليد أعدائه وليد طالبي نفسه»[4] (سفر إرميا:٣٠/٤٤).

ومما زاد الطين بلة أن كتاب التوراة فضلاً عن كثير من المؤرخين القدماء وأيضا عامة الناس قد درجوا على أن ينسبوا الأفراد والأقوام إلى الأرض التي يقيمون عليها أو يعيشون بها بغض النظر عن أصولهم العرقية أو الجنسية أو الأرض التي كانوا

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٢/٣٥-٣٦

(٢) عبد المنعم عبد الحليم: الأسماء والمسميات المتعلقه باسم مصر بالنصوص الق· يمة فى الجزيرة العربية والهلال الخصيب، الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب، الندوة العلمية الثانية، (٢٠٠٠م)، ج:١، ص:٢٤١-٢٥١

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إرميا:٢/٤٦.

(٤) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر إرميا:٣٠/٤٤

يعيشون بها سابقاً، ومما يؤكد ذلك أن امرأتى مدين اللتين سقي لهما موسى قد أخبرتا أبيهما بأن رجلاً مصريّاً سقى لهما « فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وأنه استقي لنا أيضاً وسقي الغنم، فقال لابنتيه وأين هو؟ ولماذا تركتمان الرجل؟ إدعوانه ليأكل»[1] (سفر الخروج:٢/١٩-٢٠).

بينما لم يذهب القرآن الكريم إلى ما انزلق إليه هؤلاء حيث ورد به:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا...﴾[2] (سورة يوسف: ٢٠).

ولم يقل القرآن (المصري) على سبيل الإيجاز بدلاً من (الذي اشتراه من مصر) وأيضاً ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[3] (سورة القصص:٣) ولم يقل القرآن أيضاً (المصريين) بدلاً من (أهلها) لأن اللفظ الأخير يطابق الواقع وهو أعم وأشمل حيث إن مصر فى ذلك الوقت كان يعيش فيها فرعون وقومه وأيضاً موسى وقومه فضلاً عن المصريين القدماء وغيرهم.

ويفهم من هذا أنه إذا ما انتقل فرد أو جماعة من أرض ما لظروف معينة وأقاموا فى أرض أخرى بعيدة فإنهم يُعدون من أهل هذه الأرض أو البلد الذي وفدوا إليه.

وعلى ذلك فإن الله حينما أمر موسى وهارون بالتوجه إلى فرعون حاكم مصر لإخراج ذرية يعقوب عليه السلام فقد حدد اسم هذه الذرية التى عرفت به دون غيرها من أهل مصر وذلك حتى لا يختلط الأمر فى ذهن فرعون ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ٢/١٩-٢٠

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف:٢٠

(٣) القرآن الكريم، سورة القصص:٣

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾ [1] (سورة طه:٤٧).

وعلى هذا النمط القرآني كان أهل مصر يميزون بعضهم بعضا فقد ورد في التوراة ما يفيد أن حكام مصر وقومهم فى عهد يوسف كانوا يطلقون على ذرية يعقوب الملقب بإسرائيل اسم العبرانيين ومن ذلك:

أ - «وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة: انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا» [2] (سفر التكوين:٣٩/١٤-١٥).

ب- «فنزلت ابنة فرعون إلى النهر فرأت السفط بين الحَلْفاء فأرسلت أمتها وأخذته فلما فتحته رأت الولد وإذ هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين» [3] (سفر الخروج: ٢/٥-٧).

ويجدر بنا هنا أن نتساءل عما إذا كان كتّاب التوراة لم تكن لديهم نوايا سيئة حينما أطلقوا على قبائل البدو الرعاة الذين احتلوا أرض مصر اسم المصريين فى حين أطلقت عليهم النصوص المصرية القديمة اسم الهكسوس والتي أفادت أيضاً أن الأمير أحمس الأول قد طردهم من مصر وشتتهم فى الأرض وقضى على أي ذكر لهم وأن هؤلاء الكتّاب حينما بدءوا فى تدوين التوراة لم يكن لديهم علم بهؤلاء القوم الذين اختفى ذكرهم وزال سلطانهم وإنما كان لديهم علم بالأرض التي كان يقيم بها أجدادهم والتي خرجوا منها ليسكنوا الأرض المقدسة فى فلسطين.

نرد على ذلك أن كلاً من القرآن الكريم وما ثبت صحته من التوراة يكشف بجلاء

---

(١) القرآن الكريم، سورة طه: ٤٧

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين:٣٩/١٤-١٥

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج:٢/٥-٧

عن النوايا الخبيثة لهؤلاء الكتاب وسوء نيتهم تجاه مصر وأهلها وتاريخهم العظيم حتى لا يأتي ذكر لمصر فى التوراة إلا ومعه لعنة أو وعيد أو تهديد أو نبوءة بالدمار والخراب وقد سار الكتاب اليهود المحدثون على نفس نهجهم والذين يحاولون بكافة الطرق والوسائل سلب المصريين القدماء أمجادهم فيدعون أن كل تقدم علمي أو أدبي أو فني منذ أوائل تاريخهم حتى أفول نجمهم من صنع ذرية إسرائيل[1].

ومن الأدلة والبراهين التي تؤكد ذلك:

أ - ورد بالتوراة ما يؤكد أن المقصود بالمصريين فى عهدى يوسف وموسى عليهما السلام هم قبائل البدو الهكسوس وليس المصريين القدماء ويتضح ذلك مما ورد فى كل من سفر التكوين الإصحاح الثالث والأربعين الذي سبق الإشارة إليه خاصة وأنه قد اتفق أغلب الباحثين على أن يوسف عليه السلام قد عاش فى مصر خلال حكم أحد ملوك الهكسوس الذى عينه على خزائنها كما دخل كل من والده وإخوته أيضاً بعد موافقة هذا الملك ليقيموا وذرّياتهم من بعدهم حسب ما قررته التوراة فى أكثر من موضع حوالي أربعة قرون وأيضاً سفر الخروج الإصحاح الثامن الذى ورد به « فدعا فرعون موسى وهارون وقال: اذهبوا اذبحوا لإلهكم من هذه الأرض، فقال موسى لا يصلح أن نفعل هذا لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا، إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم فلا يرجموننا» [2] (سفر الخروج٨/٣٠).

وقد جاء مثل ذلك على لسان موسى أيضاً فى القرآن الكريم ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[3] (سورة الدخان:٢٠).

---

(١) رمضان علي: رموز من تاريخ مصر القديمة ومظاهر حضارتها ودحض ما قيل بشأنها من مزاعم واباطيل القاهرة:٢٠٠٩، ص:١٩،٢٥

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ٨/ ٢٠

(٣) القرآن الكريم، سورة الدخان:٢٠

وبما أن الرجم لم يكن يشكل عقوبة لدي المصريين القدماء، كما لم يستخدم لطبيعة التربة التي يقيمون بها مساكنهم وهي إما تربة طينية أو رملية وتخلو من الحصى أو الأحجار الصغيرة على عكس الأرض التي يعيش فيها قبائل البدو الرعاة والتي انتشرت بينهم عقوبة الرجم والدلائل عليها كثيرة من خلال القرآن والأحاديث النبوية الشريف[1].

ب- ورد بالقرآن ما يفيد أن كتاب التوراة كان بحوزتهم التوراة الأصلية الصحيحة أثناء تدوينهم وتسجيلهم لنسخ أخرى منها خلال القرن السادس قبل الميلاد.

١- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ...﴾[2] (سورة المائدة:١٣).

٢- ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾[3] (سورة البقرة:٧٩).

٣- ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4] (سورة البقر:٧٥).

وبما أن الله قد لعنهم وجعل قلوبهم قاسية وتوعدهم بعذاب شديد فهذا يعني أنه كانت تحت أيديهم الأصول الصحيحة للتوراة وقد أكد القرآن بأنهم قرءوا هذه الأصول الصحيحة وفهموها وعقلوها إلا أنهم عدَّلوا وبدَّلوا وحذفوا وأضافوا إليها ما ليس فيها ثم نسبوه إلى الله عز وجل ويعتقد أنهم قد أخفوا هذه الأصول الصحيحة

---

(١) السيد سابق: فقه السنة، الجزء الثاني، القاهرة د.ت، ص: ٣٤٦-٣٥٠

(٢) القرآن الكريم، سورة المائدة:١٣

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة:٧٩

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة:٧٥

أو أصابوها بمكروه وبالطبع فإن هذه الأصول كانت لا تختلف مع ما ورد فى القرآن الكريم الذي لم يحدد الأصول العرقية للقوم الذين عاش كل من يوسف ووالده وإخوته وذرياتهم من بعدهم حتى عصر موسى وهارون عليهما السلام ولم يذكر أنهم كانوا من السكان الأصليين فى مصر كما سبق وأن أشرنا من قبل ورغم هذا فتوجد بعض النصوص الصحيحة بالتوراة لتؤكد أن هذا الكتاب فى أصوله الأولى ليس من وضع البشر ولكن يرجع إلى الله عز وجل.

أما الأسباب التي دعت كتاب التوراة إلى إلصاق تهمة التذبيح والقتل وسفك الدماء واستباحة أعراض النساء والتسخير إلى المصريين دون تحديد إذا كان المقصود هم قبائل البدو الرعاة الهكسوس أم المصريون القدماء يمكن إيجازها فيما يأتي:

١- الإعلاء من شأن اليهود حيث إن المصريين القدماء فى ذلك الوقت كانوا من القوى العظمى فى العالم القديم ويخضع لسلطانهم كثير من الممالك والإمارات فى آسيا وإفريقيا وجزر البحر المتوسط وكانوا من أكثر الشعوب ثراءً وعلماً وثقافة وتقدماً فى جميع مجالات الحياة فحينما يذكر كتَّاب التوراة أن بني إسرائيل قد أحرزوا انتصاراً كبيراً على المصريين فهذا مدعاة للفخر والاعتزاز ورفعاً لهاماتهم بعكس أن ذكروا أن انتصارهم كان على الهكسوس الذين لم يَعُدْ لهم ذكر ولا يعلم الناس عنهم شيئا، وحينما يذكرون أن المصريين قد أذلوهم وسخروهم فلا يكون ذلك تنزيلاً من شأنهم فهم كغيرهم ن أهل الممالك والإمارات التي تعرضت للهيمنة والقوة المصرية.

٢ - قد آمن عدد من الهكسوس بدعوة موسى واهتموا به ونصروه وحموه من

بطش فرعون ومنهم مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون وسحرة فرعون وغيرهم[1].

٣ - أن كلاً من الهكسوس وبني إسرائيل يشتركون معاً فى الجنسية واللغة والم...

وكثير من العادات والتقاليد.

٤ - أن الهكسوس هم الذين سمحوا لبني إسرائيل فى الإقامة فى مصر فى وق...

المجاعة والقحط التي استمرت لسبع سنين متصلة[2].

سادساً: اختلف المؤرخون كذلك فى تحديد جنسية القوم الذين أطلقت علي... الأحاديث النبوية الشريفة فضلاً عن بعض الرواة والإخباريين والكتاب القدما... لفظ القبط ومن ذلك.

١- أخرج ابن عبد الحكم عن طريق بجير بن داحر المغافري عن عمرو بن... العاص عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله سيفتح عليكم من بعدي... مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة**»[3].

٢- كتب محمد ﷺ إلى المقوقس والى الروم فى مصر: «**بسم الله الرحمن الرحي... من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط...**»[4].

٣- كتب بعض المؤرخين المسلمين القدماء «رأى فرعون فى منامه كأن ناراً قد... أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط...

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر: ٢٨؛ التحريم: ١١

(٢) محمد بيومي مهران: مصر، منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين ج:٣، القاهرة: ١٩٩٣، ص٤٤٨-٤٤٩؛ رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، ص: ٨٨٠-٨٩٨، ٨٨٢، نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ١٦٦-١٦٧

(٣) أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة، القاهرة: ١٩٧٣، ص: ١٩٨ - ١٩٩.

(٤) المرجع السابق، ص: ١٩٨

وتركت بني إسرائيل»[١].

٤- كتب بعض المؤرخين القدماء «اتفقت دواوين أصحاب الأمر على أنه قد أصاب القبط جوائح أفسدت أبدانهم وشوهت أجسامهم ورأى ملكهم بخوريم أن يعالج ذلك بنفى من ظهرت عليه الجائحة...» [٢].

ويعتقد أن لفظ القبط تصحيف للفظ اليوناني آيجبتوس الذي ورد بأحد ملحمتي الشاعر الإغريقي هوميروس منذ القرن التاسع قبل الميلاد والذي اشتق فيما يبدو من الألفاظ المصرية القديمة الآتية:

أ - حوت كابتاح الذي أطلقه المصريون القدماء على مدينة منف إحدى عواصمهم الكبرى فى مصر السفلى[٣].

ب - آجبي، آجب، آجبه، إجب وغيرها وهي مترادفات رمز بها المصري القديم إلى الماء الأزلي الذي برزت منه الأرض[٤].

ت - جبتيو/جبت وهو اسم أطلق على مدينة قفط بمصر العليا لما كان لها من أهمية كبرى وخاصة فى التجارة وفى النفوذ السياسي[٥] كما يعتقد بعض الباحثين أن لفظ القبط العربي له علاقة بالاسم المصري القديم كمت الذي أطلقه المصريون

---

(١) رشدى البدراوي: ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الاول-ص:٢٢٢.

قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، القاهرة: ١٩٩٨. ص: ٨٠١-٨٠٢

(٢) اوروسيوس: تاريخ العالم (معرب) ،تحقيق/ عبد الرحمن بدوي، بيروت: ١٩٨٢، ص:١٠٣

(٣) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول: منذ بداية الأسرات وحتى نهاية الدولة الحديثة، القاهرة:٢٠٠٩، ص:٣٢-٣٤

(٤) المرجع السابق، ص:٣٢

(٥) عبد الواحد إبراهيم: الإقليم الخامس من أقاليم مصر العليا (قفط) دراسة آثارية وتاريخية الإسكندرية، ٢٠٠٥،ص:٣٧-٤١

على أرضهم والذي يعني الأرض السمراء أى الصالحة للزراعة وهي الأرض التي كوَّنها نهر النيل وفروعه المختلفة بترسيباته الغرينية على مدار آلاف السنين.

ويمكننا أن نخرج من دائرة هذا الاختلاف إلى القول بأن لفظ القبط قد أطلق على أهل مصر جميعا على اختلاف أصولهم العرقية وخاصة اذا ما علمنا أن مصر استقبلت هجرات من حدودها الشرقية وأخرى من حدودها الغربية منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت هذه الهجرات خلال العصور التاريخية وقد اختلط هؤلاء المهاجرون شيئا فشيئاً مع سكان مصر الأصليين ثم اندمجوا معهم وصاروا شعباً واحداً وقد استطاع بعضهم الوصول إلى عرش مصر وحكم أهلها لا لكونهم أجانب بل باعتبارهم مصريين يضعون مصلحه مصر وأمنها فوق كافة الاعتبارات باستثناء قبائل البدو الرعاة الذين تمكنوا من احتلال مصر فى نهاية عصر الدوله الوسطى فضلاً عن بني إسرائيل الذين عاشوا فى كنفهم فقد احتفظوا بأصولهم العرقية وآثروا آلا يندمجوا مع المصريين القدماء الذين أطلقوا عليهم اسم الحقاوخاسوت الذي حرَّفه اليونانيون إلى اسم الهكسوس، بينما أطلق عليهم كُتاب التوراة اسم المصريين، هذا ومن جانب آخر أطلق اليونانيون اسم آيجبتوس على أهل مصر كما سبق الذكر، الذي حرَّفه الرواة والإخباريون والمفسرون العرب القدماء إلى القبط.

ومما تجدر ملاحظته أن محمداً ﷺ قد ذكر أهل مصر المعاصرين له فى أحاديثه النبوية الشريفة باسم القبط ووصفهم بأنهم سود سحم جعاد وخير أجناد الأرض وأيضا أنهم فى رباط إلى يوم القيامة. كما اعتبرهم أخوالاً وأصهاراً فقد تزوج منهم مارية وأنجب منها ولده إبراهيم بينما زوَّج أختها سيرين إلى أحد صحابته وهو حسان بن ثابت الذى أنجب منها ابنه عبد الرحمن، وكان المقوقس حاكم القبط قد أهدى كل من مارية وأختها سيرين إلى الرسول ﷺ.

ولم يشر محمد ﷺ إلى قبائل البدو الهكسوس - التي تمكنت من احتلال مصر حسب ما ورد بالنصوص المصرية القديمة أو العرب طبقاً لروايات الإخباريين والمؤرخين القدماء- بأنهم كانوا من القبط، رغم أنه قد ورد بأحد الأحاديث النبوية أن النبي ﷺ قد دخل على أم سلمة وعندها غلام يسمى الوليد فقال النبي اتخذتم الوليد حنانا غيروا اسمه، وفى رواية أنه من أسماء الفراعنة وقد قال أصحاب التاريخ من أهل مصر أن أول من تسمى بفرعون غلام الوليد بن دمع العماليقي، وقد أكد الباحثون أن العماليق من العرب وأنهم أول من تكلم العربية[1].

أما المفسرون والرواة والإخباريون العرب فقد أطلقوا اسم القبط على أهل مصر سواء الذين كانوا يعاصرونهم أو السابقون على عصرهم سواء أكانوا من سكانها الوطنيين أو كانوا من الأجانب المحتلين ومن هؤلاء المفسرين عمر مولى عفرة الذى أفاد بأن هاجر أم إسماعيل وأم العرب كانت من القبط وكذلك أفاد مرداني القصاص أن إبراهيم قد تسرى بهاجر وتزوج يوسف من بنت صاحب عين شمس وتسرى محمد ﷺ بمارية، ولكن هناك بعض الآراء تثبت أن كلا من هاجر إمرأة ابراهيم وإسنات امرأة يوسف عليه السلام لم تكن أى منهما من جنس المصريين القدماء ولكنهما تنتميان إلى جنس المحتلين الذين دخل يوسف وأبوه وإخوته فى عصرهم ومن قبلهم جدهم الأكبر إبراهيم عليه السلام.

سابعاً: الدور الدينى لإبراهيم وذريته:

ارتبط أهل مصر بصفة عامة بعلاقات مختلفة فى جميع أوجه وأنشطة الحياة اليومية مع ذرية إبراهيم عليه السلام الذى ولد فى مدينة أور الكلدانيين بجنوب العراق

(١) المسعودى: أخبار الزمان، بيروت" ١٩٨٠ ،ص:١٧٦؛ على فهمي خشيم: آلهه مصر العربية، مج:١، بنغازي:١٩٩٠ ،ص:١٩٥

من أب يسمي آزر فى القرآن وتارح فى التوراة وكان نجاراً يصنع الأصنام ويبيعها إلى من يعبدها وأم تسمى إمتالي بنت كرناب ويؤكد كتَّاب التوراة والإخباريون ر نرواة القدماء أنهم ينتمون إلى القبائل الآرامية الرحل التي كان يشتغل أفرادها بحرفة الرعي وقد انتشرت هذه القبائل فى شمال سوريا وفى جنوب العراق، وقد اصطفى الله إبراهيم بالنبوة حيث آتاه من العلم وأنار بصيرته فعلم أن الأصنام التي يصنعها أبوه لا تسمع ولا تبصر كما أنها لا تضر ولا تنفع ولذا فقد دعا والديه وقومه إلى نبذ عبادة الأصنام والإيمان بالله الواحد الأحد غير أنه لم يؤمن بدعوته أحد من قومه وأخفق فى هدايتهم بل أنهم ناصبوه العداء وعزموا على قتله والتخلص منه حتى إن أباه هدده بالرجم وبطرده من بيته(١).

وحينما لم يجد إبراهيم آذاناً صاغية من قومه قرر فى نفسه الانتقام من تماثيل هذه الآلهة فجعلها جذاذاً إلا كبيراً لها لعلهم يرجعون إليه فيسألونه عن أتباعه من الآلهة وما حدث لها وذلك على سبيل أن يرجعوا إلى رشدهم وإعمال عقولهم ولكنهم بعد أن اهتدوا إلى الحق، نكسوا على رؤوسهم(٢) وقرروا الانتقام منه ونصرة آلهتهم وأعدوا له ناراً ضخمة وألقُوه فيها إلا أن الله أنجاه منها حيث ورد فى القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٣) (الأنبياء:٩٦) وحينما لم يؤمن أحد من قومه وظلوا على كفرهم وضلالهم قال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٤) (سورة الصافات:٩٩) فقد هاجر إلى حاران بشمال سورية وكان برفقته ابن أخيه لوط وزوجته

(١) القرآن الكريم: سور العنكبوت: ٢٤؛ الأنبياء: ٦٨؛ الصافات:٩٧؛ مريم:٤٦؛ رشدي البدراوي: قصص الأنبياء، ج:٢، القاهرة:١٩٩٧، ص:٥٧

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق- ص:٥٦

(٣) القرآن الكريم: سورة الأنبياء:٦٨

(٤) القرآن الكريم، سورة الصافات:٩٩

سارة التي كانت تربطه بها علاقة قرابة وقد آمن كل منهما بدعوة إبراهيم الذي عاش فى حاران حتى بلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً وكان حاله بها[1] لا يختلف كثيراً عن حاله فى أور ولذا فقد أمره ربه بالهجرة مرة أخرى إلى أرض كنعان حيث نزل فى شكيم (نابلس حالياً)[2] واستقر بها إلا أنه قد هاجر إلى مصر بغرض مواصلة رسالته فى نشر دين التوحيد بين قومه إلا أن كتَّاب التوراة قد ذكروا أن سبب نزوله إلى أرض مصر حلول قحط ومجاعة فى أرض كنعان وقد اختلف الباحثون فى تحديد زمن هذه الزيارة فمنهم من رأى أن ذلك حدث فى عصر الأسرة الثانية عشرة[3] الذي تميز باستقرار الحكم فى مصر فضلاً عن انتشار الأمن والازدهار الاقتصادي على عكس العصر الذي يسبقه والذي يمتد من الأسرة السابعة إلى الأسرة الحادية عشرة حيث انتشرت خلال تلك الفترة الفوضى والاضطراب وانعدام الأمن والأمان وقد انقسم الناس إلى فريقين أولهما هفت أفئدته إلى من يخلصهم من الفوضى والفساد وإعادة الأمن والطمأنينة إليهم ونشر العدل والمساواة بينما ثانيهما قد كفر بكل شيء حتى بالإله وبدأ يشك فى البعث والحساب والحياة الآخرة ودعي إلى التمتع بمباهج الحياة دون النظر إلى أي اعتبارات دينية[4] وأيضاً على عكس العصر الذي تلاه والذي تميز أيضا بالفوضى والاضطراب حتى استطاعت مجموعة من قبائل البدو الرعاة الآسيويين الوصول إلى عرش مصر وحكم البلاد وإحكام قبضتهم على

(١) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج:٦، الإسكندرية: ١٩٦٦ ،ص ١٧٩ ؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص:٣٧- ٣٨

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق- ص:٨٧

(٣) عبد الحميد جودة السحار: محمد رسول الله، ج:١، القاهرة. د.ت، ص:٢٩٥

(٤) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم،ج:٦، الاسكندرية: ١٩٦٦، ص ١٧٩ ؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق،ص:٣٧-٣٨

المصريين كما قضوا على كل مظاهر الثورة وتمكنوا بعد فترة وجيزة من تثبيت دعائم الأمن فى البلاد سواء فى الداخل أو على حدودها الشرقية بوجه خاص وتكدست الأموال والثروات الضخمة فى خزائنهم.

وقد رأى بعض الباحثين أن إبراهيم عليه السلام قد دخل فى هذا العصر أي فترة احتلال قبائل البدو الآسيويين لمصر وخاصة بعد أن فرضوا سلطانهم على البلاد وإعلان جميع سكانها الولاء لهم[1] وهذا يؤيد الرأي القائل بأن إبراهيم قد دخل مصر داعياً لدين الله عز وجل وليس سعياً وراء الطعام إذا كان يكفيه وامرأته لقيمات قليلة تقيم أودهما دون المجازفة لتعريض نفسه للقتل من جهة على يد أتباع الملك الجبار فى مصر أو تدنيس شرف زوجته وذلك باستحياء عرضها من قبل هذا الجبار كما أن الأحاديث الدينية قد أكدت أن إبراهيم كان لديه من الأموال الكثيرة ما تمكنه من تكليف غيره بإحضار الطعام له دون أن يترك أرض كنعان ويذكر كتَّاب التوراة فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة وغير ذلك من الكتب المقدسة لدي اليهود أنه قد نشبت مشكلات بين إبراهيم وامرأته من جهة وبين حاكم مصر وقومه من جهة أخرى واحتدمت الأزمة بين الطرفين إلا أنه ما لبث أن تحسنت هذه العلاقات بعد أن علم هذا الحاكم وقومه قوة رب إبراهيم وامرأته فأسرعوا بتقديم الهدايا على اختلاف أنواعها وكان من بينها جارية تدعي هاجر[2]. وقد تزوجها إبراهيم بعد عودته إلى شكيم بأرض كنعان بمباركة وموافقة امرأته سارة حيث أنجبت له ابنه البكر إسماعيل عليه السلام ثم ما لبث إبراهيم أن أخذ امرأته هاجر وابنها الصغير إسماعيل ورحل عن أرض كنعان وتوجه إلى مكة حيث أسكنهما بجوار البيت الحرام

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق – ص:٩٣

(٢) المرجع السابق:ص:٩٦

وبعد ذلك بحوالي ثلاثة عشر عاماً تقريباً أنجبت سارة ولده الثاني إسحاق ثم تزوج إبراهيم فيما يبدو بعد وفاة كل من هاجر وسارة من قطوره بنت يقطن وسكنت فى حبرون بفلسطين حالياً وأنجبت لإبراهيم عددا من الأولاد الذكور إلا أن بعض المؤرخين يعترضون على كون قطوره زوجة له ولا يعترفون إلا بكل من زوجته سارة وهاجر، كما ولد فى حياة إبراهيم عدد من أحفاده ومنهم يعقوب عليه السلام[1]. وحين وفاة إبراهيم أوصى ذريته بأن يتمسكوا بدين الإسلام وألا يشركوا مع الله شيئا حيث ورد فى القرآن ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] (سورة البقرة: ١٣١-١٣٢).

أما إسماعيل عليه السلام فقد طلّق زوجته الأولى وتزوج من امرأة أخرى اختلف كتاب التوراة ورواة الأحاديث النبوية والإخباريون القدماء فى تحديد جنسها فمنهم من قال إنها من قبائل جرهم التي أقامت بجوار بئر زمزم ومنهم من قال إنها من أهل مصر وقد أنجبت له عددا من الأولاد الذكور تحدث عنهم كتّاب التوراة بقولهم.

« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة[3] (سفر التكوين١٧-٢٠).

وقد أقامت هذه الذرية علاقات تجارية مع قبائل البدو التي كانت تقيم فى مصر حيث كانت تربطهم بهم صلات رحم تتمثل فى زواج جدهم وأبيهم من امرأتين منهم، كما يعتقد أنهم كانوا وراء تجهيز هذه القبائل بالخيل التي كان أبوهم إسماعيل قد

---

(١) القرآن الكريم: سور الصافات:١٠١؛ ابراهيم:٣٧؛ هود: ٧١

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة: ١٣١-١٣٢

(٣) الكتاب المقدس: سفر التكوين: ١٧-٢٠

استأنسها وتعلم ركوبها وكانت سبباً وراء اتساع أرضهم فى شبه الجزيرة العربية وانتشار وتفرق نسلهم فى أماكن بعيدة عديدة.

كما أقاموا علاقات تجارية مع أقاربهم من الميديانيين الذين سكنوا بالقرب من خليج العقبة حيث كانوا يبيعون لهم البضائع المختلفة التي كانت تجلبها قوافلهم التجارية سواء من مصر أو من بلاد الشام كما كانوا يقومون ببيع بضائع أهل مدين فى كل من مصر وبلاد الشام مما كان له أثر كبير فى تدفق الأموال فى خزائنهم ويعتقد البعض أن الميديانيين هم الذين باعوا يوسف عليه السلام لأحد قوافل الإسماعليين المتجهة إلى مصر[1] كما زوَّج إسماعيل عليه السلام ابنته كحله من عيسو ابن أخيه إسحاق وقد بارك كل من إسحاق وإسماعيل هذا الزواج وأنجب منها الروم[2].

اما إسحاق فقد زوَّجة أبوه إبراهيم من إحدى قريباته فى حاران وأنجبت له عيسو (أدوم) ويعقوب (إسرائيل) ثم تزوج كل منهما وقد ترك عيسو حبرون بأرض كنعان وذلك بعد أن أصبحت المراعى لا تكفى بهائمه ومواشيه وأغنامه فضلاً عن مواشي وبهائم أخيه يعقوب وانتقل بنسائه وبنيه وجميع نفوس بيته ومواشيه وكل بهائمه وكل ما يملك إلى أرض حميه سعير الحورى والتى تقع ما بين البحر الميت وخليج العقبة وهي أرض غير خصبة وأغلبها إما أراضى جبلية أو صحراوية وقد عبدت ذريته الأصنام ولذا فقد اصطفى الله عز وجل رسلا منهم لهدايتهم وإعادتهم إلى دين التوحيد ومنهم ذو الكفل وأيوب[3].

وكان بعض من ذرية عيسو وإسرائيل تتبادل الزيارات بغرض التجارة وعقد

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، ج:٣، القاهرة:١٩٩٧، ص: ٤٣٣-٤٤٥

(٢) المرجع السابق، ص:٥٩٤،٦٣٤

(٣) المرجع السابق، ص: ٥٩٤،٦٣٤

الزيجات فقد زار أيوب ووالده ذرية يوسف عليه السلام المقيمين فى مصر الذين كانوا يعيشون حياة طيبة قبل اعتلاء فرعون عرش البلاد وقد طلب والد أيوب من افرايم ابن يوسف زواج ابنه أيوب من ابنته رحمة وقد وافق افرايم وجهز ابنته بكل غال ونفيس وباركهما وانتقلت معه لتعيش فى أرض سعير وقد منَّ الله على أيوب بخير كثير ثم ما لبث أن ابتلاه فى ماله وولده ثم أعاد إليه الأموال ومنَّ عليه بذرية كثيرة وبالنبوة بعد أن اجتاز محنة الابتلاء الإلهي بنجاح،[١] وحينما خرج موسى بقومه من مصر وحاول دخول الأرض المقدسة أرسل إلى ملك أدوم ليسمح له باستخدام أرضه وقدم له كافة الضمانات التي تكفل عدم إحداث أضرار لمملكته أثناء مرور جيشه وقومه إلا أنه رفض لأسباب منها:

١ - مخافة انقلاب موسى وقومه ضده بعد انتصارهم.

٢ - مخافة انقلاب ملوك الممالك المجاورة له ضده فى حاله هزيمة موسى وقومه.

٣ – أنه وقومه لم ينسوا أن يعقوب الأب الأول لبني إسرائيل قد أخذ البكورية من أبيهم الأول عيسو.

بينما استقر يعقوب فى حبرون وتزوج من ابنتي خاله لابان الساكن بأرض حاران وبعض جواريهما وأنجب منهن اثني عشر ولداً ذكراً اشتغلوا جميعا فى حرفة رعي الأغنام ونفث الشيطان سمومه بين ذريته حيث تمكن بعض منهم من التخلص من أحدهم وهو يوسف الذي كان مقرباً من قلب أبيهم يعقوب حيث ألْقُوه فى بئر قريب من طريق القوافل المتجهة إلى مصر حيث عثرت عليه إحدى تلك القوافل وباعته فيها حيث صار فتى لامرأة عزيز مصر وحينما بلغ مبلغ الشباب اشتهته هذه المرأة كما

---

(١) المرجع السابق،ص: ٥٩٤

تشتهي زوجها إلا أن يوسف قد رفض الانصياع لرغبتها فكادت له مع بعض النسوة في عاصمة الملك حتى أدخلنه السجن ثم رأى الملك حلماً أثناء نومه لم يستطع أحد من قومه تفسيره بينما تمكن يوسف من ذلك فأعجب هذا الملك بشخصية يوسف وحسن تفكيره وتدبيره فعيَّنه على خزائن الأرض[1]، وحينما جاء إخوته لمبادلة بضائعهم بحبوب مصر عرَّفهم بنفسه وأرسل معهم مركبات لإحضار أبيهم ونسائهم وأولادهم وكافة ما هو لهم فى أرض كنعان إلى أرض مصر ليقيموا فيها بعد أن أخذ موافقة الملك الذي أسكنهم فى أرض جاسان حيث عملوا فى مهنة الرعي سواء لماشيتهم أو لمواشي الملك، وعاش وذريته حياة طيبة منعمة فى مصر[2].

ثم اعتلى عرش مصر ملك لم يكن يعرف يوسف بدأ فى اضطهاد بني إسرائيل وتذبيح أطفالهم حديثي الولادة خاصة بعد أن رأى فى نومه حلماً فسره له الكهنة والعرافون بأنه سيولد فى بني إسرائيل طفل يكون هلاكه على يديه فضلا عن زوال ملكه وبعد أن كلف الله موسى بنشر دعوة الإسلام بين بني إسرائيل من جهة وبين فرعون وقومه من جهة أخرى فضلاً عن إخراج قومه من مصر وإسكانهم بالأرض المقدسة فى فلسطين، بدأ فرعون فى قتل أبناء الذين آمنوا بدعوة موسى كما قتل ماشطة ابنته وأولادها فضلاً عن السحرة الذين سجدوا لرب موسى وآمنوا به، فسلط الله على هذا الملك وقومه نتيجة لكفرهم تسعة ابتلاءات عظيمة شملت جميع أوجه الحياة فى مصر، وحينما وجد الله إصرار فرعون وقومه على الكفر والإشراك به أمر موسى بالخروج فى جنح الظلام بدون موافقة من فرعون إلا أن هذا الملك قد علم بخروجهم فأتبعهم بجيش عظيم ولحق بهم عند بحر متسع الأطراف عظيم

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق- ص:٤٦٥-٩٤٢

(٢) المرجع السابق،ص: ٥١٣، ٥١٨

الأمواج تمكن بنو إسرائيل من عبوره بينما غرق فى معينه فرعون وآله وجنده[١].

وقد توفى كثيرون من ذرية إسرائيل ودفنوا فى أرض مصر وخاصة ابتداءً من جيل لاوى ثم قوحات ثم عمران ثم موسى ولم يخرج من جثث موتاهم إلا جثة يعقوب ويوسف فقط، مما يفهم منه أن ثرى مصر قد ضم كثيراً من رفات المسلمين من بني إسرائيل وغيرهم فضلاً عن رفات الكافرين منهم الذين ناصبوا رسلهم العداء وشككوا فى رسالتهم.

أما عن ذرية إبراهيم عليه السلام من قطوره بنت يقطن فقد سكنوا مدين بعد أن رحلت بهم أمهم من حبرون بعد وفاة أبيهم إبراهيم إلى أرض عشيرتها وتقع مدين فى أرض ليست بعيدة عن أرض كنعان وخاصة فى شرق وجنوب شرق الطرف الشمالي لخليج العقبة، وقد عبد أكثرهم غير الله بينما تمسك أقلهم بدين جدهم إبراهيم ولذا بعث الله فيهم أنبياء منهم لهدايتهم إلى الصراط المستقيم[٢].

وحينما هرب موسى من مصر لم يجد أمامه سوى الالتجاء إلى مدين باعتبار أنه توجد بينهما وشائج قربى عن طريق جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام، حيث تعرف على أحد مشايخها الذي زوَّجه إحدى ابنتيه على أن يخدمه فى رعي غنمه وماشيته مدة تتراوح ما بين ثمانية إلى عشرة أعوام[٣].

وبعد أن خرج موسى بقومه من مصر فارين من فرعون وقومه أخذ هذا الشيخ ابنته - زوجة موسى - وأحفاده وتوجه بهم إلى حيث يقيم موسى فى سيناء، وقدم له بعض النصح والمشورة كما ذبح ذبائح شكرا للرب بمناسبة نجاة موسى وقومه من

---

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، القاهرة:٢٠٠٤،ص-٢٤٦-٢٤٨

(٢) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، ج:٣، ص: ٥٤٩-٦٥٦؛ ج:٤، ص:٩٧٥-٩٧٦، ٩٩٤-١٠٠٦

(٢) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، ج:٤، القاهرة: ١٩٩٨، ص: ٨٢٤-٨٢٩

الغرق فى البحر[1].

كما اضطر موسى إلى محاربة أهل مدين على حد قول كتاب التوراة بسبب أنهم قد قاموا بخطوات عملية فى إغواء شباب بني إسرائيل للوقوع فى الرذائل والمجون وعبادة غير الله حيث أحرق مساكنهم وقتل ذكورهم وسبى نساءهم وأطفالهم ونهب ممتلكاتهم.

وقد اتضح من البراهين والأدلة التى سقناها فى كتاب ملوك مصر القديمة منذ عهد ابراهيم حتى عهد موسي الكليم كما يتضح أيضاً من هذا الكتاب الذي بين أيدينا أن كلاً من إبراهيم وحفيده يعقوب وذريته خاصة يوسف والأسباط وموسى وهارون الذين عاشوا على أرض مصر لفترة من الزمن قد عاصروا جميعاً الهكسوس أولئك البدو الرعاة الآسيويين الذين:

١ – تعرض أحد ملوكهم لسارة امرأة إبراهيم وحاول الاعتداء على عرضها وشرفها إلا أن الله قد عصمها منه[2].

٢ – نصَّب أحد ملوكهم يوسف عليه السلام على خزائن الأرض بعد أن فسر له حلماً رآه فى نومه تعلق بتعرض مصر وما حولها لمجاعة وقحط لمدة سبع سنوات كما سمح ليعقوب وذريته بدخول مصر والإقامة فى أرض جاسان[3].

٣ – انقلب أحد ملوكهم بعد وفاة يوسف وهو فرعون وآله على بني إسرائيل حينما رأى حلماً فى نومه فسره له العرافون بأن هلاكه وزوال ملكه سيتحقق على يد طفل يولد فى بني إسرائيل فساءت العلاقات بينهما فبدأ فى تذبيح أطفال بني

---

(١) المرجع السابق، ص:٩٨٤

(٢) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء، والتاريخ، ج:٢، ص:١٠٢-١٠٣

(٣) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق

إسرائيل حديثي الولادة ثم بعد أن بُعث موسى لفرعون وقومه فضلاً عن بني إسرائيل قام بقتل أبناء الذين آمنوا بدعوة موسى واستحياء نسائهم وتسخيرهم فى الأعمال الشاقة وقد رد الله على ذلك بابتلاء فرعون وقومه بتسعة ابتلاءات عظيمة أصابتهم فى جميع أوجه حياتهم[١].

٤ – فى عهد ملكهم فرعون خرج بنو إسرائيل من مصر بعد أن عبروا بحر سوف العظيم بسلام بينما غرق فى معينه فرعون وآله وجنوده وقد قصد بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة فى فلسطين حتى يبدءوا فى نشر دعوة الإسلام بين شعوب الأرض على اختلاف مواقع إقامتهم.

■■■



(١) المرجع السابق، ص:٢٠٨-٢١١؛ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول:٢٦/٩

الفصل الأول

الهكسوس واحتلالهم مصر وحكم أهلها

- أصلهم.
- أسماؤهم.
- لغتهم.
- ديانتهم.
- أسباب دخولهم.
- توقع حكام مصر لهجومهم.
- ميقات دخولهم.
- أسباب انتصارهم.
- حكامهم.
- سياستهم.
- عاصمتهم.
- مملكتهم.
- مدة حكمهم.

الهكسوس واحتلالهم مصر وحكم أهلها

لم يترك الهكسوس آثاراً كثيرة رغم تعدد ملوكهم وطول مدة حكمهم وذلك حسب رواية المؤرخ المصري مانيتون الذي عاش خلال القرن الثالث قبل الميلاد فضلاً عما تضمنته نصوص التوراة والتي يفهم منها استمرار بنى إسرائيل فى مصر ما يربو عن أربعة قرون متصلة وربما يرجع السبب فى ندرة هذه الآثار إلى ما قرره القرآن الكريم ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[1] (الأعراف:١٣٧).

وهذا يعني أن الآثار التي تركها فرعون وأسلافه كانت فى عاصمة ملكهم ويبدو أنها كانت تضم قصوراً شامخة ومساكن عظيمة وحصوناً منيعة ومنشآت دينية ودنيوية كثيرة وكانت تتوافر فيها كافة الخدمات التي تضمن لهم حياة مرفهة تتوافر فيها كل أسباب الحياة بخلاف حياتهم السابقة التي كانوا يعيشونها فى البدو، حيث كانت الخيرات والأموال تتدفق على خزائن فرعون وكبار موظفيه.

ورغم هذا التدمير الإلهي إلا أنه قد أمدتنا بعض المصادر المصرية التي كانت بعيدة عنه ببعض المعلومات ومنها لوحة الأمير المصري كاموزه ولوحات الملك أحمس الأول ونقوش مقبرتي أحمس بن إبانا وأحمس بن نخبت فضلاً عن نصوص متفرقة من عصر الملكة حتشبسوت والملك مرنبتاح وبردية ساليبه الأولى وكذلك ما ورد بكتاب المؤرخ المصري مانيتون والذي اقتبس منه بعض المؤرخين القدماء ومنهم

(١) القرآن الكريم، سوره الأعراف:١٣٧؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، ص: ٧٧٠-٧٧٧

المؤرخ اليهودي يوسفيوس وأيضاً ما أسفرت عنه بعض الحفائر فى الدلتا المصرية وسيناء وفلسطين وغيرها[١].

أولا: أصلهم

جاء فى رواية المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي اقتبسها من كتاب تاريخ مصر لمانيتون والذي فقد لسبب ما، مع الوضع فى عين الاعتبار أن هذا المؤرخ مثل أقرانه من كتاب التوراة الذين حرفوا كتاب الله ﷻ فهو هنا يرفع من شأن اليهود ولا مانع لديه من أن يُزيد ويُضيف أو يَمحي ويحذف ويبدل ويعدل فى رواية مانيتون الأصلية وكان مما اقتبسه « توتيمايوس فى عهده لسبب لا أعرفه حلت بنا ضربة الإله وفجأة تقدم فى ثقة إلى النصر غزاة من إقليم الشرق من جنس غامض إلى أرضنا واستطاعوا بالقوة أن يتملكوها بسهولة دون أن يضربوا ضربة واحدة» [٢].

قد اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون فى تحديد جنسية هؤلاء البدو الرعاة الذين هاجموا مصر من ناحية حدودها الشرقية ولا زال هذا الاختلاف على أشده حتى إنه يمثل مشكلة كبيرة تنتظر الحل وتمثلت آراؤهم فى:

١ - أنهم عرب من شبه الجزيرة العربية[٣] وكانت حرفتهم الرئيسية الرعي وينتقلون من أرض إلى أخرى وكان هذا سبباً مباشراً فى إحجام الممالك والإمبراطوريات القديمة الكبرى على فرض سلطانها على هذه القبائل نظراً لانعدام

---

(١) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، الإسكندرية: ١٩، ص٣٢٣
رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث- ص: ٤٥٦

(2) M. Bietak, Avaris And Piramesses. London.1986.P.228-229
A.Gardiner. JEA.32.1949.P.43-56.D.Redford. Canaan and Israel In Ancient Times. Cairo. 1995.p.102

(٣) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق: ص: ٩١

الثروات والأموال لديهم وقد كان بعضهم يتجولون فى سوريا وفلسطين وقد وصل بعضهم إلى مصاب الأنهار التي تصب فى بحر قزوين ومنهم قبائل السكيت أو السكات أو السجاز وكوَّنوا مملكة لهم على الجبال هناك وذلك حسب رواية كل من هيرودوت وديودور الصقلي، ومما يؤكد علاقة تلك القبائل البدوية بقبائل شبه الجزيرة العربية.

أ) أن قبائل الإسماعيليين قد أقاموا علاقات مع الهكسوس أثناء احتلالهم لمصر فقد كانت قوافلهم التجارية تأتي إلى مصر محمَّلة بكافة أنواع البضائع التي تنتجها أرضهم أو يتبادلونها مع بلاد النهرين أو بلاد الشام وغيرها كما أنهم هم الذين باعوا يوسف عليه السلام إلى عزيز مصر الذي كان من قبائل الهكسوس، وكان هؤلاء الإسماعيليون على علاقة قرابة بقوم الهكسوس حيث إن أمهم هاجر رضى الله عنها كانت منهم ولذا كانوا يأمنون جانبهم ولا يخشون غدرهم أو الانقلاب عليهم.

ب) ما ورد بالقرآن الكريم على لسان مؤمن آل فرعون ﴿... وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[١] (غافر:٢٨-٣١).

إذن فهؤلاء الهكسوس البدو يعرفون كلًّا من قوم نوح وعاد وثمود معرفة جيدة ويعلمون جنسهم ومواضع سكنهم وما حدث لهم وهذا لا يحدث إلا إذا كانوا قد عاشوا على مقربة منهم فإن قوم عاد وثمود كانوا يقيمون فى شبه الجزيرة العربية وبالمناطق الشمالية المتاخمة لبلاد الشام أما قوم نوح فكانوا يعيشون فى بلاد النهرين[٢].

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر: ٢٨-٣١

(٢) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق.- ص:٢٣١-٢٣٢؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع.- ص: ٨٨٠-٨٨١

هل الهكسوس عربٌ؟

يعتقد بعض المؤرخين العرب القدماء وغيرهم أن قبائل البدو الرعاة التي تمكنت من احتلال مصر من العرب.

ويعتمدون على عدة أدلة منها:

أ) أن القرآن الكريم يُذَكِّر محمداً ﷺ وقومه بما كان من فرعون حاكم مصر وقومه فى زمان موسى عليه السلام مما يفهم منه أنهم يرجعون فى أصولهم إلى شبه الجزيرة العربية أو على الأقل أنهم قد أقاموا فى شبه الجزيرة العربية بعد تشتيتهم والقضاء على سلطانهم فى مصر وبلاد الشام على أيدي المصريين القدماء.

ب) أن الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على هؤلاء البدو الرعاة وهو حقاخاسوت الذي يمكن أن ينطقه العرب الذين نزل هؤلاء البدو الرعاة بجوارهم بعد أن تم طردهم من مصر وبلاد الشام (حجازوت) وأن هذا الاسم أصبح يشير إلى المنطقة التي سكنها هؤلاء البدو الرعاة والمعروفة حاليا باسم (الحجاز).

ج) أن اللفظ اليوناني الهكسوس الذي أطلق على هؤلاء البدو الرعاة يتصل فيما يبدو باللفظ العربي (السكاسك) الذي يعد فى الذكريات العربية يشير إلى أقوام جنوبية عاشت فى شبه الجزيرة العربية، كما ارتبط هذا اللفظ أيضاً باسم السقساق أو الزقزاق الذي يطلق على نوع من الطيور ينتشر فى شبه الجزيرة العربية وسيناء ويعتقد أن هذا الاسم يرتبط أيضاً بمدينة الزقازيق التي كان يعيش بالقرب منها قبائل الهكسوس.

٢ – أنهم من اليهود[1] وقد تمكنوا من احتلال مصر وكانوا ملوكاً على أهلها لعدة

---

(1) J.Van Seters. The Hyksos: A New Investigation. New Havan. 1966.P.192

نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق – ص ...

قرون حتى تمكن أمراء طيبة من طردهم إلى فلسطين حيث قاموا بتأسيس أورشليم وظلت لهم قوة عسكرية يخاف بأسها وهي التي استعان بها أوزيرسيف رجل الدين المصري الذي تزعم بني إسرائيل وبعض المرتدين عن الديانة الفرعونية والمناهضين للحكم المصري وتمكنت القوات اليهودية من احتلال مصر مرة أخرى لمدة ثلاثة عشر عاما حتى استطاع المصريون طردهم على يد حاكم يدعي أمنحوتب وابنه[1].

هل الهكسوس هم اليهود

كان المؤرخ اليهودي يوسفيوس أول من أشار إلى أن قبائل البدو التي احتلت مصر إبان انهيار عصر الدولة الوسطي هم من اليهود وذلك فيما يبدو إعلاءً من شأن قومه اليهود الذين قام كثير من المؤرخين القدماء بتحقيرهم والتقليل من شأنهم ومنهم المؤرخ الإسكندري آبيون.

ورغم فجور كتاب التوراة وكذبهم وتطاولهم على الله ﷻ إلا أنهم لم يَّدعوا أن أحداً من ذرية يعقوب عليه السلام قد احتل مصر وحكمها كما لم يَّدعوا أن أحداً من ذرية يعقوب قد فرض سلطانه وهيمنته على بلاد الشام أو النوبة فى جنوب مصر قبل قيام مملكتهم الموحدة على يد شاؤل مما يؤكد أن هذا المؤرخ قد فاقهم كذبا وفجوراً.

وقد سار على نهج هذا المؤرخ اليهودي عدد آخر من المؤرخين على اختلاف جنسياتهم حتى عصرنا الحالي حيث استنتج بعضهم أن البدو الرعاة الذين احتلوا مصر وأطلق المصريون القدماء عليها (الحقاخاسوت) هم اليهود وذلك استناداً على ما ورد فى التوراة من أن يربعام بن يوآش من مملكة إسرائيل الصغرى قد استرجع كل من حماه ودمشق وبما أن هاتين المدينتين لم تخضعا لإسلافه من ملوك

(١) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الرابع. – ص: ٥٩–٦٠ ؛ سيد القمنى: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الأول، القاهرة: ١٩٩٩. – ص:١٤٩

هذه المملكة ولكنهما كانا يخضعان لحكام الهكسوس فى مصر، مما يُفهم منه أن الهكسوس هم اليهود وذلك على اعتبار استقرار ذرية يعقوب عليه السلام فى مصر لمدة أربعمائة وثلاثين عاماً منها مائتين وخمسة عشر عاماً حكم فيها اليهود مصر وتم طردهم على يد الجيش المصري بقيادة أحمس الأول الذي تمكن من أسر أعداد كبيرة من هذه الذرّية التي عاشت فى مصر مائتين وخمسة عشر عاماً أخرى لتخرج فى عهد ملك يدعي أمنحوتب بما يعني دخولاً واحداً لذرية يعقوب إلى مصر وخروجين بينما المؤرخ يوسفيوس يعتبر أن هذه الذرية دخلت مصر مرتين وخرجت منها مرتين.

ويمكن الرد على ذلك بأنه لا يمنع أن كل من حماه ودمشق قد خضعتا لمملكة إسرائيل الكبرى التي جمعت بين اليهود والإسرائيليين وخاصة أنه قد امتد سلطانها ونفوذها إلى ممالك وإمارات كثيرة ومنها مملكة سبأ فى أقصى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية مما يؤكد أن كثيراً من الممالك المجاورة لمملكة إسرائيل الموحدة قد خضعت لسلطانها.

وتعد كل من حماه ودمشق إرثاً مشتركاً لكل من مملكة إسرائيل الصغرى ومملكة يهوذا بعد انهيار المملكة الموحدة الكبرى التي قامت على يد شاؤل، مما يستدل منه على فساد الرأي القائل بأن اليهود هم قبائل البدو الرعاة الذين أطلق المصريون القدماء عليهم (حقاخاسوت).

إذا كان اليهود هم الهكسوس على أساس الرواية المزعومة للمؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي يدّعي أنه قد نقلها عن المؤرخ المصري مانيتون فإنه يفهم من هذه الرواية:

أ- أن جميع ذرية يعقوب عليه السلام قد دخلت مصر بلا استثناء.

ب- أنه تم طردهم جميعاً من مصر على يد أحمس الأول وأثناء المطاردة تم

أسر جميع الأسباط باستثناء سبط يهوذا الذي كان يتزعم بقية الأسباط نظراً لكثرة أعداد أفراده المدربين تدريبا عسكريا فائقا فضلا عن تجهيزهم بمعدات عسكرية متطورة وقد تمكن إمَّا من الهرب إلى فلسطين أو توقيع معاهدة مع الملك المصري تتيح له فرصة الإقامة بها حيث أسسوا عاصمة لهم فى أورشليم.

ج - أنه تم إخراج هؤلاء الأسباط الذين تم أسرهم من قبل أمير طيبة من مصر على يد ملك يدعي أمنحوتب وقد رجح المؤرخون أنه إما أمنحوتب الثاني أو الثالث أو الرابع.

وهنا يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات منها:

أ - إذا كان الملك أحمس الأول قد عقد مع اليهود معاهدة تضمن لهم الخروج الآمن من مصر ودخول فلسطين والإقامة بها فى سلام فلماذا يأسر بقية الأسباط؟.

ب - لماذا نقض أحمس الأول المعاهدة وبدأ فى حصارهم فى حصن شاروحين لمدة ثلاث سنوات حتى خرجوا منه فارين إلى مواقع بعيدة عن السلطان المصري.

ج- لماذا يأسر أحمس الأول عشرة أسباط ويجعلهم يعيشون فى مصر وهو يعلم أن عددهم سيزداد على مر السنين وهم يعدون أعوانا لإخوانهم من اليهود الذين خرجوا وأقاموا فى فلسطين أو أعواناً لأسيادهم من الهكسوس إن لم يكونوا يهوداً.

د- لماذا يسمح أحمس الأول لليهود الذين أذاقوا قومه من المصريين القدماء أبشع أنواع العذاب وسلبوه حريته وخيرات أرضه بالاحتفاظ بقواتهم ومعداتهم العسكرية والإقامة بالقرب من حدوده الشرقية وهم تملأهم الرغبة فى العودة إلى مصر للاستئثار بخيراتها.

وقد أدى هذا فى النهاية إلى عدم قبول أكثر المؤرخين برواية المؤرخ اليهودي يوسفيوس لمخالفتها للأدلة الأثرية ولتناقضها مع بعضها البعض.

٢- أنهم من القبائل البدوية التي كانت تعيش بالمناطق الجبلية داخل حدود ما يعرف الآن بسوريا وفلسطين ولبنان والأردن وسهول وجبال آسيا الصغرى وشرقها والتي كان يطلق المصريون على حكامها قبل دخول الهكسوس مصر « حقاخاسوت» وتؤكد ذلك النصوص السحرية التي لجأ إليها المصريون القدماء خلال الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة فى نهاية عصر الدولة الوسطي لمنع هذه القبائل من اجتياح مصر ودخولها والسيطرة عليها مما يدل على أن المصريين كانوا يعلمون بالأخطار التي كانت تحدق ببلادهم وكانوا يعرفون مصدر هذه الأخطار والاقوام التي كانت تهدد أمنهم واستقرارهم[١] وهذا يؤكد زيف وافتراء ما رواه يوسفيوس اليهودي عن مانيتون والذي يقول فيه أن سبب هجوم تلك القبائل البدوية على مصر غير معروف وأنهم من جنس لا يعلمه المصريون ويرى بعض الباحثين أنهم خليط من الفينيقيين والعموريين والحوريين والكنعانيين والهندوأوروبيين وكانت بعض هذه القبائل قد عرفت استخدام الجياد والعجلات الحربية ومما لا شك فيه أن الغالبية العظمى من هذه القبائل البدوية كانت تتكلم بلغة إبراهيم عليه السلام حيث إنه قد أرسل إليهم كما أرسلت إليهم فيما بعد بعضاً من ذريته كيعقوب ويوسف والأسباط وموسى وهارون مما يدل على أن الأراضي التي كانت تقيم بها قبائل الهكسوس لا تبعد كثيراً عن بلاد الرافدين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية وبعض البلاد الواقعة إلى الشمال والشرق منها[٢].

---

(1) A.Saleh.Arabia and Northern Arabs in Ancient Egyptions Records. JFA. Cairo. 1978. p.69-77; W. Waddell. Mantho. London. 1940. P. 90

(٢) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق: ص:٩٢
نديم السيار: قدماء المصريين أول الموحدين، الجزء الأول، القاهرة: ١٩٩٥، ص: ٤٦-٤٧، ٥٤-٥٥

ثانيا: أسماؤهم

يبدو أن تلك القبائل البدوية التي خرجت من مواطنها الأصلية تحت ضغط ظروف طبيعية وبشرية تدفقت على فترات متقطعة إلى أراضي الهلال الخصيب والأناضول وإلى شرق أوروبا لم يكن لها اسم محدد تعرف به بين سكان البلاد التي دخلوها ولكن كان كل بلد دخلوه وأقاموا فيه يطلق عليهم اسماً ولذا كان ذلك سبباً مباشراً فى اختلاف أسمائهم ومن هذه الأسماء:

١- **الهكسوس: أطلقه المؤرخ المصري مانيتون على تلك القبائل البدوية التي استطاعت دخول مصر واحتلالها وقد فسر هذا الاسم كالآتى:**

أ- **بمعنى (الملوك الرعاة)**: حيث إن المقطع الأول من الهكسوس وهو (هك) أو (حقا) يعني حاكم، بينما المقطع الثاني وهو « سوس» فإنه يقابل (شوس) فى اللغة القبطية الذي يعني «رعاة» ولكن تفسير هذا الاسم بتلك الطريقة لا يجد موافقة من أغلب علماء اللغة المصرية القديمة.

ب- **بمعنى (حكام البلاد الأجنبية)** وقد قسم لفظ الهكسوس إلى مقطعين أيضاً المقطع الأول يتطابق مع التفسير الأول بينما المقطع الثاني يفسره علماء اللغة بأنه يقابل (خاسوت) التي تعني فى الهيروغليفية الأراضي الجبلية أو المرتفعة أو البلاد الأجنبية [(١)].

وقد عرف لقب حقاخاسوت عند المصريين القدماء قبل دخول الهكسوس إلى مصر حيث نجده مستخدماً فى صيغة الجمع فى بداية عصر الدولة الوسطي فقد أطلقوا هذا اللقب على حكام بعض القبائل الآسيوية التي كانت تحضر إلى مصر

---

(١) نديم السيار: المرجع السابق. — ص: ١٢٣- ١٢٩

محملة بالهدايا والتي تم تصوير بعض منهم على جدران عدد من مقابر أشراف بني حسن فى مصر الوسطي[1].

٢- العامو- السيتو: أطلق المصريون القدماء كلا من هذين الإسمين على القبائل البدوية التي احتلت بلادهم حيث ورد فى نصوص الأمير الطيبي كامس «أريد أن أعرف مدى سلطاني إذا كان هناك حاكم فى أواريس وآخر فى كوش وأجلس شريكاً بين السيتو والنوبيين ويحكم كل منا جزءاً من مصر...»[2].

كما ورد فى التمرين المدرسي للتلميذ المصري الصغير بنتاؤر من عصر الدولة الحديثة الذي تحدث فيه عن أول حاكم مصري قاد ثورة التحرير ضد الغزاة المحتلين الذين أطلق عليهم اسم العامو «حدث أن أرض مصر كانت فى جائحة شنعاء ولم يكن للبلاد حاكم يعد ملكاً فى ذلك الوقت وقد حدث أن الملك سقنن- رع كان حاكماً على المدينة الجنوبية، لكن الجائحة الشنعاء كانت فى بلد العامو»[3].

٣- العماليق:

أ – اسمهم:

أطلق المؤرخون العرب القدماء ومنهم الطبرى والثعلبي وابن ظهيرة وابن خلدون والدينوري هذا الاسم على القبائل البدوية التي تمكنت من غزو مصر واحتلال

---

(١) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، تعريب/ماهر جويجاتي، القاهرة:١٩٩١.- ص:٢١٢، ٢٧٠-٢٧٩ ؛سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الرابع.- ص: ٥٧، ١٩٦-١٩٧ ؛ عبد العزيز صالح: شبه الجزيرة العربية فى المصادر المصرية القديمة، مجله عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، الكويت:١٩٨٠.- ص:٣٠١

(2) A.Gardiner, JEA. 3.p.95; ASAE. 25. p.11

أ.جاردنر: مصر الفراعنة، تعريب/ نجيب مخائيل. – ص:١٩٠

(٣) المرجع السابق.-ص: ١٩٠

أرضها وحكم شعبها واعتبروهم عرباً حيث قالوا «ملك العماليق مصر ومنهم فرعون إبراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى» ويبدو أنهم العناقيم أو بني عناق الذين ورد ذكرهم بالتوراة حيث نجد ما نصه: «رأينا بني عناق هناك، العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب» (سفر العدد: ١٣/٢٧-٣١) والجبارون الذين ورد ذكرهم بالقرآن الكريم وبالأحاديث الشريفة ومنها ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ (المائدة:٢٢) وحينما أشارت الأحاديث الشريفة إلى نزول إبراهيم عليه السلام إلى أرض مصر قالت «...فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك».

ومما يؤيد رأي هؤلاء المؤرخين أن أسماء الأفراد سواء أكانوا حكاماً أو محكومين من تلك القبائل البدوية تتشابه مع أسماء الأفراد فى بلاد الشام كما كان لهم حصونهم المنيعة فى هذه البلاد والتي أشارت إليها النصوص المصرية التي تحصنوا بها واستطاعوا صد القوات المصرية لمدة ثلاث سنوات كاملة كما كانت تخضع إمارات وممالك أكثر بلاد الشام لنفوذهم وسلطتهم وقد تعقبهم المصريون فى تلك البلاد خشية أن يتحدوا مرة أخرى ويهاجموهم واستطاعوا تشتيتهم وتفريق شملهم بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك[1].

ويعتقد بعض علماء اللغة أن هذا الاسم يتكون من مقطعين أولهما عم/عمو ويبدو أنه ذو أصل آرامي، أطلقه الآراميون على شباب البدو الذين كانوا يلتحقون

---

(1) Lichtheim. Ancient Egyptian Litterture.2.P.12-14

مختار السويفي: أم الحضارات: ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، الجزء الثالث، القاهرة:٢٠٠٠، ص:٥٤.

بجيوش الممالك المختلفة فى آسيا تمييزاً لهم عن بقية الجنود الذين ينخرطون في سلك الجندية بتلك الممالك ووجد هذا الاسم طريقه إلى لغات أخرى حيث استخدمه المصريون القدماء للإشارة إلى البدو أما ثانيهما (لاق) فهو لفظ آرامي أيضاً يعني الأملاك التي تمنحها الممالك المختلفة لجنودها حتى تتمكن أسرهم من الاستفادة منها وتوفير الحياة الكريمة لأفرادها مما يكون له أثر فعال فى حسن بلاء هؤلاء الجنود فى المعارك الحربية مع الأعداء ليكون معني الاسم أملاك المنخرطين من شباب البدو فى الجندية[1] ويبدو أن هؤلاء الجنود البدو وأقوامهم وربما الحكام التي تعرضت ممالكهم إلى انقطاع الأمطار أو شحتها قد تجمعوا وتوحدوا وبدءوا يبحثون عن مواطن جديدة لهم ليستقروا فيها وكانت المسألة بالنسبة لهم حياة أو موتا وقد وجدوا بغيتهم فى أرض مصر فانقضوا عليها لضعف حكامها من جهة وجيشها من جهة أخرى.

ب – أصلهم

اختلف المؤرخون فى تحديد أصل العمالقة على الوجه الآتي:

١- أنهم من نسل عمليق بن لود (لآود-الأود) بن إرم بن سام بن نوح.

٢ – أنهم بقية من نسل عاد.

٣ – أنهم من ذرية عيسو (أدوم).

٤- أنهم يتصلون بذرية إبراهيم بصلات القربى الناشئة والناجمة عن علاقات الزواج فيما بينهما.

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق.-ص:٧٠-٧١؛ حسين ربيع: التبادل التجاري بين مصر وأطراف البلاد الخصيب منذ نهاية الدولة القديمة وحتى نهاية عصر الانتقال الثاني فى ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة. رسالة ماجستير. جامعة القاهرة:١٩٩٥، ص:٨١-٨٢

ج – مقر سكنهم

اختلف المؤرخون فى تحديد المواقع التي أقاموا فيها ومنها:

١– جبال سعير مما يؤكد علاقاتهم بعيسو بن إسحاق بن إبراهيم حيث أن لفظ عنك أو عنق يرتبط باللون الأحمر وهو اللون الذي اشتهر به عيسو.

٢– شبه الجزيرة العربية ويؤكد ذلك أنه قد نزل قوم العماليق بجوار بئر زمزم حيث كانت تقيم السيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

٣– حبرون بأرض فلسطين، ويبدو أنهم قد أقاموا فيها بعد أن رحل عنها يعقوب وذريته ونزلوا أرض مصر بدعوة من يوسف عليه السلام وموافقة الملك الحاكم فيها على إقامتهم.

٤ – صحراء النقب.

٥– مصر وبلاد الشام وذلك حسب ما يؤكده المؤرخون المسلمون القدماء بأن الذين احتلوا مصر وآلت إليهم الممالك التي كانت خاضعة لها فى بلاد الشام هم العماليق (الذين أطلق عليهم المصريون القدماء اسم الهكسوس).

وهنا نتساءل لماذا حارب العماليق أو بنو عناق موسى، رغم احتمالية وجود وشائج قربي فيما بينهما حسب الرأي القائل بأنهم من ذرية عيسو أو أنهم يرتبطون بعلاقات قربي بذرية إسماعيل عليه السلام والتي نشأت خلال فترة إقامتهم مع إسماعيل عليه السلام وذريته من بعده ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصواب باعتبار أن العماليق ليسوا من ذرية إبراهيم عليه السلام، حيث إنهم كانوا من بين القبائل التي وفدت على السيدة هاجر أثناء إقامتها فى مكة ومعها طفلها إسماعيل عليه السلام أول ذرية إبراهيم عليه السلام.

د – هل الهكسوس هم العماليق ؟

لقد ميَّز كُتَّاب التوراة بين العماليق الذين هاجموهم فى سيناء بعد أن خرجوا من مصر وغَرِقِ فرعون وآله وجنوده فى البحر وبين الحكام وقومهم الذين عاشوا بينهم منذ يعقوب إلى موسى عليه السلام فى مصر حيث أطلقوا عليهم اسم المصريين فإذا افترضنا أن القبائل البدوية التي احتلت مصر كانت من العماليق وأنهم فقدوا هذا الاسم فضلاً عن جنسيتهم نتيجة لاحتلالهم مصر وإقامتهم الطويلة على أرضها حتى إن القرآن الكريم قد أكد أن هؤلاء الغزاة المحتلين اعتبروا أرض مصر ملكهم ولا يستطيع أحد أن ينازعهم فيها ولا فى حكم أهلها، فقد حكم هؤلاء الرعاة مصر منذ نزول إبراهيم مصر- بغرض الدعوة إلى الله والتزود بالطعام بعد أن عم القحط أرض كنعان- وحتى عهد موسى عليه السلام وقد قدر المؤرخ المصري القديم مانيتون فترة احتلالهم مصر بقرابة خمسة قرون متصلة وعاش فى كنفهم بنو إسرائيل قرابة أربعة قرون متصلة لا انفصال بينها وقد أكدت الكشوف الأثرية الحديثة فى مصر صحة هذه الفترة التي أكدها أيضاً كتاب التوراة بينما احتفظ من لم يدخل منهم مصر باسم العماليق، ويبدو أنه كانت هناك علاقة ما تربط كل من البدو العماليق وبين قبائل البدو الهكسوس فى مصر، خاصة وأن كثيرا من الباحثين يؤكد أنهم قد سكنوا حبرون فى صحراء النقب فى فلسطين التي كانت تخضع لسلطان وسيطرة الهكسوس.

وهنا يتبادر إلى الذهن هل هؤلاء العماليق قد هاجموا بني إسرائيل بعد أن خرجوا من مصر بإيعاز من خلفاء فرعون الذين حكموا مصر بعد غرقه وآله وجنوده فى البحر وهل هم الذين استقبلوا فلول الهكسوس الذين تم طردهم من مصر إلى فلسطين وقدموا لهم العون العسكري والتمويني حتى تمكنوا من الصمود أمام قوات

الجيش المصري بقيادة أحمس الأول لمدة ثلاث سنوات متصلة.

ومما تجدر ملاحظته أن كُتّاب التوراة لم يشيروا مرة واحدة إلى أن المصريين الذين كانوا يعيشون فى كنفهم فى مصر كانوا من العماليق أو حتى تربطهم علاقة ما بل أنهم قد اعتبروا كلا منهم أقواماً مختلفة تماماً.

كما أكدوا بأنه كانت لهم قوة عسكرية لا يستهان بها قبل قيام مملكة إسرائيل الموحدة وبعد قيامها حيث قام كل من شاؤل وداود ﷺ بمحاربتهم وتحقيق انتصارات باهرة عليهم وهذا يخالف ما ذكرته النصوص المصرية إذا ما افترضنا أن الهكسوس هم العماليق حيث أكدت أن الملك أحمس الأول تمكن من حصار الهكسوس فى فلسطين وقام بطردهم من بلاد الشام وتشتيتهم فى مواقع نائية بحيث يضمن ألا يشكلوا تهديداً لمصر أو للممالك الخاضعة لها فى بلاد الشام، مما يستنتج منه أن العماليق غير الهكسوس ولا يوجد ما يؤيد أن العماليق هم الهكسوس إلا أقوال المؤرخين العرب القدماء.

ويفهم من ذلك أن قوم العماليق الذين أكدت نصوص التوراة أنهم كانوا يعيشون خارج مصر ليسوا من قبائل البدو الرعاة الهكسوس الذين كانوا يحتلون مصر وأن كان لا يمنع أن تكون هناك علاقات ما تربطهم معاً[1].

٤ – **الكاسيون/ الكاشيون:** هم مجموعات من قبائل البدو تمكنوا من دخول بابل وقضوا على ملكها وكونوا إمبراطورية لهم على أنقاضها وحكموا بابل لمدة خمسة قرون وأطلق البابليون عليهم الكاسيون أو الكاشيون[2].

---

(١) محمد بيومى مهران: تاريخ العرب القديم، الإسكندرية: ١٤٢٧ هـ ،.- ص:٣٥٤-٣٩٠.

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث،.- ص: ٣٥٤؛ رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، القاهرة: ١٩٩٣.- ص: ٧

٥- الحاثيون/ الحيثيون وهذا الاسم أطلقه عليهم سكان آسيا الصغرى بعد أن تمكنوا من دخولها والسيطرة على ممالكهم[١].

٦- الحوريون/ الخوريون وهو الاسم الذي أطلقه السوريون عليهم بعد أن دخلوا سوريا وأعالي الفرات واستقروا فى ميتاني[٢].

٧- الآخيون: أطلق الإغريق عليهم هذا الاسم بعد أن تمكنوا من دخول بلاد... وإسقاط ممالكهم[٣].

ثالثا: لغتهم

إن لغة -قبائل البدو الهكسوس وإبراهيم عليه السلام وذريته من الإسماعيليين والمديانيين والآدوميين والإسرائيليين فضلاً عن القبائل البدوية التي كان ينتمي إليها إبراهيم سواء فى حاران أو أور الكلدانيين والقبائل البدوية التي تربطهم بها علاقة القربى وصلات الرحم والجوار- كانت فيما يبدو الآرامية وهي اللغة التي كتبت بها صحف إبراهيم وموسى والتي يعتقد أن موسى قد تعلمها كتابة وقراءة على يد كبار المعلمين أو الكتاب فى قصر فرعون[٤] فقد ورد بالقرآن الكريم أنه حينما عاد من ميقات ربه والذي بلغت مدته أربعين يوماً وجد بني إسرائيل يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري من حليهم فألقى بالألواح التي أحضرها لينسخ بها ما أوحاه

---

(١) المرجع السابق.- ص:؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق.. – ص:٤٥٣

(٢) Vercoutter. L'Egypte Anciecnne. Paris.1963. P.73

رمضان السيد: المرجع السابق.،- ص:٧

(٣) عبد العزيز صالح: الشرق الأدني القديم، مصر والعراق، القاهرة:١٩٨٢.، – ص:١٩٥؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق.، – ص: ٤٥٣

(٤) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق.،- ص: ١٩٣-١٩٦ ؛ نديم السيار: المرجع السابق.- ص:١٢٢-١٢٩

إليه ربه وبعد أن ذهب عنه الغضب أخذ هذه الألواح ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[1] (سورة الأعراف: ١٥٤).

كما يتضح مما جاء على لسان مؤمن آل فرعون أن القوم فى عهد يوسف هم نفس القوم فى عهد موسى فلا يعقل أن يتحدث هذا الرجل المؤمن الذي هو من أسرة فرعون مع قومه عن يوسف عليه السلام وهم لا يعرفونه بل أكد أنهم قالوا عنه أنه آخر الرسل ولن يبعث الله من بعده رسولاً وأنهم كانوا يشكُّون فى دعوته حيث ورد قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ (سورة غافر ٣٤).

وهذا يؤكد قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴾[2] (سورة إبراهيم: ٤).

من شروط النبوة التي تتمثل في:

أ – وحدة اللغة بين الأنبياء وأقوامهم حتى يتم التفاهم فيما بينهم وحتى يكون الأنبياء لديهم القدرة على البيان والإيضاح لهم.

ب- وحدة الجنس حتى تعلم الأقوام أجداد وآباء هؤلاء الأنبياء وصفاتهم وطبائعهم وعادة ما يتميز الأنبياء بأخلاقهم السامية وبأصولهم الكريمة.

ج- أن موسى عليه السلام حينما أصيب لسانه بعجز جزئي حال دون فهم قومه لبعض أقواله طلب من ربه أن يشد أزره بأخيه هارون وهذا يؤكد أهمية اللغة ليس فقط فى إجاده قواعدها والإلمام بكل دقائقها ولكن أيضاً فى نطقها السليم كما أنه لم يتم

---

(١) القرآن الكريم: سوره الأعراف:١٥٤

(٢) القرآن الكريم: سورة إبراهيم:٤١

الكشف عن أية أدلة أو براهين تؤكد تحدث بنى إسرائيل باللغة الهيروغليفية أو أي لهجة من لهجات المصريين فإن كانوا قد عاشوا فى مصر أقل أو أكثر من أربعة قرون فإنه كان ولابد أن نجد أثراً واضحاً فى لغتهم وهو ما لم نجد له أثراً يؤكده[1] قبل قيام مملكة إسرائيل الكبرى.

ومن هذا كله يمكن أن نستنتج أن اللغة التي كان يتحدث بها بنو إسرائيل فى مصر لم تكن المصرية القديمة وإنما كانت اللغة التي يتحدثون بها هي لغتهم فى أرض كنعان ولغة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب والتي استمروا فى استخدامها حتى ما يعرف بالعصر المتأخر فى مصر حيث عثر على كثير من الوثائق المحررة باللغة الأرامية فى موقع إقامه اليهود فى إلفنتين وإلى جانب هذه الأدلة نسوق أدلة أخرى تؤكد وحدة اللغة بين إبراهيم وذريته والقبائل التي ينتمي إليها وبين القوم الذين نزلوا عليهم فى مصر وعاشوا فى كنفهم حتى خروجهم منها والتي يمكن أن نحددها فى الآتي:

أ - أن إبراهيم عليه السلام حينما نزل إلى مصر قابله عمال الهكسوس المختصون بتحصيل الضرائب ورجال الأمن والحراسة وذلك بغرض تفتيش أمتعته وتحصيل الضرائب على ما يحمله من بضائع أو منتجات فضلاً عن الاستقصاء عن هدف زيارته وعن القبائل التي ينتمي إليها وقد تحدث معهم جميعاً ولم يجد أي مشكلة تعيقه فى التفاهم معهم[2].

ب - تحدثت امرأته سارة مع ملك مصر الجبار بعد أن استدعاها إلى قصره حينما علم من بعض رجاله عن جمالها الذي يأخذ بألباب وقلوب كل من يقع بصره عليها وربما طلب مواقعتها بدون رغبة منها فاستخدم قوته معها فابتلاه الله بعجز

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع.- ص: ٩٨٩-٩٩٤

(٢) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.- ص:٤٦

جزئي مؤقت فى ذراعيه يصيبه حين يهم بها ويرفع عنه حينما يبتعد عنها ويتركها[١].

ج- تحدث إبراهيم أيضا مع هذا الملك حينما استدعاه إلى مقر إقامته وقال له لماذا لم تخبرني بأن سارة زوجتك وإنما قلت إنها أختك وطلب منه أن يأخذ زوجته وأعطاه هدايا كثيرة منها جمال ومواشٍ وأغنام وخدم وعبيد[٢].

د- أن السيدة هاجر رضي الله عنها التي تربت وعاشت وسط الهكسوس منذ طفولتها وتعلمت لغتهم والتي ربما تنتمي إلى جنسهم قد عاشت مع إبراهيم وامرأته سارة وتحدثت معهما ومع قومهما حينما خرجا بها من مصر وعادا إلى أرض كنعان بنفس اللغة التي تعلمتها من قومها فى مصر، كما أنها استطاعت التحدث مع بعض القبائل البدوية التي كانت تجوب شبة الجزيرة العربية كقبائل جرهم والعماليق حينما أتوا إليها وطلبوا منها الإقامة معها بجوار بئر زمزم فأذنت لهم بذلك[٣].

هـ- بافتراض أن موسى كان يعيش فى حكم مصري خالص وأنه تربى فى القصر الملكي وعاش طفولته وصباه وشبابه حتى تولى أحد المناصب الهامة فى إدارة البلاد فان لغته الأساسية ستكون اللغة المصرية القديمة وأنه فى تلك الحالة لن يسمح له بتعلم لغة بني إسرائيل باعتبارهم خدماً وإن تعلمها أو اتصل بأحد من بني إسرائيل سيثير الشكوك حول أصله مما يعرِّضه إلى الهلاك وعلى هذا فإنه من المستبعد أن يكون ملمّاً بلغة بني إسرائيل[٤]، وبما أن موسى عليه السلام كما أكد القرآن أنه نبي مرسل

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثالث،.- ص:٢٦٨

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثاني. – ص: ١٠٠؛ الأزرقي: أخبار مكة، الجزء الثاني. – ص:٤١؛ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين:١٢

(٣) القرآن الكريم، سورة ابراهيم:٣٧

(٤) فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية، القاهرة: ١٩٦٨، ص:٥٧؛ نديم السيار: المرجع السابق. – ص:١٢٤؛ محمد بيومي مهران: مصر: منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، الجزء الثالث، القاهرة١٩٩٣.- ص:٣٩٧

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴾ (1) (سورة إبراهيم: ٤).

لبني إسرائيل فيكون ذلك مخالفاً لنص الآية»

وعلى هذا يمكن أن نستنتج أن لغة فرعون وقومه هي نفس لغة بني إسرائيل، وبما أن حكام مصر المحليين لا يتكلمون لغة بني إسرائيل والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة فيكون فرعون من الحكام الأجانب الذين استولوا على مصر وهم الذين أطلق عليهم المصريون (الحقا خاسوت) والذي حُرِّف إلى الهكسوس.

و- أن موسى عليه السلام قد طلب من ربه حينما كلفه بالتوجه إلى فرعون وقومه في مصر لدعوتهم إلى دين الإسلام وإطلاق بني إسرائيل أن يشد أزره بأخيه هارون لأنه أفصح منه لساناً فكيف لهارون الذي لم يتربَّ فى القصر الملكي ولم يتعلم لغة الحاكم وقومه (بافتراض أنهم يتحدثون اللغة المصرية القديمة) كما أنه لم يكن لديه أية مبررات ليترك قومه ويعيش وسط المصريين ويتعلم لغتهم بالممارسة والاحتكاك أو يلجأ إلى معلمين أو كتبة مصريين ليعلموه لغتهم، كما يبدو أن حرفته وعمله لا يتجاوز الرعي من الصباح الباكر إلى غروب الشمس فإن لم تكن الأنعام التي يرعاها تخصه أو تخص قومه فإنها تخص فرعون أو أسرته بمعنى أنه لم تكن لديه أعمال قد كلِّف بها بعيداً عن مقر إقامة بني إسرائيل وعلى ذلك فهارون كان يجيد لغة بني إسرائيل وربما كان يعلمها قراءة وكتابة وذلك لدراسة صحف جدِّه الأعلى إبراهيم وما أنزل على إسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط(2).

وبافتراض أن هارون قد تعلم لغة المصريين القدماء عن طريق الاحتكاك بهم

(1) القرآن الكريم: سورة إبراهيم: ٤

(2) ج. بريتشارد: نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، الجزء الأول، تعريب عبد الحميد زايد، القاهرة١٩٨٧، ص:٤؛ نديم السيار: المرجع السابق.- ص: ١٢٥-١٢٦

فإنه لن يكون فى قدرة موسى عليه السلام من حيث إلمامه وعلمه ودرايته بهذه اللغة وخاصة أن موسى قد تعلمها قراءة وكتابة وعاش حياته وهو يتحدث بها منذ طفولته، وبالتالي فإنه فى تلك الحالة حتى وإن كان لديه عجز فى لسانه فهو أقدر على تفهيم فرعون وقومه من أخيه هارون[1].

ز- حينما قتل موسى رجلاً من قوم فرعون عن طريق الخطأ وذلك بعد أن تبين له أن هذا الرجل عدو له وعدو لرجل آخر من شيعته الذي تقول كتب التفاسير إنه من بني إسرائيل وأنه فى اليوم التالي لمقتل الرجل المصري تقابل موسى مع هذا الرجل الإسرائيلي والذي كشف أمام مجموعة من المصريين أن موسى هو الذي قتل المصري بالأمس وقد لجأ إلى ذلك ليتخلص من موسى حيث أحس من خلال كلامه معه أن مصيره سيكون القتل كما حدث للمصري. وهنا نتساءل كيف لتلك المجموعة من المصريين أن تفهم حديث موسى ذى الأصل الإسرائيلي مع رجل إسرائيلي من قومه بافتراض أن موسى يعلمها ولا يمكن الاعتقاد أن الرجل الذي من شيعته كان مصريا أي أن الرجلين اللذين وجدهما موسى يقتتلان مصريان إذ لا سبب لهذا الاقتتال بينهما ولا يعتقد أن موسى فى هذا الزمن المبكر من حياته كان يقوم بدعوة المصريين إلى دين التوحيد وإنما الأجدر بذلك هو دعوة قومه من بني إسرائيل الذين ارتد أكثرهم عن إيمانهم بالله ويفهم من هذا أن لغة القتيل ولغة الرجل الذي من شيعة موسى ولغة القوم الذين استمعوا لاعتراف الرجل الذي يحادثه موسى أمامهم لغة واحدة[2].

ح- أن موسى عليه السلام حينما فر من مصر إلى أرض مدين وبها قبائل بدوية

---

(١) المرجع السابق،.ص: ١٢٦؛ فؤاد حسنين: المرجع السابق.- ص: ٥٧ وما بعدها

(٢) محمد بيومي مهران: مصر: منذ قيام الدولة الحديثة حتي الأسرة الحادية والثلاثين، الجزء الثالث، الاسكندرية:١٩٩٢. - ص: ٤٠٠-٤٠٣

من ذرية إبراهيم عليه السلام لم يجابه أية مشكلات تذكر بخصوص حديثه مع المرأتين اللتين وجدهما على بئر مدين تحاولان سقاية أغنامهما أو حينما عادت إليه إحداهما لدعوته لمقابلة والدها لإعطائه أجر ما سقى لهما. أو حينما قص موسى على أبيهما الشيخ الكبير القصص فقال له لا تخف لقد نجوت من القوم الظالمين ولا نعتقد أن كان يوجد بين أهل مدين من يعرف اللغة المصرية القديمة ولا يوجد مبرر لأي واحد منهم لتعلم هذه اللغة. وهذا يعنى أن لغة ذرية إبراهيم سواء من بنى أيوب أو بنى إسماعيل أو بنى مديان لغة واحدة لم يتعلموا غيرها طيلة سنوات عديدة ولذا فإن موسى قد فهم حديثهم وفهموا حديثه.

ط - ان قوافل قبائل الإسماعيليين حينما كانت تأتي إلى مصر بتجارتها وكانت تتعامل مع حكام مصر وقومهم لم تكن تتحدث بلغة أخري غير لغة جدها إبراهيم عليه السلام وهؤلاء الإسماعيليون كانوا يرتبطون بالقوم الذين يحكمون مصر فى زمانهم برابطة القربى وصلات الرحم عن طريق جدتهم هاجر رضى الله عنها التى دخل بها أبوهم إسماعيل بعد طلاق زوجته الأولي التي تنتمي إلى قبائل جرهم.

رابعا: ديانتهم

يرى بعض المؤرخين أن الهكسوس كانوا موحدين بالله عز وجل وأن لديهم علما بالكتب والصحف السماوية والرسل والأنبياء وما حدث لأقوامهم التي كذبت دعواتهم ولم تؤمن برسالاتهم كما يعتقد بعضهم الآخر أن إبراهيم عليه السلام وذريته من حفيده يعقوب قد بعثوا لهم وآمن منهم من آمن وكفر منهم من كفر وقد أيدت النصوص المصرية القديمة وكذلك كتّاب التوراة والقرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الكتب المقدسة لدي بني إسرائيل ومنها أحاديث المثنا

أيد الله ﷻ يوسف بعلم التأويل وتتبين ملامحه فى الآتي:

- كان يعلم بما سيحدث من أشياء تتعلق بمن حوله من الناس قبل أن تقع، فقد عرف نوع الطعام الذي سيقدم لصاحبيه فى السجن قبل أن يأتيهما هذا الطعام.

- كان يفسر الأحلام التي يراها الناس أثناء نومهم سواء أكانوا مسلمين ومؤمنين بالله أو كافرين يعبدون غير الله ومن ذلك تفسير حلم كل من صاحبيه في السجن فضلاً عن حلم ملك مصر.

وقد رفع هذا العلم الإلهي من مكانة يوسف بين الناس حيث كان سبباً جوهرياً في توليه خزائن أرض مصر فى فترة المجاعة والقحط الذي استمرت سبع سنين متصلة وقد استطاع اجتياز هذه المحنة بالناس إذ بدونه ربما كان مصير الناس الهلاك جوعاً أو مرضاً [1] كما أكد القرآن نبوه يوسف عليه السلام على لسان رجل مؤمن من آل فرعون حيث ورد به ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ...﴾[2] (سورة غافر٣٤).

ويتضح من حديثة هذا إلى قومه وهم من ذرية القوم الذي بُعث فيهم يوسف عليه السلام أنهم قد شكُوا فى نبوه يوسف ونظروا إليها نظرة ارتياب ولذا كان إسلامهم ضعيفاً ما لبث أن انهار تماماً بمجرد أن توفى يوسف أو أنهم ضلُوا طريق الإسلام ولم يهتدوا إليه بسبب ارتيابهم وشكهم ويبدو أن الأسباط إخوة يوسف قد واصلوا دعوة أبيهم وأخيهم وهو ما أكده القرآن الكريم إذ جعل الله ترتيبهم الزمني بعد يعقوب وقبل موسى عليه السلام ومرة واحدة قبل المسيح على أساس عدم ذكر موسى [3].

---

(١) المرجع السابق.. ص:٧٣-٧٤

(٢) القرآن الكريم: سورة غافر: ٣٤

(٣) القرآن الكريم: سورة غافر:٢٩

كما ذكر القرآن أيضاً أن الله ﷻ قد بعث موسى عليه السلام وهو من بني إسرائيل إلى فرعون وهامان وقومهما وإلى قارون وهو من قومه[1].

إلا أنه لم يجد منهم آذاناً صاغية لدعوته ويبدو أنهم كانوا يهددونه بالرجم حينما توجه إليهم ليدعوهم إلى الإسلام وحينما تبين له إجرامهم وعدم إيمانهم بدعوته أمره ربه بالهروب ليلاً ببني إسرائيل خارج مصر وجاء بالقرآن ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾[2] (الدخان: ٢٠-٢٢).

وبعد أن وجد الله ﷻ قبائل البدو الهكسوس التي منَّ عليها بالمُلك فى مصر وبعض الممالك فى فلسطين وسوريا التي كانت خاضعة - لحكام مصر قبل احتلال أرضهم - لم تؤمن بدعوة أنبيائه ورسله وهم إبراهيم ويعقوب ويوسف والأسباط وموسى وهارون، فأغرق أعتى حكامهم وخيرة جندهم ومعداتهم الحربية فى البحر مما أدى إلى انتشار الضعف والانحلال والفرقة بينهم مما دفع المصريين القدماء إلى الثورة ضدهم حتى تمكنوا من طردهم وإخراجهم من مصر وتعقبوهم فى بلاد الشام حتى شتتوهم فى الأرض ولم يعد لهم حس ليتحقق ما قاله لهم مؤمن آل فرعون من قبل ﴿... فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ...﴾[3] (غافر: ٢٩).

كما سبق وأن اشرنا أن قبائل الهكسوس قد آمنت بأكثر من إله فى وقت واحد ومنها عشتار وبعل وهي ذات الآلهة التي عبدت فى بلاد الهلال الخصيب فضلاً عن شبه الجزيرة العربية مما يؤكد أن قبائل الهكسوس تنتمي إلى بعض هذه الأماكن

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث. – ص: ٥٦٢-٥٦٤

(٢) القرآن الكريم، سورة الدخان: ٢٠-٢٢

(٣) القرآن الكريم، سورة غافر: ٢٩

كما عبدوا الإله ست المصري القديم والذي يعد أحد آلهة الصحراء وذلك لوجود تشابه بينه وبين إلههم (بعل) وكانوا على عكس المصريين حيث لم يؤمنوا بالآخرة ولا بحسابها ولا ببعثها ولا بجنتها أو بنارها[1].

كما عبدوا البشر أيضاً حيث قد ألَّه فرعون نفسه واعتبر نفسه إلهاً واحداً لهم لا يعبدون سواه وكان جزاء من يعبد غيره إما السجن أو القتل ولم يكن معنى إلوهية فرعون مسؤوليته عن خلق السموات والأرض أو خلق الخلائق كالإنس والجن والملائكة ولكن تعني مسؤوليته عن توفير الطعام والشراب والكساء والمسكن والأمن والأمان وغير ذلك لقومه، وقد أكد فرعون اختلافه عن بقية قومه وغيرهم من البشر بما استنَّه من سُنن تتعلق بطعامه وشرابه وإخراجه لفضلات جسمه[2].

ويبدو أن بعض من آمن من قبائل البدو الهكسوس وخاصة بعد وفاة يعقوب ويوسف قد ارتد عن دين الإسلام كما يبدو أنه قد ارتد بعض بني إسرائيل عن دين الإسلام أيضاً وعبدوا ما يعبده الهكسوس بعد أن وجدوا اضطهاد فرعون وجنوده لهم[3].

وإذا كان فرعون قد أعلن إسلامه حينما تأكد من غرقه فى البحر مع بقية جنوده، طمعاً أن ينجّيه الله رب موسى من الغرق وهو الذي اعتاد أن يفعل ذلك أثناء الابتلاءات التي أصابته وأصابت قومه ولكن الله قد أنجى بدنه من أن يكون طعاماً

---

(١) حسن السعدي: معالم من حضارة مصر فى العصر الفرعوني، الإسكندرية:٢٠٠٦.، - ص:٢٣٦-٢٤٦؛ محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث. – ص: ٥٢٨-٥٢٩

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، القاهرة:٢٠٠٤. – ص:٢٢١-٢٢٩

(٣) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق. – ص:٢٠٣-٢٠٦؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع.- ص:٩٧٥-٩٧٧، ٩٩٤-١٠٠٩

لوحوش البحر وأمر البحر أن يقذف جثته ويلقيها على الشاطىء وذلك ليكون لمن يتولى منهم الحكم آية وموعظة إلا أنهم ازدادوا كفراً وإلحاداً[1].

خامساً: أسباب دخولهم

كانت قبائل البدو الرعاة التي تنتقل من مكان إلى آخر عبر المناطق الجبلية والصحراوية الممتدة الأطراف التي يكثر بها الكلأ والعشب ومصادر الماء تتعرض لأخطار جسيمة متعددة منها[2].

١- انقطاع الأمطار وحلول الجفاف فى مواطنهم مما يعرضهم لأخطار الجوع والقحط وانتشار الأوبئة والأمراض بينهم.

٢- مهاجمة بعضهم البعض طمعاً فى الاستئثار بالمراعي الغنية بالكلأ والعشب ومصادر الماء وخاصة الآبار والينابيع.

٣- انتشار جرائم القتل والسلب والنهب والحرق بينهم فضلاً عن سبي النساء والأطفال، خاصة وأن القائمين بهذه الجرائم كان باستطاعتهم الاختفاء وسط دروب ومسالك الجبال والصحراوات دون ترك أي اثر يدل عليهم لتعقبهم والقصاص منهم.

٤- تَعرُّض قوافلهم التجارية التي يدخرون فيها كل أموالهم إلى أخطار قُطَّاع الطرق مما ينجم عنه ضياع أموالهم وتعرضهم للفاقة والفقر.

ولهذه الأسباب الطبيعية والبشرية كانت هذه القبائل تترك مواطنها الأصلية وتهاجر فى مجموعات صغيرة أو كبيرة يجمعها هدف واحد يتمثل فى البحث عن

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثالث،- ص: ٥٣٧-٥٣٩: طارق فرج: فرعون موسى وهوية جديدة: الأفق: دراسات فى علم المصريات، المجلد الأول، القاهرة:٢٠٠٩. - ص: ٢٧٥-٢٧٦

(٢) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني، القاهرة: ١٩٩٣. - ص:٤٣٢

أرض يستقرون بها تتوافر فيها أسباب العيش والحياة[١] وخاصة الأودية ذات الأنهار والتي تمتاز بجريان مائها وخصوبة الأرض حولها وكانت أثناء هجرة تلك القبائل البدوية ينضم إليهم قبائل بدوية أخرى ويشكلون معاً حلفاً قوياً فى استطاعته تحقيق انتصارات على أصحاب الأرض التي يزمعون الإقامة بها وذلك فى حالة استخدامهم القوة لتحقيق أهدافهم وفى تلك الحالة يكون لهم المُلْكُ فى الأرض وإن دخلوا مسالمين فإنهم يصيرون خدماً وعمالاً لأهلها.

ومن أهم هجرات قبائل البدو تلك الهجرة التي اتجهت صوب مصر فى أواخر عصر الدولة الوسطى حيث انتشر الضعف والفرقة والاختلاف بين حكامها فضلاً عن أنهم قد تخلوا عن القوة العسكرية واعتمدوا على النصوص السحرية فى مواجهة الأخطار التي كانت تطل برأسها تجاه مصر، مما كان لهذا كله أثره فى احتلال تلك القبائل أرض مصر وأطلق المصريون عليهم الحقاخاسوت والتي اشتق منها كلمة الهكسوس وكان احتلالهم أرض مصر قدراً مقدراً من الله ﷻ لتنفيذ إرادته ومشيئته[٢] والتي تمثلت فيما يبدو:

١- تجميع قبائل البدو فى مكان واحد وهو مصر بدلاً من تفرقهم فى أماكن عديدة مختلفة متباعدة مما يصعب على نبي واحد وهو إبراهيم عليه السلام أن يتوجه إليهم جميعاً لدعوتهم إلى عباده الله وحده ونبذ ما يعبدونه من آلهة متعددة وربما أن ذلك قد يعرضه إلى بعض الأخطار التي تهدد حياته وخاصة أن عدد المسلمين فى عصره لم يكن كبيراً ولم تكن فيما يبدو لديه القوة العسكرية لمجابهة الأخطار، كما أن الله لم يكن قد فرض الجهاد العسكري فى هذا الوقت على المسلمين.

٢- أن الله ﷻ قد أراد أن يَمُنَّ على هذه القبائل البدوية بالمُلْك والثروة تعويضاً لهم عن حياة الفقر والجوع والقحط التي كانوا يعيشونها فى مواطنهم الأصلية وحتى

---

(١) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول، — ص: ٣٤٠

(٢) نديم السيار: المرجع السابق، ص: ١٤١

يكون لديهم الاستعداد لقبول دعوة رسلهم والإيمان به إلهاً واحداً لا يشركون به شيئاً[1].

٣- أن الله ﷻ قد كتب على تلك القبائل مجاعة استمرت سبع سنوات متصلة بسبب انقطاع الأمطار ولم يقتصر ذلك على مقر إقامتهم فى مصر بل بالبلاد المجاورة لها وخاصة على حدودها الشرقية وربما يرجع ذلك إلى عدم إيمان أكثرهم بدعوة إبراهيم فضلا عن تفريط من آمن منهم فى فرائض الله تعالى وربما أن المصريين القدماء لم يكن من عادتهم تقديم أي عون خارجي لمن يعانون المجاعة خارج بلادهم فضلاً عن أن العلاقة بينهم وبين قبائل البدو كانت تهيمن عليها العداوة ولم يكن المصريون سيسمحون لهم بدخول مصر من أجل الحصول على الحبوب ولذا كان وجود قبائل البدو فى مصر أثناء تلك المجاعة فرصة أتاحها الله ﷻ لمن يعانون المجاعة من قبائل البدو فى شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، وخاصة أن بعض هذه القبائل كانت تربطها بالهكسوس علاقات ووشائج قربى ورحم وتجارة ومنها قبائل الإسماعيليين وغيرهم[2].

وكان وجود يوسف نبي الله بين قبائل الهكسوس نعمة منّه تعالى ليخرج هذه القبائل البدوية سواء فى مصر أو خارج حدودها الشرقية من أزمة المجاعة التي استمرت لسبع سنوات متصلة بسلام وقد أظهر قدرة فائقة على إدارة هذه الأزمة بما لم يؤد إلى هلاك الناس والزرع والضرع[3].

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق- ص:٥١١ " خذوا أباكم وبيوتكم وخيامكم، وتعالوا إلى فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلون دسم الأرض.." الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين:٤٥/١٨-٢٠

(٢) أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة.. – ص:٥٥-٥٨؛ جمال حمدان: شخصية مصر، الجزء الثاني، القاهرة،١٩٧٠. – ص:٢٤١-٢٤٥

A.Wilson. ANET.. Princeton. 1966.P.31-32

(٣) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة..- ص:٨٠؛ أحمد يوسف: المرجع السابق، ص: ١٧، ٥٥، شكل:٤.

سادسا : توقع حكام مصر لهجومهم

إنه فى حقيقة الأمر حينما تدهورت أحوال مصر وانتشر التفكك والانق[illegible]
البلاد فى نهاية عصر الأسرة السادسة وامتد حتى عصر الأسرة الحادية عش[illegible]
يلبث أن حل الضعف مرة أخرى بعد انهيار حكم الأسرة الثانية عشرة واستمر [illegible]
الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة فقد توقع حكام مصر هجوم بعض الق[illegible]
والجماعات البدوية سواء فى بلاد الشام أو غيرها وذلك بسبب القحط والجوع [illegible]
كان يحل بأرضهم من وقت إلى آخر وبدلاً من قيام هؤلاء الحكام المصريين بتو[illegible]
صفوفهم وتدريب قواتهم وتجهيزها بأحدث أسلحة عصرهم نجدهم يلجأون [illegible]
استخدام السحر للحيلولة دون مهاجمة تلك القبائل لمصر ويتمثل هذا السحر [illegible]
مجموعة من النصوص أطلق عليها علماء المصريات نصوص التدمير والهلا[illegible]
نصوص اللعنة[1] وكانت تسجل على أشكال من الطين أو ألواح من المرمر أو أو[illegible]
تماثيل بالخط الهيراطيقي وكانت تتضمن اسم الشخص واسم والديه وبإجراء ط[illegible]
محددة تنتهي بتدمير المواد التي سجلت عليها فيلحق الهلاك والتدمير بالأسماء الم[illegible]
على تلك المواد.

وإلى جانب هذه النصوص السحرية نصوص أخرى سجلها الملوك وحكام الأ[illegible]
تتحدث عما يسببه البدو لهم من مشاكل كثيرة تتعلق بقيامهم بالسلب والنهب و[illegible]
والإحراق للمدن والقرى المصرية الواقعة بالقرب من حدودها الشرقية و[illegible]
أوصاف تلك الجماعات والقبائل البدوية التي كانت تُغير على الحدود المصرية [illegible]

١- أنهم مجموعة من القبائل البدوية التى تعيش حياة صعبة وقاسية [illegible]
لطبيعة الأرض التي تقيم بها فضلاً عن تعرضها للجوع والقحط بين الحين والآ[illegible]

---

(١) عصام السعيد: المرجع السابق [illegible]

٢- أنهم يقومون برعي أنعامهم وقطعان حيواناتهم على الكلأ والعشب الذي ينمو بسبب سقوط الأمطار.

٣- أن مقر إقامتهم ومحل سكنهم عبارة عن أراضٍ جبلية وصحراوية، طرقها وعرة ومن الصعب السير فيها.

٤- أنهم لا يقيمون فى مكان واحد بل هم دائموا التنقل والترحال من مكان إلى آخر.

ومن هذه النصوص ما سجله الملك خيتي من العصر الاهناسي حيث يقول[١] «انظر إلى الآسيوي اللعين، إن الأمور سيئة فى البلاد التي يعيش فيها فهم فى حزن من أجل الماء وبلادهم من الصعب الوصول إليها بسبب كثرة الأشجار والطرق وعرة بسبب الجبال ومن ثم فإن الآسيوي لا يقطن فى مكان واحد وساقاه خلقت للتجول».

وهذا الوصف ينطبق على قبائل البدو التي هاجمت مصر واحتلتها فى نهاية عصر الدولة الوسطى والتي أطلق المصريون عليهم اسم الحقاخاسوت.

ويبدو أن بعض الحكام المصريين قد حاولوا مجابهة هذا الخطر قبل أن يستفحل أمره ويكون من الصعب القضاء عليه ولكنهم وجدوا صعوبة فى التنفيذ[٢].

١- أن الأسوار المحصنة والحصون المنيعة التي شيدت على الحدود الشرقية لم تمنع البدو من التسلل والهجوم على بعض الأماكن داخل مصر.

٢- وعورة الطرق الصحراوية والجبلية التي حالت دون تتبع الجيش المصري لهؤلاء البدو وملاحقتهم والقضاء عليهم.

---

(1) J.Breasted. Ancient Records of Egypt. I. Chicago. 1906. P.181.190. 413

محمد بيومي مهران: المرجع السابق. – ص: ٢٩٧.

عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق.، ص:٢٥٢.

عصام السعيد: المرجع السابق.، –ص: ١٨

(٢) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق. – ص: ٢٥٢ – ٢٥٥، ٢٧٧

٣- قدرة الرجال المسلحين من البدو على مهاجمة جنود وضباط الجيش المصري ومباغتتهم بسرعة خاطفة والاختباء فى الدروب الصحراوية.

٤- قدرتهم على تغيير محل إقامتهم بسهولة دون عناء فى مواقع بعيدة عن الأنظار.

وقد أدت هذه العوامل جميعها إلى أن تبوء محاولات ملوك مصر وجيشها بالفشل فى القضاء على تلك القبائل البدوية.

ونستنتج من ذلك أن حكام مصر كانوا يتوقعون بين الحين والآخر أن تتعرض بلادهم لهجوم كبير من قبائل البدو وخاصة من جهة حدودهم الشرقية وقد حاول بعضهم القضاء على هذا الخطر بأسلوب واقعي وعملي بينما حاول بعضهم الآخر مجابهته بأساليب غير منطقية وقد باءت محاولاتهم جميعاً بالفشل وتمكن عدد من هذه القبائل من دخول مصر واحتلال أرضها لعدة قرون متتالية(١).

سابعا: ميقات دخولهم

يختلف المؤرخون اختلافاً بيناً فيما بينهم فى تحديد وقت دخولهم أرض مصر واحتلالها وهي كالتالى:

١- دخل الهكسوس باعتبارهم مجموعة من قبائل البدو الرعاة الذين ينتمي بعضهم إلى الجنس الآسيوي وبعضهم الآخر إلى الجنس الهندوأوربي فى نهاية الدولة الوسطى بسبب ضعف حكام مصر وانقسامهم وانهيار قواتهم المسلحة واعتمادهم على السحر أو ما يسمي نصوص اللعنة أو نصوص التدمير والهلاك فى مواجهة الأخطار التي أحدقت بهم وأن المجاعة التي استمرت سبع سنوات متصلة قد حدثت فى عهدهم أثناء تواجد يوسف عليه السلام بينهم وأنه قد تم استدعاء يعقوب عليه السلام وبقية

---

(١) سليم حسن: مختصر موسوعة مصر القديمة، وإعداد/ عريان حنا، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص:١٨٢-١٨٩؛ عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص:٢٤٠-٢٧٦

إخوة يوسف فى عهد تلك القبائل البدوية وقد حمل لواء ثورة التحرير أمراء الأسرة السابعة عشرة الذين اتخذوا طيبة مقرّاً لهم حتى استطاع الأمير أحمس الأول أن يخرجهم من مصر إلى فلسطين ثم حاصرهم بها وشتت جمعهم بحيث لم يبق لهم ذكر أو أي كيان سياسي[1].

٢- دخل الهكسوس مصر باعتبارهم اليهود طبقاً لبعض الآراء فى نهاية عصر الدولة الوسطى وأن المجاعة التي استمرت سبع سنوات وقعت أثناء حكم مصر من قبل ملوكها المحليين وأنهم طردوا من مصر على يد الأمير أحمس الأول إلا أنهم قد استقروا فى أورشليم ولم يتعرض لهم هذا الأمير أو أحد من خلفائه بسوء كما أنهم دخلوا مصر مرة أخرى فى عهد الملك أمنحوتب الثاني أو الثالث أو الرابع وذلك لمساعدة أحد الكهنة المصريين المدعو أوزيرسيف الذي انشق على الحكم المصري وتزعم أسباط بني إسرائيل الذين لم يخرجوا مع إخوانهم اليهود أو القبائل البدوية ذات الأصول الآسيوية والهندوأوروبية طبقاً لآراء أخرى وقد تمكنوا من احتلال مصر لمدة ثلاثة عشر عاماً وحكموها من أواريس أيضاً إلى أن الملك أمنحوتب قد تمكن من طردهم إلى فلسطين مرة أخرى فضلاً عن أسباط بني إسرائيل التي فضلت الإقامة فى مصر حتى عصر الدولة الحديثة أو بسبب أسرهم من قبل الأمير أحمس الأول الذي سخرهم لخدمته وخدمة بلاده.[2].

٣- دخل الهكسوس مصر ابتداء من أواخر عصر الدولة القديمة وحتى نهاية عصر الدولة الوسطى فى شكل جماعات صغيرة من البدو ولم تتوقف عمليات تسللهم

---

(١) محمد حماد: بطل من مصر القديمة ينتصر فى حرب التحرير الأولي ضد الهكسوس، القاهرة: ١٩٧٠، - ص: ٤-٦٥؛ عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق. - ص: ٢٥٠-٢٥٥، ٢٧١، ٢٧٣

(٢) لويس عوض: مقدمة فى فقه اللغة، القاهرة: ١٩٩٣،. - ص: ٣٠-٣١؛ عبد الحليم نور الدين: المرجع

داخل حدود مصر رغم بناء الحصون والأسوار وقد ازداد عددهم وقويت شوكتهم في مصر على مدار السنين حتى تمكنوا من اعتلاء عرش البلاد وإسقاط الأسرات الوطنية الضعيفة المتناحرة خاصة الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة[1] ولكن هذا يتعارض مع ما ذكر المؤرخ المصري القديم مانيتون والذي يتمثل في تعرض مصر لغزو كثيف من قبائل البدو الرعاة الآسيويين.

ثامنا: أسباب انتصارهم

تعددت الأسباب التي أهّلت الهكسوس إلى تحقيق الانتصار على حكام مصر ومنها ما يرجع للهكسوس أنفسهم أو للمصريين القدماء ومن هذه الأسباب:

١- انتشار الفوضى والاضطراب وسوء التنظيم بالإدارة المصرية القديمة[2].

٢- تمزُّق الوحدة السياسية نتيجة لصراع الحكام المصريين على السلطة ومحاولة كل منهم التخلص من الآخر[3].

٣- الانقسام والتفرق والتحزُّب بين الحكام المصريين والجماعات المؤيدة لهم.

٤- لجوء الحكام المصريين لمواجهه أخطار قبائل البدو في بلاد الهلال الخصيب وغيرها بالصيغ السحرية لمنع دخولهم مصر أو صرفهم عن التفكير في غزو مصر واحتلالها[4].

٥- عظم القوة العسكرية لقبائل البدو (الهكسوس) حيث استخدموا الخيول والمركبات الحربية التي واجهها المصريون لأول مرة حيث أدخلت الفزع في قلوبهم لما تتمتع به من قدرات فائقة على الهجوم والمباغتة بسرعة كبيرة فضلاً عن أنهم قد

(١) سليم حسن: المرجع السابق،- ص: ١٨٣-١٨٤

(٢) سليم حسن: المرجع السابق،- ص: ١٨٣؛ عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق،- ص:٢٢٦-٢٦٣

(٣) سليم حسن: المرجع السابق،- ص: ١٨٣

(٤) عصام السعيد: المرجع السابق،- ص: ١٥٤-١٦٠

جهزوا جنودهم بأسلحة برونزية لها القدرة على تحمُّل ضربات الأسلحة المصرية المتشابهة معها فى الاستخدام[1].

٦- ضعف التحصينات المصرية مما ساعد الغزاة على دخول البلاد بدون أية مقاومة تذكر.

٧- انقسام الجيش المصري إلى عدة مجموعات كل مجموعة تتعاون مع حاكم من حكام مصر المتناحرين مما سهَّل على الهكسوس تحقيق الانتصار عليهم.

٨- تجهيز الجيش المصري بأسلحة قديمة ومعدات حربية غير متطورة[2].

تاسعا : حكامهم

إذا أردنا حصر ملوك الهكسوس سواء الذين ذكرهم المؤرخ المصري القديم مانيتون أو الذين وردت أسماؤهم على الآثار المصرية وخاصة الجعارين لوجدنا جدولاً طويلاً من الأسماء.

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذه الأسماء العديدة للهكسوس لا تشير إلى أسماء ملوك بل كانوا شيوخ قبائل وكانوا يعدون قديماً ملوكاً وتؤكد التوراة نفسها هذا المفهوم وكانوا يحكمون فى وقت واحد ويعد هذا هو السبب الرئيسي وراء كثرة أعدادهم [3].

قد تمسك حكام الهكسوس رغم طول مدة إقامتهم فى مصر بطبائعهم البدوية وهويتهم الآسيوية ولم يندمجوا مع المصريين القدماء كما اندمج غيرهم ممن أتوا إليهم مهاجرين أو فارين أو حتى غزاة معتدين.

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق،.- ص: ١٨٧

(٢) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول، ص: ٣٥٥ ؛ محمد بيومي [illegible] الجزء الثاني، الإسكندرية: ١٩٩٢.- ص:

وقد اعتبر بعض المؤرخين أن أسرة هكسوسية واحدة حكمت مصر بينما اعتبر بعضهم الآخر أن ثلاث أسر ملكية متتالية من البدو قد تعاقبت على عرشها ومنهم المؤرخ مانيتون[1] وهي الأسرة الخامسة عشرة وحكمها ستة ملوك أولهم سالاتيس وحكم تسعة عشر عاماً وبنون وحكم أربعة وأربعين عاماً وأبشناق وحكم ستة وثلاثون عاماً وأبوفيس وحكم واحدا وستين عاماً وإياناس (خيان) وحكم خمسين عاماً وإسسي وحكم تسعة وأربعين عاماً والأسرة السادسة عشر وحكمها اثنان وثلاثون ملكاً وكانوا أقل قوة من أسلافهم ويعتقد أنه فى عهدهم استشرى الضعف والانحلال بين قواتهم حتى إن أمراء طيبة كانوا يهاجمونهم فى عُقْر عاصمتهم أواريس بشرق الدلتا[2] ثم الأسرة السابعة عشرة وحكمها اثنان وأربعون ملكاً وقد ذكر مانيتون أن هؤلاء الملوك كانوا رجال دين من الفينيقيين[3].

وقد أسقط الكُتَّاب المصريون كثيرا من أسماء حكام الهكسوس باعتبارهم حكاما غير شرعيين أو باعتبارهم قد أهانوا الآلهة المصرية وكهنتها واكتفوا بتسجيل أسماء الحكام الذين هادنوا المصريين وحملوا أسماءً وألقابا مصرية مختلفة وردت على مجموعة من الجعارين ومنها حقا- خاسوت بمعنى حاكم الأرض الأجنبية ونثر – نفر بمعنى الإله الطيب وصارع بمعني ابن الشمس[4] وقد أخضع هؤلاء الحكام مقاطعات مصر السفلى لحكمهم المباشر بينما تمتعت مقاطعات مصر العليا بالحكم الذاتي مع إعلان الولاء لهم ودفع الجزية المفروضة عليهم بينما لم تخضع بلاد النوبة لسلطانهم وحكمهم.

---

(١) المرجع السابق،.- ص:٢٤٥-٢٤٦

(٢) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، القاهرة:١٩٩٣،.- ص:١٨

(٣) المرجع السابق،.- ص:١٩

(٤) المرجع السابق،.- ص:١٧؛ سليم حسن: موجز موسوعة مصر القديمة، إعداد/ وائل فكري، القاهرة: ٢٠٠٩،.- ص:٢٢٦-٢٢٩

وكان أغلب هؤلاء الحكام لا يؤمنون بالبعث أو الحساب أو الحياة الآخرة[1]،كما كان أكثرهم يفتقد إلى الأخلاق الحميدة فكانوا لا يتورعون عن إتيان المحرمات وخاصة الزنا والدعوة إليه والقتل وسفك الدماء وتسخير الضعفاء من الناس فى مشاريعهم المختلفة بدون أجر فضلاً عن التفرقة بينهم ورفع بعضهم فوق بعض وجعلهم شيعاً[2].

وكانوا يُعينون أفراد أسرتهم فى المناصب الهامة فى مملكتهم بما يضمن لهم إحكام قبضتهم على الحكم فلا ينقلب أحد عليهم ويقصيهم عن الحكم وإن قاموا بتعيين فرد من غير أسرتهم فى أحد المناصب الهامة لما يتمتع به من مميزات وصفات فإنهم يزوَّجونه من أسرتهم حتى يكون مقرباً منهم ويضمنوا ولاءه لهم[3].

وكانوا يأخذون بمبدأ الشورى وإن كان فى حقيقة الأمر أنَّ ما يشير به الملك الحاكم هو الذي يُنَفَّذ ويؤخذ به حتى ولو كان رأياً غير صائب[4].

وكان هؤلاء الحكام ووزراؤهم يتخذون جنوداً لهم ينفذون أوامرهم ويكفلون لهم الحماية والأمان ويقضون على أعدائهم ومن يتربصون بهم الدوائر وكانوا يغدقون على جنودهم الأموال والعطايا والهبات والمنح بما يضمن ولاءهم وتفانيهم فى خدمتهم[5].

كما كان هؤلاء الحكام يغدقون الأموال والمناصب الإدارية المختلفة والمكافآت والهدايا من مشغولات ذهبية ومواش وعبيد وأراض زراعية وغيرها على من يجدونه أهلا لذلك بغرض كسب وده وضمان ولائه وعدم الانضمام لأعدائهم أو تدبير المكائد لهم.

---

(١) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق،- ص: ٢٤٦-٢٤٧

(٢) المرجع السابق،- ص:٣٥٠

(٣) زاهية الدجاني: المرجع السابق،- ص: ٩٨

(٤) المرجع السابق،- ص:٨٣-٨٤

(٥) رمضان السيد: المرجع السابق، - ص: ١١

أشهر حكام الهكسوس

- **سالاتيس**

أول ملوك الهكسوس وقد أقام فى منف ثم بدأ فى تشييد عاصمة جديدة له فى شمال مصر أطلق عليها اسم (أواريس) ومن أهم أعماله ما يأتي:

أ - فرض الضرائب على شمال مصر وجنوبها بعد أن قضى تماماً على كل القوى العسكرية والحربية وكل مظاهر الثورة والمقاومة الشعبية فى مصر وفرض سلطانه وسيطرته عليها.

ب- أقام حاميات فى المواقع الهامة لضرب أي ثورات جديدة مرتقبة وقمعها وفرض سلطان وهيمنة الهكسوس على كافة أنحاء مصر.

ج- أقام عدداً من الحصون على حدود مصر الشرقية وفى مواقع مختلفة فى مصر وسيناء وأيضا فى فلسطين باعتبارها من ضمن الأراضي الخاضعة لسلطان الهكسوس والتي آل إرثها إليهم عن طريق المصريين وقد زودها بآلاف من الجنود المدججين بالسلاح.

د- اهتم بتدريب جنوده ورفع كفاءتهم وتجهيزهم بأحدث الأسلحة وتوفير أقواتهم ومرتباتهم.

هـ- الاهتمام بقومه وعمل على توفير وتدبير كافة احتياجاتهم ورفع مستواهم المادي حيث أغدق عليهم ما تم جمعه من ضرائب وأموال من مختلف أنحاء مصر وفلسطين[٦].

---

(٦) المرجع السابق، ص:١١، ١٥.

• خيان

يعد الملك الخامس من ملوك الأسرة الخامسة عشرة ويحمل اسم إياناس عند مانيتون وقد حكم حوالي خمسين عاماً وهو ضمن ملوك الهكسوس الذين حملوا أسماء وألقابا مصرية وذكره الكتّاب المصريون فى نصوصهم ومن الألقاب التي حملها، حاكم البلاد الأجنبية وحاكم المجندين.

- **ومن أهم أعماله:**

أ- أخضع كافة أهل البلاد لحكمه.

ب- أقام عدداً من الحاميات العسكرية بمختلف أقاليم البلاد.

ج- شجع التبادل التجاري مع العراق وسوريا وفلسطين وكريت.

د- قام بتغيير التقويم المصري بعد أن وجده متأخراً شهراً، فأضاف إليه شهراً تكميلياً إلا أن المصريين لم يرضوا عن هذا التغيير(١).

- **ومن أهم آثاره(٢).**

أ- تمثال صغير من الجرانيت يمثل أسداً نقش عليه اسم (خيان) وعثر عليه فى بغداد.

ب- مجموعة من الجعارين تحمل اسم (خيان) عثر عليها بسوريا وفلسطين.

ج- غطاء آنية من المرمر نقش عليه اسم (خيان) وعثر عليه بجزيرة كريت.

د- مجموعة من الأحجار المصقولة نقش عليها اسم (خيان) وعثر عليها بالجبلين.

هـ- تمثال عثر عليه فى شرق الدلتا.

---

(١) المرجع السابق،- ص: ١٧-١٨

(٢) المرجع السابق،- ص: ١٦-١٧

و- لوح حشبي صغير عثر عليه بالفيوم ومحفوظ حالياً بمتحف برلين.

ز- خاتم من الذهب.

ح- أقام علاقات صداقة مع ملوك وأمراء البلاد الأجنبية فى عصره وتبادل معهم الهدايا[1].

- **الملك فى عصر يوسف**

أ - حيكت مؤامرة ضده لقتله والتخلص منه ولا يعرف عما إذا كان يقف وراءها المصريون القدماء أو قوم هذا الملك من الهكسوس؟ إلا أنه قد نجا منها[2].

ب - حلم حلماً أصابه بالأرق وبالخوف الشديد على مصير ملكه وقد فسر يوسف له هذا الحلم بعد أن عجز مستشاروه عن ذلك[3].

ج- وافق على تعيين يوسف على خزائن الأرض حيث استمر سبع سنين يخزن ما يجمعه من حبوب فى سنابله وقد أخذ يصرف منها فى سنوات المجاعة السبع[4].

د- كان يعاون هذا الملك شخصية كبرى حملت لقب العزيز وهو الذي اشترى يوسف لامرأته عسى أن ينفعه أو يتخذه ولداً[5].

هـ - كان يتسم بالحكمة وغزارة علمه حتى إنه قد عيَّن يوسف فى منصب الرجل الثاني فى مملكته وهو ليس من قومه وقد أعطاه صلاحيات كثيرة وقرَّبه منه وزوَّجه

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص:١٠٤-١٠٥، ١١٠-١١١

Holladay. Cities Of The Delta. Vol.3. Tell El-Maskhuta. Mailibu . 1982. P.10 ff

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص:٤٧٦-٤٨٠

(٣) المرجع السابق،- ص: ٤٨١-٤٨٤

(٤) المرجع السابق،- ص: ٤٩٠-٤٩٢

(٥) المرجع السابق،- ص: ٤٦٢، ٤٧٢ ؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق. – ص:٦٠-٦١

من ابنة أحد أفراد أسرته وهو كبير كهنة عين شمس.

ز - كان قاضياً حيث تولى قضية يوسف ومن قبل قضية صاحب طعامه وشرابه وحكم فى كل منهما بالعدل والقسطاس المستقيم[١].

ح- سمح ليعقوب عليه السلام وبقية أبنائه بدخول مصر والحياة فيها بل وعيَّنهم رؤساءَ على ماشيته، وقد باركه يعقوب وبارك أهله[٢].

ط - يبدو أنه قد آمن بدعوة يوسف وكثير من قومه إلا أن بعضهم الآخر كان يشك فى نبوته[٣].

- **فرعون موسى**

اختلف المؤرخون وعلماء اللغات القديمة فى تحديد لفظ فرعون[٤] فمنهم من اعتبره لقباً كان يطلق على حكام مصر ومنهم من اعتبره اسماً شخصيّاً أو اسم شهرة أو صفة ارتبطت به ولقد زاد الطين بلة أن لفظ فرعون أمكن الربط بينه وبين اللقب المصري القديم الذي أطلق على حكام مصر ابتداءً من الأسرة الثامنة عشرة وهو (بر-عا) والذي كان يطلق قبل هذا العصر على القصر الملكي دون ساكنيه من الحكام كما عقدوا صلة بينه وبين اللفظ المصري القديم (ونن-نفر) أو (نفر-ونن) الذي كان يطلق على الإله إيزوريس إله الموتى فضلاً عن بعض حكام عصر الدولة الوسطى.

---

(١) رشدي البداروي: المرجع السابق.- ص:٤٨٥-٤٨٨

(٢) المرجع السابق.- ص: ٥١٢-٥١٤، ٥١٧

(٣) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق،.- ص:١٦٧

(٤) محمد بيومي مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدني القديم، الجزء الخامس: الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني: الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية، الإسكندرية: ١٩٨٩

وبحذف النون الأولى والأخيرة فى هذا اللقب يمكن نطقه فرون أو فيرون أو فرعون

ومما تجدر ملاحظته أن هناك تشابهاً بين لفظ فرعون الذي ورد فى القرآن الكريم وهو لفظ عربي مبين يتماثل مع لفظ طالوت وهو أول حكام مملكة إسرائيل الكبرى وهو يقابل الاسم العبري شاؤل الذي أطلق على هذا الحاكم بما يعني أن كلاً من اسم طالوت فى القرآن واسم شاؤل فى التوراة يشيران إلى شخصية واحدة[1] وقد أعطى الله اسماً عربياً لشاؤل يطابق اسمه العبري ولا يختلف عنه فى شيء وكذلك الحال مع اسم سليمان فى القرآن الكريم ويرادف هذا الاسم شلومون العبري الذي ورد فى التوراة.

فإذا ما عدنا إلى لفظ فرعون وهو اسم «عربي» يعنى الفارع أو الطويل طولاً مفرطاً عن الحد أو العظيم وهو يقابل اسم الحاكم الذي كان يعاصر موسى عليه السلام وهنا يقول علماء اللغات القديمة أن اسم أبوفيس الذي حمله أكثر من حاكم من حكام الهكسوس يعني العملاق أي الفارع فى طوله قوى البنية ومفتول العضلات وهذا الوصف قد أكده كتاب التوراة باستثناء قولهم بأنه قصير القامة[2].

ويعتقد البعض أن لفظ فرعون ليس لقباً بل هو اسم شهرة أو صفة ارتبطت بهذا الحاكم مثله فى ذلك مثل اسم إسرائيل الذي أطلق على يعقوب بن إسحاق واسم أدوم الذي أطلق على عيسو بن إسحاق وكانت أسماء الشهرة منتشرة على وجه الخصوص بين قبائل البدو الآسيوية ونجد صدى ذلك على عهد محمد ﷺ فقد أطلق على أبى بكر اسم الصديق وعلى محمد ﷺ الأمين وعلى عمر بن الخطاب رضى الله

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ: أنبياء بني إسرائيل: الجزء الخامس، القاهرة: ٢٠٠١، ص: ٧٧-٧٨

(٢) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الإسكندرية: ١٩٩٣، ص: ٣٢٨

عنه سيف الله المسلول والفاروق وعلى أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين وأطلق اسم أبو تراب على علي بن أبي طالب[١].

ولا يمكن أن يكون لفظ فرعون بأي حال من الأحوال لقباً ملكياً لأن معنى ذلك أن الأعمال التي قام بها هذا الحاكم من قتل وذبح واضطهاد وتسخير وزنا يشترك معه فيها غيره من الحكام الذين حملوا لقب فرعون، وهذا غير جائز فكل إنسان مسؤول عن عمله وقوله، كما أن الله لن يجعل قارئ القرآن أو المستمع له أن يختلط عليه الأمر فيسأل نفسه أي فرعون من فراعنة مصر هو المقصود؟ وقد قرنه أو ربطه القرآن بشخصيتين أخريين هما هامان وقارون وكان هذا الأخير من قوم موسى ويعتقد أنهما اسمان معربان لإسمين أعجميين يتطابقان فى المعنى، وقد اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون فى تحديد اسمه وهو كالآتي سنوسرت الثالث، أمنمحات الرابع من عصر الدولة الوسطى وأبوفيس ومصعب بن الوليد من عصر الهكسوس وأحمس الأول وتحتمس الثاني والثالث والرابع وأمنحوتب الثاني والثالث والرابع وتوت عنخ آمون وحور محب ورمسيس الثاني ومرنبتاح وسيتي الثاني وأخيراً رمسيس الثالث[٢]، من عصر الدولة الحديثة.

كما اختلف هؤلاء المؤرخون فى تحديد جنسيته فمنهم من قال إنه من قبائل البدو العرب (العماليق) أو من قبائل البدو الآسيوية أو الهندوأوروبية أو من المصريين القدماء[٣].

وقد ذكر القرآن الكريم بعض آل فرعون ومنهم امرأته التي لم تنجب له ذكراً

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث،.- ص: ٤١٦ - ٤١٧، ٤٢٤

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع،.- ص: ٦٦٠-٦٧٤؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.- ص: ١٦٦-٢٠١؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول،.- ص:١١٤

(٣) رشدي البدراوي: المرجع السابق،. - ص: ٦٦٠

يخلفه على العرش أو ربما كانت عاقراً لا تنجب باعتبار أن ابنة فرعون التي ذكرت في الأحاديث النبوية وفى التوراة لم تكن ابنتها وإنما كانت ابنة إحدى جواري فرعون. وقد تبنت موسى عليه السلام بعد أن عثر عليه موضوعاً فى صندوق ملقى فى ماء النهر وقد آمنت بدعوته حينما كلفه الله بنشر دين الإسلام بين فرعون وقومه فضلاً عن بني إسرائيل وقد طلبت من ربها أن ينجِّيها من فرعون وعمله وأن يبني لها بيتاً فى الجنة وأنها رضي الله عنها ستكون زوجه لمحمد ﷺ فى الجنة[1].

لم يرزق فرعون بولد ذكر وربما يرجع ذلك إلى انتقام الله منه نتيجة لقيامه بذبح أطفال بني إسرائيل الذكور ولم يراع ضعفهم وقلة حيلتهم فضلا عن الآلام والأحزان التي يسببها لآبائهم ولأمهاتهم وقد وهبه الله كما ذُكر بنتاً واحدة قيل إنها كانت مريضة بمرض يقزز منها من حولها وكانت تشبهه فى سوء خلقه وكانت سبباً فى قتل الماشطة وأطفالها الثلاثة وقد اعتبرها كتاب التوراة هي التي تبنت موسى عليه السلام[2].

كما أشار القرآن إلى رجل من آل فرعون ولم يذكر اسمه أو درجة قرابته بفرعون ويرى بعض المؤرخين أنه عمه أو أخاه أو من ذرية أحدهما أو صهره.

وقد كان فرعون كما أكد القرآن من قبائل البدو الرعاة حيث نعته بفرعون ذي الأوتاد وقد أكد كتاب التوراة أنه كان يملك وقومه مواشيَ كثيرة قد تعرضت لابتلاء الهي أشار إليه أيضاً كتاب التوراة«... أطلق شعبي ليعبدونني فإنه إن كنت تأبى أن تطلقهم فهاهي يد الرب تكون على مواشيك التي فى الحقل، على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وباءً ثقيلاً وتموت ويميز الرب مواشي إسرائيل فلا يموت منها شيء...»[3] (خروج:١/٩).

(١) المرجع السابق.، ص: ٨٩٨-٩٢٠

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج:٨، ص:١١٠-١١١ ؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص:١٦٧

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج:١/٩

وكان هذا الفرعون كما ذكر فى روايات المؤرخين المسلمين القدماء قد رأى أثناء نومه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل» وقد فسر له الكهنة والعرافون والمنجمون هذا الحلم بأنه سَيُولَدُ فى بني إسرائيل طفلٌ ذكر يكون هلاكه وزوال ملكه على يديه، وهنا بدأ فى ذبح كل طفل ذكر يولد فى بني إسرائيل فلما تبين لقوم فرعون أن ذلك سيؤدي فى النهاية إلى هلاك بني إسرائيل مما يجعل الأعمال الشاقة تقع عليهم، فأمر فرعون بذبح الأطفال عاماً وتركهم عاماً حتى إذا تأكد من هلاك هذا الطفل أمر بإيقاف التذبيح إلا أن معاملته لبني إسرائيل قد ازدادت سوءاً بعد أن تبين له أنهم قد يكونوا مصدر خطر عليه وعلى ملكه.

ثم ادَّعي هذا الفرعون الإلوهية[1] حيث اعتبر نفسه إلهاً وربّاً أعلى لكل من قومه ولبني إسرائيل فلا يحق لهم أن يكون لهم ربٌّ غيره وأن كل من تسول له نفسه عبادة غيره يكون مصيره القتل ولقد لقي كل من سحرة فرعون وماشطة ابنته وأولادها وأبناء الذين آمنوا بدعوة موسى من بني إسرائيل وربما امرأته حتفهم جميعاً بسبب رفضهم اعتباره ربّاً أعلى لهم فضلا عن إيمانهم بدعوة موسى.

ويبدو أن مفهوم الإلوهية[2] عند فرعون لا تتمثل فى قدرته على خلق الأشياء أو إحياء الموتى حيث إنه وقومه لا يؤمنون بالحياة الأخرى أو بيوم الحساب أو بالجنة أو النار أو بالبعث والنشور وبالتالي فإن إلوهية فرعون تنحصر فى مسؤوليته عن توفير الأمن والأمان والطعام والشراب والمسكن والطرق ووسائل الانتقال وشق الترع

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق،.- ص: ٨٨٥-٨٩٢؛ أنيس فريحه: ملاحم وأساطير فى الأدب السامي، بيروت: ١٩٧٩، ص:١٨٩-١٩٨

(٢) رمضان علي: حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الأسرات الوطنية، الجزء الأول، القاهرة: ٢٠٠٤،.- ص:٣١٧-٣١٩

والقنوات وإقامة السدود واستصلاح الأراضي وإعالة الفقراء والمرضى وأصحاب العاهات ونشر العدل بين قومه.

ولقد اعتقد كل من بني إسرائيل وقوم فرعون أن مَلكهم لا يموت على الأرض مثلهم إنما ينتقل إلى السماء حيّاً ليعيش فيها مع الآلهة بين النجوم والكواكب.

وقد قال بعض المفسرين إن فرعون كان له إله يعبده ويلجأ إليه فى الملمات والأمور الجسام ولكن هذا لا يتفق مع ما ورد فى القرآن الكريم على لسان فرعون ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[1] (سورة النازعات:٢٣-٢٤).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[2] (سورة القصص:٣٨).

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[3] (سورة الأعراف:١٢٧).

وقد قرأ عدد من المفسرين لفظ "آلهتك" بـ(إلاهتك) أي عبادتك، بمعنى أن موسى ومن آمن بدعوته لا يعدُّون فرعون حاكماً وملكاً إلهاً ومعبوداً. وعلى ذلك يمكن القول إن فرعون كان الحاكم الهكسوسي الوحيد الذي أمر قومه بعبادته وحده ونبذ الآلهة الأخرى التي يعبدونها مثل بعل وعشتار وعنات وغيرها.

ويعتقد أن فرعون قد ادَّعى الإلوهية بعد أن سأل موسى عن مسكن إلهه وربه فأجابه بأنه فى السماء ولم يطلب موسى من ربه أن يتجلي أمام فرعون وقومه وهنا أمر فرعون وزيره هامان أن يبني له صرحا عالياً لعله يطلع إلى إله موسى حينما

---

(١) القرآن الكريم، سورة النازعات:٢٣-٢٤

(٢) القرآن الكريم، سورة القصص:٣٨

(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف:١٢٧

لم يُظهر موسى إلهه بصورة مجسدة أمامه وإنما اكتفى بتقديم آيتين من ربه تؤكد وجوده وقدرته المطلقة وتمثلت فى تحويل عصاه إلى ثعبان مبين وإخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء ثم إعادة كل من العصا واليد إلى حالتها الأولى ولكن فرعون وقومه اعتبروا هاتين الآيتين تدخلان فى عداد السحر وبذلك يكون موسى قد عجز عن إثبات وجود الإله الذي يدعو إليه.

وعلى ذلك فقد ادَّعى فرعون الإلوهية المطلقة وذلك تأسيساً على أن هذا الكون ليس له إله ظاهر يمكن رؤيته والتحدث إليه وسماع حديثة وبذلك اعتبر نفسه أحق بالإلوهية مما يدعو إليه موسى وجمع قومه وأعلن أمامهم أنه إلههم الأعلى وأن من لم يمتثل لأمره يكون مصيره القتل أو السجن.

وهذا النوع من الإلوهية لم يعرفه المصريون القدماء ويتضح ذلك من قصة ون آمون التي ورد بها أن رسول آمون المدعو ون- آمون قد توجه إلى لبنان فى رحلة بحرية لإحضار أخشاب الأرز لتشييد سفينته (آمون وسرحات) وذلك خلال نهاية عصر الدولة الحديثة. وحينما وصل إليها وقابل أمير جبيل وجه إليه الحديث قائلاً بأنه لم يفعل معه ما فعله مع رسل آمون السابقين والذي مات الكثير منهم على أرض جبيل ودفنوا فيها وردَّ عليه الكاهن المصري ون آمون: لا ترني إياها (قبور رسل آمون السابقين فى أرض جبيل) أما عن خع إم واست (أحد ملوك الأسرة العشرين) فإنه أرسل لك رجالاً رسلاً وكان هو نفسه رجلاً...»[1].

إن موقف فرعون لا يختلف كثيراً عن موقف إخناتون، ذلك الملك المصري القديم الذي أعلن على قومه بأن آتون إله واحد لا شريك له ودعاهم إلى ترك عبادة الآلهة الأخرى إلا أن هذه الدعوة لم تلق قبولاً من المصريين القدماء وانحصرت على آل هذا

(١) سليم حسن: الأدب المصري القديم، الجزء الأول، أدب الفراعنة، القاهرة: ١٩٤٥م، ص: ١٦٨-١٧٠

الملك وأتباعه وطبقة الموظفين المنتفعين من ورائه.

شخصية فرعون لا تؤهله ليكون إلهاً لأسباب منها:

١- أمر بذبح أطفال بني إسرائيل وهم لا حول ولا قوة لهم مؤكداً عجزه عن درء خطر يتهدد ملكه، كما تؤكد تجرده من كافة مشاعر وأحاسيس الرحمة التي تعد من الصفات الأساسية فى الإله.

٢- أمر بالزنا وهتك الأعراض فقد حث قومه على استحياء نساء بني إسرائيل.

٣- عجزه عن حماية نفسه وغيره رغم أن السلطان والحكم والقوة العسكرية تحت سيطرته بينما لا يملك نبي الله موسى وهارون وقومهما أياً من هذه القوة ويتضح ذلك من:

أ- قول فرعون لقومه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [١] (سورة غافر:٣٦).

ب- قوله تعالى فى قرآنه الكريم.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [٢] (يونس:٩٢).

وتكشف هذه الآية عن زيف ما يدَّعيه فرعون – من أنه لا يموت على أرض الدنيا كما يموت بقيَّة الناس- أمام بني إسرائيل حينما ألقى البحر بجثة فرعون على الشاطئ أمامهم لا حياة ولا روح فيها، ليس هناك فرق بين موته وموت غيره من الناس.

اختلف المفسرون والباحثون فى تحديد أسباب نجاة بدن فرعون من الغرق ومنها:

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر:٣٦

(٢) القرآن الكريم، سورة يونس:٩٢

١- اعتقاد بني إسرائيل بأن فرعون لا يموت كما يموت بقية الناس باعتباره إلهاً أو فى مصاف الآلهة.

٢- العظة لبني إسرائيل ولقوم فرعون بأنه لا إله إلا الله رب موسى وهارون وأن كل من هو دونه يموت ويهلك ولا خلود لبشر مهما علا نجمه وانتشر سلطانه وكثرت ذريته وأمواله.

٣- مكافأة فرعون على إعلانه الإسلام حتى ولو كان مجرد ادّعاء بغرض أن يحفظه رب موسى ولا يجعله مع الهالكين من جنوده وآله فى البحر.

٤- أن الله عزيز ذو انتقام يقتص لنفسه ولخلقه من عدوه وعدوهم حتى تهدأ نفوسهم ويرتاح بالهم ويؤمنوا بأن هناك قوة أعلى من فرعون وآله ينتقم لهم.

نجاة جثة فرعون من الغرق وأسباب مَنّ الله عليه بذلك:

١- إذا كان فرعون قد غرق وآله وجنوده فى نهر أو بحر أو بحيرة أو أي مجرى مائي عميق أو غير عميق فإنه فى تلك الحالة ستكون هناك العديد من الجثث الطافية على سطح الماء أو التي يلفظها الماء على اليابسة وبالتالي فإن الله ﷻ لن يَمُنَّ على فرعون بنجاة بدنه من الغرق إن كان هناك جثث ناجية أخرى. بينما يكون هذا المَنُّ فى محله إذا كان فرعون وآله وجنوده قد غرقوا فى مجرى مائي يعج بالأحياء المائية المفترسة التي فى استطاعتها التهام وافتراس جثث مئات الغرقى فى لحظات قليلة أو إذا كان قد صاحب الغرق خَسْفٌ بالطريق المشقوق ليبتلع آل فرعون وجنوده ومركباتهم وجيادهم وكافة أمتعتهم إلا أن كلا من القرآن والتوراة لم يشيرا إلى ذلك وبالتالي إذا ما نجت جثة فرعون بمفردها يكون الله مَنَّ على فرعون بنجاة بدنه دون بقية آله وجنوده.

٢- أن الله يجري آياته أحياناً على يد بعض خلقه ليكون المقصود أن جثه فرعون التي ألقى بها البحر على اليابسة سيهتم بها الكهنة الذين يقومون بتحنيط جثث الموتى وأنهم اتبعوا فى تحنيط جثة فرعون أساليب جديدة لم تكن متبعة من قبل كانت وراء حفظ جثث الموتى حفظاً جيداً وخاصة خلال عصر الدولة الحديثة والتي يعتقد معظم الباحثين أن فرعون أحد ملوكها.

ولكن يقل من هذا الرأي أن الكهنة كانوا سيقومون أيضاً بتحنيط الشخصيات الهامة من آل فرعون وكبار ضباط جيشه الذين لقوا حتفهم فى معين البحر وبالتالي فإن الله ﷻ لن يَمُنّ على فرعون بأنه قد أنجي بدنه من الهلاك وأدلتهم على غرق فرعون وآله وجنوده ما ورد فى القرآن الكريم.

أ- ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [1] (الزخرف:٥٥).

ب- ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [2] (الشعراء:٦٥-٦٦)

جـ- ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [3] (القصص:٤٠).

٣- أن آل فرعون وجنوده قد غرقوا جميعاً فى البحر ولم ينج منهم الا فرعون ببدنه حيث ألقى به البحر على الساحل حياً ولكن كان فى غيبوبة وفاقداً للوعي حتى وافته المنية ودليلهم فى ذلك القرآن الكريم الذي ورد به ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [4] (يونس:٩٠).

---

(١) القرآن الكريم، سورة الزخرف:٥٥

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء:٦٥-٦٦

(٣) القرآن الكريم، سورة القصص: ٤٠

(٤) القرآن الكريم، سورة يونس:٩٠

وأيضاً ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1] (البقرة: ٥٠).

وكذلك: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[2] (الدخان: ٢٣-٢٤).

ولكن يقلل من قيمة هذا الرأي أن هناك آيات أخرى فى القرآن تم الإشارة إليها والتي اعتمد عليها فريق الباحثين الذين يؤكدون غرق فرعون وآله وجنوده فى البحر وأن بدنه حينما ألقاه البحر على اليابسة كان بدون روح وكان جثة هامدة لا حراك ولا حياة فيها.

كما اعتقد بعض الباحثين أن الآية فى غرق فرعون تتمثل فى وضع الذراع اليسرى للملك رمسيس الثاني حيث وجدت منثنية على عكس بقية مومياوات ملوك مصر خلال عصر الدولة الحديثة حيث وجدت هذه الذراع مفرودة، ولم يحدث لهذه الذراع المنثنية أي ارتخاء رغم مرور آلاف السنين على هذا الوضع الذي يعد مخالفاً للنواميس المعروفة مما يدخل تلك الحالة فى عداد الآيات الإلهية.

ولكن من المتعارف عليه أن الآيات الإلهية تكون واضحة ومفهومة ومؤثرة لكل الناس متعلمهم وجاهلهم كتحول عصا موسى إلى ثعبان مبين وتغير لون يده إلى اللون الأبيض ثم عودة العصا واليد إلى حالتهما الأولى مرة أخرى بينما ذراع أو يد فرعون المنثنية لا تثير اهتمام أحد من الناس خاصة وأن فرعون قد فارق الحياة وصار جثة هامدة كما لا يؤدي هذا الوضع لليد إلى انبهار الناس أو الإحساس بأية معجزات.

وفى أيامنا هذه كم من زائر شاهد جثة رمسيس الثاني ولم يثر هذا الوضع لذراعه اليسرى أي إحساس بمعجزات خارقة وإنما ما يثيره هو بقاء جثة رمسيس

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة: ٥٠

(٢) القرآن الكريم، سورة الدخان: ٢٣-٢٤

الثاني على حالها دون فنائها وأنه ليس من المعقول إذا كان انثناء الذراع اليسرى للملك رمسيس الثاني معجزة إلهية حقاً يكون فهمها واستيعابها وتأثيرها لا يتجاوز عددا قليلا من الناس يمكن عده على أصابع اليد الواحدة حيث أن الغالبية العظمى من الناس ليس لديها علم بالتشريح الآدمي وحركات أعضاء الجسد أثناء الحياة أو عند الموت.

وكان يعاون فرعون هيئة من المستشارين والمساعدين الذين يرجع إليهم في بعض الأمور السياسية والعسكرية والدينية الهامة[١]، كما يعاونه وزير من آله هو هامان ينوب عنه فى غيابه وكان له جنود ينفذون أمره ويطيعونه فى كل ما يأمرهم به ولا يعصون له أمراً ونظير ذلك كان يغدق عليهم الأموال والمنح والعطايا والمكافآت حتى يتفانوا فى خدمته.

وكان ينظر فى بعض القضايا الهامة من قتل ونهب وسرقة ويصدر أحكاماً فيها واجبة التنفيذ وقد هرب موسى من مصر إلى مدين بعد أن أصدر فرعون حكماً بالقبض عليه وقتله دون التحقيق معه فى ملابسات جريمة القتل التي اقترفها وأسبابها ودوافعها[٢].

وحينما عاد موسى إلى مصر بتكليف من الله ذهب بصحبة أخيه هارون إلى فرعون وأجرى معه حواراً عرَّف موسى ربه وصفاته وقدراته وقدم آيتين من ربه حتى يؤمن فرعون إلا أنه قد اعتبر ذلك سحراً وهنا عرض على موسي إجراء منافسة فى السحر بينه وبين مجموعة من السحرة فى مملكته وقد انتصر فيها موسى وآمن

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني،.- ص: ٤٦٨-٤٦٩؛ رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني،- ص: ٢٣-٢٤

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، ص: ٨٢٠-٨٢٤

الثاني على حالها دون فنائها وأنه ليس من المعقول إذا كان انثناء الذراع اليسرى للملك رمسيس الثاني معجزة إلهية حقاً يكون فهمها واستيعابها وتأثيرها لا يتجاوز عددا قليلا من الناس يمكن عده على أصابع اليد الواحدة حيث أن الغالبية العظمى من الناس ليس لديها علم بالتشريح الآدمي وحركات أعضاء الجسد أثناء الحياة أو عند الموت.

وكان يعاون فرعون هيئة من المستشارين والمساعدين الذين يرجع إليهم فى بعض الأمور السياسية والعسكرية والدينية الهامة[١]، كما يعاونه وزير من آله هو هامان ينوب عنه فى غيابه وكان له جنود ينفذون أمره ويطيعونه فى كل ما يأمرهم به ولا يعصون له أمراً ونظير ذلك كان يغدق عليهم الأموال والمنح والعطايا والمكافآت حتى يتفانوا فى خدمته.

وكان ينظر فى بعض القضايا الهامة من قتل ونهب وسرقة ويصدر أحكاماً فيها واجبة التنفيذ وقد هرب موسى من مصر إلى مدين بعد أن أصدر فرعون حكماً بالقبض عليه وقتله دون التحقيق معه فى ملابسات جريمة القتل التي اقترفها وأسبابها ودوافعها[٢].

وحينما عاد موسى إلى مصر بتكليف من الله ذهب بصحبة أخيه هارون إلى فرعون وأجرى معه حواراً عرَّف موسى ربه وصفاته وقدراته وقدم آيتين من ربه حتى يؤمن فرعون إلا أنه قد اعتبر ذلك سحراً وهنا عرض على موسي إجراء منافسة فى السحر بينه وبين مجموعة من السحرة فى مملكته وقد انتصر فيها موسى وآمن

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني،- ص: ٤٦٨-٤٦٩؛ رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني،- ص: ٢٣-٢٤

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، ص: ٨٢٠-٨٢٤

السحرة بدين هذا النبى وربه وكان ذلك لطمة قوية لفرعون جعلته يثير قومه ضد موسى حتى ينقلبوا عليه ويعملوا على التخلص منه وقد وافقه قومه على قتل أبناء الذين آمنوا بدعوة موسى واستحياء نسائهم وتسخيرهم فى الأعمال الشاقة حتى ينفضوا من حوله ولا يجد من يستمع له وقد نجح فرعون فى ألا يؤمن بدعوة موسى من قومه إلا فئة قليلة وقد أكد القرآن ذلك[1].

وقد رفض فرعون خروج بني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة لخوفه أن يتحالفوا مع غيرهم ويتمكنوا من طرده وقومه من مصر والإمارات الخاضعة لسلطانها فى بلاد الشام ويستولوا على ما كانوا يعيشون فيه من كنوز ومقام كريم وقد أعلن فرعون وقومه رفضهم لدعوة موسى أو الإيمان بما جاء به أو بربه وهنا أرسل الله عليهم تسع آيات شملت جميع نواحي حياتهم إلا أنهم أصرُّوا على الكفر وعدم السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر مما جعل موسى يخرج ناحية الحدود الشرقية بقومه حيث يتواجد بحر سوف العظيم فعبره موسى وقومه وغرق فيه فرعون وآله وجنوده[2].

صفات فرعون[3]

١- كان قائداً عسكريّاً كبيراً يتولى قيادة جيشه بنفسه وكان حريصاً على رفع كفاءة جنوده بالتدريب العسكري وتزويدهم بالأسلحة الحديثة فى عصره، وشيد كثيرا من الحصون داخل مصر وعلى حدودها الشرقية لإحكام السيطرة على الأمن فى البلاد والتصدي لأي هجوم عسكري عليها.

(١) المرجع السابق،- ص: ٨٦٥-٨٦٧، ٩٠٢، ٩٢٥، ٩٢٦

(٢) المرجع السابق،- ص: ٩٣٩-٩٥٣

(٣) المرجع السابق،- ص: ٨٨٠-٨٨٣

٢- كان ذا دهاء سياسي حيث فرَّق بين أهل مصر وجعلهم شيعاً مما أضعفهم وقلل من قوتهم ولم تبق غير قوته وقوة قومه، كما أنه قد أثار قومه فضلاً عن كثير من بني إسرائيل ضد موسى ومنهم قارون.

٣- كان قوي البنية مفتول العضلات ويبدو أنه كان فارع القامة وليس قصيراً كما نعته كتاب التوراة إذ يفهم ذلك من اسمه الذي اشتهر به بين قومه كما كان يلبس ثياباً أو زيّاً ملكيًا بلون أحمر.

٤- اعتبر نفسه إلهاً يُعبد ويقدس ويبجل وقد عوَّد نفسه على عادات تجعله متميزاً عن بقية الناس وخاصة في مأكله ومشربه وتغوطه ليؤكد إلوهيته وكان يأمر بقتل أو سجن كل من لا يعده إلهاً.

٥- كان طاغياً جباراً متكبراً زانياً ومروجاً للزنا داعياً للمتعة الحرام.

٦- كان لا يؤمن بالآخرة ولا بيوم الحساب ولا بوجود إله للكون يحكمه ويتحكم فيه.

٧- كان سلاباً نهاباً يستحل حقوق الناس لنفسه.

٨- كان غليظ القلب عديم الرحمة يقتل ويذبِّح الأبرياء ولا يتحرك ضميره.

٩- كان لا يفى بالعهود والمواثيق[1].

١٠- كان يغدق الأموال والمناصب على كل من يؤيده ويناصره وينفذ أوامره ويسانده على تثبيت حكمه من أهل مصر ومنهم على سبيل المثال قارون الذي كان من بني إسرائيل والذي استطاع أن يمتلك ثروة ضخمة تحدَّث عنها القرآن الكريم بموافقة ومباركة فرعون.

١١- كانت عاقبته أن هلك بسبب موسى وقومه فى بحر لجي عميق فضلاً عن

(١) المرجع السابق.- ص: ٩٠٦ – ٩١٨

آله وجنوده وانتقل المُلْكُ إلى أسرة حاكمة أخرى غير أسرته ليفقدوا ما كانوا فيه من نعم فاكهين[1].

- **أبوفيس**

يري بعض الباحثين أن هذا الاسم يعني (العملاق)[2].

وهو من الأسماء المحببة لدي قبائل البدو الرعاة فى مصر حيث حمله أكثر من ملك من ملوكهم خلال فترة احتلالهم ابتداءً من عصر الأسرة الخامسة عشرة وانتهاءً بالأسرة السابعة عشرة حسب ترتيب الأسرات المصرية القديمة ومنهم الملك الذي حمل الاسم المصري القديم عاقنن رع الذي يعتقد أنه قد عاصر الأمير سقنن رع- تاعا الثاني أمير طيبة خلال عصر الأسرة السابعة عشرة المصرية وقد جمع هذا الملك الهكسوسي مستشاريه بعد أن تبين له ازدياد نفوذ أمراء طيبة لإرهابهم وتخويفهم وخلق ذريعة لمهاجمتهم فأشاروا عليه بإيفاد رسول إلى طيبه يحمل الرسالة التالية «اعمل على طرد فرس النهر الذي فى فناء مدينتك (أي طيبة) لأنه يقض مضجعي نهاراً وليلاً، وأن الضوضاء تؤذي أذني»[3].

وحينما وصلت هذه الرسالة إلى يد سقنن رع جمع مستشاريه للبت لما ورد فيها وقد أصاب التلف هذه البردية ولا يعرف بقية أحداثها ولكن يفهم من وثائق مصرية أخرى أن هذا الأمير قد جهز جيشاً جراراً وهاجم عاقنن رع فى عقر داره بأواريس وقد قُتِلَ هذا الأمير المصري فى أواريس أثناء الهجوم وتمكن رجاله من حمل جثمانه

---

(1) المرجع السابق.،- ص: ٩٥٧

(2) رمضان علي: حضارة مصر القديمة، الجزء الثاني.، — ص: ١٨٤

(3) Carnarvon. Carter.Five Years Explorations at Thebes. A Record Of Work Done. 1907-1911.P.17

رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني.، — ص: ٢٤

معهم والعودة إلى طيبة إلا أن ابنه كامس قد أخذته الحمية لمقتل والده ولم تمض سنوات قليلة إلا وأعد حملة عسكرية تمكن خلالها من تحقيق انتصارات باهرة على الهكسوس الأمر الذي جعلهم يتحالفون مع بعض القوى الأخرى ومنها أمراء كوش ببلاد النوبة إلا أن كامس تمكن من وأد هذه التحالفات فى مهدها مما أثار حفيظة وحقد الهكسوس عليه ويفهم من وفاة هذا الأمير فجأة وعدم إعداد المراسم الجنائزية المناسبة له أنه قد تعرض لمؤامرة أو خيانة من قبل هؤلاء البدو الرعاة الذين لا عهد ولا ميثاق لهم[1] وكما سبق الإشارة فإن هذا الملك الهكسوسي قد أقام علاقات ود وصداقة مع أحد أمراء كوش وقد أرسل له رسالة يطلب منه مهاجمة بيت طيبة حينما يكون أميرها وجيشه بعيداً عنها مما يسهل القضاء على سلطان هذا البيت الحاكم فى جنوب مصر.

أهم الآثار التي عثر عليها لهذا الملك[2].

أ- لوح كاتب من الخشب كان قد أهداه إلى الكاتب الملكي إثو وهو محفوظ بمتحف برلين برقم٧٧٩٨.

ب- مائدة قرابين من حجر الجرانيت الأسود، نقش عليها اسمه وألقابه، وهي محفوظة حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة.

ج- جزء من آنية من الجرانيت، نقش عليها اسمه واسم هرتي الابنة الملكية فضلاً عن بعض ألقابه ومنها الملك الطيب، ابن الشمس.

د- عدد من الجعارين الملكية.

---

(١) المرجع السابق،- ص:٢٦-٣١

(2) W.R.Dawson. A Bronze Dagger Of The Hyksos Period. JEA.2 .1925 . P.216

رمضان السيد: المرجع السابق. — ص:١٨

هـ - قطعة من الحجر تحمل اسمه ولقب الملك الطيب، محفوظة حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة.

ومن الملوك الذين حملوا اسم أبوفيس الذين أطلق عليهم باللغة المصرية القديمة كل من اسم نب خبش رع واسم عاو سر رع [1] وقد عثر على آثار لهؤلاء الملوك تحمل اسم أبو فيس فقط[2] ولكن الألقاب المصاحبة لهذا الاسم لا تحدد لأي منهم ينتمي هذا الأثر ومنها:

أ- قطعة من الحجر منقوش عليها اسم أبو فيس ونصوص تفيد إقامة ساريات للأعلام ومصاريع أبواب من النحاس.

ب- خاتم من خشب مدون عليه اسم أبو فيس.

ت- قاعدة إناء، محفوظة حالياً بمتحف برلين.

ومعظم آثار هؤلاء الملوك مغتصبة من آثار مصرية قديمة أو بمعنى آخر أن هؤلاء الملوك قد استولوا على أشياء كان يملكها مصريون قدماء ونسبوها لأنفسهم أو أعادوا استخدامها لأنفسهم[3].

عاشرا: سياستهم

١- انتهج حكام الهكسوس سياسة فرق تسد منذ أن فرضوا سلطانهم على مصر وحكموا أهلها ولم تكن هذه السياسة قاصرة على فرعون فقط والتي أشار إليها القرآن في محكم آياته ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ

(١) سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، الجزء الأول، إعداد/ وائل فكري. – ص: ٢٢٤

(٢) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق.- ص:٣٤٨

(٣) سليم حسن: المرجع السابق.- ص: ٢٢٦

﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص: ٤).

وقد أجمع كثير من الباحثين أن الهكسوس قد حكموا مصر إلى جانب الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة فى وقت واحد، كما أن النصوص قد أكدت وجود أكثر من بيت حاكم فى مصر فى شمال البلاد وجنوبها وشرق الدلتا وغربها. وبما أن الحكام المصريين لم يكن فى صالحهم هذا التشرذم فإنه يستنتج من ذلك أن حكام الهكسوس هم الذين كانوا يقفون وراء ذلك، أو ربما يرجع ذلك إلى فترة الانهيار السياسي الذي سبق الغزو الهكسوسي أو أثنائه.

٢- استنزاف موارد البلاد وخيراتها وأموالها وثرواتها وتكديسها فى مخازنهم وخزائنهم فضلاً عن استغلال وإذلال أهلها مما يعد احتلالاً استيطانياً وهو من أبشع أنواع الاحتلال.

٣- إحكام السيطرة العسكرية على البلاد وذلك بإقامة الحصون المنيعة بالمواقع الهامة وخاصة بالقرب من شواطئ الأنهار وسواحل البحار وعلى الطرق الهامة للقوافل التجارية وببعض المدن الكبرى وكان الغرض من القوات العسكرية التي تقيم بها القضاء على الفتن والاضطرابات والثورات وصد أي هجوم مسلح من قبل الأعداء ولم يسمحوا لأهل البلاد التي يسيطرون عليها بالاحتفاظ بأية قوة عسكرية لتخدمهم[١].

٤- التودد لأهل البلاد المحتلة بمهادنتهم واتخاذ أسماء وألقاب حكامهم الوطنيين لأنفسهم وعبادة بعض آلهتهم[٢].

---

(١) D Redford, Texual Sources For The Hyksos Period. P.12.33.Note 247

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث،- ص: ٤٥٧

٥- رفع بعض أهل تلك البلاد إلى مصاف الحكم والمناصب الهامة ليكونوا بمثابة عيوناً لهم وسيفاً مسلطاً على رقاب قومهم فضلاً عن تحقيق مصالحهم وأهدافهم[١].

٦- ترك الإدارة المحلية لسكان البلاد المحليين مع فرض الضرائب والجزى عليهم.

حادي عشر: عاصمتهم

ذكر المؤرخ اليهودي يوسفيوس نقلاً عن المؤرخ المصري مانيتون « وأخيراً عيَّنوا أحدهم سالاتيس ملكاً فأقام فى منف وفرض الضرائب على مصر العليا والسفلى تاركاً الحاميات فى الأماكن الأكثر ملاءمة، كما أنه وجد فى إقليم سترويت مدينة ذات موقع مناسب وتقع إلى الشرق من فرع البوباسطي وكانت تسمي أفاريس وقد أعاد تخطيطها وتأسيسها كما قام بتحصينها تحصيناً منيعاً وأبقى على معبودها والهها وجعلها مقرّاً لإقامته وقومه، وكانت بها حامية قوامها مائتان وأربعون ألف رجل لحمايتها وكان يأتي إليها كل صيف لتدريب جنودها واعطائهم حقوقهم العينية والمالية وليدخل الرعب والخوف فى قلوب أهل مصر من غير المصريين [٢] ويعتقد أن تعبير (من غير المصريين) يشير إلى الهكسوس وهو نفس الاسم الذي أطلقته عليهم التوراة.

ويبدو لأسباب معينة فى أواخر إقامة الهكسوس فى مصر أو قبل طردهم بعدَّة سنوات من قبل أمراء طيبة قد استقروا بالعاصمة الشمالية ومنها:

١- أن النصوص المصرية تؤكد أن أمراء طيبة قد درجوا على مهاجمة الهكسوس

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع.. – ص: ٨٧٠-٨٧٦

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع. – ص: ٩٣٧-٩٣٩

فى عاصمتهم الشمالية أواريس[1].

كما ثبت من خلال نصوص التوراة أن بني إسرائيل كان مقرهم الأساسي منذ دخولهم مصر فى عهد يوسف وحتى خروجهم منها فى عهد موسى فى أرض جاسان بجوار عاصمة الملك، وتتميز هذه الأرض بأنها عباره عن مراعٍ خصبة تسقط عليها بعض الأمطار الشتوية التي تسمح بنمو الكلأ والعشب الصالح لرعي أنعام حكام الهكسوس وقومهم وبما أن المراعي الخصبة لا توجد فى مصر إلا فى منطقة الدلتا فضلاً عن بعض المواقع القريبة من الساحل الشمالي بينما يندر وجود مراعٍ خصبة فى وسط أو جنوب مصر لانعدام سقوط الأمطار بتلك المواقع، وبالتالي فإن مقر إقامة الهكسوس وبني إسرائيل يقع فى شرق الدلتا وهذا ما أكدته النصوص المصرية وبعض المؤرخين القدماء.

إن المسافة بين مقر إقامة الهكسوس ومقر إقامة بني إسرائيل لم تكن كبيرة ورغم ذلك فإن الابتلاءات التسع التي حلت بهذه العاصمة وأصابت فرعون وقومه لم تكن تصيب بني إسرائيل وهي الرسالة التي أبلغها الله إلى فرعون وقومه والتي مفادها أن الله يصيب الكافر بدينه وأنعمه وينجي المؤمنين المنفذين لأوامره والملتزمين بتطبيق شرائعه وكان يتاخم أرض جاسان أرض أخرى أطلق عليها أرض رمسيس التي كانت عبارة عن أراضٍ زراعية خصبة وقد شيد بها مدينة للمخازن وقد حشد موسى قومه بهذه المدينة وبدءوا تحركهم منها فى اتجاه الحدود الشرقية لمصر.

ثانياً: إنه من الثابت من القرآن الكريم أن قَصْر فرعون كان يقع إلى الشمال من مقر إقامة بني إسرائيل، حيث إن الرياح الشمالية الخفيفة فضلاً عن حركة

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،. — ص: ٩٤

جريان المياه قد دفعت الصندوق الذي وُضعَ به موسى إلى حيث يقع قصر فرعون ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقع القصر الفرعوني إلى الجنوب من مقر سكن بني إسرائيل حيث إن تيار الماء يسير دائماً من الجنوب إلى الشمال وليس العكس وبالتالي لا يمكن للصندوق الذي وضع به موسى أن يصعد ناحية الجنوب فى اتجاه منف أو طيبة.

ثالثا: أن ملوك الدولة الحديثة قد أقاموا إما فى طيبة أو فى منف ولم يقم أحد منهم عاصمة له فى الدلتا إلا الملك رمسيس الثاني الذي شيد (بر- رمسيس) والتي يعتقد أغلب المؤرخين أنها أقيمت على أطلال عاصمة الهكسوس (أواريس) ولكن بعض المؤرخين الآخرين ومنهم المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي ادَّعي انه اقتبس من كتَاب المؤرخ المصري القديم مانيتون يؤكد أن مدينة أواريس لم يتم تدميرها على يد الأمير أحمس الأول بل كانت منشآتها ومبانيها قائمة حتى عهد آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة والذي ذكره باسم (أمنحوتب) وهذا القول عار من الصحة والحقيقة إذ يفهم من مجريات الأحداث فى أواخر عصر الهكسوس أنه قد دارت حروب طاحنة بين الهكسوس وأمراء طيبة الذين دمروا مدينة أواريس نتيجة لتمسك الهكسوس بحكم مصر وعدم رغبتهم فى العودة إلى الحياة الصعبة فى البدو ولم يتركوها إلا بعد أن أصبحت ركاما ولم يقبل أحد أبناء أو أحفاد الملك رمسيس الثاني أن يتخذ بر- رعمسيس عاصمة له ولكنهم آثروا الإقامة فى طيبة أو منف رغم أن مدينة بر- رعمسيس حسب ما ورد بالنصوص المصرية كانت تتميز بتوافر كافة الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية والأمنية والإستراتيجية، كما لم يتخذها أحد من ملوك العصر المتأخر عاصمة له ويبدو أنه من أهم الأسباب التي أدت إلى عزوف

خلفاء الملك رمسيس الثاني عن اتخاذ العاصمة التي شيدها عاصمة لهم قربها من شعوب البحر والخوف من سقوطها فى أيدي أعدائهم الذين يهاجمون مصر من شمالها أو شرقها أو غربها.

وبما أن أكثر الباحثين المحدثين أصبحوا لديهم قناعة بأن الملك رمسيس الثاني ليس فرعون موسى حيث لا توجد أية آثار للابتلاءات التسع خلال عصر الدولة الحديثة وأيضاً لا أدلة على تواجد بني إسرائيل فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة أو على غرق فرعون وآله وجنوده فى بحر عظيم.

وقد أكد القرآن الكريم أن مقر فرعون قد تم تدميره ولكن لم يحدد كيفية أو وسيلة هذا التدمير وعما إذا كان فى عصر فرعون أم بعده ويعتقد أن هذا التدمير تم على يد الملك أحمس الأول وجيشه أي بعد غرق فرعون وآله وجنوده فى البحر وبعد خروج بني إسرائيل من مصر، وربما يكون هذا التدمير قد وقع خلال فترة الابتلاءات التسع، كما أنه إذا كان ذلك قد تم تدميره بظاهرة طبيعية لأشارت إليها الكتب المقدسة ولم تخفها.

ومن هذا يتضح أن مقر إقامة فرعون وقومه كان فى شرق الدلتا وذلك قبل عصر الدولة الحديثة.

ثاني عشر: مملكتهم

يختلف المؤرخون فيما بينهم حيث رأى بعضهم أن سيطرة حكام الهكسوس على مصر لم تتعد شرق الدلتا وأن نظرية سيطرتهم على مصر الوسطى قد سقطت حيث ورد على لسان أحد أمراء طيبة وهو الأمير كامس أريد أن أعرف مدي سلطاني،

كان هناك حاكم فى أواريس وآخر فى كوش وأجلس شريكا بين آسيوي ونوبي ويحكم كل منا جزءاً من مصر...[1].

ولكن بعضهم الآخر قد رأى أنهم قد فرضوا سلطانهم على مصر وبعض ممالك بلاد الشام وأنهم قد أخضعوا مقاطعات مصر لسلطانهم وإن كان هذا السلطان فى مصر العليا لم يتعد إعلان أمراء طيبة الولاء لهم ودفع الجزية المفروضة عليهم كما لم يفرض الهكسوس سلطانهم على كافة أنحاء سيناء إنما اقتصرت سلطتهم على الطريق الساحلي المؤدي إلى خارج حدود مصر الشرقية ومما يؤكد ذلك.

١- حينما عبر موسى بقومه البحر من ضفته الغربية إلى الشرقية وبدأ فى دخول سيناء مر على قوم يعكفون على عباده أصنام لهم لم يحاول موسى أو قومه الاختفاء منهم أو تجنب المرور عليهم بل إنهم قد شاهدوهم وهم يعبدون آلهتهم ولم يخافوا أن يُبلغوا حكام مصر بموقعهم فى سيناء بعد اقتفاء أثرهم مما يسهل القبض عليهم وإعادتهم إلى مصر وهذا يؤكد أن هؤلاء القوم لا ينتمون إلى قبائل الهكسوس التي تحكم مصر ويبدو أن هؤلاء القوم الذين أشار إليهم القرآن لا يختلفون كثيراً عن القوم الذين ذكروا فى التوراة وكانوا يعبدون البعل وربما أنهم نفس القوم.

وقد طلب بنو إسرائيل من نبيهم موسى أن يسمح لهم بعبادة الأصنام إلا أنه قد وصفهم بالجهل.

٢- إن فرعون وآله وجنوده قد جازفوا بعبور بحر عظيم من حيث اتساعه وعمقه ولم يرتكنوا إلى قواتهم العسكرية فى سيناء، مما يفهم منه بأن الهكسوس لم يكن لهم أي نوع من السيطرة على وسط وجنوب سيناء ولم تكن لهم أيّة قوات عسكرية

(1) Chevrier. ASAE.. 35.1935.P.195.MHammad. CdE.. 30.1955 .p.198 .1955 .P.198

بها يمكن أن تلاحق بني إسرائيل وتعيدهم إلى مصر.

٣- لم يتوجه بنو إسرائيل إلى فلسطين مباشرة بعد خروجهم من مصر بل أنهم قد أقاموا فى سيناء عدة أشهر قبل قيامهم بمهاجمة الأراضي الفلسطينية ولم يصابوا بالخوف أو الهلع أو الفزع من القوات العسكرية لفرعون وقومه بل كان مصدر خوفهم يتمثل فى البدو الرحل كالعماليق وهذا الخواء العسكري فى معظم أنحاء سيناء فضلاً عن الخواء الاستيطاني خاصة بمناطق المناجم والمحاجر لا نجده إلا خلال عصور الاضمحلال فى مصر ومنها فترة حكم الهكسوس لمصر ومستعمراتها فى بلاد الشام.

ويفهم من القرآن الكريم أن حكام الهكسوس كان لهم نوع من السيطرة والسلطان على بعض ممالك بلاد الشام حيث ورد به.

أ- ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[١] (الشعراء:٥٣-٥٩). •

ب- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾[٢] (الأعراف:١٣٧).

وبما أن بني إسرائيل لم يرثوا أو يحتلوا أرض مصر ولم يفرضوا سلطانهم العسكري عليها وإنما كان هذا السلطان على الأرض المقدسة

(١) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٥٣-٥٩

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٣٧

ببلاد الشام وخاصة فلسطين فيكون بعض قبائل الهكسوس قد سكنت أرض فلسطين وكانوا يعيشون منعمين فيها ويبدو أن هذه الأرض قد آلت إليهم عن طريق المصريين القدماء بعد أن احتلوا أرضهم، وهذا فيما يبدو يؤكد ما قرره هؤلاء المؤرخون بأن قبائل البدو الهكسوسية قد اتحد معهم العموريون والكنعانيون واتخذوا سوياً مدن الشام مراكز لهم ومنها قطنه وشكيم ولخيش وشاروحين وأريحا.

ويعتقد أن فرعون لم يسمح لموسى وقومه بالخروج من مصر حتى لا يؤول ملك فلسطين لهم ويستأثروا بخيراتها دونهم(١).

أما التدمير الذي حل بما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون سواء فى مصر أو بلاد الشام فقد تم على يد أحمس أمير طيبة وقواته العسكرية الضاربة ولم يكن هذا التدمير على يد يوشع بن نون لأن معنى هذا أن الهكسوس أو القوم الجبارين قد استمروا فى بلاد الشام بعد وفاة أحمس الأول وهذا يخالف ما ورد بالنصوص المصرية التي أكدت على قضاء هذا الملك على قوة الهكسوس وتشتيتهم فى الأرض بحيث لم يعد لهم ذكر أو سلطان. (٢).

ورغم هذا فإنه من الصعب رسم حدود لمملكة الهكسوس وذلك لأن المعلومات التي تتصل بذلك قاصرة وغير وافية ويرجع السبب الأساسي فيها إلى ما ذكره القرآن الكريم عن تدمير الله ﷻ ما صنعه فرعون وقومه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة المائدة:٢٢-٢٦.
نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق.. — ص: ١٠٦-١٠٧ ؛ الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر العدد:١٣/٣٠، ١٤/٦

(٢) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني.. -: ٣٥

إلا أنه مما عثر عليه من آثار قليلة نعلم أنه كان لهم علاقات ببعض قبائل البدو وخاصة كل من بني إسماعيل وبني إسرائيل وكذلك ببعض جزر البحر المتوسط وبوغاز كوي فى منطقة الأناضول فضلاً عن علاقاتهم ببعض ممالك بلاد الشام وكذلك النوبيين فى أقصى جنوب مصر [1].

ثالث عشر: مدة حكمهم

اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون فى تحديد مدة إقامة الهكسوس فى مصر على الوجه التالي:

١- ذكر المؤرخ المصري القديم مانيتون أن الهكسوس قد حكموا مصر لمدة خمسة قرون متصلة تقريباً وهى تبدأ بسقوط الملك توتيمايوس من ملوك الأسرة الرابعة عشرة المصرية وبسط وفرض سلطانهم وحكمهم على شمال مصر حتى القوصية فى جنوب مصر وتنتهي بطردهم على يد الملك أحمس الأول الذي اعتبر مؤسساً لأسرة جديدة هي الأسرة الثامنة عشرة ويعتقد أنه الملك الذي ذكره المؤرخ يوسفيوس باسم تتموزيس والذي قرأه يوليوس الإفريقى آموس بينما قرأه يوسابيوس نقلاً عن مانيتون المؤرخ المصري (آموزس).

٢- أكدت نصوص التوراة أن هذه الفترة التي حددها مانيتون أقرب إلى الصواب حيث ورد بها أن الرب قد بشر إبراهيم بأن نسله سيتم تسخيره فى أرض ليست لهم لمدة أربعة قرون وأيضاً أن مدة إقامة بني إسرائيل فى مصر بلغت أربعمائة وثلاثين عاماً [2]

٣- ورد بالتوراة « أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف وكانت بركة الرب

---

(1) T.G.H.James. CAH.2.1. 1973. p.291-292.

نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، - ص: ٥-٦

(٢) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، - ص: ٩٤

على كل ما كان له فى البيت والحقل...»[1] سفر التكوين: ٣٩/٥ ويعتقد أن هذه البركة قد حلت على الأسر الحاكمة للهكسوس فأطال الله حكمها حتى فرعون نفسه الذي تجاوز الحدود مع ربه ومع رسله لم يهلكه وينتقم منه إلا بعد سنوات طوال بلغ فيها من العمر عتّياً[2].

١- ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن حكام الهكسوس قد حكموا مصر:

أ - قرناً واحداً قد يزداد ثمانية أعوام[3].

ب- قرنين من الزمان تقريباً قد يزداد خمسة عشر عاما أو ثمانية وثلاثين عاماً.

ج- تسعة قرون أو يزيد..

■■■



(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين: ٣٩/٥٣

(٢) مراد الدش: الكشف عن مكان عبور موسى، ص:١٠٣

(3) A.Kuhrt. The Ancient Near East. vol.I. London. 1995. P.144

الفصل الثاني

الهكسوس
وعلاقاتهم الداخلية والخارجية

- علاقات الهكسوس ببني إسرائيل.
- علاقات الهكسوس بالمصريين القدماء.
- علاقات الهكسوس ببلاد النوبة.
- علاقات الهكسوس بقبائل البدو الرُّحَّل وبعض الممالك الأجنبية.



علاقات الهكسوس

أولاً: علاقة الهكسوس ببني إسرائيل

بعد أن تمكن الهكسوس من فرض سلطانهم وهيمنتهم على مصر وعلى بعض الممالك والإمارات التابعة لها وخاصة ببلاد الشام سمحوا لبعض القبائل والأفراد وخاصة الذين يسكنون فى بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية بالنزول إلى مصر بعد اتخاذ الإجراءات اللازمة من تفتيش وفحص أمتعتهم فضلاً عن التحري عن أسباب وهدف مجيئهم ومن أي الممالك أو أي أرض جاءوا- وذلك من أجل مقايضة بضائعهم ومنتجاتهم بالبضائع المصرية ومن الأمثلة على ذلك نزول إبراهيم عليه السلام إلى مصر حاملاً معه بعض بضائع ومنتجات بلاد الشام لمقايضتها بالحبوب المصرية[1] إلا أنه وجد نفسه فى مشكلة مع ملك مصر حيث أخذوا زوجته سارة وقدموها لملكهم هذا كعادتهم فى استحياء كل امرأة جميلة تنزل أرضهم إلا أن سارة قد رفضت ذلك بإصرار يقابله إصرار من الملك وهنا تظهر قدرة الله عز وجل لينصر سارة تلك الزوجة العفيفة على هذا الملك الجبار حيث أصابه وأهل بيته بابتلاءات شديدة جعلته يتراجع عن هدفه ويعتقها ويطلق سراحها ويستدعي زوجها إبراهيم ويقدم لهما هدايا كثيرة تتضمن دواباً وخدماً وعبيداً ويبعث معه حرساً لتوصيله إلى حيث يقيم.

وقد تزوج إبراهيم عليه السلام من هاجر تلك الجارية التي أهداها إليه ولزوجته ملك الهكسوس لينجب منها إسماعيل كما قال كتاب التوراة فإن الله يبارك إسماعيل

---

(1) أحمد يوسف: المرجع السابق.، – ص: ٢٤-٢٥

ويكثر من نسله حيث إن كل ولد من أولاده الاثنا عشر قد صار حاكماً لقبيلة ومن هنا بدأت العلاقات بين قبائل الإسماعيليين والهكسوس على أساس روابط القربى وصلات الرحم حيث فتح لهم الهكسوس مصر ليدخلوها حيث شاءوا وكانت قوافلهم التجارية تعرض بضائعها على الملك وعلى رجال المملكة وأشرافها وقومهم حيث يقوم بشرائها مما يجعل تلك القوافل تكسب مكاسب كبيرة فى مصر وتعود محملة بالبضائع والمنتجات المصرية[١] إلا أن هذه القوافل قد توقفت عن المجيء إلى مصر خاصة بعد أن تم طرد الهكسوس منها بينما بقيت قوافلهم التجارية مع بلاد الشام مستمرة حتى عهد محمد ﷺ ويُفهم من هذا بأن هاجر عليها السلام كانت من قبائل الهكسوس ويؤكد ذلك أنها لم تجد مشكلة خلال فترة إقامتها فى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء وإن كانت هاجر من المصريين الذين يعيشون فى وسط أراضي زراعية تجري بها أفرع النيل لم يكن باستطاعتها الحياة بالصحراء وسط البدو.

وقد قام عزيز مصر بشراء يوسف عليه السلام من إحدى هذه القوافل التجارية التي كان يسكن أفرادها فى شبه الجزيرة العربية والتي وجدته ملقى فى إحدى آبار الماء الواقعة على الطريق التجاري بين مصر وبلاد الشام.

وقد اهتم به وعامله معاملة حسنة وكان يعده بمثابة ابن له لما توسم فيه من الخير إلا أن امرأة العزيز التي هي فى منزلة أمه وبعض نسوة المدينة من الهكسوس قد طلبن من يوسف حين بلغ مبلغ الشباب أن يأتي بالفاحشة معهن إلا أنه رفض فكدن له وأدخلنه السجن[٢].

وهنا عرض عليه فتيان من الهكسوس – كانا يعملان فى البلاط الملكي وانهما

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث،.- ص: ٤٤٨-٤٥٠

(٢) المرجع السابق،.- ص: ٤٦٣-٤٧٦

بمحاولة التآمر على حياة الملك وأدخلا السجن معه – حلم رآه كل منهما فى نومه وقد فسر يوسف حلم كل منهما فأما أحدهما فيعود للعمل فى خدمة الملك وهو الساقي حيث سيثبت براءته أما الثاني فيعدم صلباً لتأكل الطير من رأسه وهو صاحب الطعام. وقد عرض يوسف على كل منهما الدخول فى دين الإسلام وعبادة الله وحده لا شريك ونبذ عبادة الأصنام[١].

كما رأى هذا الملك الذي دُبرت محاولة لاغتياله والتخلص منه حلماً فى نومه أيضاً عبارة عن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات وقد فسر يوسف بن يعقوب هذا الحلم للملك بعد أن عجز كبار مستشاريه عن ذلك حيث أوضح له بان مصر ستعيش سبع سنين قحط ومجاعة ليس فيها طعام ولذا سيتم ادخار بعض الطعام والزاد من السنوات السبع التي تتميز بخيرها الوفير للانتفاع به فى سنين القحط والجوع السبع التالية[٢].

وقد طلب هذا الملك من يوسف ـ بعد أن قام بإعادة التحقيق فى قضيته ومناقشة الاتهامات التي وجهت إليه وإثبات برائته من التهم المنسوبة إليه بعد اعتراف امرأة العزيز وبعض نسوة المدينة بعفته وبأنه ما هو إلا ملك كريم[٣] ـ أن يتولي خزائن الأرض بعد أن ألح له يوسف رغبته فى ذلك الذي أظهر قدرة فائقة فى مواجهه تلك الأزمة التي تعرض لها الناس ليس فى مصر ولكن أيضاً ما جاورها من الممالك والإمارات فضلاً عن البدو الرحل وأدار الأمور بقدرة واقتدار واستطاع أن يتجاوز بالناس هذه المحنة دون أن يتعرض أحد منهم لأي أذى. كما زوّجه هذا الملك بابنة رجل دين من

---

(١) المرجع السابق.. – ص: ٤٧٦-٤٨٠

(٢) المرجع السابق.. – ص: ٤٨١-٤٨٤

(٣) المرجع السابق.. – ص: ٤٨٥-٤٨٨

أسرته كان يعمل بمعبد فى مدينة عين شمس وقد هدف من وراء ذلك زيادة أواصر العلاقات الطيبة بين يوسف من جهة وقومه من الهكسوس من جهه أخرى، كما جعله الرجل الثاني من بعده فى المملكة فلا يتم شيء فيها إلا بإذنه وبمشورته، كما قدم له مركبة ملكية تجرها الجياد لينتفع بها فى تنقلاته فى أنحاء مصر[1].

وقد وافق هذا الملك على دخول إسرائيل وأولاده وأحفاده بعد توصية من يوسف له وبعد أن استقبلهم فى قصره وتعرف على يعقوب الذي باركه وبارك أهل بيته، طلب من يوسف أن يعين من إخوته من يراه صالحاً منهم ليكونوا رؤساء على ماشيته[2].

ويبدو أن يوسف وإخوته الأسباط قد قاموا بدعوة قبائل الهكسوس فضلاً عن القبائل التي كانت تأتي إلى مصر بغرض مقايضة بضائعها بالحبوب المصرية إلى دين الإسلام وقد استجاب لهذه الدعوة الملك وكثير من أفراد قومه فضلاً عن بعض القبائل البدوية التي وفدت إلى مصر من أجل التجارة.

كانت العلاقة بين الهكسوس وبنى إسرائيل علاقة طيبة للغاية ويرجع السبب فى ذلك إلى أن يوسف عليه السلام قد أنقذهم من هلاك محقق بسبب الجوع والقحط الذي حل بمصر لمدة سبع سنوات متصلة ورغم هذا لم يحسوا بالجوع والفاقة ويعتقد أن ذلك كان سببا جوهرياً فى عدم موافقة الهكسوس على خروج جثمانه من مصر كما خرج جثمان أبيه من قبل ويرى البعض أنهم تمسكوا به واعتبروا وجوده فى مصر حياً أو ميتاً سداً منيعاً وحاجزاً هائلاً بينهم وبين المجاعات التي تتعرض لها مصر بين الحين والآخر لانخفاض مستوى مياه النيل بحيث يكون من المتعذر رفعها إلى مستوى

---

(١) المرجع السابق.. – ص: ٤٩٠

(٢) I.M.Moderejws. Les Juifs d'Egypte de Ramses II A Hadrien. Paris .1911 P.12

الأرض الزراعية أو وصولها إلى الترع والقنوات المختلفة[1].

وإن كان يعتقد البعض الآخر أنه قد ساءت العلاقات بين الهكسوس وبنى إسرائيل فى أواخر أيام يوسف عليه السلام بعد أن بشّر قومه بخروجهم من مصر تحت قيادة موسى عليه السلام واستقرارهم بالأرض المقدسة فى فلسطين ويستدل على ذلك من أن مكان دفنه أو مقبرته لم يكن معروفاً بل كان سرّاً لا يعمله إلا القليل من بني إسرائيل وإن كان الرأي الأول صحيحاً لكان قبر يوسف مزاراً يزوره الناس فى مواسم الفيضان استجلاباً لبركته ولكن الأحاديث الشريفة قد أكدت أنه لم يعرف قبر يوسف إلا امرأة عجوز كان لها شروط للكشف عن مكان قبره مما يدل على أنها الشخص الوحيد الذي لديه العلم بمكان هذا القبر أو ربما يكون هناك آخرون ولكن الوقت أمام موسى لم يكن يسمح له بالبحث عنهم[2].

ولكن من المؤكد أن هذه العلاقة بدأت تسوء بصورة واضحة فى عهد الملك الذي تولى حكم مصر قبل ولادة موسى عليه السلام حيث إنه قد رأى فى نومه كأن ناراً تخرج من بيت المقدس وتحرق قصره ومساكن قومه وتبقي على مساكن بني إسرائيل فلما استدعى العرافين لتفسير حلمه أخبروه بأنه سيولد فى بني إسرائيل طفل يكون هلاكه على يديه وزوال ملكه ويخرج من مصر مصطحباً قومه إلى الأرض المقدسة فى فلسطين ومن هنا بدأ الاضطهاد والتعذيب والسخرة، حيث قام بذبح كل طفل يولد فى بني إسرائيل وإجهاض النساء الحوامل بل وتعذيبهن أشد العذاب[3] ثم بعد أن تأكد بأن الطفل المنتظر قد هلك بدأ فى تسخير بني إسرائيل فى بيوت قومه

---

(1) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق.- ص: ٦٩

(2) المرجع السابق.- ص:١٦٨، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث.- ص: ٣٢-٣٣

(3) أحمد شلبي: اليهودية.- ص: ٥٧-٦١؛ عبد الجليل شلبي: اليهود واليهودية.- ص: ٢٠

وتكليفهم بالأعمال الشاقة خاصة فى بناء المدن وغيرها بدون إعطائهم أجراً

وكان بنو إسرائيل لا يأخذون حقوقهم التي كفلها القانون فى حالة حدوث نزاع بينهم وبين الهكسوس، حيث كان القضاة لا يأبهون بالحكم لصالح مجموعة العبيد ضد أسيادهم من الهكسوس باستثناء حالات قليلة كانت المصلحة الشخصية وراء تنفيذ العدل والقانون بطريق صحيح مثل الحكم فى قضية يوسف الذي إيداعه فى السجن ظلماً وعدواناً فى جريمة هو برىء منها وهكذا كان الحال مع موسى عليه السلام فرغم أنه لم يكن متعمداً قتل الرجل الهكسوسي إلا أن رجال القانون فى إدارة فرعون قد أصدروا حكماً بإهدار دم موسى دون الاستماع إلى دفاعه ولذا كان هروبه إلى مدين هو الطريق الوحيد أمامه للنجاة من حكم ظالم مخالف للشرع[4].

وحينما عاد موسى إلى مصر عرض على فرعون خروج بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة فى فلسطين موضحاً له أن هذا هو أمر رب العالمين وأكد وجود هذا الرب بآيتين هما العصا واليد واعتبرهما فرعون وقومه سحراً وليس إعجازاً إلهياً فرفض خروج بني إسرائيل من جهة واقترح من جهة أخرى منافسة فى السحر بين موسى وما سيجمعه له من سحرة من كافة المدائن وقال إنه سيتبع المنتصر وحينما انتصر موسى وآمن السحرة برب موسى وخروا له سجدا قتلهم صلباً فى جذوع النخل وكانت هذه الهزيمة النكراء أمام قومه من الشعب وكبار رجال مملكته ولا شك أنهم وإن لم يؤمنوا بموسى فقد أصبح لديهم فكرة عن قوة رب موسى ورغم هذا لم يسمح فرعون بخروج بني إسرائيل فابتلاهم الله ﷻ بتسع آيات شديدة مست أبدانهم وكافة أوجه حياتهم ومنها الدم والجراد والضفادع والقمل والطوفان وغيرها إلا

---

(٤) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،- ص: ١٥٠

(٥) المرجع السابق،- ص: ٤٨٥-٤٨٨

فرعون وقومه استمروا فى إصرارهم على عدم السماح لهم بالخروج ويبدو أنه لم يكن هناك أمر سابق أو محاولة سابقة لخروج بني إسرائيل من مصر وأن الأمر لم يأت إلا فى عهد موسى باعتبار أن الأوضاع السياسية خارج مصر وخاصة فى فلسطين فى ذلك الوقت كانت مواتية للتنفيذ[1].

ولذا فقد أمر الله موسى أن يهاجر بقومه ليلاً فى اتجاه الحدود الشرقية لمصر، وبمجرد علم فرعون بخبر اتجاههم شرقاً خرج وراءهم بنخبة من جيشه محاولاً إعادتهم ولكنه وجدهم فى وسط بحر لجي عميق والماء متجمداً فى شكل جبلين عظيمين عن يمينهم ويسارهم فانطلق نحوهم ومن خلفه جنوده إلا أن بني إسرائيل قد تمكنوا من عبور هذا البحر قبل أن يلحق بهم فرعون وجنده ولذا فقد انطبق البحر عليهم فأغرقهم أجمعين وكانوا طعاماً لكائناته المتوحشة التي يعج بها هذا البحر وخاصة أسماك القرش وغيرها من آكلات اللحوم ولم ينج إلا جثمان فرعون الذي أخرجه وقذفه الموج من داخله إلى الشاطئ ليكون لمن خلفه من حكام الهكسوس أو من غيرهم من الحكام موعظة وعبرة[2].

اضطهادهم لبني إسرائيل وغيرهم

ذكر المؤرخون المسلمون القدماء أن أول من بدأ فى اضطهاد بني إسرائيل هو فرعون وقد اختلف هؤلاء المؤرخون وغيرهم فى تحديد الأسباب التي دفعت فرعون وقومه إلى اضطهاد بني إسرائيل أثناء إقامتهم فى مصر ومنها:

١- الحلم الذي رآه فرعون فى منامه الذي يتضمن كأن ناراً خرجت من بيت المقدس واتجهت إلى مصر فحرقت بيوت القبط وتركت بيوت بني إسرائيل والذي

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق.. ص: ١٥٥-١٥٦

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق: الجزء الرابع.. ص: ٩٥٨ – ٩٧٣

فسره له الكهنة بان طفلاً من بني إسرائيل سيولد في عهده ويكون هلاكه وزوال ملكه على يديه.

٢- نبوءة إبراهيم عليه السلام التي أخبر بها الملك الجبار في مصر الذي تعرض لامرأته سارة والتي مفادها بأن زوال ملك أسرته سيكون علي يد أحد من ذريته ولكن هذا لن يكون إلا بعد أربعة قرون كاملة يزداد فيها سلطانهم وتكثر أملاكهم وتتوافر لهم كافة أسباب الحياة المرفهة.

٣- بشارة يوسف عليه السلام والذي أكد فيها خروج قومه من مصر إلى الأرض المقدسة في فلسطين على يد نبي يبعثه الله من بعده وأوصى الخارجين بحمل جثمانه معهم، ويبدو أن جثمان يوسف قد تم اخفاؤه عن عمد إذ يعد من رموز الخروج وحتى يتم هذا الخروج في يسر وسهولة.

٤- زيادة أعداد ونفوذ بني إسرائيل على حساب المصريين.

٥- إثارة أعمال الشغب والثورة والإضراب ورفضهم كافة أنواع السخرة.

٦- تخوف المصريين من انضمامهم لأعداء مصر.

٧- استهتار بني إسرائيل بالآلهة المصرية وتكسير صورها وذبح بعضها.

٨- سقوط التاج الذي وضعه فرعون على رأس موسى باعتباره ابناً له بالتبني وكان يعدّه ليكون حاكماً على مصر من بعده.

٩- جذب موسى لبعض شعر من لحية فرعون أثناء وضعه على حجره حينما كان طفلاً.

وتأسيساً على ذلك فقد شرع فرعون باتخاذ الخطوات الآتية:

١- دعا الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه، فقالوا يولد في

بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه.

٢- أمر بقتل كل غلام يولد فى بني إسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ولا جارية إلا تركتموها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك.

٣- كان يأمر بالقصب (الغاب) فيشق ثم يجعل أمثال الشفار كالسكاكين والمدى ثم يصف بعضه إلى بعض ثم يأتي بالنسوة الحوامل من بني إسرائيل ويتم إجبارهن للوقوف عليه فيجرح أقدامهن حتى إن المرأة منهن لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها[١].

٤- أمر فرعون بذبح ولدان بني إسرائيل سنة وتركهم سنة وذلك بعد أن دخل إليه رؤوس القبط وقالوا له إن الموت قد وقع فى مشايخ بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتقتل كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا[٢].

٥- قد امتد الاضطهاد على يد بعض قوم فرعون حيث قاموا بتسخيرهم فى بيوتهم وقصورهم.

٦- قام فرعون بتسخير بني إسرائيل فى إقامة المدن الجديدة.

٧- أمر بقتل المؤمنين وأولادهم.

٨- أمر باستحياء نساء بني إسرائيل.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث،ص: ١٤٨-١٤٩

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، ص:١٤٨

ومن الآثار التي ترتبت على الاضطهاد[1].

أ- استبقاء الإناث لا رحمة بهن ولكن لاستحيائهن بعد إن تكتمل أنوثتهن بغرض إذلال أهليهن وجلب العار لهم فضلا عن حرمانهن من حقهن الشرعي فى الزواج بقتل ذكور قومهن فلا يجدن من يتقدم إليهن فتصير حياتهن جحيما لا يطاق مما يدفعهن إلى اللجوء لفراش المصريين، هذا فضلا عن تسخير العديد منهن في الخدمة المنزلية لدي المصريين.

ب- كان قتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل فجيعة كبرى على نفسية الآباء والأمهات فقد تكبدت هؤلاء الأمهات عناء الحمل والرضاعة بينما قاسي الآباء ليوفروا لهم الطعام والشراب والكساء والدواء ونفقات التعليم، كما أنهم كانوا يرغبون الانتفاع بهم فضلا عن بقاء نسلهم.

ج- فساد مصالح النساء إذ لا حيلة لهن بدون الرجال.

د- فناء الذكور مما يؤدي فى النهاية إلى اندثار ذرية إسرائيل.

هـ- ابتعاد بنى إسرائيل عن موسى ودعوته خوفا من استحياء نسائهم وقتل أولادهم.

و- عبادة فرعون وآلهته حتى يضمنوا عدم تعرض فرعون وجنوده لهم.

وقد توقف فرعون عن اضطهاد بني إسرائيل بعد أن اعتقد أن الطفل الذي سيكون هلاكه وزوال ملكه على يديه قد هلك مع الهالكين وأن الطفل الذي عثر عليه فى النهر ليس هو الطفل المقصود، كما توقف مرة أخرى عن اضطهاد بني إسرائيل بعد أن حقق موسى انتصاراً كبيراً على سحرته والذي أدى إلى إيمانهم بالله ...

(1) محمد سيد طنطاوي: بنو اسرائيل فى القرآن والسنة. بغداد: ١٩٦٨. - ص ٤٥٣-٤٥٦

فضلاً عن إيمان عدد من قوم فرعون وقد آثر التريث حتى لا تنقلب الموازين في مملكته، كما يعتقد أنه قد استرهب موسى فخاف على نفسه وعلى ملكه[1] إلا أن قومه لم يرضوا بهذا الوضع وطلبوا منه إعادة اضطهادهم وتعذيبهم حيث قالوا له ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[2] (سورة الأعراف:١٢٧).

ثانياً: علاقة الهكسوس بالمصريين القدماء

كانت العلاقة بين الهكسوس والمصريين القدماء سيئة للغاية فحينما دخلوا إلى مصر ارتكبوا المذابح واعتدوا على حرمات النساء وقادوهن وأطفالهن سبايا لهم وقد تمثلت أعمالهم الوحشية لتخويف المصريين وترويعهم في:

١- قتل الرجال وسبي الأطفال والنساء.

٢- إحراق الأراضي الزراعية.

٣- هدم مساكن المصريين.

٤- تدمير المعابد وإهانة الآلهة وكهنتها.

٥- الاستيلاء على كافه ممتلكاتهم.

وبعد أن وجد حكام الأسرة الرابعة عشرة المقيمون بوسط الدلتا تحقيق الغزاة الهكسوس انتصارا كبيراً على البلاد، قبلوا وجودهم في مصر وأطلقوا عليهم أسماء وألقاباً مصرية تجنباً لشرهم أو خوفا من قيامهم بالقضاء على مُلكهم والاستيلاء

(١) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، الجزء الأول،،- ص: ٤٣-٤٥؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع،- ص: ٨٦٧

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف: ١٢٧

... استمروا فى اضطهاد المصريين أجيالاً عديدة على ممتلكاتهم[1] إلا أن الهكسوس استمروا فى اضطهاد المصريين أجيالاً عديدة كما اضطهدوا بني إسرائيل وان كانت الأسباب مختلفة ومن أمثلة ذلك:

١- تسخير العمال والفلاحين فى تنفيذ خططهم ومشاريعهم والاستيلاء على المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية لهؤلاء العمال والفلاحين دون انتفاعهم بأي شيء منها مما جعلهم لا يجدون قوتهم اليومي ووصلوا إلى حالة شديدة من الجوع والفقر.

٢- تنصيب حكام مصريين موالين لهم على بعض المقاطعات المصرية بعد أن اشتروا ضمائرهم فأغدقوا عليهم النعم والخيرات التي تفوق أحلامهم ولذا كانوا أحرص الناس على بقاء الهكسوس أولياء نعمتهم. فكانوا يذلون شعبهم ويسلبون خيراتهم وأرزاقهم ويقدمونها طواعية أو مجبرين إلى حكام الهكسوس وكان حالهم كحال قارون الذي كان من قوم موسى.

٣- القضاء على الثورات وكافة مظاهر الكفاح المسلح واستباحه دماء الثوار وقتلهم وذلك لسنوات عديدة بفضل نظامهم العسكري المحكم الأمر الذي كان من شأنه إحكام قبضتهم على المصريين وقد تمكنوا من قتل رموز أو قادة الكفاح والثورة ومنهم سقنن رع وكامس والعديد من جنودهم ولم يتمكن المصريون من طردهم إلا بعد أن غرق فرعون وآله وجنوده فى البحر وقد كان هذا بداية النهاية لوجود الهكسوس فى مصر حيث تم طردهم على يد الأمير أحمس الأول[2].

٤- اتباع سياسة الإذلال الاقتصادي بمعنى سلب المنتجات الزراعية والمنتجات

---

(١) سليم حسن: موجز موسوعة مصر القديمة، الجزء الأول.- ص: ٢٢٢؛ رمضان السيد: تاريخ مصر القديم، الجزء الثاني. – ص: ١٤– ١٥، ١٨.
(٢) عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول، ص: ٢٤٢-٢٤٥
(٣) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق.، ص: ١٩٧-١٩٨

الصناعية للمصريين تحت غطاء الجزية أو الضرائب وتحويل ملكية الأراضي الزراعية الخصبة من المصريين إلى الهكسوس بحيث يكون المصريون مجرد أجراء وعمال بها وكان نتيجة ذلك ازدياد الهكسوس ثراءً وغنى وكما تكدست بمخازنهم كافة أنواع الطعام والشراب والأموال بينما أصبح المصريون يعانون من الفقر والجوع وانتشرت الأمراض بينهم مما جعلهم فى النهاية غير قادرين علي الثورة فى وجه هذا المحتل البغيض خاصة أنهم لا يجدون قوتهم اليومي(١).

٥- انتهج الهكسوس مع المصريين القدماء وغيرهم من أهل مصر سياسة فرق تسد وخاصة أنه قد تسلط عليهم ثلاثة من الجبارين فى الأرض وهم فرعون وهامان وقارون وقد أوقعوا الفتنة والدسيسة بين المصريين وزجوا بكثير منهم داخل السجون التي أقاموها كما أجروا العداوة والبغضاء بين الحكام المصريين من جهة وبين طوائف المصريين على اختلافها من جهة أخرى فى مختلف مقاطعات مصر(٢).

٦- أقام الهكسوس عدداً من الحاميات فى كافه أنحاء مصر وجهزوها بعدد من الجنود المدربين تدريباً عالياً على حمل السلاح واستخدامه وكيفية قمع الثورات والقضاء على المظاهر المسلحة فى المواقع التي تشرف عليها حاميتهم كما كانوا يتدخلون فى حالة رفض دفع الجزى أو الضرائب أو التأخير فى سدادها بمعني أنها كانت سيفا مسلطا على رقاب المصريين القدماء(٣).

سواء أكان حكام الهكسوس قد لجئوا إلى سياسة ماكرة وتتصف بالدهاء

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني.– ص: ٤٥٩–٤٦٠

(٢) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر، الجزء الأول،.– ص: ٣٧٣؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع،.– ص:٨٠٢

(٣) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء الرابع،. – ص: ٨٣–٨٥

السياسي والتي تمثلت فى اتخاذهم أسماء المصريين القدماء وألقاب حكامهم الذين سبقوهم على عرش مصر فضلاً عن عبادتهم لبعض الآلهة المصرية أو أن المصريين القدماء هم الذين أطلقوا عليهم أسماء مصرية وأعطوهم ألقاب ملوكهم السابقين عسى أن يغيروا من سياستهم تجاههم فإن غالبية المصريين قد رفضوا تعزيز هذه العلاقات مع الهكسوس أو تقويتها لأسباب منها[1]:

١- أنهم قوم لا يؤمن جانبهم فقد تمرسوا على الخداع وعدم الوفاء بالمواثيق والعهود ولا يتحلون بأي خلق قويم إذ انتشر فيهم القتل والزنا.

٢- أنهم قوم لا يسعون إلا وراء مصلحتهم فقط ولا مكان لديهم لاعتبارات أخرى كما أنهم قد لجؤوا إلى المهادنة رغبة منهم فى تكريس وجودهم فى مصر.

٣- أنهم نهبوا خيرات البلاد واستأثروا بها دونهم مما جعلهم يعيشون فى جوع وفقر مستمر.

٤- أنهم انقلبوا على اقرب المقربين إليهم وأصحاب الأفضال عليهم من بني إسرائيل

٥- أنهم شاهدوا عن كثب ما فعلوه من اضطهاد وتعذيب بأحد الأقوام التي سمحوا لها بدخول مصر لتعيش فى كنفهم والذي كان يوسف عليه السلام منهم والذي يعده الهكسوس المنقذ لهم من الهلاك والموت وكان سبباً فى بقائهم فى مصر.

١- عرف المصريون عن الهكسوس:

أ- الخيل والمركبات وكيفية استخدام كل منهما.

---

(١) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني،... ص: ٢١؛ محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني،... ص: ٤٦٨-٤٦٩.

...A.S.London.1918.P.40-45

ب- كيفية صناعة الأسلحة البرونزية وخاصة السيوف والخناجر ونصال السهام والحراب.

ج- الاهتمام بالحصون وزيادة كفاءتها العسكرية.

٢- عجز الهكسوس عن تغيير:

أ- المفاهيم اللغوية للمصريين القدماء.

ب- الأوضاع الفنية والتقاليد الأدبية للمصريين القدماء.

ج- المعتقدات الدينية لدي المصريين القدماء.

٣- تأثر الهكسوس ببعض عادات وتقاليد المصريين القدماء ومنها:

أ- الاهتمام بالنظافة الشخصية.

ب- الاهتمام بنظافة المساكن والشوارع.

ج- تجهيز مساكنهم بالحمامات والمراحيض.

د- تجهيز مساكنهم بالحدائق ذات الأشجار المثمرة والجالبة للظل فضلاً عن أحواض المياه العذبة أو البحيرات الصناعية التي تستخدم للاستحمام أو السباحة أو النزهة بالقوارب.

هـ- تجهيز مساكنهم بأرقى أنواع الأثاث كالأسرة والكراسي والصناديق والخزانات والمناضد وغيرها.

٤- اتخذ حكامهم بعض أسماء وألقاب حكام مصر السابقين فضلاً عن التحلي ببعض عاداتهم كحلق اللحية وغيرها.

٥- استخدامهم الكتابة المصرية القديمة فى مراسلاتهم مع الإمارات والممالك الأجنبية.

٦- عباده بعض الآلهة المصرية ومنها الإله (ست) بغرض كسب ود المصريين.

ثالثا: علاقات الهكسوس ببلاد النوبة

ارتبط كل من الهكسوس وأمـراء كوش بعلاقات ود وصداقة حتى إن الـ[illegible]
الهكسوسي كان يعتبر أمير كوش بمثابة ابن له ويعتب عليه لأنه حينما تولى العرش [illegible]
كوش لم يخبره بهذا النبأ وكانوا يتبادلون الرسائل فيما بينهم، ويعتقد أن أمراء طيبة
كان لديهم علم بهذه العلاقة ولذا فقد أخذوا حذرهم حيث أقاموا حامية عسكرية
لهم بالواحات البحرية وقد تمكن أفرادها من القبض على أحد الرسل الذي أرسله
ملك الهكسوس إلى أمير كوش والذي كان يحمل رسالة تحث النوبيين على مهاجمة
طيبة أثناء مهاجمة أميرها كامس وجيشه لمقر وعاصمة الهكسوس فى أواريس [illegible]
شرق الدلتا [1].

وقد وعدوهم باقتسام أملاك وثروات البيت المالك فى طيبة فيما بينهما [illegible]
حالة تحقيق انتصار شامل عليه.

ولم يعثر على أية نصوص أو آثار منقولة أو غيرها تفصح عن نوع العلاقة التي
كانت تربط كل من الهكسوس وأمراء النوبة ويبدو أنه كان هناك نوع من العلاقات
التجارية بينهما وأن حكام الهكسوس قد سعوا من جانبهم إلى أقامة تحالف عسكري
معهم وخاصة بعد أن استشعروا القوة العسكرية للبيت الحاكم فى طيبة.

وقد عثر على آثار لحكام الهكسوس فى مقابر بلاد النوبة السفلى مما يؤكد [illegible]
العلاقة [2].

(١) رمضان السيد: المرجع السابق... ص: ٢٨

(٢) المرجع السابق... [illegible]

رابعا: علاقات الهكسوس وقبائل البدو الرحل وبعض الممالك والإمارات

يفهم مما ورد بالأحاديث النبوية الشريفة أن العلاقة بين إبراهيم عليه السلام وامرأته سارة من جهة والملك الجبار الحاكم فى مصر من جهة أخرى الذي يعتقد أنه من الهكسوس كانت غير طيبة ويرجع السبب فيها إلى عادة القوم فى إتيان الفاحشة بالنساء الأجنبيات اللاتى يفدن إلى أرضهم سواء بصحبة أزواجهن أو أسرهن أو بمفردهن وكان يتصارعون فيما بينهم أيهم يستأثر بهن دون غيره[1].

ولكن بعد ذلك تحولت العلاقة بينهما إلى علاقة طيبة حيث قام هذا الملك بإهداء إبراهيم وزوجته سارة بقراً وغنماً وحميراً وجمالاً وعبيداً وإماء وأرسل معهما من الجند ما يؤمن طريقهما إلى أرض كنعان.

وربما يرجع السبب فى تحسن هذه العلاقة إلى[2]:

١- أن هذا الملك فيما يبدو قد استعاد رشده وعقله وعرف أن ما كان عليه يعد ضلالاً مبيناً ولكن من نص الحديث الشريف يفهم أنه ظل على كفره وفجره حيث قالت سارة لزوجها إبراهيم «كفَّ الله يد الفاجر وأخدم خادماً»[3].

٢- أن الابتلاءات الإلهية التي أصابته وأهل بيته كانت فيما يعتقد وراء ذلك حيث ورد

---

(١) أحمد يوسف: المرجع السابق،.- ص: ٢٤-٣٠

(٢) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني،.- ص: ٢١؛ محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني،.- ص: ٤٦٨-٤٦٩.
JFA. 5 London. 1918. P. 40-45

(٣) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني،.- ص: ٢١؛ محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني،.- ص: ٤٦٨-٤٦٩.
JFA. 5 London. 1918. P. 40-45

في التوراة «فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة إبراهيم»[1] (تكوين ١٢/١٢ – ٢٠) بينما ورد في الحديث الشريف أنه حينما دخلت سارة على الملك الجبار»... لم يتمالك أن بسط يده إليها فقُبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولين فقال ادعي الله أن يطلق يدي فلك عهد الله ألا أضرك فأطلقت يده...

٣- بما أن هذا الملك يجهل إبراهيم ولا يعرف عنه شيئاً فلما علم ... آثر النجاة بنفسه وبملكه حيث علم أن لهما رباً قوياً يحميهما ولا سلطان ولا قوة لإحداث ضرر لهما وعلى ذلك قدم لهما الهدايا اعترافاً منه بحسن العلاقات ... وأنه وقومه لا يريدون ضرراً لأي منهما.

إذا كان إبراهيم يعلم أن هذا الجبار كافر لا يؤمن بالله فلماذا قبل منه الهدايا؟

نرد على ذلك بما روي عن الرجل المسن الذي نزل على إبراهيم ضيفاً ... إبراهيم أن يقدم له الطعام لأنه لم يذكر اسم الله على الطعام ورفض ذلك ... أخرج صنمه ليشكره ويحمده فطرده إبراهيم فأمره الله ﷻ أن يبحث عنه ... له الطعام لأنه تعالى احتمله مائة عام وخيره نازل عليه ويعبد غيره ولم يؤذه ... شيء بينما إبراهيم لم يحتمله ساعة واحدة[2].

فإذا رفض إبراهيم الهدايا لحلّ العداء والبغضاء بينهما ولكن قبول إبراهيم ... قد جعل فيها خيراً كثيراً فمن بين الهدايا هاجر التي تزوج بها وكان منها ... إسماعيل والذي منهم أمة محمد أحب الأمم إلى الله. ثم كان ذلك سبباً في ... علاقات تجارية بين الهكسوس وبين ذرية إسماعيل عليه السلام[3].

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين:١٢/١٢ – ٢٠

(٢) أحمد يوسف: المرجع السابق،- ص: ٢٦-٢٧

(٣) نديم السيار: المرجع السابق- ص: ٦٥-٧٣

يبدو أن السبب الرئيسي وراء قيام علاقات تجارية بين الإسماعيليين والهكسوس هو القرابة التي نشأت عن زواج إبراهيم عليه السلام من هاجر التي تنتمي إلى قبائل الهكسوس فضلاً عن زواج إسماعيل عليه السلام أيضاً من قبيلة أمه هاجر بعد أن أمره والده إبراهيم بتغيير عتبة بابه بمعني فراق زوجته الجرهمية التي تنتمي إلى قبائل جرهم التي سكنت مع أمه هاجر بجوار بئر زمزم ويؤكد كتاب التوراة أن القوافل التجارية للإسماعليين كانت تتوجه إلى مصر قبل ميلاد يوسف عليه السلام بسنوات عديدة وانهم عثروا علي يوسف بعد أن قام إخوته بإلقائه فى غيابت الجب ثم أسرُّوه بضاعة وهم الذين باعوه لعزيز مصر الهكسوسي بثمن بخس دراهم معدودات وكانوا فيه من الزاهدين. ومما يؤكد أن الإسماعيليين كانوا يتاجرون مع الهكسوس لعلاقة القرابة والنسب باعتبارهم أخوال أبيهم ثم أخوالهم حيث إن جدتهم وأمهم امرأتان من الهكسوس أن هذه العلاقات التجارية قد انقطعت بعد طرد المصريين القدماء للهكسوس من مصر بينما استمرت قوافلهم التجارية إلى بلاد الشام حتى عهد محمد ﷺ وربما بعده[1].

زوّج أحد ملوكهم يوسف عليه السلام من ابنة كاهن عين شمس وهو ليس من المصريين القدماء بل من قوم الملك الذي استقر رأي المؤرخين على أنه من الهكسوس. وذلك للأسباب الآتية[2]:

١- أن معنى تزويج الملك من ابنة كاهن عين شمس ليوسف هو تقوية الروابط مع يوسف وضمان ولائه له ولقومه وعدم الانقلاب عليه. فهل هذا يحدث إن كان هذا الكاهن من المصريين القدماء بالطبع الإجابة بالنفي.

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني،- ص: ٤٨٥-٤٨٦

(٢) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني، - ص: ٥٠٢-٥٠٤

٢- ما الذي يدفع ملك أجنبي يحكم مصر أن يزوج يوسف الرجل الثاني في البلاد من بعده من ابنة كاهن مصري قديم؟ ألا يخشى أن تكون هذه العلاقة للإطاحة به وبملكه باعتبار أن زوجته وأبيها وأمها وأولاد يوسف الذين يجري في عروقهم دم مصري سيؤثرون علي يوسف وعلى ولائه السياسي باعتبار أن المصريين يتوقون للتخلص من الاحتلال الهكسوسي البغيض إلى نفوسهم.

٣- كيف ليوسف عليه السلام أن يتزوج من ابنة رجل دين لا يؤمن بالله ﷻ وبل يدعو إلى عبادة الإله الذي يخدمه.

أرسل الملك فى عهد يوسف مركبات لحمل يعقوب وذريته من أرض كنعان إلى مصر ثم استقبله فى قصره ورحب به وبأولاده وأعطاهم الأمن والأمان وأبدى رغبته فى قيام يعقوب وأولاده بخدمة مملكته؟

وقد سمح هذا الملك لإخوة يوسف بمزاولة مهنة الرعي فى مصر بأرض جاسان فقد طلب الملك من يوسف أن يجعل من يصلح من إخوته ليكونوا رؤساء علي ماشيته حيث سبق وأن قال له يوسف عن إخوته «الرجال رعاة غنم فإنهم كانوا أهل مواشٍ وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لديهم...» [1] (سفر التكوين: ٤٦/٣١-٣٢).

يذكر المؤرخون العرب القدماء أن إبراهيم عليه السلام قد تنبأ بسقوط الأسرة الحاكمة الذي ينتمي إليها الملك الجبار الذي حاول الاعتداء على زوجته سارة والتي كانت تحكم مصر خلال ذلك العصر، وذلك على يد أحد من ذريته الذين سيسخرهم لخدمة هذه الأسرة لمدة أربعة قرون تقريباً وكان إبراهيم عليه السلام فى هذا الموقف يختلف كثيراً عن موقف الساحر جدي الذي تنبأ بسقوط أسرة الملك خوفو ثم بشره بأن ذلك لن يكون فى عهده ولكن سيحكم من بعده ابنه ثم ابن ابنه، وقد تناقل ...

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين: ٤٦/ ٣١- ٣٢

من بني إسرائيل وأقوام الهكسوس هذه النبوءة خلال أجيالهم المتعاقبة فى مصر وقد اعتقد الهكسوس أنه يوسف ولكن حينما هلك قالوا إن الله لن يبعث من بعده رسولاً حتى لا تتحقق نبوءة إبراهيم عليه السلام وحتى يضمنوا بقاء سلطانهم.

ومن خلال هذه النبوءة يمكن أن نستنتج أن بني إسرائيل قد دخلوا مصر وخرجوا منها فى فترة احتلال الهكسوس وذلك لعده اعتبارات منها:

أ - إذا كان إبراهيم عليه السلام قد دخل مصر خلال عصر الدولة الوسطي، فإن حكم هذه الدولة قد سقط على أيدي قبائل البدو الرحل الرعاة التي أطلق عليها المصريون (الحقاخاسوت) والذي حُرِّف إلى الهكسوس فيما بعد، ولكن هذه القبائل ليست من سلالة إبراهيم وان كانت على أكثر الاحتمالات من نفس نوع جنسه وتتكلم لغته فقد أطلقوا على بعض ذريتهم أسماء تتشابه مع أسماء ذريته مثل إسحاق ويعقوب ويوسف وغيرها ولكن هذا لا يعني أنهم من ذريته فإن هذه الأسماء ليست حكراً على ذرية إبراهيم دون غيرهم من الناس بل إنها كانت أسماء شائعة بين الأفراد فى ممالك وإمارات بلاد الشام وبلاد الرافدين، وتزاول نفس حرفهم، وقد أكدت النصوص المصرية ذلك وخاصة نصوص القادة العسكريين ومنهم كل من أحمس بن أبانا وأحمس بن نخبت ولوحتى كل من الأمير كامس وأحمس وغيرها.

ب- لم تسقط أية أسرات حاكمه مصرية وطنية على أيدي سلالة إبراهيم سواء قبل الدولة الحديثة أو خلالها، فإذا كان فرعون ينتمي إلى الأسرة الثامنة عشرة، فإن هذه الأسرة لم تسقط بوفاة أحد ملوكها وآله وجنده فى بحر عظيم وإنما استمرت تحكم حتى عهد الملك توت عنخ آمون الذي وافته المنية نتيجة لحادث أو مرض إلم به وانتقل العرش إلى أسرة أخرى لعدم وجود وريث لهذا الملك أما ملوك كل من الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين فلم تشر الوثائق المصرية القديمة سواء

أكانت نصوصاً أو مناظر إلى غرق أحد ملوكهما وآله وجنده فى البحر ولكن كا
بسبب تردي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وضعف السلطة الحاكمة.

ج- لم يبقَ سوى فترة الاحتلال الأجنبي لمصر على أيدي البدو الرعاة الهكسو
الذين لم يسجلوا أحداث تاريخهم حيث لم يعثر على أية نصوص لهم تتناول أسما
حكامهم وأهم الأحداث التي وقعت فى زمانهم باستثناء بعض النصوص القليلة الت
لم يدونوها بلغتهم ولكن باللغة المصرية القديمة والتي عثر على أغلبها خارج الحد
المصرية، وإنما أكثر النصوص التي تتناول ذكرهم قد سجلت على أيدي القا
العسكريين وأيضاً كتَّاب أمراء الأسرة السابعة عشرة المصرية التى كانت تحكم م
طيبة فضلا عن كتاب ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

ورغم عدم إشارة هذه النصوص إلى دخول بني إسرائيل إلى مصر ثم حياته
فيها ثم خروجهم منها بعد تردي العلاقات بين الطرفين، إلا أننا يمكن أن نستنـ
أن سقوط أسرة فرعون يرجع إلى غرقها أثناء عبورها البحر وراء موسى وقومه بغ
منعهم من الهروب خارج مصر وإحكام القبضة عليهم.

يعتقد البعض أن بلاد الشام خاصة الأرض المقدسة بفلسطين كانت خاضـ
للهكسوس وكان يقيم بها بعض قبائلهم فضلاً عن بعض قواتهم العسكرية وهـ
الأرض قد ورثوها عن المصريين القدماء التي كانت خاضعة لسيادتهم خلال عصـ
الدولة القديمة وكذلك عصر الدولة الوسطى ومما يؤكد ذلك:

١- أن موسى حينما طلب من فرعون مراراً وتكراراً أن يسمح له بخروج
إسرائيل من مصر ليسكنوا بالأرض المقدسة بفلسطين رفض رفضاً قاطعاً لأن معـ
ذلك أنه سيفقد خيرات هذه الأرض التي ترد إلى قصره كما أنه من المحتمـ

يتحالف بنو إسرائيل مع قبائل أخرى لتخرجهم من مصر وأنه إذ لم تكن هذه الأرض خاضعة له أو لا تشكل أهمية اقتصادية وأمنية له فربما وافق على خروجهم تجنباً للابتلاءات الشديدة التي أصيب وقومه بها نتيجة لرفضه[1].

٢- أن القرآن الكريم يؤكد أن الأرض المقدسة فى فلسطين كانت خاضعة لفرعون وقومه وكان يسكنها بعضا من قبائلهم وقد تم الإشارة إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[2] (الشعراء: ٥٧ - ٥٩).

وبما أن مصر لم يرثها بنو إسرائيل ولم يفرضوا سلطانهم عليها يوماً من الأيام ويؤكد ذلك أن جميع النصوص المصرية التي تناولت الحديث عن تلك الفترة والتي لا تحمل فى طياتها أية تضارب أو اختلاف والتي نقل منها المؤرخ المصري مانيتون والذي اقتبس منه المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي تتحكم فيه توجهات عرقية ودينية علي عكس مانيتون الذي لم يكن له أية مصلحة فى تزييف تاريخ قومه قد أشارت إلى أن من احتلوا مصر وتم طردهم علي يد أحمس الأول هم قبائل البدو الهكسوس الذين دخلوا البلاد من حدودها الشرقية وليسوا اليهود حسب ما يزعم هذا المؤرخ اليهودي، كما لم تشر النصوص المصرية إلى خروج أية أقوام آخرين من مصر خلال عصر الدولتين القديمة والوسطى[3].

٣- العثور علي كثير من آثار الهكسوس وخاصة الجمارين فى تلك البلاد.

٤- العثور على العديد من بقايا الحصون التي شيدها الهكسوس فى تلك البلاد.

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص: ٤٥٥، ٤٦٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٥٣-٥٩

(٣) س. نايوفتس: مصر أصل الشجرة، الجزء الثاني: تعريب/أحمد محمود، القاهرة ٢٠٠٦، - ص:

٥- حينما طردوا من مصر على يد أحمس الأول وجدوا تعاوناً من أعوانهم في فلسطين حيث أنزلوهم فى حصن شاروحين وجهزوهم بكافه المعونات التي مكنتهم من الصمود ثلاث سنوات متصلة أمام حصار أحمس الأول وجيشه.

٦- أكدت النصوص القديمة توافد سفن تجارية من ممالك وإمارات بلاد الشام محمله بالجزى والضرائب إلى مقر الهكسوس.

أما البعض الآخر فيعارض أن يكون للهكسوس أي نوع من السيطرة أو الهيمنة علي بلاد الشام سواء اسمية أو فعلية ويعتمدون فى ذلك على الآتي:

أ- أن الهكسوس لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم على كافة أنحاء مصر وانحصر ملكهم فى شرق الدلتا.

ب- أنهم فشلوا فى إسقاط حكام طيبة سواء بالغدر والخديعة أو بتأليب بعض الإمارات المجاورة لهم ضدهم أو باستخدام قواتهم العسكرية بل على العكس من ذلك تمكن هؤلاء الحكام وجيشهم من مهاجمة مقر إقامة الهكسوس فى شرق الدلتا أكثر من مرة وتمكنوا من تحقيق انتصارات باهرة عليهم ولكن فيما يبدو أن الفريق الأول يميل ناحية الصواب حيث أكد القرآن الكريم بأنه كانت للهكسوس سيطرة كاملة على بلاد الشام وخاصة فلسطين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء: ٥٧ – ٥٩)[1] ويعتقد أن أملاك مصر فى بلاد الشام قد آلت إليهم. كما أثبتت الآثار التي عثر عليها لبعض ملوك الهكسوس أنه كان لهم علاقات سياسية وتجارية مع بعض الممالك بالأناضول وبعض جزر البحر المتوسط فضلاً عن إقامتهم لعلاقات مختلفة مع بعض الممالك والشعوب الأخرى[2].

(١) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٥٧-٥٩
(٢) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، - ص: ٢٠

الفصل الثالث

انهيـار قـوة الهكسـوس وطردهـم وتشتيتهـم

- أسباب ضعفهم.
- أهم الابتلاءات التي حلت بهم.
- مهادنتهم للمصريين.
- حروب التحرير وطرد الهكسوس.
- هل انهار حكم الهكسوس بعد خروج بني إسرائيل من مصر؟.
- من هم الخارجون من الجنات والعيون والزروع والكنوز والمقام الكريم، الهكسوس أم المصريون؟.
- اسم الأرض التي خرج منها فرعون وآله وقومه.
- مصير الهكسوس بعد طردهم من مصر.

انهيار قوة الهكسوس وطردهم وتشتيتهم

أولاً: أسباب ضعفهم

١- نتعرف من خلال ما ورد بالقرآن الكريم أنه كانت تحاك كثير من المؤامرات والدسائس ضد بعض حكام الهكسوس بغرض الإطاحة بحكمهم ويبدو أنه كان يقف وراء ذلك إما بعض نسل الأسرات الملكية الحاكمة فى مصر التي قضى عليها هؤلاء الحكام أو من بعض الأسر الهكسوسية التي تطمع فى الوصول إلى العرش ليكون لها السيادة والسلطان دون غيرها.

ومن أمثلة هذه المؤامرات تلك التي وقعت فى عهد يوسف عليه السلام والتي اتهم فيها صاحب طعام هذا الملك حيث قام بدس السم له فيه كما وجه الاتهام أيضاً إلى ساقي هذا الملك[١].

٢- انحدار الأخلاق وانتشار المفاسد سواء بين الحكام أو الرعية وخاصة جرائم الزنا والقتل والخيانة فضلاً عن الظلم والإفساد فى الأرض[٢].

٣- الابتلاءات المتتالية التي شملت جميع أوجه حياة الهكسوس وخاصة طعامهم وشرابهم ونومهم وراحتهم فضلاً عن أبدانهم[٣].

---

(١) زاهية الدجاني: المرجع السابق.. – ص: ٦٩-٧٧

(٢) المرجع السابق.. – ص: ٥٩-٦٠

(٣) المرجع السابق.. – ص: ٨٣-٨٧

٤- أصبحت الأموال والجزى التي ترد إليهم من كافة الممالك أو المقاطعات الخاضعة لهم شحيحة لا تكفى احتياجاتهم الضرورية وخاصة بعد أن طمس ال... علي أموالهم.[١]

٥- الحرب الاقتصادية التي قادها أمراء طيبة ببراعة تجاه الهكسوس العث... وذلك بمنع السفن التي كانت تحمل الجزى وخيرات المقاطعات المصرية إلى عاصمة الهكسوس بشرق الدلتا[٢].

٦- ثورات أمراء طيبة المتكررة وقيامهم بحملات عسكرية وجهت إلى عاصمة الهكسوس حيث تم توجيه ضربات عسكرية ضارية لهم أوقعت بهم خسائر فادحة فى معداتهم وقواتهم حتى طلبوا الهدنة إلا إنهم قد نقضوا هذه الهدنة وتمكنوا فيما يبدو من قتل الأمير كامس كما قتلوا والده من قبل إلا أن الأمير أحمس قد حمل راية الكفاح من بعدهما حتى تمكن من القصاص منهم ولم يُبق لهم ذكراً[٣].

٧- هروب بنى إسرائيل الذين كانوا يقومون بخدمتهم فى قصورهم وبيوتهم فضلا عن الاشتراك فى الأعمال الشاقة خاصة بناء المدن والمخازن والحصون فضلا عن غرق فرعون وجيشه أثناء محاولة اللحاق بهم لإعادتهم إلى خدمتهم[٤].

٨- تدمير كافه المباني والمنشآت الهامة لدي الهكسوس خاصة التي شيدها فرعون وقومه[٥].

---

(١) أحمد يوسف: المرجع السابق.- ص: ١١٤

(٢) رمضان السيد: المرجع السابق.- ص:٢٨

(٣) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، الجزء الثاني.- ص: ٤٧٠-٤٧٥.

L.Habachi.ASAE.53.1935.P.195-202.M.Hammad.Cdee.30.1955.P.198-208

(٤) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، الجزء الثالث.- ص: ٥١١-٥١٨

(٥) احمد يوسف: المرجع السابق.- ص:١٧٧

ثانيا: الابتلاءات التي حلت بهم

يعتقد أن الله ﷻ - وهو أعلم - قد أراد أن يبتلي الأقوام التي تسكن بلاد الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية فضلاً عمّا استطاع من تلك الأقوام من دخول مصر والسيطرة عليها فى طعامهم وأرزاقهم ربما بسبب تمسكهم بمعتقداتهم التي ورثوها عن آبائهم الأولين الذين كانوا لا يؤمنون بالله ولا يعتقدون فى بعث أو نشور أو حساب ويكفرون بالآخرة رغم أنه قد بعث فيهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وقد جعل الله هذا الابتلاء لمدة سبع سنوات متصلة واختلف المؤرخون فى تحديد أسباب هذه المجاعة أو هذا الابتلاء الإلهي ومنها[1].

أ- انقطاع الأمطار أو شحتها وقلتها سواء فى شمال الأراضي المصرية شتاءً أو على وسط وجنوب أفريقيا صيفاً بما يجعل الطعام لا يكفى لسد رمق الناس الأمر الذي يكون نتيجته هلاكهم وهلاك دوابهم أو على الأقل انتشار الأمراض المهلكة بينهم.

ب- أن الأمطار كانت حمضية مما أدى إلى تعذر نمو أية أنواع من المحاصيل الزراعية أو أي نوع من النباتات الموسمية التي ليس لها القدرة على امتصاص الماء من أعماق باطن الأرض وكان السبب الرئيسي وراء تلك الأمطار هو بركان ثيرا الضخم بالبحر المتوسط والذي انبعث منه غازات سامة اختلطت بمياه الأمطار التي كانت تسقط على البلاد المجاورة لهذا البركان خاصة مصر وبلاد الشام مما جعل الناس تعتمد فى حياتها علي ماء العيون والينابيع والآبار.

إلا أن بعض العلماء يتشكك فى هذا السبب حيث إنه إذا كان هذا البركان قد أثر على مياه الأمطار التي كانت تسقط على البلاد الواقعة على حوض البحر المتوسط

---

(١) زاهية الدجاني: المرجع السابق.. - ص: ٨٣-٨٤

فإنه لا تأثير له على تلك الأمطار التي تسقط على وسط وجنوب أفريقيا التي تقع بها منابع النيل، بما يعني أن مياه الفيضان السنوية التي ترد إلى مصر كانت ستحول دون سنين المجاعة السبع، وان كانت هذه الأمطار حمضية فان الكتب السماوية والنصوص القديمة سواء فى مصر أو غيرها لم تشر إلى قدوم أقوام من أفريقيا إلى مصر بسبب القحط كما فعلت بعض الأقوام فى فلسطين وما حولها، وعلى ذلك يكون السبب هو شح الأمطار لمدة سبع سنين على جهات مختلفة فى العالم القديم وان كان هناك تشكك آخر فى مدة سنين المجاعة والتي أكدها القرآن والنصوص القديمة بسبع سنين وذلك من قبل الباحثين المتخصصين فى علوم الجغرافيا والآثار حيث إن هذا لم يحدث من قَبل سواء فى مصر أو غيرها من البلاد[٢].

ولكنه يمكننا القول بأن هذا يعد معجزة أجراها الله فى زمن يوسف عليه السلام وهي خارقة للنواميس وللقواعد المتعارف عليها حتى يعلم الناس أن للكون إلها يتحكم فيه.

وقد جعل الله تعالى من ينقذ هؤلاء الأقوام نبياً من سلالة إبراهيم عليه السلام وهو يوسف الذي عاش بينهم طفلاً صغيراً فى موطنه الأصلي ثم انتقل ليعيش بقية حياته بينهم أيضاً فى وطن آخر وهو مصر بعد أن تمكنوا من احتلاله والسيطرة عليه ليتوافق هذا مع قوله تعالى علي لسان أحدهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[٣] (غافر: ٢٩) وقد أدار يوسف هذه الأزمة بقدرة واقتدار واستطاع أن

---

(١) Al-Ayedi. The Libration War: The Expulsion Of The Hyksos From Egypt. Ismailia. 2008 . P.14

(٢) سيد القمني: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الثاني، القاهرة: ١٩٩٩م، ص٩٤٢

(٣) القرآن الكريم، سورة غافر: ٢٩

يجتاز بالناس محنة عظيمة لم يحسوا بأثرها عليهم، ولم يستغل يوسف هذه المحنة لإجبار الناس علي اعتناق دين التوحيد ونبذ معتقداتهم القديمة – وذلك تأسياً بما حدث مع جده الأعلى إبراهيم عليه السلام الذي نزل عليه ضيف فلما قدّم له الطعام طلب منه أن يسمي اسم الله علي الطعام فلما رفض أخرجه من خيمته دون أن يتناول طعامه فحينما خرج الضيف فى جنح الليل وكان رجلاً مسنّاً ضعيفاً سأل الله إبراهيم وهو أعلم بما حدث عن سبب قيامه طرد ضيفه فأجابه بأن هذا الضيف سجد لغير الله ورفض أن يذكر اسم الله على الطعام الذي هو فضل وتكرم منه فعاتبه وأمره بالتوجه إليه والبحث عنه وتقديم الطعام له وأفهمه بأنه احتمل هذا الرجل مائة عام وهو يعبد غيره ويأبى أن يحمده فكيف لإبراهيم ألا يحتمله ساعة واحدة وما ضره ولا أساء إليه فخرج يبحث عنه فى ظلام الليل وفى برودة الجو حتى وجده وأعاده إلى خيمته وأكرمه وحينما علم الرجل بأن رب إبراهيم وراء ذلك آمن به واسلم له [1] – حيث كان يوسف يعامل من يفد إليه من أهل مصر أو من وفود البدو أو غيرهم من خارج مصر معاملة طيبة وحسنة مما كان سبباً فى تغيير كثير من المفاهيم الدينية لديهم ودخول عدد كثير منهم فى دين الإسلام وقد ساعد يوسف فى نشر دين الله بين الناس إخوته من الأسباط الذين كانوا بالكلمة الطيبة وبالموعظة الحسنة يدخلون قلوب الناس وعقولهم، كما بينوا لهم أن الله هو الذي يحيى ويميت ويحاسب الإنسان عن عمله خيراً كان أم شرّاً بعد أن يبعثه [2] ويدخله إما جنةً أو ناراً.

---

(١) زاهية الدجاني: المرجع السابق،.– ص: ١٨٠

(٢) المرجع السابق،.– ص: ١٧٧ – ١٧٩ ؛ البيضاوي وآخرون: كتاب مجموعة من التفاسير، بيروت: د.ت، ص: ٤٢٤-٤٢٥

فإذا كان القحط والجوع وانعدام الأمطار هو الابتلاء الرئيسي للأقوام الكا
بالله وخاصة من عهد إبراهيم حتى يوسف عليه السلام فإن ابتلاءات أخرى قد
بعضهم فى عهد موسى عليه السلام خاصة فى عهد الملك الهكسوسي الذي
القرآن الكريم باسم فرعون والتي وردت في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴾[1] (الأعراف: ١٣٣)

الطوفان

جاء فى التوراة:

أ- « وفى اليوم التالي مد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعوداً وبرداً
وأمطر الرب برداً على أرض مصر بشيء عظيم جداً لم يكن مثله فى كل أرض
مصر»[2] (خروج: ٩/٢٢-٢٦).

ب- « فأرسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما: أخطأت الرب هو البار
وشعبي الأشرار، صليا للرب وكفى حدوث رعود وبرد فأطلقكم» [3] (خروج: ٩/٢٦-٣٠)

ج- « فقال موسي عند خروجي من المدينة أبسط يدي إلى الرب فتنقطع الرعود
ولا يكون البرد أيضاً لكي تعرف أن الأرض للرب، وأما أنت وعبيدك فأنا أعلم أنكم
لم تخشوا بعد من الرب، فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى
الرب فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الأرض» [4] (خروج: ٩/٢٧-٣٠)

---

(١) القرآن الكريم: سورة الأعراف:١٣٣
(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج:٩/٢٢ – ٢٦
(٣) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج:٩/٢٧ – ٣٢
(٤) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج...

اعتقد كل من فرعون وقومه أن ما حدث كان بفعل سحر موسى أو ظاهرة طبيعية ونقض فرعون وعده الذي أعطاه لموسى وهارون بإطلاق شعب إسرائيل ليخرج من مصر إلى حيث أراد الله.

٢- الجراد

جاء فى التوراة:

أ- «أن موسى قد جاء إلى فرعون وقال له: فإنه إن كنت تأبى أن تطلق شعبي ها أنا أجيء غدا بجراد على تخومك فيغطي وجه الأرض حتى لا يستطاع نظر الأرض وتأكل جميع الشجر النابت لكم من الحقل ويملأ بيوتك وبيوت جميع عبيدك وبيوت جميع المصرين» [١] (خروج: ١٠/ ٤-٦).

ب- « ثم قال الرب لموسي مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد علي أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض كل ما تركه البرد فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد، فصعد الجراد على كل أرض مصر وحل فى جميع تخوم مصر شيء ثقيل جدّاً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك وغطى وجه كل الأرض حتى أظلمت الدنيا وأكل الجراد جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد حتى لم يبق شيء أخضر فى الشجر ولا فى عشب الأرض فى كل أرض مصر» [٢] (خروج: ١٠/١١ – ١٥).

ج- ثم دعا فرعون موسى وهارون ووعدهما بإطلاق سراح بني إسرائيل وسمع

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٠/٤ – ٦

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٠/١١ – ١٥

لهما بالخروج في الصحراء لمدة ثلاثة أيام لتأدية بعض شعائر ديانتهم [illegible]
من ربه أن يرفع هذا الابتلاء عن فرعون وقومه[1].

ويرى البعض أن القمل الذي ورد ذكره بالقرآن هو صغار الجراد [illegible]
لا أجنحة له وأنه هو الذي ورد في التوراة باسم الذبّان « إن كنت لا تطلق [illegible]
أنا أطلق عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك وعلى بيوتك الذبان فتمتلئ بيوت [illegible]
ذباناً وأيضاً الأرض التي هم عليها أما أرض جاسان فلا يكون هناك ذبان [illegible]
هذه الآية ففعل الرب هكذا فدخلت ذبان كثيرة في كل أرض مصر وخربت [illegible]
من الذبان»[2].

ومن المعروف أن صغار الجراد أو الدبي يقع على الزرع الأخضر فلا يبقي منه [illegible]
وهذا يعني أن الجراد أهلك الزرع ثم ما لبث أن نبتت براعم لهذا الزرع [illegible]
صغار الجراد وبالتالي تكون هاتان الآيتان متعاقبتين كما ورد في القرآن الكريم[3].

٣- القُمَّل

لم يحدد القرآن إذا كان المقصود من القُمَّل هل تلك الحشرة التي تعيش في [illegible]
الرأس الذي لا تتم نظافته وغسله باستمرار؟ أو السوس الذي يتغذى على [illegible]
وغيرها ويفسدها وهي حشرة صغيرة لها جناح أحمر يشبه القرادة وخبيئة [illegible]
ويبدو أن المقصود هو النوع الأخير حيث إن آية الجراد لم تكن مؤثرة على [illegible]
وقومه لما اختزنه من حبوب.

ولذا فإن الله ﷻ سلّط عليه هذه الحشرة لتفسد ما اختزنه من حبوب [illegible]

---

(1) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء، الجزء الرابع، ص: ٩٠٩

(2) الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج ٨/ ٢٠ – ٢٤

(3) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع [illegible]

لهما بالخروج فى الصحراء لمدة ثلاثة أيام لتأدية بعض شعائر ديانتهم فطلب موسى من ربه أن يرفع هذا الابتلاء عن فرعون وقومه[1].

ويرى البعض أن القمل الذي ورد ذكره بالقرآن هو صغار الجراد أو الدبى لا أجنحة له وأنه هو الذي ورد فى التوراة باسم الذبَّان « إن كنت لا تطلق شعبي ها أنا أطلق عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك وعلى بيوتك الذبان تمتلىء بيوت المصريين ذباناً وأيضاً الأرض التي هم عليها أما أرض جاسان فلا يكون هناك ذبان. غداً تكون هذه الآية ففعل الرب هكذا فدخلت ذبان كثيرة فى كل أرض مصر وخُرِّبت الأرض من الذبان»[2].

ومن المعروف أن صغار الجراد أو الدبي يقع على الزرع الأخضر فلا يبقي منه شيء وهذا يعني أن الجراد أهلك الزرع ثم ما لبث أن نبتت براعم لهذا الزرع فأتت عليه صغار الجراد وبالتالي تكون هاتان الآيتان متعاقبتين كما ورد فى القرآن الكريم[3].

٣- القُمَّل

لم يحدد القرآن إذا كان المقصود من القُمَّل هل تلك الحشرة التي تعيش فى شعر الرأس الذي لا تتم نظافته وغسله باستمرار؟ أو السوس الذي يتغذى على الحبوب وغيرها ويفسدها وهي حشرة صغيرة لها جناح أحمر يشبه القرادة وخبيثة الرائحة ويبدو أن المقصود هو النوع الأخير حيث إن آية الجراد لم تكن مؤثرة على فرعون وقومه لما اختزنه من حبوب.

ولذا فإن الله ﷻ سلَّط عليه هذه الحشرة لتفسد ما اختزنه من حبوب و...

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء، الجزء الرابع، ص: ٩٠٩

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ٨/ ٢٠ - ٢٤

(٣) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، ص: ٩٠٥-٩٠٦

٤- الدم

هذه الآية التي أجراها الله ﷻ على يد موسى كابتلاء لفرعون وقومه حتى يفيئوا إلى أمر الله ويرجعوا عن طريق الغي والكفر والضلال ويسلكوا طريق الهداية والرشاد حتى يدخلوا فى دين الإسلام وينالوا رحمة الله فى الدنيا والآخرة ويثبت ملكهم فى الأرض ويعلي من شأنهم إلا أنهم شاقوا الله وعاندوا رسوليه موسى وهارون وخالفوهما ولم يستجيبوا لنصحهما.

حيث ورد بالتوراة أن الرب قال لموسى أن يذهب إلى فرعون لإطلاق شعب بني إسرائيل ليعبد الرب فى البرية.

أ- « وتقول له الرب إله العبرانيين أرسلني إليك قائلا: أطلق شعبي ليعبدوني فى البرية وهو ذا حتى الآن لم تسمع هكذا يقول الرب ها أنا أضرب العصا التي في يدي على الماء الذي فى النهر فيتحول دماً ويموت السمك الذي فى النهر وينتن النهر فيعاف المصريون أن يشربوا من ماء النهر[1] (سفر الخروج:٧/ ١٤ – ١٩).

ب- « ورفض فرعون إطلاق بني إسرائيل ورفع موسى العصا وضرب الماء الذي فى النهر أمام عيني الفرعون فتحول كل الماء الذي فى النهر دماً ومات السمك ولم يقدر أحد أن يشرب من ماء النهر وحفر جميع المصريين حول النهر لأجل ماء يشربون لأنهم لم يقدروا أن يشربوا من ماء النهر » [2].

ج- دعا فرعون موسى وهارون لرفع البلاء وبعد أن تم رفعه إذ بفرعون كعادته يحنث فى وعده ولا يطلق بني إسرائيل.

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج٧/ ١٤ – ٢٤

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج٧/ ١٩ – ٢٤

ويرى بعض المؤرخين أن النهر لم يتحول ماؤه إلى دم ولكن صار لونه أحمر نتيجة للطمي الذي يحمله من بحيرات الحبشة ولكن هذا الرأي غير مقبول حيث اعتاد الناس فى مصر منذ أن عَمَرُوها وإلى يومنا هذا علي تحوُّل ماء النهر فى وقت الفيضان إلى لون يميل إلى الحمرة فإذا ادعى موسى أو أتباعه بأن هذا دم لن يصدقهم أحد فقد درج المصريون على اتباع طرق فنية معينة للتخلص من هذا اللون الأحمر الذي تعافه النفس إلى لونه الطبيعي[1].

٥- الضفادع

سلَّط الله ﷻ هذا الخلق الضعيف على فرعون وقومه وجعله آية من آياته إلى هذا الحاكم المتكبر وقومه الذين لا يعتقدون فى حياة أخرى بعد الموت ولا فى بعث أو نشور أو حساب عن أعمالهم فى الدنيا.

وقد استخف فرعون وقومه بهذه الآية بعد أن هددهم بها موسى وهارون باعتبارهم يعيشون وسط هذه الضفادع يومياً ولا يجدون لها ضرراً مؤثراً عليهم.

وقد سبق أن ذكرنا أن المصريين القدماء كان لديهم علم بهذه الآية إذ عُثر على آثار منقولة تؤكد هذا[2].

وقد أوضح كتَّاب التوراة بأن كلا من موسى وهارون كان لهما دور فى إصعاد الضفادع إلى حيث يقيم فرعون وقومه وتمثل هذا الدور فى[3].

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع.- ص: ٩١٣-٩١٤.

(٢) W.F.Petrie. Egypt And Israel. London. 1911. P.35-36. G.Hort. The Plagues Of Egypt.ZAW. 69. 1957.P.64-103

(٣) جيمس بيكي: الآثار المصرية فى وادي النيل، الجزء الأول، ص:٥٥
رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع.- ص: ٩١٢-٩١٣

١- مد العصا على الأنهار والسواقي والآجام لتخرج الضفادع منها إلى بيوت فرعون وبيوت عبيده وبيوت شعبه وشوارعهم وأرضهم الزراعية وأرضهم الفضاء.

٢- ضرب تخوم فرعون بالضفادع وتمثل دور هذه الضفادع في[1]:

أ- مشاركة قوم فرعون فى أماكن نومهم ومعيشتهم بما يؤدي إلى إقلاق راحتهم ومنعهم من النوم والخلود إلى الراحة سواء بسبب نقيقها المستمر ليلاً أو حركتها المستمرة على أجسادهم.

ب- تلويث طعامهم وأواني طعامهم وأماكن مشربهم فضلا عن أدواتهم.

ج- إعاقة سيرهم وحركتهم فى الشوارع.

د- تكدسها بالأراضي الزراعية والأراضي الفضاء.

هـ- تحويل حياتهم إلى جحيم لا يطاق مما أدى بفرعون أن يستدعي موسى وهارون لوضع حد لهذه الضفادع بعد أن فشل العرافون التابعون له فى صرفها.

فقد أشار كتاب التوراة إلى هذه الآية الإلهية فذكروا:

فقال الرب لموسي قل لهارون مد يدك بعصاك علي الأنهار والسواقي والآجام وأصعد الضفادع على أرض مصر فمد هارون يده على أرض مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر... [2] (سفر الخروج:١/٨ – ١٥).

ورغم أن موسي قد دعا ربه إلى رفع البلاء عن فرعون وقومه حيث ماتت الضفادع فى البيوت والدور والحقول والشوارع وغير ذلك إلا أن فرعون لم يف بوعده مع موسى ورفض خروج بني إسرائيل من مصر.

---

(١) المرجع السابق.. – ص: ٩١٢-٩١٣ ؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق – ص ١٥٧

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج:١/٨ -١٥

٦- الظلام

كما سبق وأن ذكرنا أن هذه الآية التي أجراها الله ﷻ علي يد موسى قد تمت الإشارة إليها فى النصوص المصرية القديمة ويمكننا أن نتوقع وقع هذا الإظلام التام لمدة ثلاثة أيام متصلة ليلاً ونهاراً على قوم فرعون[1].

١- استهلاك كميات كبيرة من زيوت الإضاءة بما يعني نفاد الكميات التي يدخرونها للعام كله.

٢- تعطل أعمالهم ومصالحهم.

٣- انتشار السرقة والاغتصاب وكافة أنواع الجرائم.

٤- سريان الرعب والفزع فى صدور الأطفال والنساء.

٥- ارتباك حياتهم والإحساس بالضيق والضجر.

وقد أشار كتاب التوراة إلى هذه الآية على النحو الآتي:

أ- قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس الظلام، فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس لمدة ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام، ولكن جميع بني إسرائيل كان لهم نور فى مساكنهم»[2] (سفر الخروج ١٠/٢١-٢٣).

ب- قد استدعي فرعون نبى الله موسي وطلب منه رفع هذا الابتلاء عنه وعن شعبه «فدعا فرعون موسى وقال اذهبوا اعبدوا الرب، اولادكم أيضا تذهب معكم

(1) W.Helck.Die Prophezeiung des Nfr-ti. Kleine Agyptische Texte Wiesbaden. 1970.P.16-28

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٠/٢١-٢٣

غير أن غنمكم وبقركم تبقى، فقال موسي أنت تعطي فى أيدينا ذبائح ومحرقات لتصنعها للرب إلهنا فتذهب مواشينا أيضاً معنا لا يبقى ظلف لأننا منها نأخذ لعبادة الرب إلهنا ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتى تأتي إلى هناك»[1] (سفر الخروج ١٠/٢٤-٢٩).

٧- البعوض والدمامل

جاء بالتوراة:

أ- « ثم قال الرب لموسى قل لهارون مد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضا فى جميع أرض مصر ففعلا كذلك مد هارون عصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم، كل تراب الأرض صار بعوضا، وحاول العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا فقال العرافون لفرعون هذا أصبع الله ولكن اشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب»[2] (خروج: ٨: ١٦-١٩).

ب- ثم قال الرب لموسى وهارون خذا ملء أيديكما من رماد الآتون وليذره موسى نحو السماء أمام عينى فرعون ليصير غباراً على كل أرض مصر فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل ببثورا ففعلا كذلك ولم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما كما كلم الرب موسى»[3] (سفر الخروج ٩/٨-١٢)

ويبدو أن بعض أمراء طيبة وعددا من جنودهم الذين استطاعوا اجتياح أواريس عاصمة الهكسوس قد أصيبوا ببعض الأمراض الجلدية التى انتقلت إليهم عن طريق العدوى وهو ما كشفت عنه بعض الفحوصات الطبية لمومياوات أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٠/٢٤-٢٩

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ٨/١٦-١٩

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ٩/٨ - ١٢

(٤) فيلم تسجيلي عن الكشف عن مومياء الملكة حاتشبسوت، التلفزيون المصري، القناة الثانية

٨- موت الأبكار

أورد كتاب التوراة ما نصه:

أ- « ثم قال الرب لموسى ضَرْبة واحدة أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك يطلقكم من هنا وعندما يطلقكم يطردكم طردا من هنا بالتمام، تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعه فضه وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» [١] (خروج: ١١ /٢٠ – ٢١).

ب- وقال موسى لفرعون هكذا يقول الرب إني نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة ويكون صراخ فى كل أرض مصر لم يكن مثله أيضا ولكن جميع بني إسرائيل لا يصيبهم شىء لا الناس ولا البهائم لكي تعلم أن الرب يُميِّز بين المصريين وإسرائيل فينزل إلى جميع عبيدك هؤلاء ويسجدون لي قائلين اخرج أنت وجميع الشعب الذين فى إثرك وبعد ذلك اخرج ثم خرج من لدن فرعون فى حمو الغضب» [٢] (خروج١١/٤-٨).

طلب موسى من فرعون خروج بني إسرائيل وأفهمه إنْ لم يوافق سيجبره قومه على إخراجهم لأنهم حين وفاة أبكارهم سيظنون أن وباءً انتشر بين بني إسرائيل تسبب فى موت أبكارهم.

أما بخصوص ما ورد من أن الرب قد أمر موسى بأن يطلب من قومه أمتعة فضة وذهب وثياب على سبيل الأمانة من المصريين ثم يسلبونها منهم ولا يعيدونها إليهم

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج:١١/ ٢٠-٢١

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج:١١/ ٤-٨

فيمكن الرد عليه[١].

أ- أن الله لا يبيح لبني إسرائيل سلب ذهب المصريين وفضته وإلا كان محمد
قد هرب إلى يثرب بأموال المشركين التي سلبوها من بعض من آمن بدعوته.

ب- أن الله لا يأمر عباده بالسلب أو النهب بل أن الله قد عوضهم عن ما أصابهم
فى مصر بخيرات وكنوز الأرض المقدسة.

ج- لا يعتقد أن المصريين سيوافقون على اعارة هذه الأشياء الثمينة الغالية
خدمهم من بني إسرائيل خوفاً من أن تضيع منهم فى البرية أو تسلب أو تسرق
كما أنهم يخشون أن يهربوا بها خارج مصر وخاصة أن لديهم علما برغبتهم هذه

د- أن الابتلاءات العديدة التي أصابت المصريين فى كافه أوجه حياتهم
موسى زعيم بني إسرائيل ستجعلهم يرفضون إعارة هذه الأشياء الثمينة إليهم كره
لموسى وهارون.

هـ- إن الله عزَّ وجل قد برأ موسى من هذا الاتهام الذي نسبه كُتَّاب التوراة
النبي حيث ذكر فى قرآنه الكريم أن الحلي التي خرج بها بنو إسرائيل من مصر
ملكهم وليست ملكا للمصريين حيث .قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا ... ﴾ (الأعراف: ١٤٨).

٩- وباء المواشي

جاء بالتوراة ما نصه:

أ- " ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين
أطلق شعبي ليعبدوني إن كنت تأبي أن تطلقهم فها يد الرب تكون على مواشيك

---

(١) كمال عون: من كتابهم المقدس، ... ١٩٧٢م، ص٢١

فى الحقل على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وباءً ثقيلا جدا وتموت ويميز الرب بين مواشي إسرائيل فلا يموت منها شيء وعيّن الرب وقتا قائلا غدا يفعل الرب هذا الامر . فغعل الرب هذا الأمر فى الغد فماتت جميع مواشي المصريين وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد ولكن غلظ قلب فرعون فلم يطلق الشعب»[1] (سفر الخروج ٩/١-٧).

ويرى بعض المفسرين إذا كان الرب يريد أن ينزل الابتلاء على فرعون وقومه فلماذا يجعلهم يحتاطون؟ وبالتالي يكون الهدف من الآية منتفياً وعلى ذلك فربما يكون الهدف[2].

١- أن الرب أراد أن يجعلهم يثقون فى كلامه ويأخذون به حتى يكتب لهم ولدوابهم النجاة.

٢- حتى يصاب المتكبرون الذين لا يؤمنون به ولا يستمعون لكلامه بالندم والألم نتيجة لفقد دوابهم.

٣- حتى يعلم قوم فرعون أن الرب لا يريد بهم شرّاً ولكن يريد لهم ما ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم وحتى يجعل أواصر المودة والعلاقة الطيبة موصولة بينه وبين عباده من البشر حتى يتبين لهم الحق من الباطل[3].

كان الهكسوس يقيمون جميعاً فى عاصمة الملك وهي أواريس التي وقع اختيارهم عليها وأقاموا فيها قصورهم ومساكنهم وقاموا بتحصينها تحصيناً قويّاً ولم يكونوا منتشرين فى مواقع مختلفة على أرض مصر حيث إن انتشارهم بين السكان المحليين فى جماعات قليلة يعرضهم لأخطار جسيمة،كما يُسهّل القضاء عليهم.

---

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر الخروج:٩/١-٧

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الرابع،،ص:٩١٥

(٣) المرجع السابق،،ص:٩١٥

ثم أن تجمّعهم وإقامتهم فى موقع سكني واحد يضمن لهم الحماية ويكفل لهم الأمن كما يتيح لهم فرصة التصدي لأي هجوم مباغت عليهم أو قمع الثورات التي تشتعل ضدهم.[1]

وان كان لا يمنع أنهم كانوا يشيدون حصوناً منيعة فى مختلف أنحاء مصر ويجهزونها بجنود مدربين تدريباً جيداً حتى تكون لهم القدرة على إخماد أي ثورة أو تمرد[2] يشب بين أهل مصر من الوطنيين.

ويبدو أن بني إسرائيل كان يقيمون على مسافة ليست بعيدة عنهم حيث كان يكلفهم حكام الهكسوس بكثير من الأعمال الإنشائية أو التشييد والبناء فضلاً عن خدمتهم فى قصورهم ومساكنهم فى عاصمة المُلك[3].

ورغم هذا فإن كتاب التوراة يؤكدون أن الابتلاءات التي أصاب بها الرب فرعون وقومه لم تكن تصيب بني إسرائيل وبالتالي فإنها لم تكن تصيب بقية مقاطعات مصر التي كانت ترسل جزيتها سواء أكانت مادية أو عينية إلى حكام الهكسوس فضلا عن بعض ممالك وإمارات بلاد الشام وهذا يفسر صمود فرعون وقومه أمام هذه الابتلاءات العظيمة[4].

وكان فرعون وقومه ينظرون إلى موسى ليس باعتباره نبياً أو رسولاً ولكن باعتباره ساحراً.

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.-ص: ١١٢

(٢) المرجع السابق،.-ص: ٢١١

(٣) المرجع السابق،.-ص: ٧٩-٨٠: محمد سيد طنطاوي: بنو اسرائيل فى القرآن والسنة بغداد: ١٩٦٨.-ص: ٩-١١

(٤) الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج: ٨/ ٢٢، ٩/ ٢٦

ثالثا: مهادنتهم المصريين

يرى بعض المؤرخين أن المهادنة لم تأت من قبل الهكسوس ولكن من قبل الحكام المصريين أنفسهم خلال الأسرة الرابعة عشرة بمصر السفلى حيث إنهم هم الذين أطلقوا علي حكام الهكسوس أسماءً مصرية تفادياً لتوتر العلاقات معهم خاصة وأنهم قد استطاعوا تحقيق انتصارات كبيرة عليهم[1] إلا أن هؤلاء الغزاة قد استطاعوا إسقاط ملوك هذه الأسرة واستولوا على أملاكهم واستأثروا بحكم الدلتا بينما قبلوا إعلان الولاء والطاعة من ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذين فروا من عاصمة الملك إلى طيبة فى جنوب البلاد وفرضوا عليهم الجزى والضرائب.

ويبدو أن مهادنة هؤلاء الحكام الأجانب للمصريين القدماء كانا تكتيكاً سياسيًاً بحتاً وتمثلت مظاهر هذه المهادنة[2].

١- مزجوا بين إلههم المحلي بعل وبين إله المصريين القدماء (ست) وقد تأكد عبادة الهكسوس لهذا الإله المصري فى لوحة الأربعمائة من عهد الملك رمسيس الثاني.

٢- حملوا أسماء مصرية.

٣- تلقبوا بألقاب مصرية، مثل (صارع) أي ابن الشمس و(نثر ـ نفر) أي الإله الطيب.

ويبدو أن الهكسوس كانوا فى قرارة أنفسهم لا يهتمون إلا بمصالحهم الشخصية وتدعيم نفوذهم وسلطانهم وزيادة مواردهم المالية ونهب خيرات البلاد، بدليل أن

(1) Drioton-Vandier.L'Egypte.Paris.1952.P.243

(٢) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، ص: ١٦

النصوص المصرية قد ذكرت أنهم لم يوقروا رع الإله الرسمي فى البلاد، بالرغم من اتخاذهم لقب صارع لقباً لهم مما يؤكد أن هذه المهادنة كانت صورية.

ولا يعتقد أن المصريين القدماء قد غاب عن بالهم الأهداف الحقيقية وراء لجوء الهكسوس لهذه السياسة التي تتسم بالدهاء والمكر والخداع وقد تبين للمصريين مدى التناقض بين ما يدَّعونه وبين ما يقومون به على أرض الواقع ولذا ازداد اشتعال الثورة وتم السير قدماً فى تدعيم الجيش المصري وتزويده بأحدث الأسلحة حتى تمكنوا من طردهم[1].

كما أنه لا يعتقد أن المصريين القدماء قد سمحوا لأميرات أو ملكات من الأسر المالكة المصرية بالزواج من هؤلاء الحكام حتى لا يضفوا علي حكمهم الشرعية المفقودة، ولأن معنى ذلك تثبيت حكمهم الأجنبي فى مصر وهو ما لا يقبله المصريون حكاما أو رعية.[2].

رابعاً: حروب التحرير

إذا كانت النصوص المصرية القديمة تخلو من الإشارة إلى أية حروب قادها الهكسوس ضد المصريين حتى عهد الأمير الطيبي سقنن-رع فهذا لا يعني أن الهكسوس لم تكن لديهم أي قوة عسكرية، وإلا فكيف دخلوا مصر وكيف استقروا فيها هذه المدة الطويلة التي حددها المؤرخ المصري مانيتون بخمسة قرون ولماذا اشتكى المصريون منهم مر الشكوى؟ كما أكدت النصوص أنهم قد دمروا كل شيء

(١) المرجع السابق،.–ص:٢٢-٢٧

(٢) عبد الحليم نور الدين:المرجع السابق،.–ص:٢٤١

وأن هذا التدمير الشديد لم يستطع المصريون القدماء إعادة بنائه وتشييده وتجديده حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة.

وهذا يعني أنهم في الفترة الأولى من حكمهم قد أضعفوا المصريين القدماء وأحلّوا بهم الوهن ولم يتركوا لهم أي قوة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية تسمح لهم بالثورة[1].

ولكن المصريين فجأة وبدون أية مقدمات أعلنوا الثورة والتمرد والعصيان على الهكسوس في عهد الأمير سقنن-رع ولم تشر نصوص المصريين إلى أية مناوشات أو ثورات ضد الهكسوس قبل عهد هذا الأمير الطيبي.



(1) المرجع السابق.. -ص: ٣٥٠

ثورة المصريين ضد الهكسوس

أسباب الثورة

يمكن تحديد الأسباب والدوافع التي أدت إلى اندلاع الثورة بين المصريين القدماء بعد سنوات طويلة من المعاناة وإحكام الهكسوس قبضتهم عليهم وإذلالهم فيما يلي:

١- ورد بالنصوص المصرية تعرض الهكسوس إلى جائحة شنعاء ولم تشر النصوص المصرية إلى ماهية هذه الجائحة ولكن يعتقد أنها الابتلاءات التسع التي أصابت الهكسوس فى عقر دارهم ولم تصب بني إسرائيل أو المصريين القدماء[1].

٢- غرق أعتى حكام الهكسوس وآله وجنوده فى بحر عظيم أطلق القرآن الكريم وكذلك التوراة اسم فرعون علي هذا الحاكم مما أدى إلى انهيار قوة الهكسوس وانتشار الضعف العام فى كيانهم وهنا بدأت الثورة تأخذ شكل علنياً ضد هؤلاء المحتلين بعد أن ظلت مكبوتة فى صدور المصريين القدماء سنوات عديدة ويتضح ذلك من رسالتي ملك الهكسوس إلى كل من سقنن رع أمير طيبة وإلى أمير كوش (النوبة) وقد طلب من أولهما إسكات أصوات الشباب الثائر فى إمارته الذي يطلب طرد هذا الحاكم الأجنبي وقومه من مصر إلا أن هذا الأمير لم يعر كلام هذا الملك الهكسوسي اهتماماً بل خرج على رأس جيش كبير وتوجه به إلى أواريس مقر إقامة حكام الهكسوس حيث دار قتال شرس بين الطرفين انتهى بمقتل الأمير المصري سقنن رع إثر إصابته بجروح قطعية فى رأسه إلا أن الجنود المصريين كانوا

(١) المرجع السابق، ص: ٣٥٠؛ سيد القمني ... ٦٣٩

لهم السيطرة على ميدان القتال حيث تمكنوا من حمل جثمان أميرهم والعودة به إلى طيبة حيث عثر عليه فى خبيئة الدير البحري.

بينما طلب من ثانيهما مهاجمة طيبة حينما يكون أميرها كامس وجيشه بعيدين عنها خاصة أثناء توجههم إلى شرق الدلتا لمهاجمته فى أواريس،فضلاً عن حثه على إرسال العون العسكري إليه فى مقر مُلْكه ليتمكن من صد الهجوم المتكرر على هذا المقر من قِبل أمراء طيبة.

٣- رحيل بني إسرائيل من مصر مما حَرَم الهكسوس من القوة العاملة التي كانوا يعتمدون عليها فى تأدية كثير من الأعمال الشاقة وخاصة فى التشييد والبناء فضلاً عن الخدمة فى البيوت والقصور وغير ذلك وكانت تلك العمالة لا تكلفهم شيئاً يذكر.

٤- وقع عبء العمل على الهكسوس وكان ذلك على حساب قواتهم المسلحة مما أضعف هذه القوة.

٥- يعتقد أنه نشب خلاف شديد بين قبائل البدو الرعاة الهكسوس على تحديد الشخصية التي ستتولى حكم مصر بعد أن خلا كرسي العرش بغرق فرعون وآله أجمعين كما لا يحول أن هذا الخلاف قد تحول إلى صراع مسلح فيما بينهم.

ومما يؤكد ضعف الهكسوس وانهيار قوتهم العسكرية ما يأتي:

أ- رسالة أبو فيس أحد ملوك الهكسوس الأواخر إلى سقنن رع أحد أمراء طيبة والتي لم يشر فيها صراحة إلى اندلاع الثورة ضد حكم الهكسوس فى إمارة طيبة ولكنه لجأ إلى الرمزية، كما لم يهدده باستخدام القوة العسكرية ضده.

ب- مهاجمه سقنن رع أمير طيبة للملك أبوفيس حاكم الهكسوس فى عقر داره ومقر حكمه أواريس بجيش كبير مما يستنتج منه عدم مبالاة المصريين بقوة

الهكسوس العسكرية وتيقنهم من انتشار الضعف والانحلال فى كيانهم.

ج- انحسار حكم الهكسوس وانكماشه فى أواريس مما أفقدهم الكثير من الجزى والضرائب التي قاموا بفرضها على المصريين والتي كانت تتدفق عليهم في مقر إقامتهم فى أواريس مما كان سبباً مباشراً فى حلول الضعف فى كيانهم.

د- فقد الهكسوس لقوتهم العسكرية التي أكد عليها القرآن الكريم غرقاً في البحر مما دعاهم إلى طلب المساعدة العسكرية من بعض حلفائهم ومنهم أمير كوش فى النوبة وتحريضهم على مهاجمة أعدائهم خاصة أمراء طيبة.

وهنا بدأ أمراء طيبة يتحالفون مع جيرانهم فى شمال طيبة وفى جنوبها ولكنهم ظلوا يدفعون الجزية للهكسوس ثم جاء يوم رأى فيه أمراء طيبة زيادة قوتهم العسكرية والتفاف معظم المصريين حولهم فى حين رأوا الضعف بدأ يستشري فى كيان مملكة الهكسوس فاعتبروا أنفسهم ملوكاً ووضعوا أسماءهم فى خراطيش ملكية مسبوقة بألقابهم التقليدية باعتبارهم ملوك مصر السفلى والعليا(١).

وقد رأي أحد ملوك الهكسوس ويسمى أبوفيس أن أمراء طيبة بلغوا من القوة والبأس مبلغاً كبيراً بما يشكل خطراً كبيراً على مملكته فأرسل رسالة خطية إلى الأمير سقنن-رع يستنفره للدخول معه فى حرب وقتال عسكرى وفعلاً انطلق هذا الأمير وبصحبته جيشه فى اتجاه أواريس عاصمة الهكسوس وبعد قتال شرس مع جنود الهكسوس الذين تحصنوا داخل أسوار منيعة لم يحقق هذا الأمير انتصاراً عليهم بل سقط شهيداً في ساحة الوغى دفاعاً عن بلاده ضد المحتل(٢) الغاصب وقد تمكن الجنود المصريون من أخذ جثمان أميرهم معهم حين انسحابهم من أواريس إلى طيبة.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٣٥٠

(٢) كمال عون: من كتابهم المقدس: أعداء الحياة الإنسانية، القاهرة: ١٩٧٣، ص: ٢١

ولكن البيت الحاكم في طيبة ازدادت إرادته وقويت عزيمته ولم يصاب بالإحباط نتيجة قتل زعيمهم سقنن رع الثاني.

كامس

تولى بعد وفاة أبيه سقنن رع الثاني عرش طيبة. وقد استغل حنكته ودهاءه وشجاعته التي لا تباري وعدم خوفه أن يكون مصيره كمصير والده من جهة وضعف عدوه حاكم الهكسوس من جهة أخرى فى تصعيد حركه الكفاح المسلح وقد سار فى أكثر من اتجاه لتحقيق أهدافه ومن ذلك.

١- قام بمهاجمة حكام الأقاليم الذين أعلنوا ولاءهم لحكام الهكسوس وقاموا بتقديم المساعدات لهم بترسيخ احتلالهم لمصر فضلاً عن ضمان الاحتفاظ بمناصبهم.

٢- تقوية جيشه وقواته المسلحة سواء البريّة أو البحرية واستغل خبرات قومه فى صناعة السفن الحربية العملاقة وكذلك تسييرها والمناورة بها فى مجرى نهر النيل. كما حرص علي تجهيز جيشه بأجود أنواع المركبات الحربية التي تجرها الجياد بعد أن تبين له أنها تعد من أسباب تفوق عدوه، كما حرص على تدريب هذه القوات تدريباً عسكرياً فائقا وعمل جاهداً على رفع الروح المعنوية لقواته المسلحة وتحقير عدوه.

٣- استخدم السلاح الاقتصادي لإضعاف عدوه حيث تحكم فى مجرى نهر النيل ومنع سفن الشحن التي كانت تحمل جزى وضرائب أقاليم مصر فى وسطها وجنوبها من أن تصل إلى أواريس مقر إقامة الهكسوس كما أنه قد استولى على العديد من هذه السفن.

٤- قطع الاتصالات بين عدوه وحلفائه وخاصة أمراء كوش فى بلاد النوبة وكان من نتائج ذلك أن استطاع الأمير كامس تحقيق انتصارات عديدة على الهكسوس

الذين بادروا إلى عرض الهدنة عليه فوافقهم بغرض الاستعداد للمعركة الفاصلة بينهما إلا أن عملاء الهكسوس تمكنوا بالمكر والخديعة من اغتيال هذا الأمير ... النصوص التي تركها.

أ- « أريد أن أعرف مدى سلطاني إذا كان هناك حاكم فى أواريس وآخر في كوش وأجلس شريكا بين آسيوي ونوبي ويحكم كل منا جزءا من مصر. أن هذا ... يشاركني فى الأرض يجعلني لا أستطيع الوصول إلى منف وهي تابعه إلى مصر ... يتحكم فى الأشمونين والناس فى مصر لأنهم جميعاً فى قبضه الآسيويين. سأد... وأبقر بطنه لأن رغبتي أن أخلص وأسحق الآسيويين»[1].

ب- « لن أجعله يمر (مراكب شحن الجزي والضرائب الخاصة بالأسرة الهكسوسية الحاكمة) فى ماء مصر حتى منف»[2].

أحمس الأول

حمل راية الكفاح وقد قرر الانتقام من الهكسوس نتيجة لقتلهم والده سقنن رع وأخيه كامس وإن كان المؤرخ اليهودى يوسفيوس الذي اقتبس من المؤرخ المصري مانيتون يعتبر سقنن رع جده بينما يعد كامس والده وإن كان قد ثبت كذب هذا المؤرخ فيما ينقله عن المؤرخ المصري مانيتون « إنه فى عهد ملك يدعى سفر... (أي كامس) هزم الرعاة وطردوا من مصر كلها وحوصروا فى مكان يدعى أواريس مساحته عشرة آلاف أرورا وقد أحاطوا كل هذه المساحة بجدران حصينة منيعة حماية لكل متاعهم وكل غنائهم»[3].

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الرابع، ص: ١٤٠

(٢) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول، ص: ٢٥٢-٢٥٣

(٣) المرجع السابق: ص: ١٢٧، ٥٩-١٥٤، ١٩٩-٢٢٥

«ثم إن تومموزيس بن سفر جموثيس(وهو أحمس أو أموزيس أو آموس عند المؤرخين القدماء) حاصر الجدران بجيش يبلغ عدده أربعمائة وثمانين ألف رجل وحاول أن يجعلهم يستسلمون للحصار ولكنه لما يئس من بلوغ غرضه عقد معهم معاهدة تقضي بأن يخلوا كل مصر وأن يذهبوا حيث يشاءون دون أن يُضيّق عليهم وبمقتضى هذه الشروط غادر مصر ما لا يقل عن مائتين وأربعين ألفاً من الأسرى يحملون متاعهم مخترقين الصحراء إلى سوريا»[1].

كما جاء فى رواية يوسفيوس التي نقلها عن المؤرخ المصري مانيتون «أن الهكسوس تركوا منهم بقايا لم يستطيعوا الفرار فوقعوا أسرى بيد المصريين حيث سيموا العذاب الطويل وفرضت عليهم السخرة انتقاماً منهم، وبعد أن قضى أولئك الذين أرسلوا للعمل فى المحاجر زمناً طويلاً فى تلك الحالة البائسة، طلبوا من الملك أن يخصص لهم مدينه أواريس وكانت قد خوت على عروشها بعد أن تركها الرعاة الهكسوس لتكون لهم مسكناً ووقاء، فاستجاب للرغبة وحققها لهم»[2].

واستنتج بعض الباحثين من هذه الرواية أن الهكسوس هم اليهود على اعتبار أنه قد وقع فى أسر الجيش المصري عددٌ منهم أثناء طردهم على يد الملك أحمس الأول، وبما أنه لا دلائل على تواجد عنصر آسيوي بدوي فى مصر خلال الدولة الحديثة وخاصة ما أطلق عليهم المصريون (الحقا خاسوت)، ولكن فيما يعتقد إنه كانت هناك بعض الحكايات الشعبية بين المصريين القدماء وخاصة خلال العصر اليوناني الروماني بأن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر وأقاموا فى أرض فلسطين وقد استطاعوا تكوين مملكة ذات جيش كبير ولكن هذه الحكاية تعتمد علي جزء بسيط

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.-ص:١١٢-١١٤

(٢) سيد القمني: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الأول، القاهرة:١٩٩٩،.-ص:١٤٨-١٤٩

من الحقيقة أما بقيتها فيعتمد على التهويل والتضخيم ولغياب الجزء الأكبر من
الحقيقة فقد وقع بعض المؤرخين الذين تناولوا هذه الحكاية فى كثير من التناقضات
فنسبوا أحداث الخروج إلى شخصيات وأزمنة مختلفة.

أو أنه كان يقف وراء هذه الأفكار المغرضة عن عمد بعض الكتاب اليهود الذين
كانوا يعيشون فى مصر خلال هذا العصر والذي تمثل هدفهم فى رفع شأن
بغض النظر عن تزييف الحقائق التاريخية ويؤكد ذلك تناقض ما سجلوه من روايات
فى هذا الشأن.

ومن هذه التناقضات:

١- إذا كان اليهود (نسل يعقوب) عليه السلام، قد طردوا على يد أحمس الأول إلى
الأرض المقدسة فى فلسطين أو خرجوا من مصر بعد أن وقعوا معاهدة مع
الملك تجيز لهم التوجه إلى الأراضي الفلسطينية والإقامة بها، رغم أن هذا مخالف
لسياسة حكام مصر

اذا افترضنا جدلا أنهم كانوا حكاما وطنيين وليسوا من الهكسوس خاصة
أن أقام فى كنفهم بعضاً من ذرية إبراهيم عليه السلام، الذين رفضوا الخروج من مصر
وقعوا فى الأسر ابتداء من اوائل الأسرة الثامنة عشرة.

وقد اعتمدت هذه السياسة على عدم السماح بخروج بني إسرائيل من مصر
التوجه إلى أرض فلسطين والإقامة بها وذلك بناء على نبوءة قديمة جرت على
إبراهيم الجد الأعلى لبني إسرائيل والتي أخبر بها الملك الجبار الذي تعرض
زوجته سارة والتي كتب لها الذيوع والانتشار بين قوم هذا الجبار والتي مفادها
زوال ملك أسرة هذا الجبار سيكون على يد فرد من أفراد ذريته التي سيهبه الله

بها أو لبشارة يوسف لقومه بظهور نبي يخرجهم من مصر إلى الأراضي المقدسة أو للحلم الذي رآه فرعون والذي فُسِّر له بظهور نبي من بني إسرائيل يخرجهم من مصر ويهلكه ويقضي على مملكته.

فما الذي يدفع هؤلاء الحكام إلى تحمل تسع ابتلاءات ضخمة أصابت جميع أوجه الحياة فى مصر حتى حل الضعف فى ملكهم، طالما أن واحداً منهم سيرضخ فى النهاية ويوقع معهم معاهدة تضمن خروجهم بسلام إلى حيث أرادوا وما الذي يدفع بعض بني إسرائيل على الاستمرار فى الإقامة فى مصر. طالما أن الفرصة مواتية لهم للخروج منها وما الذي يدفع اليهود الذين وقعوا مع المصريين معاهدة للخروج أن يتركوا بقية إخوانهم فى مصر ولا يطالبوا برحيلهم إلى فلسطين.

وبافتراض أن عدداً من أسباط إسرائيل قد وقع كأسرى فى يد الجيش المصري وأنه قد زاد عددهم ونسلهم فى مصر ثم طلبوا من الحكام المصريين أن يخرجوا من مصر ليقيموا مع إخوانهم الذين خرجوا إبان حكم الملك أحمس الأول فى فلسطين فما الذي يمنع هؤلاء الحكام من الموافقة لذرية ونسل الأسرى الإسرائيليين بالخروج من مصر خاصة وأن أقوى أسباط إسرائيل وهم اليهود، يقيمون على أرض فلسطين ولهم عاصمتهم وملكهم وجيش قوي بمعنى أن أسباب خوف الحكام المصريين من تواجد استيطاني مدني وعسكري لذرية يعقوب فى فلسطين لا مبرر له باعتبار أن هذا الوجود صار أمراً واقعاً وحقيقة لا يمكن إغفالها.

ثم ما الذي يدفع الملك أحمس الأول إلى أن يبقي على أكثر أسباط إسرائيل فى مصر سواء كان ذلك برغبتهم أو لوقوعهم فى الأسر أو سواء أكان هؤلاء الأسباط كانوا يعيشون فى كنف إخوانهم من اليهود أو فى كنف الذين استضافوهم فى مصر

الهكسوس أو يسمح بإقامة المطرودين من مصر على أرض فلسطين ألا يخشى أن يعيد اليهود أو الهكسوس الكرَّةَ ويهاجمو مصر ويستولوا عليها مرة أخرى بالاستعانة بإخوانهم الذين أُسِروا أو آثروا البقاء فى مصر خاصة فى التجسس على الأحوال السياسية والعسكرية فى مصر.

٢- إن هذه الرواية تناقض الحقائق الثابتة التي أكد عليها القرآن الكريم والتوراة ومنها:

أ- أكدت هذه الرواية أن فرعون وآله وجنوده لم يغرقوا فى بحر عظيم يقع بين سيناء وشرق الدلتا مما يناقض ما قررته النصوص القرآنية والتوراتية التي بينَّت أنهم قد غرقوا فى هذا البحر وكان ذلك سبباً رئيسياً فى نجاة بني إسرائيل من الهلاك على يد فرعون وجنده فضلاً عن تسهيل خروجهم من مصر وعدم تعبهم فى سيناء.

ب- قررت هذه الرواية أن بني إسرائيل قد نصَّبوا عليهم حاكماً من كهنة هليوبوليس اسمه أُوزيرسيف وأعطوه العهد أن يطيعوه فى كل شىء وكان أول ما فعله أن سن لهم شريعة حرَّم عليهم بموجبها أن يعبدوا آلهة المصريين بل أمرهم أن يقتلوها ويدمروا معابدها وأنه قد استعان بيهود أورشليم الذين لبُّوا دعوته وجاءوا إلى مصر بجيش عظيم تمكن من دخولها وأحكم السيطرة عليها بينما فر الفرعون أمنحوتب وابنه إلى أقصى جنوب البلاد وحكم اليهود مصر لمدة ثلاثة عشر عاماً، ثم خرج أوزيرسيف ببني إسرائيل من مصر بعد أن دار قتال عنيف بينهم وبين جيش الفرعون أمنحوتب وابنه انتهى بانتصار ساحق للمصريين عليهم ومما ورد على لسان المؤرخ اليهودي يوسيفوس بهذا الشأن: فأقاموا على أنفسهم (نسل الأسرى البدو الرعاة الذين وقعوا فى قبضه جيش الملك أحمس الأول) من بين كهنة

هليوبوليس (عين شمس) حاكماً عليهم وأعطوه العهد أن يطيعوه فى كل شيء وكان أول ما فعله بيَّن لهم هذه الشريعة التي بموجبها حرَّم عليهم أن يعبدوا آلهة المصريين وأن يمسكوا عن عبادة أي حيوان من تلك الحيوانات المقدسة التي يعظمها المصريون أيما تعظيم، بل أمرهم أن يقتلوها ويدمروها جميعاً».

فإذا كان الحكام الذين يعيش بنو إسرائيل فى كنفهم من المصريين القدماء فإن ذرية إسرائيل خلال العصر المتأخر سيفكرون ألف مره قبل أن يقرروا الفرار- من وجه الجيش الآشوري ثم البابلي فضلاً عن الصراعات والخلافات السياسية والدينية فيما بينهم- إلى مصر والإقامة فيها خوفاً من الانتقام والثأر منهم نتيجة لمسؤولية أجدادهم عن غرق أقوى ملوكهم وأسرته وخيرة شبابهم من الجنود فى البحر فضلاً عن سرقة حليهم والهروب من خدمتهم، وهذا لم يحدث حينما أتوا إلى مصر وأقاموا جاليات لهم فى مختلف أنحائها بل أنهم قد تطاولوا على الشعب المصري وحكامه ولم يتخذوا أي موقف عدائي ضدهم باعتبارهم قد مُنِحوا حق اللجوء السياسي إلى مصر.

أما إذا كان حكام مصر من الهكسوس فإن بني إسرائيل الخارجين من مصر بقيادة نبيهم موسى كانوا سيفكرون كثيراً قبل دخولهم بلاد الشام خاصة وأن الهكسوس كان لهم وجود عسكري لا يستهان به فى هذه البلاد ويؤكد ذلك الحصون والحاميات التي شيدها الهكسوس فى هذه البلاد والتي تم الكشف عن العديد منها فضلاً عمَّا أكدته النصوص من إرسال كثير من الممالك والإمارات بها الجزى والضرائب إلى مقر الهكسوس فى مصر، ويؤكد ذلك أن كثيرا من هذه الممالك والإمارات كانت خاضعة لسلطان مصر قبل أن يحتلها الهكسوس وإن هذه السلطة قد انتقلت إليهم بمجرد احتلالهم لمصر وحكم أهلها وفعلا قد رفض بنو إسرائيل دخول الأراضي المقدسة فى

فلسطين تحت قيادة نبيهم موسي عليه السلام لأسباب مختلفة كان فيما بينها هذا السبب

٢- ما الذي يدعو مؤرخاً مصرياً يرزح تحت نير الاحتلال اليوناني أن يشير باهتمام في إلى حياة مجموعة من الأسرى وقعوا فى أيدي ضباط وجنود الملك أحمس الأول ويتتبع سيرتهم وأهم أحداثهم سواء فى مصر أو فلسطين، وكان الأجدر أن يذكر لنا الكتّاب المصريون الذين كانوا يعاصرون حياة بني إسرائيل فى مصر فى نصوصهم هذه السيرة- ولكنه فى الواقع أن هؤلاء الكتاب لم يشيروا إلى أية أقوام أجنبية سكنت مصر وطاب لها المقام فيها إلا في إشارات عابرة لا تلفت نظراً ولا اهتماماً كالعابيرو مثلاً. كما أنه لا يوجد روايات أخرى تؤكد ما اقتبسه هذا المؤرخ اليهودى عن مانيتون مما جعل أكثر المؤرخين المحدثين لا يقيمون لهذه الرواية وزناً تاريخياً لعدم مطابقتها للواقع التاريخي وميلها إلى الكذب والادعاء الفاضح وخاصة فيما ادعاه من أن هؤلاء القوم الذين طردهم الأمير الطيبي أحمس الأول من مصر هم اليهود الذين اتجهوا ناحية فلسطين ودخلوها وأقاموا فى مدينة أورشليم، ثم ما لبثوا أن تمكنوا مرة أخرى من دخول مصر واحتلالها لمدة ثلاثة عشر عاماً وذلك بعد أن استدعاهم أسباط إسرائيل الذين فضلوا البقاء فى مصر فضلاً عن بعض المصريين القدماء المنشقين عن ملك يدعى أمنحوتب وابنه فيرون والذين سهلوا لهم احتلال مصر وفرض سلطانهم عليها وقد أقاموا فى مقرهم القديم أواريس بشرق الدلتا[١].

ومما يؤكد كذب هذا المؤرخ[٢]:

١- لم تشر النصوص المصرية القديمة وخاصة نصوص كل من مقبرة أحمس

---

(١) سيد القمني: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص: ٦٧٤

(2) D.O.Connor. The Hyksos Period in Egypt in "The Hyksos New Historical and Archaeological Persectives. Philadelphia. 1977, p.46"

سليم حسن: المرجع السابق، ص: ٦٠

ابن إبانا وأحمس بن نخبت وكذلك كل من لوحة الكرنك ولوحة كارنرفون والقوائم الملكية ونصوص بردية ساليه الأولى وما حرره الكتاب والمؤرخون القدماء فضلاً عن الكتب المقدسة حتى ما أصابه منها التحريف والتزييف إلى احتلال اليهود لأرض مصر فى أي عصر من عصورها.

٢- أنه من غير المقبول أن الأمير أحمس الأول قد سمح بخروج القوم الذين احتلوا بلاده وقتلوا آباءه وأجداده ونقضوا العهود ونشروا الظلم والفساد فى كل أرض مصر بكامل قواتهم ومعداتهم إلى أرض أخرى متاخمة للحدود الشرقية لبلاده وينام هادئاً قرير العين وهو لا يخشى أن يعيد هؤلاء القوم الكرَّه مرة أخرى لمهاجمة مصر وإعادة أمجادهم السابقة[١].

ويستنتج من ذلك صحة النصوص المصرية التي أشارت إلى تعقب الملك أحمس الأول لهؤلاء القوم ومحاصرتهم فى شاروحين بأرض فلسطين وقضى علي أكثرهم وتعقب الفارين منهم فى بلاد الشام حتى لم يعد لهم أي قوة تذكر وعاد بكثير من أسراهم إلى مصر حيث عملوا كخدم وأرقاء لهم وقد انصهر هؤلاء الأسرى وذريتهم على مر العصور بالجنس المصري القديم[٢].

خامسا: هل انهار حكم الهكسوس بعد خروج بني إسرائيل من مصر؟

لم ينهر حكم الهكسوس فى مصر بعد غرق فرعون وآله وجنوده وفرار بني إسرائيل إلى أرض سيناء وان كان يعتقد أن حكم مصر قد انتقل من أسرة فرعون إلى أسرة أخرى حيث أكد القرآن الكريم غرق آل فرعون وهم الذين لهم الحق فى خلافته على عرش مصر.

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق،الجزء الثاني،.-ص:٤٧٣-٤٧٤

(٢) المرجع السابق،.-ص:٤٧٤

وكان غرق جنود فرعون وهامان فى البحر ضربة عظيمة أدت فقد القوة العسكرية للهكسوس والتي كانت تستخدم فى إذلال وقهر أهل مصر وتثبيت دعائم احتلالهم لأرض مصر.

كما غرق جنود فرعون وهامان فى البحر ضربة عظيمة أدت إلى فقد القوة العسكرية للهكسوس والتي كانت تستخدم فى إذلال وقهر أهل مصر وتثبيت دعائم احتلالهم لأرض مصر.

كما أن خروج بني إسرائيل الذين كانوا يشكلون الأيدي العاملة لهم خاصة في الأعمال الإنشائية والخدمة فى البيوت والقصور قد زادت من ضعفهم مما أدى إلى اشتعال الثورة فى مصر ضدهم.

ولم يستغل موسى هذا الوضع الذي آلت إلية قوة عدوه ويعود إدراجه إلى مصر لأنه بعلمه الإلهي قد علم أن المصريين الوطنين ستزداد قوتهم العسكرية ويستردون ملكهم الضائع وسيكونون سبباً فى هلاك عدوهم حيث يطردونهم من مصر إلى بلاد الشام ثم يقومون بملاحقتهم فى هذه البلاد وتشتيتهم إلى أماكن بعيدة ومنها شبه الجزيرة العربية مما سيكون سبباً فى تسهيل دخوله وقومه من بني إسرائيل أرض فلسطين كما أن موسى عليه السلام، وقومه لم يكن لديهم القوة العسكرية التي تمكنهم من القضاء على بقايا القوة العسكرية لدى الهكسوس وفرض سيطرتهم وهيمنتهم على المصريين الوطنيين.

سادسا: من هم الخارجون من الجنات والعيون والزروع والكنوز والمقام الكريم الهكسوس أم المصريون؟

إن القرآن الكريم قد حدد بوضوح وجلاء تام أن المقصود بالخارجين من الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم هم فرعون وآله وجنوده وقومه حيث ورد به.

١ - قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۝ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[1] (الشعراء: ٥٢ - ٥٩).

٢ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الدخان: ١٧ - ٢٨) وبما أن حكام مصر المصريين وقومهم لم يخرجوا من مصر أبداً ولم يعهد عليهم أو يؤثر عنهم ذلك حيث إنهم كانوا يتمسكون بأرضهم حتى في فترات المجاعات والكوارث الطبيعية وغزو الجيوش الجرارة التي أتت من الشرق وتمكنت من فرض سلطانها وهيمنتها عليهم وتحملوا أقسى أنواع العذاب ولم يفروا يوماً من أرضهم علي عكس ما نجد عليه قبائل البدو مثل الهكسوس والعابيرو وبنو إسرائيل وغيرهم.

كما أن مصر لم تكن إرثاً لأحد غير قومها وشعبها، فكم من محتل من الشرق والغرب تمكن من اعتلاء عرشها ونهب خيراتها إلا أن هذا الشعب عادة ما يتمكن من قهر هؤلاء المحتلين وطردهم، وبقي هذا الشعب سيداً إلى يومنا هذا على أرضه.

رابعا، اسم الأرض التي خرج منها فرعون وآله وقومه

اختلف الباحثون في تحديد اسم هذه الأرض وتمثلت وجهات نظرهم وآراؤهم في الآتي:

١ - أرض مصر:

وذلك باعتبار أن العيون في اللغة تعني الأنهار، كما كان للمصريين خبرة كبيرة

(١) المرجع السابق...

فى حفر الآبار والعيون واستخراج المياه من باطن الأرض وخاصة بالأراضي البعيدة عن نهر النيل التي تتاخم المناجم والمحاجر والطرق التجارية والحصون فضلاً عن أن مصر تعد أرضاً للكنوز حيث كان يستخرج منها الكثير من المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة وغيرهما وكانوا يرسمون الخرائط التي تحدد مواقعها وتمهيد الطرق المؤدية إليها وحراستها وتأمينها، كما تتميز مصر بكثرة وتعدد زروعها وقد تحدثت التوراة وكذلك القرآن عن بعض أنواعها وخاصة حينما طلب بنو إسرائيل من موسى أن تنبت الأرض التي عاشوا فيها فترة التية مما عهدوه من زروع فى أرض مصر أثناء إقامتهم بها.

٢- الأرض المقدسة فى فلسطين.

هي الأرض التي بشر بها الرب إبراهيم بأن ذريته سيرثونها بعد أن يخرجوا من أرض السخرة فى مصر وقد استطاعوا دخولها على يد يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام وقد تمكنوا من إقامة مملكتهم الكبرى على يد شاؤل/ طالوت فى القرآن والتي فرضت سلطانها على كثير من الممالك والإمارات فى العالم القديم.

٣- أرض مصر وفلسطين معاً.

وذلك على اعتبار أن الهكسوس قد احتلوا مصر فضلاً عن الممالك والإمارات الخاضعة لها فى بلاد الشام والتي تتميز بكثرة خيراتها وثرواتها والخروج هنا يعني أن الجنات والعيون والزروع والكنوز والمقام الكريم لا يمكن أن تنتقل إلى قوم آخرين من المصريين الوطنيين لأنه فى تلك الحالة لا معنى للخروج وإنما يفترض أن هؤلاء القوم من الأجانب وعلى ذلك إذا بحثنا فى تاريخ مصر القديم وخاصة فى العصور المقترحة لإقامة بني إسرائيل فى مصر فلا نجد أمامنا سوى عصر الاضمحلال

فى حفر الآبار والعيون واستخراج المياه من باطن الأرض وخاصة بالأراضي البعيدة
عن نهر النيل التي تتاخم المناجم والمحاجر والطرق التجارية والحصون، فضلاً
عن أن مصر تعد أرضاً للكنوز حيث كان يستخرج منها الكثير من المعادن النفيسة
مثل الذهب والفضة وغيرهما وكانوا يرسمون الخرائط التي تحدد مواقعها وتمهيد
الطرق المؤدية إليها وحراستها وتأمينها، كما تتميز مصر بكثرة وتعدد زروعها وقد
تحدثت التوراة وكذلك القرآن عن بعض أنواعها وخاصة حينما طلب بنو إسرائيل
من موسى أن تنبت الأرض التي عاشوا فيها فترة التية مما عهدوه من زروع فى أرض
مصر أثناء إقامتهم بها.

٢- الأرض المقدسة فى فلسطين.

هي الأرض التي بشر بها الرب إبراهيم بأن ذريته سيرثونها بعد أن يخرجوا من
أرض السخرة فى مصر وقد استطاعوا دخولها على يد يوشع بن نون خليفة موسى
عليه السلام، وقد تمكنوا من إقامة مملكتهم الكبرى على يد شاؤل/طالوت فى القرآن والتي
فرضت سلطانها على كثير من الممالك والإمارات فى العالم القديم.

٣- أرض مصر وفلسطين معاً.

وذلك على اعتبار أن الهكسوس قد احتلوا مصر فضلاً عن الممالك والإمارات
الخاضعة لها فى بلاد الشام والتي تتميز بكثرة خيراتها وثرواتها والخروج هنا يعني
أن الجنات والعيون والزروع والكنوز والمقام الكريم لا يمكن أن تنتقل إلى قوم آخرين
من المصريين الوطنيين لأنه فى تلك الحالة لا معنى للخروج وإنما يفترض أن هؤلاء
القوم من الأجانب وعلى ذلك إذا بحثنا فى تاريخ مصر القديم وخاصة فى العصور
المقترحة لإقامة بني إسرائيل فى مصر فلا نجد أمامنا سوى عصر الاضمحلال

الثاني الذي حكم فيه حكام أجانب أطلق عليهم المصريون اسم الهكسوس. وبما أنه فى الواقع لم يفرض هؤلاء الحكام الأجانب سيطرتهم على كافة أنحاء مصر حيث تمتعت بعض الأقاليم المصرية بالحكم الذاتي ومنها إقليم طيبة حيث سيطر حكام مصر الوطنيون على ثرواتهم وكنوزهم جزئياً ومن ناحية أخرى كيف يكون ذلك عقاباً للمصريين من قبل الرب بينما نجدهم قد استطاعوا أن يستردوا كافة أرضهم ويضعوا أيديهم على ثروات بلادهم بعد أن طردوا الهكسوس من مصر وبلاد الشام.

وعلى ذلك يمكننا أن نستنتج أن الذين خرجوا من الجنات والعيون والزروع سواء من مصر أو من أملاكها فى بلاد الشام هم الحكام الأجانب وقومهم، الذي أطلق عليهم المصريون اسم الحقاخاسوت (الهكسوس) والذين جعل الله لهم ملكاً وسلطاناً ونفوذاً عظيماً فى الأرض يحسدون عليه بعد أن عانوا الفقر والفاقة والجوع والحرمان وافتقاد الأمن والأمان والاستقرار.

وقد أكد القرآن ذلك فى قوله-تعالى-على لسان مؤمن آل فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1] (غافر: ٢٩).

كما أن لفظ الخروج ينطبق على هؤلاء الحكام البدو الرعاة وقومهم حيث أنهم قد خرجوا من النعم العديدة التي منحها الله لهم بعد أن دخلوا فيها فضلاً عن الخروج من أرض مصر وأملاكها فى بلاد الشام وتشتيتهم فى أراضٍ لا تتوافر فيها أسباب الحياة ومنها شبه الجزيرة العربية وغيرها.

وكان هذا العقاب الإلهي لهم نتيجة لأنهم لم يؤمنوا بدعوة رسلهم وخاصة إبراهيم عليه السلام وذريته ومنهم يعقوب ويوسف والأسباط وموسى وهارون عليهم

---

(1) القرآن الكريم-سورة غافر:٢٩.

جميعاً السلام ورفضوا الدخول فى الإسلام رغم الابتلاءات العظيمة التي ابتلاهم الله ﷻ بها لعلهم يرجعون عن غيهم إلا أنهم قد أعلنوا صراحة عن عدم إيمانهم بدعوة رسولهم موسى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(1) الأعراف: ١٣٢.

وهنا أمر الله ﷻ موسى بالخروج من مصر بقومه قد تبعه فرعون وآله وجنوده ليكون مصيرهم الغرق فى بحر عظيم ويحل الضعف والوهن فى قوم فرعون وتشتعل ثورة المصريين الوطنيين ضدهم ويتمكنوا من طردهم من مصر وأملاكها فى بلاد الشام ولتتحقق مقوله مؤمن آل فرعون لهم والتى أوردها الله فى قرآنه الكريم، حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩).

ثامنا: مصير الهكسوس بعد طردهم من مصر

يتبادر إلى ذهن كثير من الباحثين التساؤل عن مصير الهكسوس الذين طردهم أحمس الأول خارج الحدود المصرية ثم محاصرتهم بحصن شاروحين بفلسطين هل تم إبادتهم عن بكرة أبيهم ولم يبق منهم أحد؟ أم أنهم قد فروا إلى أرض بعيدة عن أرض فلسطين التي لا يرضى المصريون علي بقائهم فيها خوفاً أن يعيدوا الكرة ويحتلوا مصر مرة أخرى أو على الأقل يشكلون تهديداً لمصلحة مصر فى بلاد الشام.

ويمكن الرد على هذا التساؤل بأنه لا يمكن لقوات أحمس الأول أن تقوم بقتل أكثر من مائتين وأربعين ألف جندي تمكنوا من الخروج من مصر فضلاً عن الآف

---

(1) القرآن الكريم: سورة الأعراف: ١٣٢

آخرين من المدنيين.

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا الأعداد الكبيرة من الهكسوس قد رحلت عن أرض فلسطين وربما أراض أخرى من بلاد الشام بعيداً عن هيمنة وسلطة حكام مصر. ويفترض بعض الباحثين أن بعضهم اتجه شمالاً وبعضهم الآخر اتجه جنوباً وانتشر فى شبه الجزيرة العربية وخاصة الحجاز باعتبار أن هذا الاسم قد اشتق من اسم حقاخزو أو حقاخاسو وهو الاسم الذي أطلقه المصريون عليهم والذي اتخذه بعض حكام الهكسوس لقبا لهم.

ويبدو أن ذلك وراء ورود ذكرهم فى القرآن الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ لعلم قومه بهم وبسيرتهم والذي يمكن أن نتلمسه فى ما دونه بعض المؤرخين العرب عن أسماء ملوكهم وأحداث عصرهم دون غيرهم من حكام مصر طوال تاريخهم القديم الذي يبدأ من عصر ما قبل التاريخ وينتهي بالأسرة الثلاثين.



الفصل الرابع

بنو إسرائيل من دخولهم إلى اضطهادهم

- نسبهم.
- أسماؤهم.
- ديانتهم.
- ذريتهم.
- حرفهم.
- محل إقامتهم.
- دعوة أنبياء بني إسرائيل الهكسوس للتوحيد ولغتهم.
- اضطهادهم.

بنو إسرائيل

نسبهم

يعد بنو إسرائيل من عائله الكرماء على حد قول ووصف محمد ﷺ فجدهم الأول هو إبراهيم أبو الأنبياء خليل الله وجدهم الثاني هو إسحاق نبي الله والابن الثاني لإبراهيم بعد إسماعيل نبي الله عليه السلام أما أبوهم فهو يعقوب نبي الله والمجاهد فى سبيل الله وعمهم هو عيسو المُلَقَّب بأدوم والذي اصطفى الله من ذريته بعض الأنبياء وخال أبيهم هو لابان الساكن بأرض حاران وجدُّهم عن طريق ابنتيه الشقيقتين اللتين تزوج بكل منهما وجمع بينهما يعقوب لظروف مرض الأولى منهما وقد من الله على كافه أولاد يعقوب الذكور بالنبوة ثم اصطفى من نسل بعضهم أنبياء.

وكان آخرهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لتنتقل النبوة إلى بيت إسماعيل حيث بعث الله من هذا البيت محمداً ﷺ ليكون خاتم المرسلين[1].

يصعب تحديد أصول بني إسرائيل ومعتقداتهم وكل ما يتعلق بحياتهم ووجودهم وذلك للأسباب الآتية[2].

١- تحريمهم للفنون التشكيلية قد حَرَمَ المؤرخون من أحد المصادر الهامة الذي يستنبع منها تاريخ الشعوب.

(١) محمد خليفة:رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدني القديم وحضارته، القاهرة:١٩٩٨.،ص:٢٤٦-٢٥٢

(٢) عبد الوهاب المسيري: اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء الرابع، القاهرة:١٩٩٩.،ص:١٦ – ١٧؛ الجزء الخامس، القاهرة:١٩٩٩.،ص:٨٥، ١٠١-١٠٢

٢- عدم وجود اكتشافات أثرية تتعلق بالأحداث الهامة المتصلة بالعلاقات ...
الإسرائيلية أو غيرها والتي وردت بالكتب المقدسة لبني إسرائيل وخاصة العهد ...

٣- عدم إجراء حفائر بشكل تام فى إسرائيل أو فلسطين.

٤- الدمار الذي أحدثته الشعوب المعادية للإسرائيليين وخاصة بالمواقع ...
اتخذوها مقرّاً للحكم وخاصة أورشليم والسامرة.

٥- عدم اهتمام الإسرائيليين بالعمارة والمنشآت واستخدامهم لمواد ...
للتلف والاندثار ومنها الأخشاب ويمكن إرجاع السبب فى ذلك لطبيعتهم البد...

٦- تأخر ظهور الكتابة فضلاً عن عدم إجادة الكثير منهم للقراءة والكتابة ...
أثناء إقامتهم فى مصر كانت سبباً مهمّاً فى عدم العثور على وثائق معاصرة لحياتهم ...
مصر ورغم هذا فقد أشار القرآن إلى أنه كانت توجد كتابة للغة التي كانوا يتحدثون ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُ... فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1] (الأعراف: ١٤٥)
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّ... لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[2] (الأعراف: ١٥٤).

٧- المتناقضات التي تستشري فى نصوص العهد القديم وغيره من ...
الكتب المقدسة لبني إسرائيل وبين الأدلة الأثرية النادرة.

أسماؤهم

لقد أطلق على ذريه يعقوب عليه السلام، وربما من انضم إليهم وصار من أتباعهم ...
أسماء منها:

---
(١) القرآن الكريم،سورة الأعراف:١٤٥
(٢) القرآن الكريم،سورة الأعراف:١٥٤

١- العبرانيون:

يبدو أن إبراهيم عليه السلام الجد الأعلى لبني إسرائيل هو الأصل فى هذا اللقب حيث أطلق عليه لفظ عبراني وقد ورد هذا اللفظ أكثر من سبع عشرة مرة بالعهد القديم من الكتاب المقدس وقد ارتبط بهذا اللقب أيضاً كل من إسحاق ويعقوب يوسف ثم كافة ذرية يعقوب حيث ورد بالتوراة على لسان ابنة فرعون حينما فتحت الصندوق الذي وضع به موسى (ولما فتحته رأت الولد وإذ هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين)[1] (سفر الخروج:٢/٦) وقد اختلف المؤرخون فى سبب تسميه إبراهيم بهذا اللقب وكانت آراؤهم كالآتى[2]:

أ- لأنه يعبر من طريق إلى طريق حيث يتواجد قومه الذين بُعث إليهم ليهديهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة ما دون الله حيث انتقل من أور الكلدانيين إلى حاران ثم إلى أرض كنعان ثم إلى مصر ثم إلى مكة وكان يسعى وراء الناس أينما رحلوا لا يخاف من جبار أو سلطان جائر، كما نجد المصريون المحدثون يطلقون لفظ عابورا على النعاج ربما لانتقال القطيع من مكان إلى آخر حيث يتوافر الكلأ والعشب والماء أو ربما لمعاشرتها أكثر من ذكر فى وقت واحد فهي لا تستقر على ذكر واحد بل تنتقل من ذكر إلى آخر مما يدل عدم ثبات أو استقرار على حال واحدة.

ب- إنه يرجع إلى اسم عابر الجد الرابع لإبراهيم عليه السلام بمعنى أنه لقب عائلته الذي يطلق علي جميع أفرادها، كما هو الحال فى زماننا الحالي فالاسم الرابع أو الجد الرابع يطلق على الأفراد الذين يندرجون تحت نسل وذرية هذا الجد الرابع.

(١) الكتاب المقدس

ج- أنه مشتق من لفظ (عفر) المصري القديم بمعنى الذي يصيب التراب ملابسه وجسده بصفة مستمرة نتيجة لتجواله وترحالة وانتقاله من مكان إلى آخر[1].

د- أنه يرجع إلى عبور إبراهيم وبعض أتباعه أحد الأنهار أثناء هجرتهم من أور الكلدانيين إلى حاران.

ومن هذا يتضح أن لفظ عبراني الذي أطلق على بني إسرائيل عرف قبل ظهورهم واستمر بعد ظهورهم ولا يرتبط بعبورهم بحر عظيم يفصل بين مصر وسيناء أو عبور نهر الأردن إلى داخل فلسطين[2].

فإن لم يكن لفظ عبراني لقباً لعائلته فقد أطلقه عليه فيما يبدو أتباعه لما عهدوه عليه من كثرة انتقاله أو ربما عرف به فى الصحف السماوية التي نزلت عليه وهي (صحف إبراهيم) كما عُرف حفيده يعقوب فى القرآن باسم إسرائيل ويبدو أن هذا الاسم أو اللقب صار معروفاً لكثير من الأمم والشعوب الآسيوية المعاصرة لإبراهيم سواء التي نزل بأرضها أو لم ينزل بها ومنها قبائل الهكسوس أولئك البدو الرعاة الآسيويين الذين احتلوا مصر[3] كما ساعد على انتشار هذا اللقب -أن إبراهيم عليه السلام قد ارتبط ذكره بالملك الذي أمر بإحراقه والذي حاجَّه فى ربه والذي ذكره بعض المفسرين العرب القدماء باسم النمرود بن كنعان وإن رأى بعض المؤرخين أن الملك الذي حاول إحراق إبراهيم يختلف عن الملك الذي حاجه فى ربه وأنه لم يحمل اسم النمرود أي ملك من ممالك وإمارات العراق القديم واقترحوا أن الملك الذي

---

(١) جاب الله على جاب الله: مقابلة تلفزيونية عن خروج بني إسرائيل من مصر، التلفزيون المصري، القناة الثانية، عام ٢٠١٠

(٢) محمد خليفة: المرجع السابق،، ص: ٢٤٧؛ عبد الجليل شلبي: المرجع السابق

(٣) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، الجزء الأول، المرجع السابق

ـه هو حمورابي، وهذا الملك قد دانت له ممالك الأرض من مشارقها إلى مغاربها وخضعت لسلطانه- [1] وعرفت بهذا اللقب ذريته وخاصة من نسل كل من إسحاق ويعقوب لاستمرارهم من نفس الدور الديني الذي حمله إبراهيم عليه السلام على عاتقه وهو نشر دين التوحيد بين هذه الشعوب الآسيوية.

من الذي تحتفظ ذاكرته باسم عبراني الهكسوس أم المصريون القدماء؟[2].

١- لا يعتقد أن ذاكرة المصريين القدماء تحتفظ باسم عبراني الذي عرف به إبراهيم حتى دخول حفيده الثاني يوسف إلى مصر لعدم وجود دواعٍ أو عدم وجود أحداث أو علاقات ترتبط به وتجعله عالقاً بذاكرة المصريين.

٢- أن قبائل الهكسوس عبارة عن أقوام بدوية آسيوية يعتقد أنها كانت تسكن بلاد الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية قبل دخولها مصر واحتلال أرضها ولذا فإنهم أكثر علماً بإبراهيم وآله وقومه من المصريين القدماء.

٣- أن إبراهيم عليه السلام لم يدخل مصر من أجل الطعام كما يتحدث كتَّاب التوراة فهو أقدر الناس على تحمل الجوع وكان يكفيه لقيمات قليلة يقمن أوده فضلاً عن أنه لم يكن يعول غير فرد واحد هو زوجته سارة ولذا فإنه دخل مصر من أجل نشر دين التوحيد وعلى هذا فإنهم من جنسه ويتحدثون لغته وعلى ذلك فهم من قومه الذين بعث إليهم وهم الذين أهدوه كثيراً من الهدايا وأعطوه هاجر التي تزوجها فيما بعد فكانت أول من أنجبت ذرية له وهو إسماعيل عليه السلام.

٤- أن ذرية إبراهيم من الإسماعيليين كانوا يتاجرون مع الهكسوس أثناء

---

(1) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثاني، ص: ٧٢-٧٤

(2) الكتاب المقدس

احتلالهم مصر وهم الذين باعوا يوسف إلى عزيز مصر وكان أيضاً من الهكسوس

٥- أن لفظ عبراني لم يرد فى النصوص المصرية مرتبطاً بجماعة أجنبية دخلت مصر وعاشت فيها قبل عصر الدولة الحديثة وإنما ورد فى أسماء بعض الأفراد خلال عصر الدولة القديمة كمقطع ثان منها مثل (كا-عبر) وهذا بالطبع لا يرتبط بسلالة إبراهيم وإنما هو من الأسماء المحببة لدي الناس على اختلاف مواطنهم مثله فى ذلك مثل الاسم المصري القديم نوخ الذي يمكن تقريبه إلى اسم نوح النبي

يري بعض المؤرخين أن بني إسرائيل أو الأسباط الاثنى عشر الذين خرجوا من مصر هم العابيرو، الذين ورد اسمهم فى النصوص المصرية أو الخابيرو الذين ورد اسمهم بالنصوص البابلية باعتبارهم جماعة واحدة وأن الاختلاف فقط فى النطق المصري والبابلي لاسمهم ويؤكد ذلك خطابات العمارنة التي أرسلها ملوك سوريا وفلسطين إلى الملك المصري أخناتون يرجونه إرسال الجيش المصري للقضاء على جماعات الخابيرو التي تهدد ممالكهم فضلاً عن تهديدهم للنفوذ والسلطان المصري فى آسيا ويؤكد هذا الرأي[1]:

١- أن لفظ عبراني أو عبري أو عابيرو له علاقة باسم عابر الجد الرابع لإبراهيم والذي نال شهرة واسعة وبالتالي فإن لم يكن هم بنو إسرائيل فهم ينتمون إلى سلالة واحدة.

٢- إن كل من العابيرو وبني إسرائيل كانوا يسببون تهديداً لمدن وممالك شمال وجنوب فلسطين وغيرها من مدن وممالك بلاد الشام[2].

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم: المغالطات والافتراءات علي تاريخ وحضارة مصر الفرعونية والرد عليها وتفنيدها من واقع الأدلة الأثرية، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ٦٠-٦٦؛ محمد خليفة: المرجع السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨

(2) Urk.IV.13089.K Hoffmeir. Isreal Oxford 1997 p.114

٢- أن كل من العابيرو وبني إسرائيل قد حاول أن تكون له السيطرة على شمال فلسطين وجنوبها والقضاء على مدنها وممالكها قضاءً تاماً.

ويعلق بعض الباحثين على هذا الرأي السابق بأنه مجرد خلط بين جماعات مختلفة عن بعضها البعض وإن كانت تجمعهم صفات وخصائص مشتركة والعبرانيون أصحاب دين سماوي حدد لهم الرب أرضاً معينة ليقيموا فيها وينشروا دينه بينما العابيرو/الخابيرو عكس ذلك وأسباب الخلط هي[1]:

١- أن كلاً منهما عبارة عن جماعات آسيوية تعرضت مواطنها الأصلية لظروف طبيعية وبشرية فهاجرت منها بحثاً عن مواطن أخرى أكثر استقراراً ووجد العابيرو ضالتهم فى بلاد الشام وخاصة شمال وجنوب فلسطين وذلك خلال القرنين الرابع والخامس عشر قبل الميلاد بينما تم استدعاء العبرانيين للإقامه فى مصر بعد موافقة حاكمها الهكسوسي.

٢- أن المهنة أو الحرفة الرئيسية التي زاولها كل منهما سواء فى مصر أو فى غيرها كانت القيام بالأعمال الشاقة وخاصة قطع الأحجار من المحاجر ونقلها إلى موقع البناء والتشييد فضلاً عن أعمال أخرى مختلفة.

٣- كان كل منهما يتصف بصفات واحدة ومنها الجبروت حيث أطلق عليهم الأوجاريتيين لقب تراي بمعنى الجبار وأنهم شكلوا تهديداً كبيراً لسلطان مصر فى بلاد الشام وخاصة ابتداءً من عصر تحتمس الثالث وربما قبله.

أما عن الأدلة التي ساقوها لبيان أن جماعات العابيرو/الخابيرو ليسوا

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص ١١٨-١٢١، ١٤١-١٤٢، الكتاب المقدس، العهد

٣- أن كل من العابيرو وبني إسرائيل قد حاول أن تكون له السيطرة على شمال فلسطين وجنوبها والقضاء على مدنها وممالكها قضاءً تاماً.

ويعلق بعض الباحثين على هذا الرأي السابق بأنه مجرد خلط بين جماعات مختلفة عن بعضها البعض وإن كانت تجمعهم صفات وخصائص مشتركة فالعبرانيون أصحاب دين سماوي حدد لهم الرب أرضاً معينة ليقيموا فيها وينشروا دينه بينما العابيرو/الخابيرو عكس ذلك وأسباب الخلط هي[1]:

١- أن كلاً منهما عبارة عن جماعات آسيوية تعرضت مواطنها الأصلية لظروف طبيعية وبشرية فهاجرت منها بحثاً عن مواطن أخرى أكثر استقراراً ووجد العابيرو ضالتهم فى بلاد الشام وخاصة شمال وجنوب فلسطين وذلك خلال القرنين الرابع والخامس عشر قبل الميلاد بينما تم استدعاء العبرانيين للإقامه فى مصر بعد موافقة حاكمها الهكسوسي.

٢- أن المهنة أو الحرفة الرئيسية التي زاولها كل منهما سواء فى مصر أو فى غيرها كانت القيام بالأعمال الشاقة وخاصة قطع الأحجار من المحاجر ونقلها إلى مواقع البناء والتشييد فضلاً عن أعمال أخرى مختلفة.

٣- كان كل منهما يتصف بصفات واحدة ومنها الجبروت حيث أطلق عليهم الرعامسة لقب تراي بمعنى الجبار وأنهم شكلوا تهديداً كبيراً لسلطان مصر فى بلاد الشام وخاصة ابتداءً من عصر تحتمس الثالث وربما قبله.

أما عن الأدلة التي ساقوها لبيان أن جماعات العابيرو/الخابيرو ليسوا

---

[1] نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.. ص ١١٨-١٢٤، ١٤١-١٤٢، الكتاب المقدس: العهد

بني إسرائيل فهي[1]:

أولاً: عاصر العابيرو/الخابيرو الدولة الحديثة فى مصر بينما يرجع تاريخ العبرانيين إلى إبراهيم عليه السلام الذي عاصر احتلال الهكسوس لمصر أو ربما قبل دخولهم بفترة قصيرة وإذا ما افترضنا جدلاً أن بني إسرائيل هم الذين أطلق عليهم الكتَّاب المصريون أسم عابيرو فإن هذه الجماعات قد استمرت تعيش على أرض مصر حتى عهد الملك رمسيس الرابع أحد ملوك الأسرة العشرين من عصر الدولة الحديثة ولا يمكن بأي حال من الأحوال بقاء بني إسرائيل فى مصر إلى عصر هذا الملك لأن هذا يتعارض مع ما اتفق عليه جمهرة من الباحثين فضلاً عن ما ورد فى التوراة بأن الفترة المنقضية بين خروج بني إسرائيل من مصر والعام الرابع من حكم الملك النبي سليمان عليه السلام أر بعمائة وثمانون عاماً.

ثانياً: أن ذرية يعقوب عرفت باسم العبرانيين خلال إقامتهم فى مصر وسبق الإشارة إلى ذلك ثم تخلوا عن هذا الاسم وحملوا اسم بني إسرائيل الذي ذكر أكثر من مرة فى القرآن الكريم وخاصة فى عصر موسى عليه السلام ثم قُطِّعوا إلى اثني عشر سبطاً عرف كل سبط باسمه ولم يعد يستخدم اسم إسرائيل إلا قبل قيام شاؤل بتأسيس مملكة إسرائيل الكبرى ثم بدأ يظهر اسم اليهود ويتراجع اسم إسرائيل حتى صار اسم اليهود هو المعروف والشائع الاستخدام.

ثالثا: أن العابيرو/الخابيرو ظلوا فى مصر حتى عهد الملك رمسيس الرابع والقرائن تؤكد حتمية عدم وجود العابيرو خلال هذا العصر إن كانوا هم بني إسرائيل حيث ان المدة من خروجهم إلى قيام المملكة الموحدة لا تتطابق مع الوقائع

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٢/٣٨؛سفر العدد:١١/٤؛عبد الوهاب المسيري:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،الجزء الرابع،ص:٨٤، ١١٢، ١٢٦.

التاريخية وخاصة إذا علمنا أن المملكة الموحدة كانت تعاصر نهاية الأسرة العشرين التي يعتبر رمسيس الرابع أحد ملوكها.

رابعاً: أن العلاقات بين جماعات العابيرو التي كانت تعيش فى مصر وبين حكام مصر وقومهم كانت طيبة ولم تشر النصوص المصرية إلى تعذيب أطفالهم أو انتهاك أعراض نسائهم أو قتل أي أحد منهم بسبب معتقداته الدينية. كما لم تشر النصوص إلى أي فرد قد تزعمهم أو أنهم كانت لهم طلبات محددة من فرعون حاكم مصر كما لم تتحدث النصوص عن هروب جماعي لهم.

خامسا: أن بني إسرائيل حينما خرجوا من مصر تحت قيادة موسى عليه السلام انحصر هدفهم فى دخول الأراضي المقدسة فى فلسطين وأنهم لم يشكلوا أي نوع من التهديد العسكري للممالك والإمارات فى سوريا أو العراق إلا فى خيال كتّاب التوراة الذين أكد الله فى قرآنه العظيم كذبهم وافتراءهم مما يفهم منه أن كل من العابيرو وبني إسرائيل جماعتان مختلفتان ولم يحدث هذا التهديد إلا بعد قيام مملكة إسرائيل الموحدة خلال عصر الملوك الأنبياء كشاؤل وداود وسليمان عليهما السلام.

وهناك رأي آخر يعتقد أن كل من العابيرو/الخابيرو وبني إسرائيل قد عاشوا جميعا جنباً إلى جنب خلال عصر الدولة الحديثة فى مصر ولكن يعيب هذا الرأي[1].

١- أن المصريين القدماء قد ذكروا جماعات العابيرو/الخابيرو فى نصوصهم كما سنرى مرات عديدة فى حين أنهم ذكروا اسم إسرائيل مرة واحدة أو مرتين للتشير إلى أنهم كانوا خارج مصر وليسوا داخلها. هذا ومن ناحية أخرى يتشكك كثير من المؤرخين فى أن لفظ يسيريارو الذي ورد بلوح مرنبتاح أو يسرري الذي

---

(١) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص: ٨٤، ١١٤.

ورد بنصوص الملك رمسيس الثاني يشير إلى إسرائيل ويعتقدون أنهما يشيران إلى جماعات من شعوب البحر. وقد ورد اسم جماعات العابيرو فى النصوص المصرية فى عهد كل من الملك تحتمس الثالث وأمنحوتب الثاني ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع مما يعني أنهم قد عاصروا ملوك الدولة الحديثة فى مصر.

ومن هذه النصوص

أ- عصر الملك تحتمس الثالث:

من أقدم المصادر التي وردت بها كلمة عابيرو تتمثل فى قصة شعبية تروي كيف استطاع أحد قوات الجيش المسمى تحوتي أن يفتح مدينة يافا ويهزم أميرها الذي كانت تعاونه جماعات من العابيرو وكانوا يعيشون فى جنوب فلسطين فى النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقد ورد هذا النص ببردية هاريس رقم خمسمائة.

ب- عصر الملك أمنحوتب الثاني:

جاء فى نصوص هذا الملك حملاته العسكرية التي قادها إلى بلاد الشام والتي حقق فيها انتصارات هامة وكان من بين الأسرى الذين سقطوا فى يده ثلاثة آلاف وستمائة من العابيرو ويعد هذا الملك أول من جلب أعداداً كبيرة منهم إلى مصر فى أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقد دونت هذه النصوص على لوحة من الحجر الرملي وهي محفوظة حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة.

ج- عصر الملك رمسيس الثاني:

أشارت بعض نصوص هذا الملك بأنه قد تم استخدام جماعات من العابيرو فى نقل الأحجار اللازمة لبناء أحد معابده وقد وردت هذه النصوص ببردية ليدن الأولى التى رقمها ثلاثمائة وتسع وأربعون.

د- عصر الملك رمسيس الثالث:

جاء فى بعض نصوص هذا الملك أنه قد أهدى عدداً من الأسرى العابيرو إلى معبد الإله رع فى عين شمس (هليوبوليس) وقد وردت هذه النصوص فى بردية هاريس.

هـ- عصر الملك رمسيس الرابع:

جاء فى بعض نصوص هذا الملك بأنه قد استخدم حوالي ثمانمائة من العابيرو ضمن بعثة أرسلها إلى المحاجر لقطع أحجار [1] الشست وقد وردت هذه النصوص على صخور وادي الحمامات.

٢- أن ملوك مصر خلال عصر الدولة الحديثة لم يدخلوا فى صراع أو أي حروب مع بني إسرائيل وإنما كان ذلك مع العابيرو وأثناء هذا الصراع الطويل معهم فى بلاد الشام – الذين كانوا يتألفون من أقوام غير متجانسة ضرب أرضهم القحط والجوع أو أخرجتهم من أرضهم أقوام أخرى أشد منهم قوة وبأساً وأكثر منهم عتاداً، مما جعلهم يهيمون فى الأرض بحثاً عن مواقع أخرى يقيمون فيها وكانوا لا يؤمنون بالله بل يعبدون آلهة مختلفة– وقد وقع الكثير منهم أسرى فى أيدي القوات المصرية واشتغلوا فى كثير من الحرف والمهن فى مصر حتى حكم الملك رمسيس الرابع أحد ملوك الأسرة العشرين.

ومما يؤكد أن كلا من العابيرو والعبرانيين سلالات مختلفة تماماً أن ذرية إسرائيل التي حملت اسم العبرانيين كانت صاحبة دين سماوي فهم من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقد عاشوا فى مصر خلال فترة احتلال الهكسوس

(١) جيمس بريتشارد: نصوص الشرق الأدني القديمة المتعلقة بالعهد القديم، الجزء الأول،تعريب/عبدالحميد زايد، القاهرة:١٩٨٧،،ص: ٨٥-٩٢؛ عبد المنعم عبد الحليم: المرجع السابق،،ص:٦٠-٦٢

لها وكانت حرفتهم الرئيسية هي الرعي ثم تعلموا مهناً أخرى وخاصة فى مجال الخدمة فى البيوت والتشييد والبناء.

كما أنه من المفترض أنها دخلت الأراضي المقدسة فى فلسطين قبل عهد الملك رمسيس الرابع بزمن طويل الأمر الذي يؤكده الفارق الزمني الكبير دخول هذه الذرية الأراضي المقدسة فى فلسطين وبين قيام المملكة الموحدة الكبرى لإسرائيل على يد ملكهم شاؤل والذي كان يعاصر فيما يبدو أواخر الأسرة العشرين أو أوائل الأسرة الحادية والعشرين.

كما أنه لم يكن لبني إسرائيل قوة عسكرية تستطيع مجابهة الجيش الأسطوري لمصر خلال عصر الدولة الحديثة وإلا تعرضوا للفناء حيث إنه من المعروف أن بني إسرائيل لم يكن لديهم جيش قوي مؤثر على الساحة الدولية إلا بعد دمج الأسباط فى مملكة واحدة بعد انتهاء موجة العابيرو وزوالها.

٢- أن جميع أسباط إسرائيل يتقدمهم جيشهم بقيادة يشوع بن نون كان هدفهم الأساسي دخول الأراضي الفلسطينية خاصة ذات الكثافة السكانية الشحيحة والبعيدة عن الحاميات والحصون العسكرية حتى لا يتعرضوا لأية انتكاسات أو أية مقاومة عسكرية ضاربة تحول دون دخولهم كما أنه لا دليل على أنهم قد هاجموا أية ممالك أو إمارات أو أية أراض تقع داخل حدود الأراضي السورية أو اللبنانية الحالية.

هذا بجانب أن كلا من القرآن الكريم والتوراة لم يشر أي منهما إلى دخول أسباط إسرائيل أو بعض منهم إلى مصر مرة أخرى بعد أن خرجوا منها على يد موسى عليه السلام سواء أكانوا أسري حرب أو غزاة محتلين خلال عصر الدولة الحديثة بينما أكد كل منهما أن هذا الدخول تم فى عهد يوسف عليه السلام الذي يتفق أغلب

الباحثين حاليا بأنه كان معاصراً لاحتلال الهكسوس لمصر.

٢- بنو إسرائيل

يرى بعض المؤرخين أنه لم يرد هذا الاسم فى مصادر التوراة دون الوثائق إلا فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حيث جاء بها ما نصه (ميشع ملك موآب حارب إسرائيل..) [(١)].

ولكن إذا ما رجعنا إلى نصوص القرآن الكريم نجدها تؤكد معرفة فرعون موسى وقومه لاسم إسرائيل أو بنى إسرائيل ويبدو أن هذا الاسم الذي كان يطلق على يعقوب قد أطلق أيضاً على سلالته خاصة بعد أن كثر عددها كما يبدو أن السبب لعدم اقتران تلك السلالة باسم والدها يعقوب يرجع إلى أن هذا الاسم كان شائع الاستخدام فى أسماء الأفراد من الهكسوس فضلاً عن كثير من أسماء الأفراد فى سوريا وفلسطين ولذا فان اسم إسرائيل كان اسماً فاصلاً ومميزاً بين ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وذرية كل من يحمل اسم يعقوب من الهكسوس أو غيرهم ومن هذه النصوص القرآنية.

أ- قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء: ٢٢)[(٢)].

ب- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[(٣)] (الأعراف: ١٠٤ – ١٠٥).

---

(١) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص: ٧٤٧؛ أ. جاردنر: مصر الفراعنة، تعريب: نجيب ميخائيل، ، ص: ٣٠٢

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٢٢

(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٠٤-١٠٥

ج- (قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] (يونس ٩٠

وقد ورد اسم إسرائيل فى وثائق التوراة أكثر من ألفين وخمسمائة مرة ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا الاسم هو الذي كان سائداً وقت قيام الكتبة بتدوين نصوص التوراة وأنه استخدم بدلاً من اسم واحد أو أكثر عرفت به ذرية يعقوب عليه السلام سواء قبل نزولهم أرض مصر أو بعد نزولهم واستقرارهم بها ومن هذه النصوص:

«فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان شديدا بأرض كنعان»[2] (سفر التكوين:٤٢/٥).

ويتضح من خلال هذا النص أن ذرية يعقوب لم يطلق عليها هذا الاسم أثناء إقامتهم فى أرض كنعان أو حتى فى أرض مصر بعد أن استدعى يوسف أباه وإخوته للإقامة فى مصر حيث كان يطلق عليهم لفظ عبراني.

وقد استخدم اسم إسرائيل للإشارة إلى الناس أو الشعب دون الأرض حيث إن الأرض التي وعدهم الله بها كانت يطلق عليها الأرض المقدسة أو المباركة أو أرض كنعان ثم أصبح يطلق على الأرض والناس مثل أبناء عمومتهم ذرية عيسو فكان يطلق على جنسهم الأدوميين وعلى أرضهم أدوم، وبعد أن أسسوا مملكة إسرائيل الكبرى فى عهد شاؤل حسب اللسان الإسرائيلي أو طالوت حسب اللسان العربي[3] وقد اختلف المؤرخون فى تفسير اسم إسرائيل على النحو الآتي:[4].

(١) القرآن الكريم،سورة يونس:٩٠

(٢) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:٤٢/٥

(٣) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر الخروج:١٠/٢٤

(٤) سيد القمني: المرجع السابق،الجزء الثاني،-ص:٦٥٦؛ نور الدين عبد الصمد،المرجع السابق،ص:٣١،أحمد عثمان،تاريخ اليهود،الجزء الأول،ص:٣٠-٣١؛محمد سيد طنطاوي،بنو إسرائيل فى القرآن والسنة،-ص:٦-٧

ج- ١ قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] (يونس: ٩٠)

وقد ورد اسم إسرائيل فى وثائق التوراة أكثر من ألفين وخمسمائة مرة ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا الاسم هو الذي كان سائداً وقت قيام الكتبة بتدوين نصوص التوراة وأنه استخدم بدلاً من اسم واحد أو أكثر عرفت به ذرية يعقوب عليه السلام سواء قبل نزولهم أرض مصر أو بعد نزولهم واستقرارهم بها ومن هذه النصوص:

«فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان شديدا بأرض كنعان»[2] (سفر التكوين: ٤٢/٥).

ويتضح من خلال هذا النص أن ذرية يعقوب لم يطلق عليها هذا الاسم أثناء إقامتهم فى أرض كنعان أو حتى فى أرض مصر بعد أن استدعى يوسف أباه وإخوته للإقامة فى مصر حيث كان يطلق عليهم لفظ عبراني.

وقد استخدم اسم إسرائيل للإشارة إلى الناس أو الشعب دون الأرض حيث إن الأرض التي وعدهم الله بها كانت يطلق عليها الأرض المقدسة أو المباركة أو أرض كنعان ثم أصبح يطلق على الأرض والناس مثل أبناء عمومتهم ذرية عيسو فكان يطلق على جنسهم الأدوميين وعلى أرضهم أدوم، وبعد أن أسسوا مملكة إسرائيل الكبرى فى عهد شاؤل حسب اللسان الإسرائيلي أو طالوت حسب اللسان العربي[3] وقد اختلف المؤرخون فى تفسير اسم إسرائيل على النحو الآتي:[4].

(١) القرآن الكريم، سورة يونس: ٩٠

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين: ٤٢/٥

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٠/٢٤

(٤) سيد القمني: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص: ٦٥٦؛ نور الدين عبد الصمد، المرجع السابق، ص: ٣١؛ أحمد عثمان، تاريخ اليهود، الجزء الأول، ص: ٣٠-٣١؛ محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل فى القرآن والسنة، ص: ٦-٧

المجاهد أو المحارب فى سبيل الله أو جندي الله: وذلك باعتبار أن اسم إسرائيل يتكون من ملصقين أحدهما إيل ويعني الله والثاني يسر الذي ورد مرة واحدة فى سفر هو شع ويعني مجاهد أو محارب أو جندي واعتبر مشتقا من الفعل سره بمعنى يجاهد أو يحارب والجهاد هنا لا يعني حمل السلاح ومحاربة من لا يؤمنون بالله ﷻ ولكنه جهاد فى نشر دين التوحيد بالموعظة والكلمة الحسنة ولم يرد فى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة أية حروب قام بها يعقوب أو أتباعه بل على العكس من ذلك كان يعقوب وذريته لا حيلة ولا قوة لهم ولا سلطان وكان يسود بينهم الفرقة والانقسام ولم تكن لهم ثروات أو أملاك وكان يعقوب يبحث عن الطعام لنفسه ولذريته كغيره من الناس أثناء فترة المجاعة والقحط الذي حل بأرض كنعان، وأنهم حينما جاءوا إلى مصر بدعوة من يوسف وموافقة من الملك كانوا يخدمون الأسرة المالكة وقومها فى مصر واستمروا على حالهم هذا حتى خروجهم على يد موسى هرباً من اضطهاد وتسخير فرعون وقومه لهم ولم يكن لهم أي نفوذ عسكري أو حربي ولا يملكون الدفاع عن أنفسهم حيث كان يُذبح أطفالهم وتستحيا نساؤهم. كما أنهم لم يستطيعوا مواجهة القوم الجبارين الذين يسكنون ببلاد الشام خوفا من أن يقضوا عليهم ويعيدوهم مرة أخرى إلى حياة الذل والهوان[1].

الله يجاهد أو يحارب: باعتبار أن الله عز وجل كما أشار إلى ذلك فى كثير من آيات القرآن الكريم يتولى القضاء على أعدائه وأعداء أنبيائه ومن انضم إليهم حيث أهلكهم بالطوفان أو بالصيحة أو بالريح الصرصر العاتية أو الريح العقيم أو بالطير الأبابيل المحملة بأحجار من سجيل أو بالخسف أو بالغرق أو بالحرق أو بإرسال الضفادع أو القمل أو الدمامل أو الدم وغير ذلك ويعتقد أن الجهاد بواسطة

(1) زياد مني: بنو إسرائيل؛ جغرافيه الجذور، دمشق؛ ١٩٩٥، ص: ١١-١٢

الرسل وأتباعهم قد عرف فى عهد موسى عليه السلام، إلا أنهم رفضوا دخول الأرض المقدسة ورفضوا أمر ربهم ونبيهم لخوفهم على أنفسهم من القوم الجبارين الذين يسكنونها فعاقبهم الله بحياة أليمة وصعبة فى البرية، لا يستقرون فيها بمكان معين طيلة أربعين عاماً متصلة إلا أنه يؤخذ على هذا الرأي أنه لا يمكن أن يطلق على يعقوب اسم بهذا النحو باعتبار أن ذلك يرتبط بالله ولا يرتبط بخلقه[١].

الله القدوس أو المقدس: وذلك تأسيساً علي ما يراه بعض المؤرخين أن لفظ إسر فى الأبجدية الإغريقية يعنى مقدس أو قدوس[٢].

إله سعير هو يهوه: وذلك اعتماداً على أن اسم إسرائيل هو اختصار لعبارة (إيه سعير هو إيل)[٣].

موقع جغرافى بجبل السراه الذي يقع فى شبه الجزيرة العربية: وإن كان البعض يرى أنه يمتد حتى البحر الميت شرق وادي عَرَبَة وأن الأسباط قد اكتسبوا اسم إسرائيل بعد استقرارهم فى جبل السراه (إيل سراه) نسبة إلى هذا الجبل فهم أهل أو أصحاب السراه ولكن يفسد هذا الرأي ما ورد بالقرآن الكريم من إطلاق اسم أو لقب إسرائيل علي لسان موسى وعلى لسان فرعون قبل أن يخرجوا من مصر[٤].

رجل من قبيلة راحيل:يعتقد بعض المؤرخين أن هذا الاسم مختزل من عبارة ايش راحيل بمعنى رجل من قبيلة راحيل[٥].

---

(١) سيد القمني:المرجع السابق،الجزء الثاني،-ص:٦٥٦

(٢) المرجع السابق،-ص:٦٥٦

(٣) المرجع السابق،-ص:٦٥٦؛زياد مني:المرجع السابق،-ص:١١٢

(٤) القرآن الكريم:سورة الشعراء:١٦-١٧

(٥) سيد القمني:المرجع السابق،-ص:٦٥٦

الأرض المقدسة من الإله: يفسر البعض اسم إسرائيل بالأرض المقدسة من الإله وهذا يستدعي وصف الكتاب المصريين لبعض البلاد الأجنبية كبلاد بونت أو بوينه «بأرض الإله أو الأرض المقدسة»[1].

متى أُطلق اسم إسرائيل على سلالة يعقوب؟

أولاً: إن الاعتماد علي التوراة فى تحديد بداية إطلاق اسم بني إسرائيل على سلالة يعقوب يؤدي إلى نتائج مضللة حيث أن الله ﷻ قد أكد فى قرآنه العظيم أن كتبة التوراة قد أضافوا إليها وحذفوا منها ثم بدَّلوا فى كثير مما بقي منها فكما سبق وأن ذكرنا أن إطلاق اسم بني إسرائيل علي أولاد يعقوب أثناء إقامتهم فى أرض كنعان غير مقبول حيث أن كتابَ التوراة ذكروا أيضاً أن كل من امرأة العزيز وابنة فرعون قد أطلقتا على يوسف وموسى بل وكافة ذرية يعقوب المعاصرة لنبي الله موسى عبراني أو عبرانيين، فإذا كان اسم بني إسرائيل معروفاً لدي كل منهما فلماذا تستخدمان اسماً غير شائع أو نادر الاستخدام وهو عبراني ويتركان اسماً معروفاً للناس فى عصرهم وهو بنو إسرائيل ومن هذا نستنتج أن هذا التخبط فى نصوص التوراة يقف وراءه من حرروها من الكتبة وأن النص الأصلي للتوراة بريء من هذا العبث وان كان البعض يرى أن أول ذكر مؤكد لإسرائيل دون الوثائق ورد فى سفر هوشع.

ثانياً: كما سبق وأن ذكرنا أن الله ﷻ قد أمر كل من موسى وهارون بالتوجه إلى فرعون فى قصره ليطلبا منه إطلاق سراح بني إسرائيل حتى يتوجهوا إلى الأرض المباركة فى فلسطين حالياً ليبدءوا منها نشر دعوة التوحيد بين الممالك والإمارات فى مشارق الأرض ومغاربها حيث ورد بالقرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

---

(1) زياد منى: المرجع السابق، ص ١١٣

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1] (الشعراء: ١٦ - ١٧) كما ذكر أيضاً اسم إسرائيل فى آيات أخرى منها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2] (يونس: ٩٠).

وهذا يعني أن اسم (بني إسرائيل) قد حل محل اسم العبرانيين والذي كان فيما يبدو مستخدَماً حين ميلاد موسى عليه السلام ويبدو أنه استخدم قبل تكليف موسى من ربه بوقت كاف ليعلم فرعون وقومه به ولم يكن اسماً جديداً أو مستحدثاً على مسامع فرعون أو قومه. وان اسم بني إسرائيل الذي ورد فى القرآن ليس محوَّراً أو معرباً بل هو نفسه كان مستخدماً فى ذلك الوقت إذا كان القرآن غيَّر نوعاً ما بعض الأسماء لأنها نطق خاطئ وقع فيه الناس وكان لابد من تصحيحه ومنها يشوع حرَّفها العرب إلى يسوع وذكرها القرآن باسم عيسى وشاؤل ذكره الله فى القرآن باسم طالوت وإبرام ذكر فى القرآن بإبراهيم[3] كما أنه من المستبعد أن الله قدر أمر موسى أن يذهب إلى فرعون ويطلب منه أن يرسل معه العبرانيين وأنه تعالى قد استبدل لفظ العبرانيين بلفظ بني إسرائيل فى القرآن لأن الله يذكر الأمر الذي وجهه إلى موسى كما هو وقت صدوره دون تعديل أو تغيير وإن حدث ذلك لأشار إليه تعالى.

ثالثاً: يعتقد بعض الباحثين أن النصوص المصرية قد ورد بها اسم إسرائيل خاصة خلال عصر الدولة الحديثة فى عهد الملك رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح وذلك قبل قيام مملكة إسرائيل الكبرى على يد شاؤل وقبل تدوين التوراة بثلاثة

---

(١) القرآن الكريم:سورة الشعراء:١٦، ١٧.

(٢) القرآن الكريم:سورة يونس:٩٠

(٣) محمد سيد طنطاوي: المرجع السابق،... ص:٦-٧

قرون وكانت الأدلة التي اعتمدوا عليها كالآتي:

١- أن كلمة يسرري أو يزرري التي وردت بنصوص الملك رمسيس الثاني تتشابه مع كلمة يسيريارو التي وردت بلوح الملك مرنبتاح والتي ينطقها المؤرخون علي النحو التالي يسريل، يسرئيل، يسير (ئي) لو،يسرا (ئي) لو،إسرالو والكلمة تتكون من مقطعين أولهما «إيل» أما الثانية يسير،يسر[4].

٢- أن التعبير الذي ورد بلوحة مرنبتاح وهو «بن برت-إف» بمعنى (لم يعد له ذرية) فينسب مجموعة الناس الأجانب الذين أطلق عليهم اسم يسير يارو والتي تم نطقها بقراءات مختلفة إلى رجل واحد وهذا لا يمكن أن يتعرف عليه المصريون إلا إذا قد عاش هؤلاء القوم فى مكان واحد لا يبرحونه وعرفهم المصريون القدماء معرفة جيدة، ونعلم أن المصريين كان لديهم علم بذرية يعقوب فى مصر وكذلك بأمراء ممالك بلاد الشام وعائلاتهم حيث إنهم قد وفدوا إلى مصر وتعلموا فى مدارس القصر الملكي فى مصر أما اعتبارهم مجموعة من شعوب البحر التي كانت تهيم على وجهها بحثاً عن مكان لتستقر فيه فإنه بعيد الاحتمال حيث التعرف على أصولهم يكون صعباً[5].

٣- أن ذرية عيسو(أدوم) قد استطاعت تكوين مملكة خاصة بهم فى أرض سعير، وذلك فيما يبدو قبل خروج موسى بقومه من مصر ،كما كانت لأدوم علاقات سياسية بمصر حيث ورد اسمها فى نصوص كل من الملك رمسيس الثاني ومرنبتاح من ملوك عصر الدولة الحديثة وكذلك استمرت علاقاتهم خلال العصر المتأخر ،فما هو المانع أن يكون لبني إسرائيل وجود قديم فى فلسطين وخاصة بعد انقضاء سنوات

(4) J.K.Hoffmeir.Israel In Egypt.P.35-31

(5) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، - ص: ١٧٥-١٧٦

إقامتهم فى مصر وفترة التيه خارج مصر والتي تقدر بأربعة قرون أو تزيد كان بها الأدوميون قد قطعوا شوطاً كبيراً فى تكوين مملكتهم[١].

٤- إنه من المحتمل أن كل من لفظ يسرري أو يسيريارو ويشير إلى جماعة من أسباط إسرائيل الذين دخلوا فلسطين والذين بدءوا يسببون مشاكل للسلطة والهيمنة المصرية علي ممالك بلاد الشام.

يرى فريق آخر من المؤرخين أن كلا من اسم يسرري أو يسيريارو الواردين بنصوص الملك رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح لا يشيران إلى بني إسرائيل واعتمدوا علي أدلة منها:

١- أن كلاّ من هذين الاسمين لا علاقة لهما باسم إسرائيل وأن كلاّ منهما مشتق من لفظ (اسر) فى حالة المفرد والذي يجمع إسريو بمعنى نباتات عشبية أو كلأ وبالتالى يمكن عقد صلة بينهما وبين الجماعات البدوية التي تعتمد فى حياتها علي حرفة الرعي التي تتطلب مساحات كبيرة تنمو بها الكلأ والعشب[٢].

٢- أن مرنبتاح قد تجاوز فلسطين كلها ودخل منطقة وادي الأردن أو مرج ابن عامر حيث التقى بمجموعة من شعوب البحر قضى عليهم وأطلق عليهم يسيريارو[٣].

٣- أن نصوص ممالك وإمارات بلاد الشام أو غيرها لا تشير إلى اسم إسرائيل سواء أكانوا داخل الأرض المقدسة فى فلسطين أو خارجها[٤].

---

(١) جاردنر: مصر الفراعنة،تعريب/نجيب ميخائيل،بيروت:١٩٨٢،-ص:٢٠٢-٢٠٣

(2) J.K.Hoffmeir.Israel In Egypt.P.30-31.K.Kitchen.Historical Method And Hebrew. TB.17.1966 P.63-97 (Tradition)

(٣) رمضان علي:رموز من تاريخ مصر القديمة،ص:١٤٨-١٤٩،١٥٦-١٥٧

(٤) المرجع السابق،ص:١٥٢،١٥٧؛عبد الحميد زايد،مصر الخالدة،-ص:٧٤٧

٤- أن الكُتَّاب المصريين لم يشيروا فى نصوصهم خلال عصر الدولة الحديثة والتي يفترض أن بني إسرائيل كان يعيشون فى كنف ملوكها إلى اسم إسرائيل أو اسم أي سبط من أسباطها وأن الاسم الذي كان من المتوقع ذكره تم الإشارة إليه وبنو إسرائيل خارج الحدود المصرية الشرقية،رغم أن هؤلاء الكتاب ذكروا جماعات كثيرة أجنبية عاشت فى مصر رغم ما سببوه للمصريين من مشاكل سياسية ومنهم العابيرو،واسم يسررى أو يسريارو الذي يعتقد أنه يقابل اسم اسرائيل اقتصر ذكره فقط على عصر رمسيس الثاني مرنبتاح ولم يعد له ذكر بعدهما،بينما اسم إسرائيل قد ازداد شهرة عالمية وخاصة بعد قيام مملكة إسرائيل الكبرى على يد شاؤل[1].

إذا لم يكن اسم يسيريارو يشير إلى إسرائيل فإلى ماذا يشير؟.

أ- لا يشير إلى موقع جغرافى حيث ينقصه مخصص الجبل أو المدينة الذي اعتاد الكتاب المصريون أن يلحقوا أحدهما بالمواقع الجغرافية.

ب- يشير إلى مجموعة من الناس أو قبيلة ويؤكد ذلك مخصص الكلمة الذي يتمثل فى رجل وامرأة وثلاث شرط رأسية تشير إلى جَمْع من الناس تم نسبهم إلى ضمير المفرد المذكر الغائب وليس إلى ضمير الجمع الغائب مما يؤكد أنهم جماعة تنتمي إلى أب واحد وأنه لا مقر ثابت لهم فهم يتجولون من موقع إلى آخر بحثاً عن مصادر الرزق أو مكان يستقرون فيه.

فهم إما مجموعة من شعوب البحر أو إحدى القبائل البدوية التي كانت تتعرض للطريق التجاري المصري من بلاد الشام أو لجيش مصر بالهجمات المباغتة والاختفاء فى دروب الصحراء الممتدة الواسعة المترامية الأطراف.

---

(١) محمد جمال جبريل: دولة إسرائيل والشريعة اليهودية،القاهرة١٩٩٦،،- ص٥٢-٦٠

٤- أن الكُتَّاب المصريين لم يشيروا فى نصوصهم خلال عصر الدولة الحديثة والتي يفترض أن بني إسرائيل كان يعيشون فى كنف ملوكها إلى اسم إسرائيل أو اسم أي سبط من أسباطها وأن الاسم الذي كان من المتوقع ذكره تم الإشارة إليه وبنو إسرائيل خارج الحدود المصرية الشرقية،رغم أن هؤلاء الكتاب ذكروا جماعات كثيرة أجنبية عاشت فى مصر رغم ما سببوه للمصريين من مشاكل سياسية ومنهم العابيرو،واسم يسررى أو يسريارو الذي يعتقد أنه يقابل اسم اسرائيل اقتصر ذكره فقط على عصر رمسيس الثاني مرنبتاح ولم يعد له ذكر بعدهما،بينما اسم إسرائيل قد ازداد شهرة عالمية وخاصة بعد قيام مملكة إسرائيل الكبرى على يد شاؤل[1].

إذا لم يكن اسم يسيريارو يشير إلى إسرائيل فإلى ماذا يشير؟.

أ- لا يشير إلى موقع جغرافى حيث ينقصه مخصص الجبل أو المدينة الذي اعتاد الكتاب المصريون أن يلحقوا أحدهما بالمواقع الجغرافية.

ب- يشير إلى مجموعة من الناس أو قبيلة ويؤكد ذلك مخصص الكلمة الذي يتمثل فى رجل وامرأة وثلاث شرط رأسية تشير إلى جَمْع من الناس تم نسبهم إلى ضمير المفرد المذكر الغائب وليس إلى ضمير الجمع الغائب مما يؤكد أنهم جماعة تنتمي إلى أب واحد وأنه لا مقر ثابت لهم فهم يتجولون من موقع إلى آخر بحثاً عن مصادر الرزق أو مكان يستقرون فيه.

فهم إما مجموعة من شعوب البحر أو إحدى القبائل البدوية التي كانت تتعرض للطريق التجاري المصري من بلاد الشام أو لجيش مصر بالهجمات المباغتة والاختفاء فى دروب الصحراء الممتدة الواسعة المترامية الأطراف.

---

(١) محمد جمال جبريل: دولة إسرائيل والشريعة اليهودية،القاهرة١٩٩٦،.. ص٥٢-٦٠

٤- أن الكُتّاب المصريين لم يشيروا فى نصوصهم خلال عصر الدولة الحديثة والتي يفترض أن بني إسرائيل كان يعيشون فى كنف ملوكها إلى اسم إسرائيل أو اسم أي سبط من أسباطها وأن الاسم الذي كان من المتوقع ذكره تم الإشارة إليه وبنو إسرائيل خارج الحدود المصرية الشرقية،رغم أن هؤلاء الكتاب ذكروا جماعات كثيرة أجنبية عاشت فى مصر رغم ما سببوه للمصريين من مشاكل سياسية ومنهم العابيرو،واسم يسررى أو يسريارو الذي يعتقد أنه يقابل اسم اسرائيل اقتصر ذكره فقط على عصر رمسيس الثاني مرنبتاح ولم يعد له ذكر بعدهما،بينما اسم إسرائيل قد ازداد شهرة عالمية وخاصة بعد قيام مملكة إسرائيل الكبرى على يد شاؤل[١].

إذا لم يكن اسم يسيريارو يشير إلى إسرائيل فإلى ماذا يشير؟.

أ- لا يشير إلى موقع جغرافى حيث ينقصه مخصص الجبل أو المدينة الذي اعتاد الكتاب المصريون أن يلحقوا أحدهما بالمواقع الجغرافية.

ب- يشير إلى مجموعة من الناس أو قبيلة ويؤكد ذلك مخصص الكلمة الذي يتمثل فى رجل وامرأة وثلاث شرط رأسية تشير إلى جَمْع من الناس تم نسبهم إلى ضمير المفرد المذكر الغائب وليس إلى ضمير الجمع الغائب مما يؤكد أنهم جماعة تنتمي إلى أب واحد وأنه لا مقر ثابت لهم فهم يتجولون من موقع إلى آخر بحثاً عن مصادر الرزق أو مكان يستقرون فيه.

فهم إما مجموعة من شعوب البحر أو إحدى القبائل البدوية التي كانت تتعرض للطريق التجاري المصري من بلاد الشام أو لجيش مصر بالهجمات المباغتة والاختفاء فى دروب الصحراء الممتدة الواسعة المترامية الأطراف.

---

(١) محمد جمال جبريل: دولة إسرائيل والشريعة اليهودية،القاهرة١٩٩٦م،– ص٥٢-٦٠

٣- اليهود:

تعد نصوص الكاهن الأوجاريتي ميلكو الذي عاصر الملك أخناتون في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة من أقدم النصوص التي أشارت إلى اليهود أو إلى بعض أسباط بني إسرائيل ومن هذه النصوص:

أ- «ولكنهم ضاعفوا الخلاف هؤلاء الأشيرتم، فخذ شباكا وأنت تشغل انشقاق رؤساء اليوديم».

ب- «لا تعط وجهك إلى العدو القاسي عندما يتعذر جر العدو رئيس اليوديم...»[1].

وقد اختلف المؤرخون بشأن ما ورد بهذه النصوص، حيث اعتقد بعضهم أن كلا من سبطي أشير ويهوذا لم يدخلا مصر أبداً مع بقية أسباط إسرائيل بينما اعتقد بعضهم الآخر أن هذان السبطان دخلا مصر مع والدهما يعقوب وخرجا مع موسى عليه السلام وذلك تأسيساً على كثير من نصوص القرآن الكريم فضلاً عن بعض ما ذكره كتّاب التوراة[2]، وإن كان هناك فريق ثالث اعتقد أنهما لم يخرجا مع موسى وإنما خرجا مع الهكسوس الذين تم طردهم علي يد الأمير الطيبي أحمس الأول، وأنه قد كثرت ذريتهما وصارا لهما قوة عسكرية مؤثرة فيما حولهما كما اعتقد بعض المؤرخين أن اليوديم المذكورين فى نصوص الكاهن ميلكو هم من ذرية يهوذا بن يعقوب أو ربما يكونوا من أكثر من سبط من أسباط إسرائيل الذين ندموا وتابوا إلى الله عز وجل بعد أن أشركوا بالله بعبادتهم العجل وكوّنوا جماعة تحمل هذا الاسم أو ربما يكونون

---

(١) ميلكو: اللآلئ، تعريب/ مفيد غرنوق، بيروت، ١٩٨٩م. – ص: ٧٠-١٢٥

(٢) كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، لندن: ١٩٨٨م. – ص: ٢٠٢

مجموعة مختلطة من سلاله يعقوب وغيرهم بعد أن آمنوا بإلههم يهوه[١].

ورغم أنه أسم اليهود كان معروفاً بين سلالة يعقوب من جهه وبين بعض ممالك وإمارات العالم القديم كما اتضح من نصوص الكاهن ميلكو من جهه أخرى خلال عصر الدولة الحديثة فى مصر إلا أنه قد أزداد انتشاراً بعد زيادة نسل يهوذا حتى أنه فاق جميع نسل اسباط إسرائيل على حد قول كتاب التوراة بعد انهيار مملكة إسرائيل الكبرى التي كان أول ملوكها شاؤل ثم انهيار مملكة إسرائيل الصغرى التي كان أول ملوكها رحبعام بن سليمان فلم تبق فى الساحة غير مملكة يهوذا وبذا أصبح لفظ اليهود علماً على سلالة يهوذا وأيضا فيما تبقى من سلالة بقية الأسباط إذ لا يعقل أنهم هلكوا جميعاً وأيضاً الأقوام التي دخلت فى دين موسى عليه السلام ويؤكد ذلك أنه لازال يوجد حتى يومنا هذا يهود من العرب ويهود من أجناس مختلفة فى قارات أفريقيا وآسيا وأوربا[٢].

يختلف المؤرخون فيما بينهم فى تحديد أصل لفظ اليهود الذي ورد فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وغيرها وهي كالآتي:

١- يرتبط هذا الاسم بيهوه إله موسى الذي أصبح له السيادة والريادة بعد أن تلاشت واختلفت الإيليه أو دور الإله (إيل) [٣].

٢- يرتبط بيهوذا بن يعقوب ويؤكد ذلك ما ورد فى التوراة (فاستيقظ الرب كنائم جبار مغبوط من الخمر فضرب أعداءه إلى الوراء وجعلهم عاراً أبدياً ورفض

---

(١) سيد القمني:المرجع السابق،الجزء الثاني،.- ص:٦٦٤؛ فيللور:النشيد عليان بعل،مجلة سوريا،١٩٣٢،ص:١١٣،١١٦

(٢) محمد خليفة،المرجع السابق،.- ص:٢٤٩

(٣) نور الدين عبد ... ١٦٠

خيمة يوسف ولم يختر سبط افرايم بل اختار سبط يهوذا فى جبل صهيون الذي أحبه»[1] (مزمور ٧٨/٦٥ -٦٨)، ويتضح من ذلك أن اليهودية قد طغت وأصبحت علماً على بقية الفصائل المتحالفة ليحملوا جميعاً لقب يهود وتصبح أيدولوجيتهم العقائدية هي اليهودية.

٣- يرتبط بلفظ هادوا الذي ورد فى القرآن الكريم حيث يقول ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] (البقرة: ٦٢) ولفظ هادوا فى النص القرآني يعني ندموا وتابوا ورجعوا إلى الله بعد أن عبدوا العجل الذي صنعه السامري من حليِّهم والذي أحرقه موسى ونسفه فى البحر.

هل اليهود هم الهكسوس الذين حكموا مصر؟

يرى بعض المؤرخين أن القبائل البدوية الأسيوية التي دخلت مصر واحتلتها فى نهاية عصر الدولة الوسطي الذين أطلق عليهم المصريون القدماء (حقاوخاسوت) أي حكام الأراضي الأجنبيه والذي حُوِّر إلى لفظ الهكسوس- هم اليهود الذين استقروا فى أورشليم بعد أن تم طردهم من مصر على يد الأمير الطيبي أحمس الأول الذي يعد رأس أعظم الممالك فى مصر قاطبة وخارجها وهي المملكة أو الدولة الحديثة بينما ظل بقية أسباط إسرائيل فى مصر خلال عصر هذه المملكة حتى ظهر فيهم شخصية مصرية تعرف باسم أوزيرسيف الذي تزعم كلاً من بني إسرائيل وكثيراً من الكهنة المصريين المنشقين عن الملك أمنحوتب الذي اعتبره المؤرخون إما

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، مزمور: ٧٨/٦٥ - ٦٨.

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:٦٢

أمنحوتب الثاني أو الثالث أو الرابع ثم ما لبث أن استعان أوزيرسيف باليهود وهم الهكسوس عند المصريين ليدخلوا مصر بجيوشهم مرة ثانية ويحتلوها لمدة ثلاثة عشر عاماً متصلة حتى تم طردهم علي يد الملك المصري أمنحوتب بعد أن استطاع إعادة تنظيم جيشه الذي حقّق انتصاراً ساحقاً على جيوش الغزاة[1].

اتفق أكثر المؤرخين علي أن قبائل البدو التي دخلت مصر واحتلتها وعرفت باسم الهكسوس ليست اليهود وساقوا بعض الأدلة التي تثبت ذلك:

ورد بالقرآن الكريم

أ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[2] (يوسف: ٤). وقد روى يوسف عليه السلام هذا الحلم الذي رآه فى منامه وهو لا يزال فى مرحلة الطفولة على أبيه يعقوب وقد نصحه بألا يقصص هذا الحلم علي إخوته لأن الشيطان سينفث سمومه بينهم ليفرقهم ويجعلهم يكيدون له. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[3] (يوسف: ٥).

وقد جرت هذه الأحداث بأرض كنعان.

ب- حينما فرَّق الشيطان بين يوسف وأبيه وإخوته لحكمة قد كتبها الله على يوسف حيث بيع لعزيز مصر ليكون سبباً إلهياً فى إنقاذ أهل مصر وما حولها من الموت جوعاً فضلاً عن نشر دعوة دين الله بينهم جميعاً وحينما تولى خزائن الأرض

(١) سيد القمني: المرجع السابق، الجزء الأول، - ص: ١٤٨-١٥١

(٢) القرآن الكريم: سورة يوسف: ٤

(٣) القرآن الكريم: سورة يوسف: ٥

وطلب من الملك الموافقة على حضور والده يعقوب وإخوته من أرض كنعان ليعيشوا فى أرض جاسان وبعد أن حضروا إلى مصر آوى إليه أبويه ورفعهما إلى العرش ثم سجد ليوسف الجميع سجود شكر واعترافاً بفضله عليهم « قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾[1] (يوسف: ٩٩ – ١٠٠).

ونستنتج من ذلك أن يهوذا قد دخل مصر مع بقية إخوته، حيث أن حلم يوسف قد تضمن ثلاثة عشر شخصاً هم أمه وأبوه وجميع إخوته الذين سجدوا له، فإن لم يسجد هذا العدد ذاته ليوسف فلا يمكنه القول أن رؤياه التي سبق وأن قصها على أبيه قد جعلها الله حقّاً أي حقيقة وليس مجرد حلم فى المنام[2].

حينما حضر إخوة يوسف من أجل الحبوب رفض يوسف مقايضة بضائعهم بحبوب مصر إلا بعد إحضار أخ لهم من أبيهم وهو بنيامين وهو الشخص الوحيد الذي لم يحضر مع أولاد يعقوب الإحدى عشر إلى مصر وإلا يكون يوسف قد أثار الشك حول نفسه فإن كان هناك أحد منهم غائبا لم يحضر ولم يسأل يوسف عنه فإن إخوته سوف يتساءلون لماذا يسأل عن بنيامين ولا يسأل مثلاً عن يهوذا وكيف عرف بنيامين وهو لم يره (هذا فى حال عدم حضور يهوذا إلى مصر) ونخلص من هذا أن جميع إخوة يوسف قد حضروا إلى مصر باستثناء بنيامين لخوف أبيه يعقوب عليه من أن يحدث له ما سبق وأن حدث مع أخيه يوسف قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:٩٩-١٠٠

(٢) زاهية الدجاني ...

ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [1] (يوسف: ٥٩).

يجب أن يكون يهوذا حاضراً فى مصر لأسباب منها:

١- أن يكون حاضراً بنفسه لسماع وصية أبيه يعقوب التي وزع فيها الأرض المقدسة علي أبنائه الاثنا عشر حسب ما ورد فى التوراة وكذلك ليقر أمام أبيه يعقوب بألا يعبد إلا الله إله يعقوب وآبائه إسحاق وإبراهيم وذلك حسب ما ورد فى القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] (البقرة: ١٣٣).

٢- يجب أن يكون حاضراً وفاة أبيه فى مصر مع بقية إخوته وكذلك حتى يسامحه والده يعقوب وأخوه يوسف عليه السلام عما بدر منه من أخطاء تجاههما وأنه إذا لم يدخل مصر فى حياتهم فإنه يعد آثما لأنهما قد توفيا فى مصر حيث أخرج يوسف جثمان أبيه وأخرج موسى جثمان يوسف وهذا معاذ الله أن يحدث فقد اصطفاه ربه وجعله من المرسلين مع بقية إخوته.

أن كُتّاب التوراة قد أحدثوا تضارباً فى النصوص التي نسخوها إذ يذكرون مرة أن يهوذا دخل مصر ومرة أخرى أن يهوذا لم يدخل مصر أبداً إذ أنه تحالف مع رجل كنعاني بعد أن زوَّجه ابنته واستقر فى وسطهم وعاش بينهم ولم ينزل مصر لهذا السبب ومن هذه النصوص.

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:٥٩

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:١٣٣

أَتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [1] (يوسف: ٥٩).

يجب أن يكون يهوذا حاضراً فى مصر لأسباب منها:

١- أن يكون حاضراً بنفسه لسماع وصية أبيه يعقوب التي وزع فيها الأرض المقدسة علي أبنائه الاثنا عشر حسب ما ورد فى التوراة وكذلك ليقر أمام أبيه يعقوب بألا يعبد إلا الله إله يعقوب وآبائه إسحاق وإبراهيم وذلك حسب ما ورد فى القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] (البقرة: ١٣٣).

٢- يجب أن يكون حاضراً وفاة أبيه فى مصر مع بقية إخوته وكذلك حتى يسامحه والده يعقوب وأخوه يوسف عليه السلام عما بدر منه من أخطاء تجاههما وأنه إذا لم يدخل مصر فى حياتهم فإنه يعد آثما لأنهما قد توفيا فى مصر حيث أخرج يوسف جثمان أبيه وأخرج موسى جثمان يوسف وهذا معاذ الله أن يحدث فقد اصطفاه ربه وجعله من المرسلين مع بقية إخوته.

أن كُتّاب التوراة قد أحدثوا تضارباً فى النصوص التي نسخوها إذ يذكرون مرة أن يهوذا دخل مصر ومرة أخرى أن يهوذا لم يدخل مصر أبداً إذ أنه تحالف مع رجل كنعاني بعد أن زوَّجه ابنته واستقر فى وسطهم وعاش بينهم ولم ينزل مصر لهذا السبب ومن هذه النصوص.

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:٥٩

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:١٣٣

ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[1] (يوسف: ٥٩).

يجب أن يكون يهوذا حاضراً فى مصر لأسباب منها:

١- أن يكون حاضراً بنفسه لسماع وصية أبيه يعقوب التي وزع فيها الأرض المقدسة على أبنائه الاثنا عشر حسب ما ورد فى التوراة وكذلك ليقر أمام أبيه يعقوب بألا يعبد إلا الله إله يعقوب وآبائه إسحاق وإبراهيم وذلك حسب ما ورد فى القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2]

(البقرة: ١٣٣).

٢- يجب أن يكون حاضراً وفاة أبيه فى مصر مع بقية إخوته وكذلك حتى يسامحه والده يعقوب وأخوه يوسف عليه السلام عما بدر منه من أخطاء تجاههما وأنه إذا لم يدخل مصر فى حياتهم فإنه يعد آثما لأنهما قد توفيا فى مصر حيث أخرج يوسف جثمان أبيه وأخرج موسى جثمان يوسف وهذا معاذ الله أن يحدث فقد اصطفاه ربه وجعله من المرسلين مع بقية إخوته.

أن كُتّاب التوراة قد أحدثوا تضارباً فى النصوص التي نسخوها إذ يذكرون مرة أن يهوذا دخل مصر ومرة أخرى أن يهوذا لم يدخل مصر أبداً إذ أنه تحالف مع رجل كنعاني بعد أن زوَّجه ابنته واستقر فى وسطهم وعاش بينهم ولم ينزل مصر لهذا السبب ومن هذه النصوص.

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:٥٩

(٢) القرآن الكريم

أ- «فدخل يهوذا وإخوته إلي بيت يوسف» [1] (تكوين٤٤/١٤).

ب- «اسمع يا يهوه صوت يهوذا وأت به الى قومه بيديه يقاتل لنفسه فكن عوناً له على أضداده» [2].

ومن هذا يتضح أن يهوذا قد دخل مصر وعاش فيها مثل بقية إخوته وخرج نسله مع بقية نسل إخوته من مصر تحت قيادة موسى عليه السلام.

إذا كان يهوذا قد دخل مصر مع بقية إخوته فكيف لنسله أن يزداد زيادة كبيرة دون بقية إخوته والتي يمكن أن نتلمسها بالنصوص المصرية التي ذكرت أن أعداد الجنود فى مدينة أواريس فقط تلك المدينة التي شيدوها بشرق الدلتا تبلغ مائتين وأربعين ألف جندي فما بالنا ببقية الحصون فضلاً عن أعداد المدنيين منهم- وذلك بافتراض أنهم الهكسوس- كما لم يحدثنا كُتَّاب التوراة عن صراع بينهم وبين حكام مصر المحليين ولم نسمع عن هذا الصراع إلا فيما ادعاه المؤرخ يوسفيوس اليهودي عن حرب دارت رحاها بينهم وبين حاكم مصري يسمى أمنحوتب انتصروا عليه واحتلوا بلاده ثم انتصر عليهم وأخرجهم من بلاده وذلك خلال عصر الدولة الحديثة [3].

إذا افترضنا أن اليهود هم الهكسوس فكيف للملك أحمس الأول الذي قام بطردهم خارج حدود مصر أن يخرج سبطاً واحداً وهو يهوذا وذريته ويبقي على أحد عشر سبطاً كاملاً بذريتهم وما الذي يدفعه إلى ذلك فإن ضررهم أكثر من نفعهم ثم كيف لمن فعل بحكام مصر وقومهم ما فعلوه من قتل وهدم وإحراق وسبي

---

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:٤٤/١٤

(٢) كمال الصليبي:خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل،لندن:١٩٨٨،ص:٢٠٢

(٣) نور الدين عبد الصمد:المرجع السابق،ص:٩٤

Redford, Canaan and Israel ... 408-416

أن يبقى الملك أحمس على أكثرهم خاصة أنهم كانوا جميعاً يشكلون سلالة واحدة وقد ينقلبون عليه وعلي قومه فى أي فرصة تحين لهم[١].

أن القرآن الكريم قد اثبت بصورة قاطعة دخول يعقوب وذريته إلى مصر كان بطريقة سليمة وبموافقة ومباركة ملك مصر فى زمان يوسف ولم يشر القرآن إلى أن عرش مصر قد آل إلى أحد من ذرية يعقوب، وإن كان قد حدث هذا لأشار إليه القرآن خاصة أنه يتناول أحداث تلك الفترة فقد ورد على لسان يوسف (وائتوني بأهلكم اجمعين) وأيضاً (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)[٢].

إذا كان اليهود هم الهكسوس

إنه يكون من المنطقي أن يوسف دخل مصر ويحكمها حكام محليون، فإذا افترضنا أن الملك فى عصره قد سمح بدخول جميع إخوته فضلاً عن أمه وأبيه وذريتهم باستثناء يهوذا وذريته فلم يدخلها ثم دخلت ذرية يهوذا بعد ذلك لتعيث فى أرض مصر الفساد وتفعل بحكام مصر وقومها ما فعلوه فهل جزاء الملك المصري الذي رفع من مكانة يوسف ومكانة إخوته بين قومه وأكرم وفادتهم أن يضيع عرشه وملكه على يد ممن يتصلون بيوسف برابطة الأخوة. لا نعتقد ذلك لأن الله سيبارك فى ملكه كما تقر التوراة بأن نبي الله يعقوب قد بارك هذا الملك وأهل بيته وأن هذه البركة على حد قول بعض المؤرخين استمرت أجيالاً طويلة من بعده، ثم إن هذا الغدر وانكسار الجميل من أحد عائلة يوسف كانت ستجعل الملك أحمس الأول لا يبقي على

(١) مختار السويفي: أم الحضارات: ملامح عامة لأول حضارة صنعها الانسان، القاهرة: ٢٠٠٠م، ص: ٢٠-٢١.

(٢) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء الرابع، ص: ١٣٦.

القرآن الك...

أحد منهم[1]. إذا افترضنا جدلاً صحة ما قاله المؤرخون بهذا الشأن بذكر مانيتون المؤرخ المصري أن الهكسوس جنس غامض غير معروف وأنهم كانوا حكاماً للأراضي الأجنبية وأن يهوذا وذريته لا تنطبق عليهم هذه الصفات فأصلهم معروف ولابد أن يوسف قد حدّث الملك عنهم وأن بعضاً منهم كان يأتي إلى مصر لصلة الرحم أو التجارة. كما أنهم لم يكونوا أبداً حكاماً لبعض الأراضي الجبلية.[2].

الأسس التي اعتمد عليها أصحاب الرأي القائل بأن اليهود هم الهكسوس الذين احتلوا مصر:

عزف أصحاب هذا الرأي عزفاً جيداً حتى يخيل لمن يطّلع على رأيهم صدق أقوالهم وحسن نواياهم وإنما هم في الواقع يهدفون إلى رفع مكانة اليهود على كافة الأمم في مشارق الأرض ومغاربها وقد وجدوا ضالتهم في مصر باعتبارها كانت سيدة العالم القديم بلا نزاع وكانت تعد من أكثر البلاد ثراءً وغنى وتقدماً في العلوم والآداب وكان يقف وراء هذا الرأي المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي ادعى أنه ينقل ما رواه المؤرخ المصري مانيتون ولكنه كاذب مثل أقرانه من كتّاب التوراة ومن هذه الأسس[3]:

١- أن كلاً منهما أقوام من البدو يعتمدون على التنقل والترحال وراء الكلأ والعشب والماء.

٢- أن كلا منهما يقيم بالخيام التي يمكن نقلها من مكان إلى آخر والتي يتم تثبيتها بالأوتاد.

---

(١) باهور لبيب: لمحات من الدراسات المصرية القديمة، القاهرة: ١٩٤٧م، ص: ٤١-٤٥
P. Labib. Die Herschaft Der Hyksos Im Agypten. 1934. P. 8ff

(٢) محمد خليفة: المرجع السابق، ص: ٢٤٩-٢٥٠

(٣) محمد بيومي مهران: المرجع ...

٣- أن الموطن الأصلي لكل منهما يقع خارج الحدود الشرقية لمصر.

٤- أن كلا منهما يتحدث لغة واحدة.

٥- أن كلا منهما لديه علم بالرسل والأنبياء وبمصير الأقوام التي عصتها كقوم نوح وعاد وثمود وغيرها.

٦- أنه لكل منهما عادات وتقاليد وشرائع مشتركة.

٧- أن كلاً منهما خرج من مصر فى اتجاه الأرض المقدسه فى فلسطين فبنو إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام وخرج الهكسوس على يد أحمس الأول ملك مصر ودخلوا فلسطين وتحصنوا فى حصونها حيث تمت محاصرتهم وتشتيتهم فى الأرض بينما رفض بنو إسرائيل دخول فلسطين لخوفهم من أهلها فعاقبهم الله بالتيه أربعين عاماً وبعدها أذن الله لهم بدخول فلسطين بقيادة يشوع بن نون.

٨- أن كثيراً من أسماء أفراد الهكسوس وبني إسرائيل متشابهة ومنها يوسف إيل ويعقوب إيل وغيرهما.

٩- أن الاختلاف الوحيد بين كل منهما أن الهكسوس كانوا لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة كافرون ولا يؤمنون بالحساب،كما أنهم كانوا يعبدون أرباباً متفرقة وكانت تتفشى فيهم المحرمات كالزنا والربا والقتل والظلم بينما بنو إسرائيل كانوا أهل دين سماوي اصطفى الله عز وجل منهم كثيراً من أنبيائه ورسله الذين حملوا على عاتقهم نشر دين التوحيد إلا أن الكثير منهم قد ضل الطريق فشاق الله ورسله فتولاهم الله بالعسى عليهم وعلى ملكهم وسلط عليهم من يذيقهم الذل والهوان[1].

---

(١) سيد محمد طنطاوي: المرجع السابق، ص ...

الشاسو

يختلف علماء اللغة فى تحديد أصل اسم الشاسو فيرى بعضهم أنه اسم مصري قديم مشتق من كلمة شاس فى اللغة المصرية وتعنى الذي يجوب ويتحرك من مكان إلى آخر مما يعنى أن اسم شاسو يشير إلى القبائل البدوية الكثيرة الترحال[1] ويرى بعض المؤرخين أن الشاسو هم بنو إسرائيل أو بصفة أعم أنهم ذرية إبراهيم كبني إسماعيل وبني أدوم وغيرهم[2] وفيما يعتقد بأن المصريين القدماء قد اعتبروا أسباط بني إسرائيل مثلهم فى ذلك مثل أبناء عمومتهم الأدوميين من الشاسو باعتبار أنهم بدو يعتمدون فى حياتهم على رعي أنعامهم على ما ينبت فى الصحراوات المتسعة حولهم من كلأ وعشب نتيجة لهطول ماء الأمطار. فإذا كانت النصوص المصرية قد حددت هوية أدوم وسعير وموآب فذلك يرجع إلى أنهم كان لهم كيان سياسي معروف حيث تمكن كل منهم من تأسيس مملكة صغيرة فى حين أن بني إسرائيل لم يتمكنوا من تأسيس مملكه خاصة بهم إلا فى نهاية عصر الدولة الحديثة وبداية العصر المتأخر فى مصر، حيث أنه من المتعارف عليه أن بني إسرائيل حينما دخلوا الأراضي المقدسة فى فلسطين لم يتمكنوا من إقامة دويلات صغيرة باعتبار أن أي أمة تقيم فى مكان حديث تحتاج إلى وقت طويل يتأقلمون مع ما جاورهم من شعوب وأمم وقد حدث ذلك بالفعل مع أدوم وموآب وغيرهما حيث تهيأت لهم الظروف لذلك بينما لم تتهيأ لبنى إسرائيل الذين كانوا يخدمون حكام الهكسوس فى مصر لعدة قرون وحينما تمكنوا من دخول

---

(١) رمضان علي: رموز من تاريخ مصر القديمة ومظاهر حضارتها ودحض ما قيل بشأنها من مزاعم وأباطيل، القاهرة: ٢٠٠٩م، ص:٧٥

(٢) نايوفتس، س: مصر أصل الشجرة: مسح حديث لأرض قديمة، الجزء الثاني، تعريب/أحمد محمود، القاهرة: ٢٠٠٦م، ص:٢٤٢

الأرض المقدسة لبثوا فيها عدة قرون أخرى حتى أقاموا مملكة موحدة تحت قيادة شاؤل، وقد ورد اسم الشاسو فى النصوص المصرية ابتداء من عصر الدولة القديمة وأطلق المصري هذا الاسم على القبائل البدوية التي تقوم برعي قطعان حيواناتها فى المراعي التي تكثر بها الكلأ والعشب والماء وشكّل بعض الشاسو تهديداً للحكم المصري فى بلاد الشام خاصة خلال فترة حكم بعض ملوك الدولة الحديثة ومنهم تحتمس الثاني ثم تحتمس الثالث وأمنحوتب الثاني وأمنحوتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني ومرنبتاح ورمسيس الثالث ومن بينهم بعض الإسرائيليين وكان بعض الشاسو الأخرين يقيمون علاقات طيبة مع المصريين ولا يشكلون تهديداً لنفوذها أو مصالحها ويؤكد ذلك نص من عصر الملك مرنبتاح أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة حيث سمح هذا الملك لشاسو أدوم وهم ذرية عيسو برعي مواشيهم داخل الحدود المصرية فى بر أتوم والتي يعتقد أنها فيثوم الواردة بالتوراة[1].

ومن الشاسو قبيلة إبشا التي تم تصويرها على أحد جدران مقابر بني حسن من عصر الدولة الوسطى والتي يعتقد أن لها علاقة ما بسنوحي ذلك القائد العسكري المصري الذي هرب إلى بلاد الشام ليعيش وسط قبائل الشاسو البدو ويتزوج ابنة أحد شيوخها أو حكامها وينجب أولاداً عاشوا حياتهم كلها وسط البدو وتحلُّوا بصفاتهم واكتسبوا كافة عاداتهم حتى صار كل منهم حاكماً لقبيلة ويبدو أنهم اتخذوا أسماءً ساميَّة[2] ولذا لم يجد أحد أشراف بني حسن غضاضة فى تصويرهم على جدران قبره رغم نظرة المصريين آنذاك للبدو حيث كانوا يعدونهم أنجاساً غير طاهرين وتنقصهم النظافة الشخصية فضلاً عن كونهم لصوصاً وقتلة مارقين

(1) رمضان علي، المرجع السابق، ص ٧١

(2) أحمد يوسف، المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣

وكانت أصولهم المصرية شفيعاً فى تصويرهم ويختلف هؤلاء البدو عن الوفود التي كان يرسلها ملوك وأمراء بلاد الشام إلى مصر حاملين جزى وهدايا بلادهم إلى حاكم مصر ولذا كان تصويرهم مستحبًا ومرغوباً فيه.

وعلى هذا الغرار قامت العلاقة بين قبائل البدو الإسماعيليين البدو وبين الحكام الهكسوس الذين حكموا مصر بعد انهيار الدولة الوسطى. فقد كانت تربط الطرفين علاقة قرابة حيث تزوج إبراهيم عليه السلام من فتاة من إحدى أسر الهكسوس وكان نتيجة هذا الزواج أن أقامت قبائل الإسماعيليين علاقات تجارية مع حكام مصر وقومهم من الهكسوس[١].

وقد تحسنت العلاقات بين المصريين القدماء والشاسو البدو خاصة خلال عصر الدولة الحديثة التي درج بعض ملوكها على الزواج من أميرات آسيويات فضلاً عن زيادة عدد الجواري الآسيويات بقصورهم ولذا ورد مناظر كثيرة للشاسو فى بعض مقابر ومعابد الدولة الحديثة خاصة فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة ثم الأسرة التاسعة عشرة[٢].

أسباب إغفال ذكر بني إسرائيل فى المصادر المصرية رغم طول مدة إقامتهم فى مصر.

لم يُذكر اسم إسرائيل أو بنى إسرائيل فى أي نص من النصوص المصرية باستثناء ألفاظ يسير يارو.يسررى/يزرى[٢].

التي اعتقد بعض المؤرخين أنها لا تشير إلى إسرائيل أو ذريته بينما يرى البعض

---

(١) أحمد يوسف: المرجع السابق،.. ص: ٤٣

(٢) رمضان علي: المرجع السابق…

والآخر أنها تشير إلى إسرائيل وذريته.

وهذا لا يتفق مع ما درج عليه المصريون القدماء وخاصة خلال عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر حيث أنهم ذكروا أسماء بعض الأقليات التي سكنت مصر واشتغلوا ببعض الأعمال الشاقة خاصة قطع الأحجار من المحاجر ونقلها إلى مواقع البناء والتشييد أو التحقوا بالجيش المصري مثل الشرادنه والمشواش والإيكواش ولم يتورعوا عن ذكر بعض الخارجين عن القوانين الدولية فى عهدهم من قراصنة البحر مثل التكر، كما أنهم ذكروا بعض قبائل البدو الضعيفة التي تطلب الحياة لأفرادها بدلاً من الموت جوعاً حيث سمح لهم الفرعون المصري بدخول مصر لرعي ماشيتهم فى مراعي مصر الغنية بالكلأ والماء ومنهم قبائل البدو الأدوميين[1] ويستنتج من ذلك أن بني إسرائيل لم يكونوا يعيشون منذ عهد يوسف حتى عهد موسى فى كنف حكم مصري وإنما فى كنف حكم الهكسوس أولئك البدو الرعاة الذين لم يكونوا يهتمون بالكتابة أو تدوين أحداثهم الداخلية أو الخارجية الأمر الذي يتضح بجلاء عند البدو أتباع موسى عليه السلام الذين لم يُدوّنوا كتبهم المقدسة إلا خلال القرن السادس قبل الميلاد.

وإن كان بعض الكتاب المصريين القدماء قد عاصروا أو كان لديهم علماً بأنبياء الله الذين دخلوا مصر لفترة قصيرة ثم رحلوا عنها مثل إبراهيم ولوط والسيدة سارة عليهم السلام أو الذين أقاموا فيها حتى وافتهم المنية كيعقوب ويوسف والأسباط أو الذين ولدوا على أرضها كهارون وموسى وبما نالته دعواتهم من ترحيب وتكذيب واضطهاد أتباعهم وأسرهم ولكنهم قد قاموا بإغفال ذكرهم وطمس الأحداث التي وقعت فى عصورهم بسبب معتقداتهم الدينية المخالفة والمناهضة لمعتقدات

(1) سيد القمني، المرجع السابق، الجزء الرابع، ص: ٩٨٧–١٠٠٤.

المصريين الدينية وبسبب تطاولهم على آلهتهم، كما كان الحال كذلك مع إخناتون من بعدهم وأفراد أسرته ولم يشفع لهم أنهم كانوا ضمن حكام مصر حيث اضطر الكُتّاب إلى حذف أسمائهم من الوثائق المصرية باعتبارهم خائنين لمصر ومعتقدات أهلها وذلك إذا ما اعتبرنا بني إسرائيل كانوا يعيشون تحت حكم مصري وطني[1].

إن بنى إسرائيل لم يشكلوا ثقلاً سياسيّاً أو اجتماعيّاً أو اقتصاديّا أثناء حياتهم تحت حكم الهكسوس فى مصر وأنهم بعد وفاة يوسف وإخوته صاروا مهانين ومقهورين ومنبوذين يعملون كخدم وعبيد لأسيادهم من الهكسوس[2].

كما أنهم حينما دخلوا الأرض المقدسة فى فلسطين على يد يوشع عليه السلام دخلوها أسباطا متفرقين حيث ورد فى القرآن الكريم أنهم بعد خروجهم من مصر تم تقطيعهم إلى اثني عشر سبطاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[3] (الأعراف: ١٦٠).

وقد عاش هؤلاء الأسباط الذين خرجوا مع موسى فى فلسطين قبل قيام مملكة إسرائيل الموحدة فى جماعات متفرقة ومتخاصمة فضلاً عن انشغال كل جماعة بكيانها الخاص ويبدو أن الأماكن التي وقعت تحت سيطرتهم كانت لا تشكل أطماعاً لأي إمارة أو مملكة من الممالك المجاورة لهم وأنهم كانوا يعتمدون فى حياتهم على الرعي وعلى مياه الآبار. وكان ذلك سبباً مباشراً فى عدم ذكرهم فى مصادر القوى الكبرى سواء فى مصر أو العراق أو غيرها ولم يصبح لهم ذكر على الساحة الدولية إلا بعد اتحادهم فى كيان واحد ومملكة واحدة يحكمها طالوت عليه السلام حتى استطاعت على يد ثالث

---

(١) آ.جاردنر:مصر الفراعنة..- ص: ٦٨ ؛سيد القمني: المرجع السابق،الجزء الثاني،.- ص:١٥٧

(٢) رشدي البداوي: المرجع السابق، الجزء الرابع،.- ص:٨٠١-٨٠٢

(٣) القرآن الكريم،سورة الأعراف:١٦٠

ملوك تلك المملكة أن تدين أكثر إمارات وممالك العالم القديم بالولاء والخضوع لمملكة إسرائيل الكبرى تحت حكم ملكها ونبى الله سليمان عليه السلام[1] حيث أورد ابن كثير فى كتابه تفسير القرآن العظيم قال مجاهد وغيره (وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة مؤمنان وكافران، المؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران نمرود وبختنصر والله أعلم، أما بختنصر فهو بنو خذ نصر، ويرى بعض الباحثين أنه لا يوجد ملك فى ممالك العراق القديم يحمل اسم النمرود وإنما فى الواقع توجد بلدة باسم نمرود على مجرى الراب الأكبر ويبدو أن الرواة قد خلطوا بين اسم الملك واسم المدينة أو ربما استعاروا هذا الاسم من التوراة وخاصة سفر التكوين الإصحاح العاشر الذي جاء به (وكوش ولد نمرود الذى ابتدأ يكون جباراً فى الأرض)[2].

دياناتهم

حينما أشرف يعقوب عليه السلام على الموت جمع أولاده وأحفاده حوله وسألهم ماذا تعبدون من بعدى فقالوا له نعبد إلهك واله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، كما يذكر كتاب التوراة ما نصه «ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام اجتمعوا وأسمعوا يا بنى يعقوب واصغوا إلى إسرائيل أبيكم) وتضمنت هذه الوصيه أموراً دنيوية وخاصة الذى ستحدث لذريته هذه فى قابل الأيام»[3] (سفر التكوين:٤٩).

وقد أمر الله عز وجل موسى وهارون أن يشيّدا بيوتاً لتؤدى فيها الصلوات وتقام فيها الشعائر والمناسك الدينية حيث ورد فى القرآن الكريم قوله-تعالى:

---

(١) أحمد عثمان:تاريخ اليهود،الجزء الأول، القاهرة:٢٠٠٢..- ص:٩٦-٩٨

(٢) محمد بيومي مهران:دراسات تاريخية من القرآن الكريم،ج:٤..- ص: ١٥٢

(٣) الكتاب المقدس:...

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] (يونس: ٨٧).

ويعتقد أن بناء دور العبادة لم يكن قاصراً على عهد موسى وهارون وإنما كان في عهد يوسف والأسباط حيث آمن كثير من قوم الملك بالله ودخلوا في دين الإسلام فضلاً عن بني إسرائيل الأمر الذي يقتضى بناء أماكن تؤدى فيها الصلاة الجماعية وغيرها من الشعائر الدينية.

ومما يؤكد أن بني إسرائيل كان دينهم الإسلام، أنه حينما أشرف فرعون على الغرق في البحر الذي أراد عبوره خلف بني إسرائيل لإعادتهم إلى خدمته وخدمة قومه قال طبقا لما ورد بالقرآن الكريم: ﴿ ...ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] (يونس: ٩٠).

ويبدو أن الملأ من قوم فرعون لم يرضوا عن عبادة موسى وقومه لله الواحد الأحد ونبذهم لعبادة فرعون وآلهته، فكادوا لهم عند فرعون حيث جاء بالقرآن الكريم قوله-تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[3] (الأعراف: ١٢٧).

وبما أن بني إسرائيل كانوا قوماً ضعافاً لا حيلة لهم ولا قوه فإنهم لم يشكلوا أي خطر في أرض مصر ولكن تركهم لعبادة فرعون ونبذهم لآلهته وعبادة الله وحده لا شريك له

---

(١) القرآن الكريم: سورة يونس:٨٧

(٢) القرآن الكريم: سورة يونس:٩٠

(٣) القرآن الكريم: سورة الأعراف:١٢٧

يعد في نظر الكهنة وغيرهم من آل فرعون وملئه إلى طريق الإسلام بعد أن ضلوا عنه وكان من أبرز الكافرين من بني إسرائيل قارون الذي كان يعد فرعون إلها يعبد ويسجد له من دون الله ومما يؤكد ارتداد بنى إسرائيل عن دين آبائهم خوفاً من فرعون وجنوده وطمعاً فى النجاة بأنفسهم وأهليهم من الهلاك على أيديهم ما ورد بالقرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[1] (يونس: ٨٣).

وبصفة عامة فإن الغالبية العظمى من بني إسرائيل تتسم بضعف إيمانها ومما يؤكد ذلك:

أ- انه بعد أن منَّ الله عليهم بالنجاة من الغرق فى البحر ولم يجعل مصيرهم كمصير فرعون وجنوده، وبعد أن أهلك الله عدوهم أمام أعينهم الذي ذبح أطفالهم واستحيا نساءهم، طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله- تعالى:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2] (الأعراف: ١٣٨).

ب- بعد أن منّ الله عليهم بالطعام والشراب وكفل لهم الحماية والأمان ولم يعد هناك أية قوى عسكرية تهددهم، نجدهم يقدمون حُليهم إلى السامري ليصنع لهم عجلاً جسداً له خوار يعكفون على عبادته وقد ورد بالقرآن الكريم ما يؤكد ذلك حيث قال الله ﷻ:

(١) القرآن الكريم: سورة يونس: ٨٣

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف: ١٣٨

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[1] (طه: ٨٧ – ٨٩).

ج- حينما طلب موسى تنفيذ أمر الله وذلك بدخول الأرض المقدسة رفض قومه تنفيذ هذا الأمر الإلهي بحجة أن بها قوماً جبارين حيث ورد بالقرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[2] (المائدة: ٢١ – ٢٤).

ذريتهم

أنجب يعقوب عليه السلام الذي لُقِّب فيما بعد باسم (إسرائيل) اثنى عشر ولداً ذكراً تزوج أغلبهم وأنجبوا وكان عددهم حينما استدعاهم يوسف للإقامة فى مصر ستة وستين فرداً أو سبعين فرداً ثم عاشوا أربعة أجيال وفى نهاية الجيل الأخير تذكر التوراة فى أسفارها ومنها سفر العدد أن موسى عليه السلام حينما أحصى قومه عندما شرع فى الخروج من مصر، كان عدد من يستطيعون الخروج من سن عشرين سنة فصاعداً ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين[3].

---

(١) القرآن الكريم: سورة طه:٨٧-٨٩

(٢) القرآن الكريم: سورة المائدة:٢١-٢٤

(٣) مصطفى الدميري: اليهود وتاريخهم وكتبهم المقدسة، القاهرة:١٩٩٥م، ص:٢٩-٥١، عبد الله شلبي: اليهود واليهودية، القاهرة:١٩٩٧م، ص:٢٧-٢٨

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [1] (طه: ٨٧ – ٨٩).

ح- حينما طلب موسى تنفيذ أمر الله وذلك بدخول الأرض المقدسة رفض قومه تنفيذ هذا الأمر الإلهي بحجة أن بها قوماً جبارين حيث ورد بالقرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [2] (المائدة: ٢١ – ٢٤).

ذريتهم

أنجب يعقوب عليه السلام الذي لُقِّب فيما بعد باسم (إسرائيل) اثنى عشر ولداً ذكراً تزوج أغلبهم وأنجبوا وكان عددهم حينما استدعاهم يوسف للإقامة فى مصر ستة وستين فرداً أو سبعين فرداً ثم عاشوا أربعة أجيال وفى نهاية الجيل الأخير تذكر التوراة فى أسفارها ومنها سفر العدد أن موسى عليه السلام حينما أحصى قومه عندما شرع فى الخروج من مصر، كان عدد من يستطيعون الخروج من سن عشرين سنة فصاعداً ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين [3].

---

(١) القرآن الكريم: سورة طه:٨٧-٨٩

(٢) القرآن الكريم: سورة المائدة:٢١-٢٤

(٣) مصطفى الدميري: اليهود وتاريخهم وكتبهم المقدسة، القاهرة:١٩٩٥م- ص٣٩-٥١؛ عبد الجليل شلبي: اليهود واليهودية، القاهرة:١٩٩٧م- ص٣٧-٣٨

ولقد أحصى بعض المؤرخين العدد الإجمالي لبني إسرائيل الذي يتضمن جميع الأفراد من سن يوم واحد وحتى سن تسعة عشر عاما من الذكور فضلاً عن الإناث من سن عشرين فما فوق[1] فتبين لهم أنه يتراوح ما بين مليون أو مليون ونصف نسمة وهذا عدد مستبعد تماماً ولا يمكن قبوله أو تصديقه.

ويؤكد ذلك:

١- ما ورد فى القرآن الكريم على لسان فرعون نفسه والله ينقل على لسانه الحق حيث إن فرعون هو المتضرر منهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾[2] (الشعراء: ٥٣ – ٥٦).

٢- تعرَّض بنو إسرائيل لقتل أطفالهم وخاصة فى عصر فرعون بعد أن توجس منهم خيفة وذلك بعد أن حلم حلماً فسره له العرافون بأن هلاكه وزوال ملكه سيكون على يد طفل يولد فى بنى إسرائيل فأمر بتذبيح وقتل أطفالهم وتعذيب وإجهاض الحوامل من نسائهم وقد استمر ذلك فترة من الزمان، حتى إن قوم فرعون قد توجهوا إليه وطلبوا منه تذبيح الأطفال عاماً وتركهم عاماً خشية أن يقع العمل الشاق عليهم بمعنى إنهم خافوا من فناء ذرية إسرائيل الذين يخدمونهم فى قصورهم وبيوتهم فضلاً عن رعي ماشيتهم وصنع الطوب اللازم لبناء منشآتهم المختلفة من مساكن ومخازن وحصون وغيرها[3].

---

(١) محمد عبد اللطيف: وعد الله ليس لبني إسرائيل،.- ص:٥٦-٦١ ؛محمد دروزة:تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم وأحوال وأخلاق ومواقف اليهود، بيروت١٩٦٦، ص:٨٢-٨٣؛ محمد سيد طنطاوي: المرجع السابق،.- ص:٢٢

(٢) القرآن الكريم: سورة الشعراء:٥٣-٥٦

(٣) رشدي البداوي:المرجع السابق،الجزء الرابع،.- ص:٨٠١- ٨٠٢، ٨٨٧ - ٨٨٨

٣- تعرض الكثير من رجال وشباب بني إسرائيل للقتل بعد أن آمنوا بدعوة موسى فقد جاء بالقرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾[١] (غافر: ٢٣ - ٢٥).

كما ورد فى الحديث الشريف ما يدل علي قيام فرعون بقتل أبناء المؤمنين وكذلك آبائهم حيث قتل فرعون الأولاد الثلاثة لماشطة ابنته فى وقت واحد ثم ما لبث أن قتل الماشطة أيضاً[٢].

حرفهم

عاش بنو إسرائيل فى أرض كنعان فى منطقة صحراوية مترامية الأطراف تسقط فيها بعض الأمطار التي تسمح بنمو أعشاب وحشائش قصيرة أو متوسطة الطول وكان بها بعض آبار الماء وخاصة بالقرب من الطرق التجارية وكان يعيش بهذه الصحراء بعض الحيوانات المفترسة وخاصة الذئاب.

وكانوا يخرجون بأغنامهم فى وقت مبكر من الصباح حيث يرعونها على الحشائش ويعودون إلى مقر إقامتهم قبل أن يرخى الليل سدوله وكان تتعرض بعض قطعان الأغنام لهجمات الذئاب وكذلك بعض الرعاة الذين لا يأخذون حذرهم منها[٣].

كانت تنشب مشاكل كبيرة بين القبائل أو بين أفراد القبيلة الواحدة للاستحواذ على المراعى الغنية بالكلأ والعشب، وكانت القبائل الضعيفة تترك مراعيها للقبائل

---

(١) القرآن الكريم: سورة غافر: ٢٣-٢٥

(٢) رشدي البداوي: المرجع السابق، ص: ٨٠٢، ٨٠٧، ٨٦٧

(٣) رشدي البداوي: المرجع السابق، الجزء الرابع

القوية وتبحث عن مراعٍ أخرى لأغنامها.

حينما تولى يوسف منصب خزائن الأرض فى مصر عرض على الملك أن يستقدم أباه وإخوته وقد وافق هذا الملك على أن تأتي قبيلة يعقوب من البدو لتعيش فى مصر فى أمان وسلام وقد أكد القرآن ذلك فى قوله -تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ .. ﴾[1] (يوسف: ١٠٠).

وورد بالتوراة على لسان يوسف» وأقول لفرعون اخوتي وبيت أبي جاءوا إلى والرجال رعاة غنم وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم؟ أن تقولوا أهل مواشي منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعا» [2] (تكوين ٤٦/٣١-٣٤).

وقد نصح يوسف عليه السلام إخوته حينما قرر الملك السماح لهم بمقابلته في قصره وسؤالهم عن صناعتهم وحرفتهم التي يعملون بها أن يجيبوه بأنهم رعاة غنم ولكنهم كانوا قبل ذلك رعاة مواشٍ، وحينما علم الملك بحرفتهم طلب من يوسف أن يختار من إخوته من يصلح منهم ليكونوا رؤساء على ماشيته.

وقد خرج بنو إسرائيل من مصر مصطحبين مواشيهم وأغنامهم ومما يؤكد ذلك حادثة قتل وقعت بينهم ولم يستدل على القاتل وهنا أمر الله موسى بذبح بقرة وطلبوا منه أن يحدد لهم صفاتها لأن البقر تشابه عليهم وهذا يعني أن الله عز وجل قد بارك لهم فى مواشيهم فصارت كثيرة عندهم كما أنهم عبدوا العجل الذي جعلوا له تمثالاً جسداً له خوار وظلوا له عاكفين حتى جاءهم موسى فحرقه ثم جعله رماداً

(١) القرآن الكريم: سورة يوسف: ١٠٠

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين: ٤٦/٣١-٣٤.

ونسفه فى البحر[1].

وقد ارتقي بعض بنى إسرائيل مناصب إدارية فى مملكة الهكسوس ومنهم يوسف فقد أصبح مسؤولاً عن خزائن الأرض وصار له عرش عظيم يسجد له الناس احتراماً وتبجيلاً وصار الرجل الثاني فى البلاد وكان لا ينفذ أي أمر فى مملكه الهكسوس إلا بعد أن يعرض عَلَيه ليبت فيه[2]. بينما صار إخوته رؤساء ماشية على ما يملكه الملك من مواشٍ[3].

كما كان قارون وزيراً لفرعون وقد استطاع أن يجمع من الأموال لنفسه ما ينوء عن حمل مفاتيح مخازنها العصبة أولو القوة من الرجال، ويبدو أن منصب الإشراف علي خزائن الأرض صار مخصصاً لبني إسرائيل يختار الملك له أحسنهم حنكة ودراية وعلماً وحكمة[4].

فضلا عن أن منهم دعاة يدعون إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة الأوثان والأصنام والكواكب.

ويبدو أن من بينهم من مارس حرفاً وصنائع مختلفة منها صناعة الحلي والأسلحة كما اشتغل بعض بني إسرائيل أيضاً كخدم فى بيوت الهكسوس وخاصة فى أعمال الكنس والطبخ وغسل الملابس وشراء الأطعمة من الأسواق، وبعض المصنوعات التي كانت تؤدى فى المنازل كالحصير والملابس والسلال وغيرها[5].

(١) رشدي البدراوي:المرجع السابق،.- ص: ٩٢٢

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الثالث،.- ص:٤٩٠؛ محمد بيومي مهران:دراسات تاريخية من القرآن الكريم،الجزء الثاني،الاسكندرية(...)١٩..- ص:٦٦

(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر التكوين:٤٥/١٠، ٤٧/٦

(٤) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الرابع،.- ص:٢-٨

(٥) المرجع السابق،.- ص:١٠٨١-١٠٨٢

وعملوا فى صناعة الطوب اللبن الذي كان يستخدم فى بناء المساكن والمخازن وخاصة بمدينتي رمسيس وبيثوم اللتين ذكرتا فى التوراة.[1].

كما اشتغلت بعض نساء بني إسرائيل فى حرف مختلفة أخرى منها تمشيط الشعر وترجيله أو التوليد أو الرضاعة لأطفال الغير فى نظير أجر[2].

محل إقامتهم

أقام بنو إسرائيل بأرض كنعان وخاصة بحبرون التي اتخذها جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام مقرًا له وكانوا يشتغلون بحرفة الرعي ثم انتقلوا إلى أرض مصر بناءً على دعوة من يوسف عليه السلام وقبول ومباركة من ملك الهكسوس. وإن كان بعض المؤرخين يرون أن بني إسرائيل لم يقيموا فى مصر قبل عصر الدولة الحديثة بل كانوا يقيمون فى أرض سعير[3] وءكد كل من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكتاب التوراة فضلاً عن المأثورات التاريخية التي أشار إليها المؤرخون والإخباريون القدماء على اختلاف مواطنهم سواء أكانوا عرباً أم عجماً أن بني إسرائيل قد عاشوا على أرض مصر فى زمان يوسف وحتى عصر موسى ومن الأدلة علي ذلك:

١- قول يوسف لأمه وأبيه وإخوته طبقاً لقوله تعالى: ﴿ .. ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[4] (يوسف: ٩٩).

٢- قول عزيز مصر لزوجته: الذى أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ .. ﴾[5] (يوسف: ٢١).

---

(١) المرجع السابق.- ص: ٨٧٨-٨٧٩

(٢) المرجع السابق..- ص:٨٠٢، ٨١٠ - ٨١١

(٣) كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل.لندن ١٩٨٨..- ص:١٩٨

(٤) القرآن الكريم:سورة يوسف:٩٩

(٥) القرآن الكريم:سورة يوسف:٢١

٢- أورد كتاب التوراة حديث حاكم مصر مع يوسف عليه السلام: (أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ليسكنوا في أرض جاسان...)[1] (تكوين/٤٧/٦)

وقد اختلف العلماء في تحديد أصل اسم جاسان الذي ورد في نصوص التوراة وحاولوا تقريبه من لفظ جوشن في اللغة العبرية وأيضاً من لفظ جسمت في اللغة المصرية القديمة وكذلك لفظ باكس من نفس اللغة وحسب ما اعتاد عليه كتاب التوراة في كتابة بعض الأسماء الأجنبية بحذف مقطعه الأول حسب رأي بعض الباحثين كما في اسم بر رمسيس فقد حذفوا (بر) وكتبوه رمسيس[2].

وقد رأى بعض الباحثين أن لفظ باكس المصري القديم هو ذاته لفظ جاسان الذي ورد في التوراة بعد حذف مقطعه الأول وهوبا ونطقه جَس أو جَاس بدلاً من المقطع الثاني للكلمة المشار إليها وإضافة النهاية ألف ونون كما هو الحال في بعض الأسماء مثل شومان وعدنان[3].

كما اختلف المؤرخون في تحديد موقع أرض جاسان فمنهم من رأى أنها تقع في جنوب فلسطين ومنهم من يعتقد أنها تقع في شمال سيناء أو في شرق الدلتا وخاصة مدينة فاقوس الحالية بمحافظة الشرقية على اعتبار أن باكس يمكن أن تنطق فاكس أو فاقس أو فاقوس[4].

ولا يعتقد أن هذه الأرض تقع في جنوب فلسطين أو في شمال سيناء، ولكنها على الأرجح تقع في شرق الدلتا على مسافة غير بعيدة من أواريس عاصمة قبائل البدو الهكسوس في مصر، وكانت أواريس فيما يبدو محاطة بالأراضي الزراعية

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين: ٦/٤٧

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص: ٥١٧

(٣) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص: ٥١٧

(٤) المرجع السابق، ص: ٥١٨

وعلى مقربة منها بعض المستنقعات أو البحيرات التي كانت تمتلئ بالمياه العذبة للنيل في فترة فيضانه كما أنها كانت تقع على أحد الأفرع العظيمة لنهر النيل كما كانت ترتبط بالطرق المهدة سواء المؤدية إلى خارج مصر أو إلى المدن والقرى داخل حدود مصر ولذا فإننا لا نستغرب أن يبتلي الله ﷻ الهكسوس بالجراد والضفادع وتحويل الماء إلى دماء، كما كان لا يسكنها إلا قبائل البدو الهكسوس وذلك لنواحي أمنية إلا أنهم كانوا يسمحون لبعض الأفراد من بنى إسرائيل بدخول عاصمتهم لأنهم كانوا يخدمونهم فى مساكنهم، كما يبدو أن المؤمنين من بني إسرائيل قد آثروا عدم السكن معهم حتى لا يتأثروا بعباداتهم الوثنية وحتى يكون فى وسعهم إقامة طقوسهم وشعائرهم[1] بعيداً عنهم.

وقد استقر بنو إسرائيل فى أرض جاسان وكانت عبارة عن أرض مراعٍ تتميز بكثرة الكلأ والعشب فيها ويعتقد أنها لم تكن يتخللها أية مجارٍ مائية وكانت تعتمد الحياة فيها علي مياه الأمطار.

كما يبدو أن هذه الأرض هي التي سمح الملك مرنبتاح لبني أدوم برعي ماشيتهم بها وذلك بعد أن خرج بنو إسرائيل من مصر تاركين هذه المراعي خالية كما كان هناك مواقع أخرى فى مصر تعد كمراعٍ خاصة على امتداد الساحل الشمالي حيث تكثر الأمطار الشتوية حتى يومنا هذا[2].

كما سبق الذكر فقد أكدت التوراة بصورة قاطعة أن بني إسرائيل كانوا يسكنون أرض جاسان فى مصر بالقرب من المقر الملكي بشرق الدلتا فى عصر يوسف عليه السلام، ويتفق معظم المؤرخين حالياً على أنه وأبيه وإخوته قد دخلوا جميعاً أثناء احتلال

---

(١) المرجع السابق،... ص:٤٥٧

(٢) المرجع السابق، الجزء الرابع،... ص:٦٧٦

الهكسوس لها.

كما كانوا يسكنون بالقرب من المقر الملكي لفرعون وقومه فى عصر موسى عليه السلام وأخيه هارون وقد اختلف المؤرخون فى تحديد اسم فرعون وعصره وجنسه وأيضاً تحديد مقر إقامته فى مصر.

وقد ورد فى التوراة أن بني إسرائيل لم يبرحوا أرض جاسان خلال عصر موسى بل ظلوا فى المقر القديم الذي منحهم إياه الملك الهكسوسي الذي عاصر يوسف عليه السلام وهو من الأماكن القليلة فى مصر التي تصلح لإقامتهم حيث يلائمهم من حيث حرفتهم والطقس الذي اعتادوا عليه فى أرض كنعان.

ويتضح ذلك من نصوص التوراة التي تتحدث عن الابتلاءات التي أصابت فرعون وقومه ولم تصب أرض جاسان حيث يقيم بنو إسرائيل.

أ- «... ولكن أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان حيث شعبي مقيم حتى لا يكون هناك ذبان لكي تعلم أني أنا الرب فى الأرض» [1] (سفر الخروج:٩/٢٦).

ب- «... إلا أرض جاسان حيث بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد...» [2] (سفر الخروج:٩/٢٦).

فإذا كان فرعون من ملوك الدولة الحديثة فإن التوراة لم تشر إلى أي ملك منهم رغم أنها قد ذكرت بعض أسماء ملوك العصر المتأخر فى مصر وخاصة بعد قيام مملكة إسرائيل الكبرى وأيضاً بعد انفصال هذه المملكة إلى مملكتين صغيرتين متناحرتين مثل حفرع (ابريس)، نخو، طهرقه، شيشنق وغيرهم.

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ٨/٢٢

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ٩/٢٦

كما أنه ليس من المعقول أن يذكر كتاب التوراة موقعاً سكنياً باسم رمسيس ولا يشيرون إلى الملك الذي أسسه وأعطاه اسمه بل أصروا علي ذكر فرعون ملك مصر ولم يذكروا رمسيس ملك مصر كما فعلوا مع ملوك مصر خلال العصر المتأخر، ويستنتج من ذلك انه إذا كان بنو إسرائيل قد أقاموا فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة لذكروا بعض ملوكها فى نصوص التوراة التي دوَّنوها بعد خروجهم من مصر مثلهم فى ذلك مثل ملوك العصر المتأخر ويبدو أنهم كانوا فى السنوات الأخيرة من فترة التيه أثناء النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشرة المصرية ثم ما لبثوا أن دخلوا فلسطين وأقاموا بها فى أواخر أيام أحمس الأول أو فى عهد خليفته على العرش ولم تكن المواقع التي احتلوها تمثل أهمية اقتصادية أو سياسية،كما أنها لم تكن تدخل ضمن سلطة المصريين القدماء فى فلسطين.

ويعتقد أنه لم يكن مقر سكن بني إسرائيل فى مدينه بر-رمسيس التي شيدها الملك رمسيس الثاني ولا حتى فى مكان منعزل فيها بعيداً عن المصريين وذلك على اعتبار أنه لا أدلة على وجود بني إسرائيل فى مصر خلال هذا العصر.

كما لم يكن مقر إقامتهم أيضاً فى أواريس تلك المدينة التي شيدها حكام الهكسوس لأقامة قومهم وإنما كان يقع إلى الجنوب منها فى أرض جاسان ويؤكد ذلك المجرى المائي الذي ألقي فيه الصندوق الذي وضع بداخله موسى عليه السلام فى فترة الرضاعة حيث دفعته الريح الخفيفة فى اتجاه الشمال هذا الاتجاه هو ذاته اتجاه سريان مياه النيل وإذا كان يفهم مما ورد فى التوراة أن بعض قوم موسى خاصة من النساء اللاتي كن يخدمن فى قصور وبيوت الهكسوس فى أواريس قد اتخذ بعضهن أواريس مقرّاً لهن وإن كان لا يمنع أنهن كن ينطلقن مبكرين إلى أواريس للعمل ثم يعدن إلى مقر سكنهن فى جاسان متأخرين قبل حلول الظلام ويبدو أنهن كن يستخدمن الدواب فى تنقلاتهن وترحالهن.

فقد ذكر كتاب التوراة «وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأه ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم»[1] (سفر الخروج:٣/٢٠-٢٢،١١/٢-٣).

ولم يشر كتاب التوراة وخاصة فى سفر كل من إرميا وحزقيال فضلاً عن مزامير داود عليه السلام إلى أرض جاسان.

ويعتقد بعض المؤرخين أن بني إسرائيل كانوا يقيمون فى مدينة بر رمسيس (قنتير حالياً) وأنهم كانوا يعيشون فيها كسكان ثانويين فى مكان منعزل على اعتبار أن حاكم مصر وقومه كانوا يعتبرون بني إسرائيل أنجاساً[2].

كما اعتقد البعض الآخر من المؤرخين أن بني إسرائيل كانوا يسكنون فى مدينة اللاهون أو كاهون عند مدخل بحر يوسف باعتبار أن مدينة فيثوم بالتوراة ما هي إلا (با-يوم) أي الفيوم وأيضاً فى دير المدينة باعتبار أنها مدينة رمسيس التي وردت بالتوراة بل رأى بعض آخر من الباحثين أنهم قد سكنوا مواقع مختلفة فى مصر فلا يختلف حالهم فى ذلك العصر عن حالهم فى العصر المتأخر،وذلك بسبب زيادة نسلهم وازدياد أعدادهم، وكان على أحد ملوك مصر أن يجمعهم فى موقع سكني واحد بعد أن بدءوا يشكلون تهديداً للحكم فى البلاد[3].

دعوة أنبياء بني إسرائيل الهكسوس للتوحيد

أكد القرآن الكريم أن أنبياء بني إسرائيل قد بعثوا إلى قومهم والى القوم

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:٣/٢٠ -٢١،١١/٢-٣

(٢) جاردنر:مصر الفراعنه،.- ص:٦١

(٣) مراد الدش:الكشف عن مكان عبور موسى،القاهرة:١٩٩٧،.- ص:١١٧-١٢٠؛عبد المنعم سيد:المرجع السابق،.- ص:١٣٩-١٤٥

الذين عاش بينهم يوسف عليه السلام منذ صباه بعد أن اشتروه بثمن بخس من قافلة الإسماعليين التي كانت تتاجر معهم والذي عينه أحد ملوكهم على خزائن الأرض بعد أن وصل إلى مرحله الشباب والذي سمح أيضاً لأبيه وإخوته بدخول مصر والعيش فيها بسلام آمنين.

ومن هذه الآيات القرآنية التي تثبت ذلك وخاصة التي تشير إلى نبوة يوسف قوله ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] (يوسف: ٣٩ – ٤٠).

وهنا يدعو يوسف إلى توحيد الله وبث العقيدة الصحيحة ويظهر جلياً من هذه الدعوة لطف مدخله إلى النفوس وسيره خطوة خطوة فى رفق وتؤدة وقد أشار الله إلى دعوة يوسف تلك فى قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[2] (يوسف: ٣٧).

ويبدو أن يوسف إن لم يكن قدم دليلاً على أن إلهَهُ قادر يعلم مالا يعلَمه الآخرون لم يكن يجد منهما آذاناً صاغية رغم معاملته الطيبة لهما وحسن العشرة معهما.

كما أن يوسف لم يقل إنه القادر على علم الأشياء الغيبية ولكن نسب ذلك إلى الله عز وجل الذي علمه هذا وكان إخبارهما بالمعجزات التي يجريها الله على يديه توطئة لدعوتهما إلى الإيمان بالله.

وقال الإمام البيضاوي: أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الدين

(١) القرآن الكريم: سورة يوسف: ٣٩-٤٠

(٢) القرآن الكريم: سورة يوسف: ٣٧

القويم قبل أن يسعفهما إلى ماسألاه عنه».

وقدم يوسف المعجزات التي أيده الله بها ومنها معجزة الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة وتعبير الرؤى ثم يتوغل فى قلب كل منهما ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما وبعد ذلك تمهيداً لقوله» إنى تركت مله قوم لا يؤمنون بالله».

وليس هناك من شك أن هذه صوره الإسلام واضحة كاملة دقيقة شاملة كما جاء بها رسل الله جميعا.

أما من ناحية أصول العقيدة فتتضمن دعوة يوسف الإيمان بالله والآخرة وتوحيد الله وعدم الإشراك به ومعرفة الله بصفاته ومنها الواحد القاهر والحكم بعدم وجود حقيقة ولا سلطان لغير الله ومن ثم نفى الأرباب التي تتحكم فى رقاب العباد وإعلان الحكم والسلطان لله وحده، مادام الله تعالى قد أمر ألا يعبد الناس غيره.

وهكذا قد بلغ يوسف الصديق أقصى الغاية من الدرس الذي ألقاه مرتبطاً فى مطلبه بالأمر الذي يشغل بال صاحبيه بالسجن ومن ثم فهو يؤول لهما الرؤيا حتى نهاية الدرس ويزدهما ثقة وتعلقاً به بقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[1] (يوسف: ٤١).

ونجد هنا أيضاً محاولة يوسف أن يخفف من وقع الصدمة على من ثبتت عليه تهمة محاولة قتل الملك بأن اعتبره صاحباً له ولم يتنكر له وينصرف عنه بوجهه ولكنه قد دعاه إلى الإيمان بالله وحده ونبذ الأرباب فإذا كان مصيره الموت فى الدنيا فقد يكون مصيره الجنة فى الآخرة وإذا كان هذا الصاحب قد آمن بدعوة يوسف فقد كتبت له النجاة من عذاب النار وعذاب جهنم[2].

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:٤١

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الثالث،.. ص:٤٧٦-٤٧٧

كما ورد بالقرآن على لسان مؤمن آل فرعون

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[1] (غافر: ٣٤).

وتؤكد هذه الآيات أن يوسف عليه السلام قد استمر فى دعوة الهكسوس إلى الإسلام ولم تكن وظيفة الإشراف على خزائن الأرض تعيقه عن أداء وظيفته كنبي مرسل من الله لهداية الهكسوس إلى الدين القيم بل كانت تلك الوظيفة وتلك المجاعة التي ألمت بالناس من الأمور التي سهلت دعوته. إلا أن قبائل البدو كانت تشك فى دعوته حتى وافته المنية ولذا فلم يهدهم الله عز وجل إلى دين الإسلام لارتيابهم وشكهم.

ويعتقد أن الأسباط قد تابعوا الدعوة بعد وفاة أخيهم يوسف عليه السلام، ويبدو أنهم لم يجدوا آذاناً صاغية من هؤلاء القوم الذين ملأت قلوبهم الريبة والشك فأضلهم الله عن طريق الهداية والفلاح.

ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى بعث كل من موسى وهارون عليهما السلام إلى الهكسوس.

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾[2] (الشعراء: ١٠ – ١١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ

(١) القرآن الكريم: سورة غافر: ٣٤

(٢) القرآن الكريم: سورة الشعراء: ١٠ – ١١

عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[1] (الدخان: ١٧ - ١٩).

٣- قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2] (طه: ٤٣ - ٤٤).

٤- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3] (الأعراف: ١٠٣).

٥- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[4] (غافر: ٢٨).

كما تشير الآيات إلى بعث موسى وهارون إلى قومهما مما يدعو إلي احتمال أن كلا من بني إسرائيل وقبائل البدو الهكسوس من جنس واحد ولسان واحد.

أ- « قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[5] (يونس: ٨٣).

ويتضح من الآيات القرآنية السابقة أن هناك صفة مشتركة استشرت فى نفوس القوم الذين عاش فى كنفهم كل من يوسف وأبيه يعقوب وأخوته الأسباط عليهم جميعاً السلام وكذلك فى نفس كل من فرعون موسى وقومه وهي الإسراف ويبدو أن هذه الصفة قد تغلغلت فى نفوس آبائهم الأولين منذ سنوات طوال تسبق بعثة يوسف

(١) القرآن الكريم:سورة الدخان:١٧-١٩
(٢) القرآن الكريم:سورة طه:٤٣ - ٤٤
(٣) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٠٣
(٤) القرآن الكريم:سورة غافر:٢٨
(٥) القرآن الكريم:سورة يونس:٨٣

وموسى عليه السلام إليهم.

ب - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [1] (ابراهيم: ٥ - ٦).

وقد آمن بدعوة موسى بعض أفراد من الهكسوس ومنهم مؤمن آل فرعون إذ جاء علي لسانه:

ج - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [2] (غافر: ٢٩ - ٣٣).

وأيضاً سحرة فرعون الذين جمعهم من المدائن بهدف كشف زيف ما يدَّعيه كلٌّ من موسى وهارون بأنهما ليسا ساحرين وإنما نبيان مرسلان من الله عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ

---

(١) القرآن الكريم: سورة ابراهيم: ٥ - ٦

(٢) القرآن الكريم: سورة غافر: ٢٩ - ٣٣

ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[1] (طه: ٧٣ - ٧٦)

ويبدو أن فرعون لم ينفذ فيهم حكم الإعدام صلباً بعد إعلانهم الإيمان برب موسى والسجود له وإنما أرجأه عسى أن يعودوا إلى رشدهم وعقولهم فيتنكروا لموسى وربه ويعلنوا إيمانهم به ويرفعوا من شانه كإله أعلى لهم، خاصة وأن فرعون يعلم جيداً أن إعدام رجال من قومه ليس فى صالحه إنما فى صالح موسى وهارون وأتباعهما، وهو فى حاجة إلى أعوان ينصرونه ويؤيدونه ويقفون بجانبه وخاصة من قومه ويعتقد أن ما جاء على لسانهم من وعظ وإرشاد لفرعون تجلياً ربانياً عليهم ووحياً إلهيّاً أجراه على لسانهم وليس نتيجة لتعليم كل من موسى وهارون لهم قبل إعدامهم إلا إذا كان هناك متسع من الوقت قبل قيام فرعون بصلبهم فى جذوع النخل تمكنا فيه من إرشادهم إلى الدين القيم [2].

ويستنتج من ذلك أن لغة يوسف وموسى وقومهما من بني إسرائيل ولغة حاكم مصر وقومه فى عهد يوسف وأيضاً لغة فرعون وقومه فى عهد موسى هي لغة واحدة وأن هذه اللغة لم تكن الهيروغليفية أو الهيراطقية ومما يؤكد ذلك:

أن المؤرخين على اختلاف جنسياتهم يتعجبون من أنه لا دليل على أن موسى وقومه من بني إسرائيل كانوا يتحدثون اللغة المصرية ولا دليل كذلك على أن التوراة قد دونت باللغة المصرية القديمة فيقول أحدهم:

لكن بعض الترتيب المنهجي والمنطقي لابد أن يؤدي إلى افتراض سليم هو أول ألوان الكتابة الذي استخدمه محررو التوراة وأول لغة كانت هي المصرية القديمة فنحن نجد جميع البطاركة قبل النزول إلى مصر لا يعرفون الكتابة ويقيمون الأدلة

(١) القرآن الكريم:سورة طه:٣٧-٧٦

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الرابع،- ص:٨٦٤- ٨٦٧

على العهود والمواثيق بين الناس ليس بأوراق أو نقوش بل بقسم مثل القسم الذي أقسمه إبراهيم عليه السلام وأبيمالك عند بئر سبع حيث قاما بذبح نعاج علامة أو وثيقة للعهد أطلق بموجبها الاسم على المدينة (بئر سبع) كذلك عهد يعقوب مع خاله لابان الأرامى الذي تم بعمل رجمة أحجار تشهد بالعهد وبنوده.

ثم فجأه تظهر الكتابة عند بني إسرائيل بالنقش على الحجر مع خروجهم[1] من مصر تحت قيادة موسى الذي عرف من الكتاب المقدس بأنه عاش فى قصر فرعون وتكلم بكل حكمة المصريين على حد تعبير الكتاب المقدس بل ربما يجب أن نذهب بالفرض بعيداً فنقول إن اللغة المزعوم أن موسى قد خاطب بها ربه فى سيناء يجب أن تكون اللغة المصرية تحديداً فهي لغة موسى فى بلاط فرعون، كما أن موسى لم تطأ قدمه أرض فلسطين صاحبة شفة كنعان (العبرية) ومات وهو بعيد عن تلك الأرض واعترف الكتاب المقدس صراحة بذلك فى سفر أشعيا: ١٩/١٨[2].

حيث ورد به أن العبرية هي شفة كنعان أي اللغة الكنعانية المكتوبة بالخط الآرامي المربع.

ومن هذا يتضح أنه لا أثر للغة المصرية على موسى أو قومه سواء فى فترة إقامتهم فى مصر التي بلغت حوالي أربعة قرون متصلة أكدتها التوراة فى أكثر من موضع فى أسفارها وهذه المدة كافية لتخرج جيلاً جديداً أو أكثر من جيل من بني إسرائيل ينطق بلغة المصريين القدماء كما أكدت التوراة من ناحية أخرى أن الخدم والعمال من بني إسرائيل كانوا يتحدثون بلغة المصريين ولا يجدون صعوبة فى التعامل بها معهم.

كما لا أثر للغة المصرية القديمة علي بني إسرائيل بعد خروجهم، وكان من المفترض أن تكون اللغة التي يتحدثون بها سواء فى فترة التيه أو بعد دخولهم

(١) [illegible] الجزء الأول، القاهرة: ١٩٩٩م.- ص٤٦-٤٧

واستقرارهم بالأرض المقدسة فى فلسطين ولكنهم على العكس من ذلك تحملوا اللغة العبرية المشتقة من اللغة الكنعانية وان الأثر الضعيف للغة المصرية باللغة العبرية لا يرجع إلى فترة السخرة والاضطهاد فى مصر ولكن يرجع إلى فترة إقامتهم فى مصر خلال العصر المتأخر حيث أقاموا أكثر من جالية فى شمال البلاد وجنوبها بعد أن فروا من الأراضي الفلسطينية إلى مصر تحت وطأة هجمات الأشوريين والبابليين.

وعلى ذلك يمكن افتراض أن موسى عليه السلام قد تربى فى قصر أحد حكام الهكسوس البدو الرعاة وهم الذين كانوا يتكلمون لغة لا تختلف عن لغة بني إسرائيل البدو الرعاة أيضاً.

اضطهادهم

سادت العلاقات الطيبة بين بني إسرائيل والهكسوس خاصة فى عهد يوسف عليه السلام الذي تمكن بقدرة واقتدار من حماية قبائل البدو الهكسوس من الموت جوعاً كما كان سبباً فى تكدس الأموال فى خزائنهم بسبب بيعه كميات من الحبوب إلى بعض قبائل البدو القادمين من أرض كنعان وما حولها وظلت هذه العلاقات الطيبة سنوات عديدة لا يشوبها أي خلاف حتى بعد أن علم حكام الهكسوس وقومهم بوصية يعقوب لأولاده والتي قسّم فيها الأرض المقدسة عليهم وأيضاً بعد بشارة يوسف بظهور نبي من بعده يخرج بني إسرائيل معه ليسكنوا الأرض المقدسة بفلسطين[1] حيث ذكرت التوراة أن العلاقات قد ساءت بين بني إسرائيل والهكسوس بسبب أنه قد اعتلى العرش ملك لم يكن يعرف يوسف[2].

بينما ذكر المؤرخون المسلمون أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن ملك من ملوك

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص: ٨٠١-٨٠٢

(٢) R.Clents. Exodus. Combridge 1972.P.7

الهكسوس يسمي أو يلقب بفرعون بعد فترة قصيرة من حكمه بدأ يضطهد بني إسرائيل وذلك بسبب حلم رآه فى نومه وفسره له العرافون بموته وزوال ملكه علي يد طفل يولد فى بني إسرائيل[1].

بينما أرجع بعض المؤرخين سبب الاضطهاد إلى مخالفة دين بني إسرائيل وشرائعهم لدين وشرائع الهكسوس فضلاً عن رفضهم العمل فى المشاريع العمرانية وإثاره أعمال الشغب والإضراب فضلا عن زيادة أعدادهم بحيث أصبحوا يشكلونتهديداً قوياً للهكسوس[2].

وتمثلت مظاهر هذا الاضطهاد فى:

١- قتل وذبح الأطفال.

٢- إجهاض الحوامل من النساء.

٣- استحياء النساء.

٤- السخرة فى الأعمال الشاقة.

٥- قتل الذين آمنوا بدعوة موسى من النساء والرجال سواء من بني إسرائيل أو من قوم فرعون[3].

ويبدو أنه كان لدي بني إسرائيل علم بما تحت أيديهم من صحف إبراهيم عليه السلام بأنهم سيسخرون فى أرض ليست لهم لمدة أربعة قرون تقريباً ثم يخرجون منها بقيادة أحد أنبيائهم إلى الأرض المقدسة فى فلسطين، وهذا العلم سابق لانتقال يعقوب عليه السلام وذريته من أرض كنعان إلى أرض مصر للحياة فيها فى كنف البدو

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، - ص: ٨٠١- ٨٠٢

(٢) المرجع السابق، - ص: ٨٦٤، ٨٨٠، ٨٩٦، ٨٩٨، ٩٢٠، ٩٢٩

(٣) المرجع السابق، - ص: ٨٦٧، ٨٧٧ - ٨٧٩

الرعاة بعد أن عمت المجاعة محل إقامتهم فى فلسطين وبعد أن تولى يوسف بن يعقوب الإشراف على خزائن الأرض فى مصر وقد أكد هذه النبوءة يوسف عليه السلام حيث استحلف الخارجين من قومه بحمل جثمانه معهم من مصر ليدفنوه بجوار آبائه فى فلسطين.

ولم تكن لدي ذرية يعقوب علم بكيفية دخولهم الأرض المقدسة وهل سيكون هذا الدخول سلماً أم حرباً؟، كما لم يكن لديهم علم بمن سيكونون سكانها حينما يدخلونها ويحلون محلهم؟.

■■■



الفصل الخامس

خروج بني إسرائيل

- هل خرج بنو إسرائيل (بأمر إلهى أم فرعوني،جميعا أو بعضهم، خروجا واحداً أو خروجين،بالهرب أو بالصلح أو بالطرد)؟.
- المدة الزمنية التي قطعها بنو إسرائيل من مقر إقامتهم إلى فم الحيروت.
- أهم المواقع التي مر بها بنو إسرائيل أثناء خروجهم.
- موقع العبور.
- أحداث الخروج.
- البحث عن جثمان يوسف.
- عمودا السحاب والنار (الغمام والنور).
- تغيير مسار الطريق.
- مطاردة فرعون وجنوده لبني إسرائيل وانفلاق البحر.
- من هو حاكم مصر الغريق؟.
- تعدد النظريات المتعلقة بالخروج وأسبابها.

خروج بني إسرائيل

خروجهم:

إن الهروب أو الخروج من مصر عبر حدودها لم يكن حدثاً جديداً بالنسبة إلى حكام مصر وأهلها وإنما عرفوه عبر عصورهم المختلفة سواء أكان هؤلاء الحكام وقومهم من المصريين القدماء أو كانوا من المحتلين الغرباء ولكنه إحقاقا للحق لم يكن أمرا شائع الحدوث بين المصريين القدماء أو حتى الأجانب الذين تم أسرهم أثناء الحملات العسكرية العديدة على بلاد الشام على وجه الخصوص والذين تم تكليفهم بالعمل فى المعابد وبيوت الأشراف والقصور الملكية والأراضي الزراعية وبالمناجم والمحاجر وفى بعض المصانع والورش.

فتحدثنا بعض الوثائق المصرية القديمة أن أحد كبار الضباط خلال عصر الدولة الوسطى ويدعى سنوحي قد فر إلى الشطر الآسيوي عبر حدود مصر الشرقية ليعيش بين القبائل البدو وتزوج منهم وصار له ذرية كثيرة وأصبح بعضهم حكاما لقبائلهم وفضلوا البقاء فى محل إقامتهم بينما عاد سنوحي إلى مصر ليدفن فى أرضها وذلك بعد أن صار شيخاً كبيراً شارف على الموت[1].

وكذلك هروب بعض الخدم والعبيد من ذوي الأصل الآسيوي عبر الحدود الشرقية خلال عصر الدولة الحديثة بسبب رغبتهم فى العودة للحياة وسط أهلهم وذويهم ولا يعتقد أن ذلك بسبب سوء معاملة المصريين القدماء لهم فقد أثبتت

(١) أحم...

الوثائق المصرية فضلاً عن ما رواه المؤرخون الأجانب القدماء وخاصة اليونانيون الذين زاروا مصر وغيرهم أن القوانين والأحكام التي تتعلق بتنظيم العلاقات مع الخدم والرقيق وكذلك حقوقهم وواجباتهم كانت مثلا يحتذى للأمم والشعوب القديمة الراقية لما فيها من مبادئ سامية تضمن حسن معاملة الخدم وفتح الطريق أمامهم فى الحصول على حريتهم بزواجهم من المصريين وحق هؤلاء العبيد فى أن يتركوا أسيادهم إذا أساءوا معاملتهم(١).

وكان يتم ملاحقة هؤلاء العبيد لإعادتهم مرة أخرى لأعمالهم السابقة وكان يكلل هروب بعضهم بالنجاح بينما كان يفشل بعضهم الآخر حيث كان يتم القبض عليهم (٢) إذن لم يكن هروب بني إسرائيل من مصر عبر حدودها الشرقية أول سابقة من نوعها كما أنهم كانوا فيما يبدو لديهم علم بأنهم سيخرجون من مصر يوما ما إلى الأراضي المقدسة فى فلسطين حيث قد وزّع عليهم أبوهم يعقوب هذه الأراضي قبل وفاته حتى لا يحدث نزاع عائلي بينهم كما أن يوسف قد بشّرهم أيضاً بالخروج من مصر إلى أرض فلسطين(٣).

وقد جاء الأمر الإلهي إلى كل من موسى وأخيه هارون بالذهاب إلى فرعون حاكم مصر ومطالبته بإخراج بني إسرائيل والسماح لهم بالخروج الآمن والتوجه إلى أرض فلسطين إلا أن فرعون وقومه رفضوا خروجهم لخوفهم أن يكونوا سبباً فى زوال سلطانهم وملكهم أو لمنع خيرات فلسطين أن تصل إليهم أو أن يقع العمل الشاق عليهم مما كان سبباً فى ابتلائهم بتسع ابتلاءات عظيمة شملت جميع نواحي حياتهم ولما

(1) A Baker. Salavry In Pharaonic Egypt. Supplement aux ASAE . 18.Cairo.1952.P.64-69

(٢) سيد القمني:المرجع السابق،الجزء الرابع،- ص:٩٩٤

(3) M.Noth. The History of Israel. London.1965. P.114

لم يجد الله منهم ميلاً إلى الإيمان به وتمسكهم بعدم خروج بني إسرائيل من مصر أمر موسى بالهروب بقومه فى جنح الظلام بعيداً عن رقابة فرعون وجنوده وقومه.

وكان ذلك فى اليوم الرابع عشر من شهر أبيب الذي اعتبر بداية السنة اليهودية، وقد اتخذوه عيداً لهم يحتفلون فيه بنجاتهم من الغرق ومن الاضطهاد والسخرة علي يد فرعون وآله فضلاً عن هلاك عدوهم فقد ورد فى التوراة ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً وتعيدونه عيداً للرب فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية(١) (سفر الخروج: (١٢/٤).

كما قد روى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا اليوم الذى تصومونه،فقالوا:هذا يوم نجى الله ﷻ فيه بني إسرائيل من عدوهم،فصامه موسى عليه السلام، فقال: رسول الله ﷺ أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصومه»(٢).

ويستمر هذا العيد سبعة أيام من يوم الرابع عشر إلى يوم الواحد والعشرين من شهر أبيب.

إلا أن فرعون قد علم بخروجهم هذا بعد أن وصلوا إلى مشارف سيناء ولم يفصلهم عنها إلا بحر لجي عميق كان عليهم أن يعبروه إلا أنه تمكن من اللحاق بهم والعبور خلفهم إلا أن مصيره كان الغرق ومن معه من جنود(٣) وإن كان بعض

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم، سفر الخروج:١٢/٤
(٢) صحيح البخاري:١/١٨٦٥
(٣) صابر طعيمة: بنو إسرائيل بين الدين والتاريخ،.- ص: ١٢٩-١٣١ ؛ ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول،.- ص:١١٣

R. Clements. Exodus. Cambridge.1972.P.7

الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر الخروج:١/١٠

المؤرخين لا يعترف بما ورد فى القرآن الكريم - وهو الذي تعهد الله بحفظه عكس ما حدث لكل من التوراة والإنجيل - وذلك على اعتبار أن فرعون وآله وجنوده ينتمون إلى الجنس المصري ولم تشر النصوص المصرية فى أي حقبه من حقب التاريخ المصري القديم إلى غرق أي من الحكام المصريين أثناء مطاردته لأقوام أجنبية كانت تحتل بلاده أو كانت تقوم بخدمته بما يعني أن فرعون وجنوده لم يكونوا يوما من المصريين القدماء بل هم من الأقوام الأجنبية التي أذاقتهم الأمرّين وكرهوا تسجيل أكثر أحداثهم وإن كان فريقاً آخر من المؤرخين يعتبر فرعون مصريا وطرد بني إسرائيل بالأمر الفرعوني لتفشي الوباء بينهم.

اختلف المؤرخون فى تفسيراتهم لهذا الخروج ويمكن إيجازها فى الآتي:

١- خرج اليهود من مصر على يد الأمير الطيبي أحمس الأول الذي أطلق عليهم فى نصوصه اسماً مرادفاً ألا وهو الهكسوس باعتبار أن اليهود كانوا بدواً يشتغلون بحرفة الرعي قبل دخولهم مصر وخاصة بأرض كنعان واستقروا فى فلسطين واتخذوا أورشليم عاصمة لهم ولم يتعرض لهم الأمير أحمس الأول بأي أذى بل تركهم يعيشون فى فلسطين[1].

٢- خرج الهكسوس -باعتبارهم مجموعة قبائل بدوية ذو أصول آسيوية وهندوأوروبية احتلت مصر وحكمتها وعاش بنو إسرائيل فى كنفهم- على يد أحمس الأول وجيشه وقد خرج معهم بنو إسرائيل إلا أن جيش الأمير أحمس تمكن من أسر كافة أسباط إسرائيل باستثناء سبطي يهوذا وأشير[2].

٣- خرج الهكسوس البدو الرعاة من مصر بعد أن تمكن أحمس الأول من هزيمتهم ودخول عاصمتهم أواريس وتدميرها ولم يخرج معهم بنو إسرائيل بل فضلوا البقاء فى

(١) سيد القمني: المرجع السابق، الجزء الأول، - ص: ١٨٩

مصر بمحض إرادتهم باعتبار أن سبطي يهوذا وأشير لم يدخلا مصر أو على الأقل سبط يهوذا فقط أو أن هذين السبطين رفضا البقاء فى مصر وآثرا الرحيل مع الهكسوس[1].

٤- خرج بنو إسرائيل بلا استثناء من مصر ولم يبق منهم أحد فى عهد الهكسوس باعتبار أن هؤلاء الهكسوس هم الذين اضطهدوهم وانقلبوا عليهم واستمروا فى مصر حتى حل بهم الضعف وقام الأمير الطيبي أحمس الأول بطردهم منها[2].

ويعارض هذه الآراء مؤرخون آخرون إذ يروا:

أولاً: اليهود ليسوا الهكسوس

أ- كيف يكون اليهود هم الهكسوس والفارق الزمني بين دخول إبراهيم إلى وفاة يعقوب مائتا عام تقريباً حيث دخل يعقوب مصر وعمره مائة وثلاثون عاماً ومعه حوالي ستاً وسبعين نفساً وتوفى بعد سبعة عشر عاماً من دخوله وكان عمر ابنه يوسف ستاً وتسعين عاماً فمن أين لليهود بالأعداد الكثيرة التي ذكرتها النصوص المصرية لأعداد الهكسوس فى مصر[3].

ب- أكدت نصوص مقبرة كل من أحمس بن إبانا وأحمس بن نخبت ولوحة كامس وكثير من النصوص الأخرى من عصر الدولة الحديثة أن القوم الذين تم طردهم من مصر هم الهكسوس وليسوا اليهود وقد دوَّن الكتاب المصريون عشرات الأسماء الأجنبية وهم لم يعيشوا على أرضهم كما عاش بنو اسرائيل ولم يدَّعِ أحد من

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثالث،.- ص: ٥١٤: الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ١٤/١١ -١٢

(٢) فؤاد حسنين: إسرائيل عبر التاريخ، الجزء الأول،.- ص: ٥٤-٥٥

(٣) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق ص: ٩٤؛ س، نايوفتس: مصر أصل الشجرة، الجزء الثاني، ص: ٢٨٩

المؤرخين المحدثين أية اخطاء بهذه الأسماء[1].

ج- لم يعهد أن الحكام المصريين القدماء أو كتّابهم لم يكن لديهم علم بأسماء وأصول القبائل البدوية التي احتلت أرضهم لعدد من القرون بل كان لديهم علم بأسماء الجماعات الصغيرة نوعاً سواء أكانوا من أصول آسيوية أو أوروبية ومنهم مثلاً الميشواش والثكر والدوكو والشرادنه والإيكواش والتمحو[2].

د- إذا كان اليهود قد دخلوا مصر واحتلوا أرضها وحكموا شعبها مما يعني أنهم تمكنوا من القضاء على الأسرة الحاكمة التي رفعت من شأن يوسف وجعلته على خزائن الأرض وسمحت لأبيه وبقية إخوته بالإقامة فى مصر ليحيوا فى بحبوحة من العيش بدلاً من حياة القحط والجوع فى البادية وبالتالي يكون يوسف فى موقف ضعيف بينما يكون يهوذا وذريته وأتباعه فى موقف قوي فلا يسجدون ليوسف ولا يطلبوا منه العفو باعتبار أن السلطة والحكم فى يدهم لا فى يد يوسف كما أن التوراة قد أكدت أن يعقوب حين دخوله مصر بدعوة من يوسف وقبول من حاكم مصر قد بارك هذا الملك وأهل بيته فهل يعقل من يباركه نبي ومن يجعل نبي فى أعلى درجات السلطة أن تنهار أسرته وملكه؟ وعلى يد من؟ بعض من ذرية يعقوب الذي أكرمه ورحّب به وبقية أولاده وأحفاده. وهل يعقل من ناحية أخرى أن يعقوب يسمح ليهوذا وذريته من أن يكونوا سبباً فى انهيار سلطة ومُلك الحاكم الذي آواهم؟

وهل يعقل أن يهوذا وذريته يطيح بيوسف وبقية إخوته من أجل السلطة والمال[3]

---

(1) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، - ص: ٨٣- ٨٥

(2) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني- ص: ٣٢- ٣٧؛ عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، - ص: ٢٤٣، ٢٥٣ - ٢٥٥

(3) س. نايوفتس: مصر أصل الشجرة، الجزء الثاني، ص: ٦٨٩

ومما يؤكد أن الرأي القائل بأن اليهود هم الهكسوس ليس صحيحاً أن القرآن الكريم قد أشارت آياته إلى أنه كان ليوسف سلطان وحكم دون بقية إخوته وبهذا فضله عنهم كما أنه ليست هناك أية إشارات أو دلائل على أن بعضاً من ذرية إسرائيل قد منَّ الله عليهم بالحكم والسلطة قبل خروجهم من مصر باستثناء بعض الأنبياء مثل كل من يوسف وموسى عليهما السلام هذا فضلا عن بعض الأفراد الذين منّ عليهم حكام الهكسوس بالسلطة مثل قارون[1].

ومن ناحية أخرى كيف للأمير الطيبي أحمس الأول وجيشه أن يسمح لليهود بالاستقرار فى فلسطين واتخاذ أورشليم عاصمة لهم بينما النصوص المصرية قد أكدت أن هذا الأمير المصري لم يسمح لفلول الهكسوس بالإقامة فى حصن شاروحين فى فلسطين واضطر إلى محاصرتهم فى هذا الحصن لمدة ثلاث سنوات متتالية حتى شتتهم فى بلاد الشام ولم يبق لهم ذكراً بعد ذلك ثم ألا يعلم هذا الأمير أن هؤلاء اليهود الذين يفترض انهم كانوا يحكمون أرضه قد يحاولون مرة أخرى إعادة سلطانهم المفقود على مصر وأنهم قد يتحالفون مع غيرهم من إمارات الشام أو على الأقل يكونون مصدرا لإثارة القلاقل فى بلاد الشام ضد سلطان مصر ونفوذها فى هذه البلاد[2].

لقد اعتبر كثير من المؤرخين أن ما ذكره المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي يدعي أنه ينسخ من كتاب المؤرخ المصري القديم مانيتون هو من نسج خياله المريض وأن مانيتون برىء من ذلك وأنه لا يختلف عن أقرانه من كُتاب التوراة الذين عَدّلوا وبدّلوا فيها بعد أن أخفوا أصولها.

---

(1) س.نايوفتس: المرجع السابق، الجزء الثاني،.- ص:٢٤٦.

(2) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، الجزء الاول،.- ص:٢٥٢

ومما يؤكد كذب هذا المؤرخ اليهودي:

١- لم تشر النصوص المصرية القديمة إلى اليهود ولم يثبت أن المصريين تعمدوا إخفاء أو طمس ذكرهم وأنه لم يكن لديهم أية موانع تحول دون ذكر اسمهم فهم لم يكونوا أشد اضطهاداً وعنفاً معهم من الهكسوس كما أنهم قد ذكروا أسماء جماعات صغيرة ذات أصول آسيوية وأوروبية[١].

٢- إذا كان أحمس الأول هو الذي طرد اليهود من مصر فإن الكشوف الأثرية قد أكدت أنه لم يغرق فى البحر وبافتراض أنه غرق وجيشه فإن اليهود كانوا في تلك الحالة سيعودون أدراجهم لاحتلال مصر مرة أخرى لفقد المصريين قوتهم العسكرية من جهة ومن جهة أخرى أنه لم يكن لديهم أية رغبة لترك الثراء الفاحش الذي كانوا يعيشون فيه بمصر[٢].

٣- إن كثيراً من المؤرخين يتفقون على أن يهوذا وذريته لم يدخلوا مصر أبداً ويستشهدون على ذلك بنصوص التوراة وبعض الوثائق القديمة التي تؤكد وجودهم خارج مصر إبان عصر الدولة الحديثة[٣].

٤- أنه من الثابت أن ذرية إسماعيل عليه السلام كانوا يتاجرون مع الهكسوس قبل دخول ذرية إسرائيل إلى مصر وأنهم هم الذين باعوا يوسف إلى أحد كبار أشراف الهكسوس،كما أن هناك آراءً تؤكد أن إبراهيم قد دخل مصر فى بداية عهد الهكسوس وأنه تزوج من الجارية التي أهداها حاكم الهكسوس لامرأته سارة لينجب

---

(١) س.نايوفتس:المرجع السابق،..– ص:٢٤٤

(٢) محمد بيومي مهران:المرجع السابق،الجزء الثالث،..– ص:٤٤٦– ٤٤٧

(٣) سيد القمني:النبي موسي،الجزء الثاني،ص:٦٤٧– ٦٤٨؛الكتاب المقدس،العهد القديم، التكوين:٢٨

منها إسماعيل الذي ارتبطت ذريته بعلاقات قرابة مع الهكسوس وكان ذلك وراء التبادل التجاري بينهما. فكيف يكون الهكسوس هم اليهود؟[1].

بافتراض أن اليهود هم الهكسوس فكيف لم يستغلوا قوتهم ونفوذهم وثراءهم في نشر دين الإسلام وخاصة أن يعقوب عليه السلام وأولاده الأسباط ومنهم يهوذا نفسه على قيد الحياة وكيف لم يكن لهم نفوذ ديني فى الأرض المقدسة فى فلسطين وغيرها من البلاد المجاورة. كما أن كتَّاب التوراة وكذلك القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريف لم تشر إلى ذلك حيث إنه من المعروف أن بني إسرائيل لم يبدءوا نشر دعوة الإسلام إلا بعد قيام مملكة إسرائيل الموحدة على يد طالوت فى القرآن الكريم أو شاؤل فى التوراة الذي عاصر فيما يبدو أواخر الأسرة العشرين أو نهاية الدولة الحديثة فى مصر[2].

وخلاصة الأمر أن هذا الرأي لا يجد من الأسانيد ما يؤيده ويؤكده مما يبعده عن الصواب ويفهم منها النوايا الخبيثة لأصحابه الذين يريدون أن يرفعوا من شأن اليهود على غيرهم من بني إسرائيل من جهة أو من شعوب الأرض من جهة أخرى.

ثانياً: أسر جميع أسباط بني إسرائيل الذين خرجوا مع قبائل البدو الهكسوس باستثناء سبطي يهوذا أو أشير.

أ- لم تشر النصوص المصرية القديمة إلى أسر أية أسباط من بني إسرائيل ولكنها أشارت إلى أسر بعض الأفراد من قبائل البدو الهكسوس[3].

---

(1) أحمد شلبي: اليهودية، القاهرة: ١٩٧٤،.- ص: ٤٧، ٥٣- ٥٤ ؛ عبد الفتاح الزيات: ماذا تعرف عن اليهودية؟ القاهرة: ١٩٩٨ ،- ص: ١٦٩ — ١٧٠ ؛محمد عبد اللطيف: المرجع السابق،- ص:٢٥

(2) سرنايوفتس: مصر أصل الشجرة، الجزء الثاني ص:٢٨٧،٢٥٨ — ٢٩٠

(3) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،- ص:١١٦

ب- كيف للأمير أحمس الأول أن يأسر معظم بني إسرائيل ويعيدهم إلى مصر وهو يعلم أنهم كانوا أتباعاً للهكسوس وأنهم دخلوا مصر بموافقتهم وأن بعضاً منهم قد تقلّد مناصب هامة فى مملكة الهكسوس.

ألم يعلم أنهم قد ينقلبون عليه وعلى أسرته يوماً ما بعد أن يزداد عددهم ويقوى نفوذهم

ألم يعلم أنهم قد يشكلون فى المستقبل مشاكل دينية كبرى باعتبار أن منهم أنبياء ورسلاً وأنهم سَينبذون آلهة قومه المصريين القدماء.

ألم يعلم أنهم قد يتصلون بفلول الهكسوس أو غيرهم من قبائل البدو ليعيدوا احتلالهم لمصر[1].

كما أنه وقومه لا حاجة لهم لبني إسرائيل فهُمْ أهل زراعة وصناعة وتجارة ولديهم من العمالة المدربة فى جميع المجالات ما يحول دون الاستعانة بغير المصريين لإنجاز مشاريعهم المعمارية والزراعية والصناعية وغيرها[2].

ثالثاً: تفضيل بنى إسرائيل عدم الخروج مع قبائل البدو الهكسوس الذين تم طردهم على يد أحمس الأول وجيشه الذين لم يعارضوا هذا الموقف من جانب بني إسرائيل

أ- ما الذي يدفع بنى إسرائيل إلى رفض الخروج من مصر مع قبائل البدو (الهكسوس) خاصة أنهم كانوا يتعاملون معهم وينتمون إلى نفس جنسهم ويتحدثون لغتهم، بينما أنهم لم يتعاملوا مع المصريين القدماء فهم يختلفون عنهم جنساً ولغة ولذا فمن المعتقد أنه لم تكن لديهم الرغبة فى ذلك وخاصة أن أمامهم فرصة للخروج إلى الأرض المقدسة فى فلسطين التي وزَّع أبوهم يعقوب أرضها عليهم وبشّرهم

---

(١) المرجع السابق، ص:١١٦؛ محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني، ص

(٢) أحمد يوسف: مصر في القرآن ...

يوسف بدخولها والإقامة فيها[1].

ب- إن بني إسرائيل كانوا يعلمون أن المصريين القدماء يعتبرونهم جزءاً من الهكسوس ولا يميزون بينهما وأنه حال بقائهم فى مصر وعدم خروجهم قد يتعرضون للقتل على يد الجيش المصري أو على الأقل يعتبرونهم عبيداً وأرقاءً وخدماً وأنه فى تلك الحالة فإن حياة البدو رغم ما فيها من شظف العيش أحسن حالاً من الحياة كعبيد وأرقاء ولذا كانت هذه الأفكار ستدفعهم إلى اتخاذ قرار الخروج مع الهكسوس وعدم البقاء فى مصر[2].

رابعاً: خروج بني إسرائيل بلا استثناء مع موسى وهارون أثناء حكم الهكسوس وغرق فرعون وجنوده فى البحر.

ونعتقد أن هذا الرأي هو أرجح الآراء وأقربها إلى الصواب ومما يؤكده.

أ- الضعف الفجائي للهكسوس الذي كان من الأسباب الرئيسية التي دفعت أمراء طيبة إلى إعلان الثورة المسلحة ضدهم ورفع راية الكفاح المسلح ومهاجمتهم فى عقر دارهم فى أواريس أكثر من مرة غير مبالين بالتضحيات الجسام فى سبيل تحرير وطنهم من هؤلاء الجبارين[3].

ب- اندلاع الثورة الوطنية فجأة أيضا ضد الهكسوس خاصة فى عهد الأمير الطيبي سقنن رع الذي قاد هذه الثورة حتى لقي حتفه فحمل راية الثورة والكفاح ابنه كامس الذي فيما يبدو تعرض لمؤامرة من قبل الهكسوس أودت بحياته فحمل مشعل

---

(1) صابر طعيمة: اليهود بين الدين والتاريخ.- ص: ١٢٩-١٣١؛ محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل فى القرآن والسنة. ص: ٤٥٢-٤٥٦

(2) محمد مزروعة: دراسات فى اليهودية. القاهرة ١٩٨٧م.- ص: ١٠٢

(3) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم. الجزء الثاني. ص: ٤٧٢

الجهاد من بعده أخاه أحمس الذي تمكن من طرد هؤلاء الأجانب المحتلين وتشتيتهم في بلاد الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية بحيث لم يعد لهم ذكر[1].

ويبدو أن سبب ضعف الهكسوس واندلاع الثورة فى طيبة يرجع إلى خروج بني إسرائيل من مصر بعد أن تحول الصديقان الحميمان الهكسوس وبني إسرائيل إلى عدوين لدودين وقد رفع راية العداوة أحد حكام الهكسوس خاصة بعد أن أعلن موسى زعيم بني إسرائيل رغبة قومه فى الخروج من مصر والإقامة فى الأرض المقدسة بفلسطين ورفض هذا الحاكم طلب بني إسرائيل مما دفعهم إلى الهروب فى جنح الظلام مما دفعه إلى اقتفاء أثرهم ومعه جيشه وكان مصيرهم الغرق فى بحر عميق بينما تكمن بنو إسرائيل من عبوره بمعجزة من ربهم[2].

د- لا يوجد أثر للابتلاءات التسع العظام التي شملت جميع أوجه حياة فرعون وقومه الذين يعتقد بعض المؤرخين الأقدمين والباحثين المحدثين أنهم قد عاشوا خلال عهد الدولة الحديثة بينما على العكس من ذلك كان عصر ازدهار وتقدم فى جميع مجالات الحياة المصرية،بل إن القوة العسكرية للمصريين فى ذلك العصر تجعلهم لا يقيمون وزناً لبني إسرائيل أو غيرهم حتى إن تمكنوا من الهروب خلسة إلى الأراضي المقدسة فى فلسطين دون أن يشعروا بهم فإنهم كان باستطاعتهم مهاجمتهم فى مقرهم الجديد فى فلسطين والقضاء عليهم[3].

هـ- لم يتحدث بنو إسرائيل اللغة المصرية القديمة ولم يكتبوها ولم يُؤثر عنهم بعد خروجهم من مصر أنهم تركوا كتابات تدل على إلمامهم باللغة المصرية القديمة

---

(١) عبد الحليم نور الدين،تاريخ وحضارة مصر القديمة،الجزء الأول،- ص:٢٥٠

(٢) نجيب ميخائيل،مصر الشرق الأدنى،الجزء الثاني،- ص:٥-٦

(٣) صابر طعيمة،التاريخ اليهودي العام،الجزء الأول،- ص:٤٢

و- إنهم حينما أرادوا أن تكون لهم لغة خاصة بهم بعد دخولهم الأرض المقدسة فلسطين فقد اشتقوها من الكنعانية وكان من الأجدر بهم أن يشتقوها من المصرية القديمة التي تعلموها فى مصر لعدة قرون بافتراض أنهم كانوا يعيشون فى كنف المصريين القدماء لا كنف الهكسوس(١).

ز- إن قبائل البدو الرعاة الذين أتوا من جهة الشرق والذين أطلق المصريون عليهم السيتو والعامو والحقاخاسوت كانوا ينتمون إلى أصول آسيوية وغيرها لديها علم بأقوام عاد وثمود ونوح ومن جاء بعدهم كما يفترض أن الأنبياء والرسل المبعوثين إليهم كانوا أيضاً بدواً رعاة أي من نفس مهنتهم ويتحدثون لغتهم ليكونوا على علم بأصولهم ونسبهم حتى يفهموا عنهم دينهم وشريعتهم وذلك مصداقاً لقوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤ ﴾(٢) (سورة إبراهيم: ٤).

ح- لم تسجل النصوص أو المناظر المصرية القديمة غرق أحد ملوكهم وجنوده فى البحر.

ط- لم يعْهد على المصريين القدماء طوال عصورهم المختلفة أنهم اضطهدوا أقواماً وفدوا إليهم وعاشوا بينهم أو حتى أسروهم أو دخلوا مصر متسللين وقد عُرف عنهم حسن معاملتهم للإنسان والحيوان والنبات.

ي- عاش بعض ذرية إسرائيل عليه السلام فى مصر خلال العصر المتأخر وكوَّنوا

---

(١) نديم السيار:المرجع السابق،- ص:٥٤، ٨٣،٧٤؛ بريتشارد،ج:نصوص الشرق الأدني القديمة المتعلقة بالعهد القديم، الجزء الأول:الأساطير والقصص والنصوص الجنائزية المصرية،تعريب/ عبد الحميد زايد،القاهرة١٩٨٧،ص:٤

(٢) القرآن الكريم،سورة إبراهيم:٤

أكثر من جالية بها وخاصة فى الفنتين والأشمونين ومنف وغيرها وقد تطاولت على آلهة المصريين وكهنتها وتنبؤوا بالخراب على مصر إلا أن المصريين لم يسيئوا معاملتهم، كما أنه لم تكن بينهما أية حزازات موروثة سواء بسبب اضطهاد حكام مصر لهم أثناء فترة السخرة التى بلغت مدتها حوالى أربعة قرون متصلة ابتداءً من عهد يوسف إلى عهد موسى عليه السلام[1].

أما الأدلة على وجود بني إسرائيل فى مصر قبل عصر الدولة الحديثة وخروجهم منها قبل هذا العصر أيضاً فيمكن إيجازها فى الآتي:

١- ورد بالبردية رقم ٣٥٠١٤٤٦ المحفوظة بمتحف بروكلين من عصر الملك سوبك حوتب من الأسرة الرابعة عشرة أسماء يوسف ويعقوب وأشير وهي هنا لا تشير إلى بعض أسماء ذرية إسحاق ولكنها تشير إلى أسماء كانت منتشرة بين قبائل البدو فى بلاد الشام[2].

٢- تضمنت نصوص الملك أمنحوتب الثالث فى معبده بصولب بالنوبة أسماء أعلام منها يوسف إيل وأشير، فضلا عن قائمة جغرافية تتضمن موقعاً أطلق عليه أسم يهوع/يهوعو الذي قرّبه بعض المؤرخين إلى (يهوه)[3].

٣- ورد فى رأس الشمرا التي تقع فى غرب سوريا حالياً نصوص أوجاريتية بعام ألف وأربعمائة وخمسين قبل الميلاد تتضمن اسماً اختلف علماء اللغة فى قراءته فقرأه بعضهم يواو أو ياوو بينما قرأه بعضهم الآخر ياوي وقد قرب هذا الاسم أيضاً

---

(١) نايوفتس،س.: مصر أصل الشجرة،الجزء الثاني،.- ص: ٢٤٧-٢٥٢ ؛ رمضان علي:رموز من مصر القديمة،ص:١٥٨-١٦٨ – ١٦٨؛ نور الدين عبد الصمد،المرجع السابق،.- ص:٢١١-٢١٧

(٢) نايوفتس،س:مصر أصل الشجرة،الجزء الثاني،.- ص:٢٤٦

(٣) المرجع السابق،ص:٢٤٧، ٢٧٠

إلى إله موسى (يهوه) [١].

٤- ورد فى نصوص الكاهن ميلكو الأوجاريتى الذي عاصر الملك المصري إخناتون فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة كل من اسم الأشرتم واليوديم وقد استنتج بعض المؤرخين أن هذين الاسمين يشيران إلى سبطين من أسباط إسرائيل وهما سبط يهوذا وأشير مما يعني أنهما لم يدخلا مصر حيث إنهما كانا خارجها خلال عهد الملك إخناتون أو أنهما دخلا مصر ولكنهما فضلا الخروج مع الهكسوس حينما تم طردهم من مصر على يد أحمس الأول وجيشه، كما يستدل من هذه النصوص أن بعض الأسباط أصبح لهم نفوذ وقوة عسكرية يخشى بأسها وأصبحت تشكل تهديداً كبيراً لما حولها من ممالك وإمارات [٢].

٥- الأشخاص المصورون على أحد جدران معبد الكرنك المسمى بجدار عسقلان حسب بعض الآراء هم من بني إسرائيل مما يشير إلى أن الملك رمسيس الثاني قد حاربهم فى عسقلان وانتصر عليهم [٣].

٦- ورد فى نصوص معبد الملك رمسيس الثاني بالعمارة غرب بالنوبة موقعاً أطلق عليه «ياهو فى أرض الشاسو» ويربط بعض المؤرخين بين اسم ياهو وبين اسم (يهوه) إله موسى [٤].

٧- ورد بلوحة بيشان التي تؤرخ بعصر الملك رمسيس الثاني ما نصه «تاشا سو ياهو» بمعنى «ياهو بأرض الشاسو» [٥].

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٧١، ٢٧٢

(٢) ايلي ميلكو: اللآلئ، تعريب/مفيد غرنوق، بيروت: ١٩٨٩م، ص: ٧٠- ١٢٥

(٣) نايوفتس، س: مصر أصل الشجرة، الجزء الثاني، ص: ٢٤٧

(٤) المرجع السابق، ص: ٢٤٧، ٢٧٠

(٥) المرجع السابق، ص: ٢٤٧

٨- ورد بنصوص الملك رمسيس الثاني موقعاً جغرافياً أطلق عليه يزري(ل) ويحتمل أنه يشير إلى جنوب فينقيا ويكتب بمخصص العصا المعقوفة والجبل وهو يتشابه مع الاسم الذي ورد فى لوحة ولده مرنبتاح التي أطلق عليها العلماء لوح إسرائيل أو اللوح ذو النصين إلا أن هذا الاسم الأخير ورد بمخصص رجل وامرأة مما يدل على أنهم مجموعة من الناس ولا يشير إلى مملكة أو إمارة ويتفق كثير من المؤرخين أن هذا الاسم لا يشير إلى بني إسرائيل لأنه ظهر خلال الأسرة التاسعة عشر ولم يعد يذكر بعد هذا العصر مما يؤكد ما قاله الملك مرنبتاح من أنه قضى عليهم ولم يعد لهم نسل كما أن نصوص الملك مرنبتاح تؤكد بقاؤه على قيد الحياة بعد تلك الحملة التي قادها إلى بلاد الشام وقضى فيها على جماعة أو قبيلة يسير يارو/يزير يارو/يسير الو/يسرا(ىء) لو والتي يعتقد أنها كانت تمتلك قوة عسكرية فعالة ومؤثره فى هذا الوقت مما جعل الملك مرنبتاح يسجل انتصاره عليها وذلك على سبيل الافتخار[١].

ومما يؤكد أن هذا الاسم لا علاقة له ببني إسرائيل أن الملك مرنبتاح لم يغرق فى البحر أو أحد من جيشه وذلك على عكس ما أكده القرآن الكريم.فضلاً عن بقاء بنى إسرائيل حتى يومنا هذا ولم يقض عليهم كما ذكر الملك مرنبتاح فى لوحته الشهيرة.

٩- يعتقد بعض المؤرخين أن كثرة الحملات العسكرية التي قادها ملوك عصر الدولة الحديثة ابتداءً من عهد الملك تحتمس الثالث وانتهاءً بعهد الملك رمسيس الثالث إلى بلاد الشام يرجع السبب فيها إلى بني إسرائيل وخاصة أن تلك الحالة لم تشهدها بلاد الشام منذ أن خضعت للسلطان المصري منذ عصور مبكرة، حيث

(1) W.F.Petrie. A History Of Egypt. 111. London. 1927.P.115. Egypt And Israel. London. 1925.P.38

أثاروا القلاقل والفتن بين ممالك وإمارات هذه البلاد من جهة وبين هذه الممالك ومصر من جهة أخرى[1] وإن كان لا يمنع أن يكون السبب وراء ذلك أيضاً تلك الجماعات التي نزحت عن مواطنها الأصلية تحت ضغط الجوع والقحط والتي كانت تبحث لها عن مستقر تقيم فيه ومنها جماعات العابيرو/الخابيرو، فضلاً عن بعض شعوب البحر[2].

١٠- لم تثبت الفحوصات التي أجريت فى بداية القرن الواحد والعشرين على أكثر مومياوات ملوك عصر الدولة الحديثة على غرق أحدهم فى البحر، كما لم يتفق أغلب المؤرخين على ملك واحد من ملوك الدولة الحديثة باعتباره فرعون موسى ويرفض بعض المؤرخين أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر قبل عصر الدولة الحديثة معتمدين فى ذلك على غياب النصوص التي تذكر اسم إسرائيل خلال تلك الفترة سواء فى مصر أو بممالك وإمارات بلاد الشام ولكن يمكن الرد على ذلك بأن القرآن الكريم قد أكد على أن أسم بني إسرائيل قد عرف منذ عهد موسى عليه السلام وأن فرعون وقومه كانوا على علم به حيث ورد بالقرآن الكريم قوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[3] (الأعراف: ١٣٤) وذلك أثناء إقامتهم فى مصر ولكنهم حينما خرجوا جميعاً منها تم تقطيعهم إلى أثنى عشر سبطاً ليعلم كل منهم مطعمه ومشربه حيث جاء بالقرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾[4] (الأعراف: ١٦٠)

---

(١) رمضان علي: رموز من تاريخ مصر القديمة،.- ص: ١٤١، ١٤٨

(٢) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، ص: ٨٦ - ١٣٨، ٢٥٨ - ٢٨٧

(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٣٤

(٤) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ١٦٠

ويبدو أنهم استمروا على هذا الحال خلال فترة التيه وأيضاً بعد دخولهم الأرض المقدسة فى فلسطين حتى قيام مملكة إسرائيل الكبرى على يد طالوت بمعنى أنهم لم يشكلوا جماعة واحدة متماسكة مما أفقدهم التأثير على الساحة الدولية وكذلك لم يكن للإمارات والممالك المجاورة لهم أية إطماع فيما يملكونه حيث أنهم قد أقاموا فى أراض صحراوية تعتمد الحياة فيها على حفر الآبار أو على بعض الآبار الطبيعية والتي دفعتهم إلي زراعة مساحات محدودة من الأرض حولها فضلا عن نمو بعض الكلأ والعشب ولذا ظلت ثروتهم الحيوانية محدودة وكذلك ثروتهم النباتية كما أنهم كانوا مشغولين بمشاكلهم الشخصية وخاصة تدبير الطعام والشراب كما يعتقد أنه كانت تجري بينهم بعض الحزازات والخلافات والمشاكل العديدة التي زادت من تفرقهم وانقسامهم على أنفسهم وحال بينهم وبين نشر دعوة الإسلام[١].

وكان هذا هو السبب المباشر فى عدم ذكرهم فى النصوص القديمة رغم دخولهم فلسطين بعد انقضاء أربعين عاماً من خروجهم من مصر فى نهاية عهد قبائل البدو الرعاة[٢].

أما بالنسبة لخروج بني إسرائيل خلال عصر الدولة الحديثة فإلى جانب الآراء التي سبق الإشارة إليها والتي تعتقد بأن بني إسرائيل الذين دخلوا مصر فى عهد الهكسوس قد تم أسر أغلبهم على يد الملك أحمس الأول الذي أعادهم إلى مصر وذلك حين قيامه بمطاردة فلول الهكسوس إلى خارج حدودها أو أنه لم يتم طردهم

---

(1) Redford. Egypt. Canaan and Israel. P. 309

سيد القمني: النبي موسى، الجزء الثاني، - ص: ٦٥٠ - ٦٥١

(٢) أحمد فخري: مصر الفرعونية، القاهرة: ١٩٨١، - ص: ٣٥٩، حاشية: ١

مع أولياء نعمتهم الهكسوس وفضلوا البقاء فى مصر ووافق المصريون على ذلك[1] ظهرت آراء أخرى يرى أصحابها أن بني إسرائيل دخلوا مصر خلال الدولة الحديثة كأسرى حرب ولكن على يد الملك تحتمس الثالث وخلفائه من الملوك الأقوياء الذين كان لهم نشاط حربي قوي فى بلاد الهلال الخصيب[2].

كما يرى البعض الآخر أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر خروجاً مبكراً إما فى عهد الهكسوس أو فى عهد الملك أحمس الأول فضلاً عن خروجاً ثانياً أو متأخراً لمن أُسر أو آثر البقاء منهم بعد أن تم طرد الهكسوس من مصر وكان هذا الخروج فى عهد أحد ملوك الدولة الحديثة الذي اختلفت الآراء اختلافاً بيناً فى تحديد اسم فرعون الخروج أو خروجاً واحداً فقط إما فى عهد الهكسوس أو فى عهد الدولة الحديثة[3] ومما ساهم فى انتشار فكره الخروج الثاني أو المتأخر لبني إسرائيل من مصر هو المؤرخ اليهودي يوسيفيوس الذي ادَّعى أن ما ذكره فى كتابه الرد على أبيون وخاصة ما يتعلق بوجود اليهود أو بني إسرائيل فى مصر قد تم اقتباسه عن المؤرخ المصري القديم مانيتون الذي كان يعيش فى عهد الملك بطليموس الثاني خلال العصر اليوناني من كتابه تاريخ مصر إلا أنه قد ثبت بالأدلة والبراهين التي سبق ذكرها أن هذا المؤرخ اليهودي ينسب إلى مانيتون ما لم يدوِّنه فى كتابه وأنه لا يختلف عن كتبة التوراة الذين قالوا عن الله ما لم يقله خاصة بعد تيقنهم من فقد أصول هذه الكتب سواء أكانت سماوية أو تاريخية وغرضهم الأساسي رفع منزلة اليهود

---

(١) محمد بيومي مهران: إسرائيل، الجزء الأول، الإسكندرية: ١٩٧٨، ص: ٢٥٧ - ٤٣٩

(2) Redford. Egypt. Canaan And Israel. P.221- 227

(٢) سيد القمني: النبي موسي، الجزء الأول،.- ص: ١٤٨ - ١٥٠؛ صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، الجزء الأول،.- ص: ٧٩؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.- ص: ١٤٠ - ١٤٤

على بقية شعوب العالم قديماً وحديثاً حيث ذكر أن ملكاً يسمى أمنحوتب وهو عند المؤرخين اليونانيين سيزوستريس الأول وقالوا عنه أنه كان شخصية قوية وله جيش كبير ضم عددا كبيرا من المرتزقة الأجانب وخاصة اليونانيين وأغدق عليهم النعم والهبات وأقام الأعمدة بالبلاد التي فتحها وسجَّل عليها انتصاراته-وولده فيرون-وهو عند بعض المؤرخين اليونانيين يسمى سيزوستريس الثاني وكان شخصية ضعيفة تؤمن بالخرافات-وقد أنزلا أقصى أنواع العذاب والاضطهاد والتسخير ببني إسرائيل المقيمين فى مصر إبان عصر الدولة الحديثة بعد أن أشار عليها بعض الكهنة المصريين بذلك تقرباً للآلهة المصرية إلا أن بعض الكهنة المصريين الآخرين لم يرضوا عن هذا المسلك غير الإنساني ببني إسرائيل ولذا فقد انضموا إليهم ومن بينهم كاهن يدعى أوزير سيف[1] وقد أمر الملك أمنحوتب بنفيهم جميعاً إلى أواريس حيث كان يقيم الهكسوس أو اليهود قبل طردهم من مصر على يد الأمير أحمس الأول وقدتزعم الكاهن أوزير سيف كلاً من بني إسرائيل وجماعة الكهنة المصريين الذين انشقوا عن الملك وقد وضع لهم مبادئ يلتزمون بها ومنها ما يأتى[2]:

أ- إباحة ذبح وأكل الحيوانات التي يقدسها المصريون القدماء.

ب- تدمير وتحطيم تماثيل الآلهة المصرية.

ج- تحريم زواجهم من المصريين وقصر ذلك على جماعتهم.

د- التخلي عن عبادة الأوثان والأصنام.

ويذكر يوسيفيوس أن أوزير سيف قد اتصل باليهود فى أورشليم وتحالف معهم

---

(١) أحمد عثمان:تاريخ اليهود،الجزء الاول،،- ص:٧٩

(٢) سيد القمني:المرجع السابق،،- ص:١٤٩

وسهّل دخولهم إلى الأراضي المصرية مما كان له أثر كبير فى تحقيق الانتصار على أمنحوتب وجيشه وحكم اليهود وبنو إسرائيل مصر لمدة ثلاثة عشر عاماً استطاع بعدها الملك أمنحوتب وابنه طردهم إلى خارج الحدود المصرية[1].

ويبدو أن الأسباب التي جعلت المؤرخين ينسبون هذه الأحداث إلى عصر الدولة الحديثة:

أن اسم أمنحوتب ارتبط بملوك الدولة الحديثة وقد حمله أربعة ملوك منهم إلا أنه لا يمكن اعتبار كل من أمنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع فرعون موسى لاختلاف شخصية كل منهما عن شخصية فرعون التي ذكرت فى القرآن الكريم[2].

أشارت النصوص المصرية إلى أسر عدد كبير من البدو الرعاة على يد الأمير أحمس الأول ليعيشوا فى كنفه وتحت سلطته والذي يعد أول ملوك عصر الدولة الحديثة[3].

يرفض أغلب المؤرخين أن يكون هناك خروج ثانٍ لبني إسرائيل أو دخولاً ثانياً للهكسوس أو اليهود وذلك لأسباب منها[4]:

١- لا توجد أية شواهد على إقامة بني إسرائيل فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة.

٢- أنه لم يعهد أن أحد المصريين قد خان بلاده واتصل بقوات أجنبية واستقدمها وسهّل دخولها إلى مصر بغرض القضاء على الحكم المصري واحتلال مصر.

٣- أنه لم يعهد خلال تاريخ مصر أن انقلب الكهنة المصريون على الملوك

---

(١) المرجع السابق،- ص: ١٤٩

(٢) سيد القمني: المرجع السابق،- ص: ١٤٩

(٣)

والحكام بل كانوا يساهمون فى توطيد سلطانهم ونفوذهم.

٤- أنه من غير المقبول أن يقوم أحد ملوك مصر بتجميع المنشقين على حكمه أو من يهددون الأمن فى بلاده فى موقع واحد دون رقابة أو سيطرة مما يدفعهم إلى التنسيق مع قوى خارجية لإسقاط حكمه والاستيلاء على ملكه.

٥- أن الكتب السماوية لم تشر أبداً إلى قيام بني إسرائيل بفرض سلطانهم وحكمهم على غيرهم من الممالك الأخرى قبل خروجهم من مصر على يد موسى عليه السلام ولم يحدث ذلك إلا بعد قيام المملكة الموحدة على يد شاؤل وخلال حكم داود ثم سليمان عليهما السلام كما لم تثبت النصوص المصرية وغيرها من نصوص الشرق الأدني القديم قيام أي من ذرية يعقوب عليه السلام بفرض سلطانه وحكمه على مصر وأهلها وإنما أكدت هذه النصوص أن الذين احتلوا مصر وحكموا أهلها مجموعة من قبائل البدو الرعاة أطلق المصريون عليهم اسم الحقاخاسوت والذي حُرّف فيما بعد إلى اسم الهكسوس.

الأمر الإلهي بالخروج

أوضح القرآن الكريم بصورة جلية واضحة أن الله عز وجل قد أمر موسى بالخروج من مصر دون انتظار موافقة فرعون بعد أن ثبت أنه ليس لديه الرغبة أو لدى قومه فى خروج بني إسرائيل من مصر وقد حدد له الله موعد الخروج والطريق الذي سيسلكه كما أعلمه وأخبره بمصير فرعون وجنوده ومن تلك الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [١] (الدخان: ٢٣ – ٢٥).

ويرى بعض المؤرخين أن موسى قد خرج بقومه فى فصل الصيف بعد أن ...

---

(١) القرآن الكريم: سورة الدخان ...

المشاء على المغرب وتم الأمر فى سرية تامة وكاملة وقد اتخذ موسى كافة الاحتياطات بحيث لا يصل خبر الخروج لأصحاب النفوس الضعيفة من بني إسرائيل فيخبروا فرعون أو أحداً من قومه ويبدو أنه قد جمعهم وتأكد من عدم وجود أحد منهم خارج منطقة بَدْأ التحرك كما جهز الطعام والشراب الذي يكفيهم مدة الرحلة سواء لقومه أو لدوابهم التي اصطحبوها معهم والتي استخدم بعضها لحمل الأمتعة فضلاً عن الشيوخ والأطفال والنساء والمرضى وكل ما هو غير قادر على السير لمسافات طويلة[1] ويعتقد أن بني إسرائيل لم يكونوا مسؤلين عن شيء لفرعون أو لأحد من قومه يقتضى تسليمه لهم وأنه لم يكن معهم أثناء الإعداد للخروج أحد من قوم فرعون. وهذا يؤكد أن فرعون قد وضع رقابة صارمة على كافة الطرق الموصلة بين موقع إقامة بني إسرائيل وبين حدود مصر الشرقية بحيث يتم إفشال أية محاولة من موسى للخروج بقومه[2] كما أنه من المؤكد أن فرعون كان يعلم أن موسى وقومه لن يتركوا فرصة مواتية للخروج إلا واستغلوها وأنهم يعدُّون العدة للخروج ولذا فقد اتخذ جميع الاحتياطات التي تحول دون نجاح خططهم كما أنه لجأ إلى التهديد والتخويف لموسى وقومه وأنذرهم بعذاب وبطش شديد إن حاولوا الخروج بدون إذنه وعلمه.

ويظن أن المسافة التي قطعها موسى وقومه ليلاً فى بداية خروجهم كانت بها بعض المواقع أو القرى السكنية لذا كان الليل ستراً لهم فضلاً عن نوم أهلها أما بقية المسافة التي ساروا فيها نهاراً فكانت عبر دروب الصحراء بعيداً عن الرقابة وبعيداً عن الحاميات كما أن موسى فيما يحتمل قد سلك الطريق الذي سبق وأن سلكه للهروب إلى مدين وهو الطريق الذي ألهمه الله إيَّاه بحيث تكلل هروبه إلى مدين



وعودته منها بالنجاح[1].

ويبدو أن قوم موسى لم يكونوا يعلمون فى بداية رحلتهم بخطة موسى للخروج من مصر حتى لا يفسد بعضهم هذه الخطة برفضه الخروج أو الخوف من الوقوع في أيدي جنود فرعون فيكون مصيرهم الهلاك أو الخوف من عدم قدرتهم على دخول الأراضي المقدسة التي يسكنها الجبارون فيكون مصيرهم العيش فى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء[2].

كما يرى بعض المؤرخين أن الخروج كان بعلم مسبق من فرعون وأنه سمح لهم بأخذ كافة مالهم من أشياء فى أرض جاسان على أن يعودوا مرة أخرى إليها جاسان بعد انقضاء مدة ثلاثة أيام يؤدون فيها شعائرهم وصلواتهم إلا أن موسى وقومه قد واصلوا السير فى اتجاه الحدود الشرقية بغية الهروب من مصر على اعتبار أن من لا يفى بعهوده لا يستحق أن يفى الناس بعهودهم معه[3].

المدة الزمنية التي قطعها بنو إسرائيل من مقر إقامتهم إلى فم الحيروث

يعتقد بعض المؤرخين أن موسى عليه السلام وقومه قد استغرقوا سبعة أيام من موقع تحركهم حتى وصلوا إلى إيثام وذلك بافتراض أنهم يقطعون عشرين كيلو متراً فى اليوم الواحد[4] وهذا يعني أن المسافة مائة وأربعون كيلو متراً فإذا افترضنا من ناحية أخرى أن بنى إسرائيل كانوا يقطعون كل نصف ساعة كيلو مترين على أساس أن كل من هو غير قادر على السير محمول فوق أظهر الدواب وأن البقية تسير فى

---

(١) المرجع السابق.. ص:٩٢١،٩٢٥ – ٩٤٠

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق.. ص:٩٢٤

(٣) المرجع السابق.. ص:٩٢٤

(٤) المرجع السابق.. ص:٩٣٧

خطى سريعة فإنهم يقطعون هذه المسافة فى يوم كامل وربع يوم فإذا كان هناك وقت للراحة فإنهم يصلون إلى إيثام فى يوم ونصف وليس فى سبعة أيام ومما يدل على أن موسى وقومه لم يقطعوا هذه المسافة فى سبعة أيام أن فرعون وجنوده قد قطعوها فى نهار اليوم الثاني بعد علمهم بفرار بني إسرائيل فليس من المعقول أن فرعون لم يعلم بهروبهم إلا بعد انقضاء ومرور أربعة أيام من انتهاء المدة المقررة لأداء شعائرهم الدينية خاصة أن قومه كانوا يتوقعون هروبهم فى أية لحظة.

وقد أكد الله لموسى أن فرعون وجنوده سيتبعونهم ويقتفون أثرهم مما يعني أن يسرع بقومه وألا يستغرق بهم وقت طويل للراحة مما يفهم منه أن رحلته بقومه لم تستغرق هذه المدة الطويلة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ [1] (الشعراء: ٥٢ – ٥٥).

أهم المواقع التي مر بها بنو إسرائيل أثناء خروجهم

يضع المحرر التوراتي خط سير الخروج الذي تتصل بأوضاع الجغرافيا فى شرق الدلتا المصرية المتصلة بالصحارى السينائية وكان يوجد بها بداية طريق حورس الحربي الكبير المؤدي إلى فلسطين وغيرها من بلاد الشام وقد أراد رب موسى إبعاده عن هذا الطريق السهل نظراً للأخطار الكثيرة التي كان سيجابهها بنو إسرائيل فى حالة اتخاذهم هذه الطريق حيث أمره بالاتجاه جنوباً نحو بحر سوف حيث ورد بالتوراة ما نصه.

أ- « فارتحل بنو إسرائيل من رمسيس إلى سكوت... وارتحلوا من سكوت ونزلوا إيثام فى الطرف البرية... » [2] (خروج: ١٢ / ٣٧، ١٣ / ٢٠).

(١) القرآن الكريم: سورة الشعراء: ٥٢-٥٥

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ١٢ / ٣٧ ، ١٣ / ٢٠

ب- وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون مقابلة تنزلون عند البحر فيقول فرعون عن بني إسرائيل مرتبكون فى الأرض قد استغلق عليهم القفر واشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتمجد بفرعون وجميع جيشه ويعرف المصريون إني أنا الرب ففعلوا هكذا [1] (خروج ١٤/ ١- ٥).

ويأمر الرب موسى بضرب البحر بعصاه لينفلق إلى فرقين كل فرق كالجبل العظيم ليعبر بنو إسرائيل بسلام بينما يغرق فرعون وجنوده عند فم الحيروت ويرى بعض المؤرخين أن موسى اتجه ناحية جبل حوريب فى عمق سيناء ليعيش بنو إسرائيل هناك ولكن يعترض على ذلك مؤرخون آخرون ويرون أن بني إسرائيل لم يسكنوا عند هذا الجبل لأنه مكان غير صالح للسكنى الآدمية حيث لا تتوافر فيه أسباب الحياة ويؤكد ذلك أن موسى حينما ترك أخاه هارون يتولى أمر بني إسرائيل أثناء غيابه لملاقاة ربه فوق هذا الجبل لم يصعد إليه هارون ليحدثه عن الفتنة التي وقع فيها بنو إسرائيل ويعرض عليه ما حدث منهم من أفعال وأقوال وإنما انتظر أربعين يوماً أو حتى حضر أخوه من مهمته ويفهم أن السبب فى ذلك إما بعد المسافة أو توصية من موسى أو غير ذلك[2].

أما عن الآراء التي تتضمن خروج بني إسرائيل بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم ودوابهم وأمتعتهم فى وضح النهار بين أهل القرى والمدن المصرية خاصة بعد أن

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٤/ ١ – ٥

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،ص:٩٨٥؛ يبدو أن السبب فى عدم صعود هارون عليه السلام الجبل يرجع إلي الأمر الإلهي الذي ورد بالتوراة والذي نصه" كل من يمس الجبل يقتل قتلا لا تمسه يد بل يرجم أو يرمى رميا بهيمة كان أم إنسانا لا يعيش" الكتاب المقدس:العهد القديم، سفر الخروج:١٩/ ١٢

غرق فرعون حاكم مصر وخيرة جنوده فى الماء أمر لا يمكن قبوله حيث أنهم فى تلك الحالة سيتعرضون لغضب ونقمة المصريين مما يعيق عملية خروجهم ويكبدهم خسائر فادحة فى أرواحهم ودوابهم وهذا ما لم يتم الإشارة إليه سواء فى التوراة أو القرآن الكريم ولكن يفهم من كل منهما أن خروج بني إسرائيل تم فى سلام ودون أن يتعرض أحد منهم لأي أذى[1].

وأما ما ورد فى التوراة بأن رب موسى قد أمره بأن يغير مسار طريق الخروج كما سبق الذكر فإن ذلك لا يؤيده القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة فالله ﷻ الذي يحيط بكل شىء علماً إذا وضع خطة لخروج موسى وقومه فهي غير قابلة للتعديل لأن هذا عيب فى ذات الله وهو منزه عن كل عيب فضلاً عن أن ذلك والعياذ بالله قصور فى علم الله وأن الأحداث الدنيوية لا تسير وفق إرادته وأنه كالإنسان يفاجأ بأمور لم تخطر له على بال أو لم يتم حسابها وهذا كله بالطبع لا يمكن أن يحدث مع الله. حتى ولو كان الهدف فى النهاية هو تنفيذ أمر الله فى غرق فرعون وجنودة[2].

ومن أهم المواقع التي مر بها بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر

١- رمسيس:

يذكر كتَّاب التوراة أن بني إسرائيل ارتحلوا من رمسيس تلك المدينة التي سخرهم فرعون وقومه فى بنائها فضلاً عن مدينة أخرى هي فيثوم حيث ورد فى سفر الخروج «وجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتيْ مخازن فيثوم ورمسيس»[3] (سفر الخروج:١/١١).

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق.، ص:٩٢٦
(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق.، ص:٩٢٧
(٣) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج:١/١١

ومما يؤكد أن هناك شكاً كبيراً فى أن تكون مدينة رمسيس التي شيدها الملك رمسيس الثاني فى الدلتا التي يختلف العلماء فى تحديد موقعها اختلافاً بيناً حيث اعتقدوا أنها قنتير أو فاقوسه اللتان لا تبعدان عن بعضهما البعض إلا حوالي عشرة كيلو مترات أو تانيس (صان الحجر حالياً) بمحافظة الشرقية أو جزيرة تنيس التي تقع فى بحيرة المنزلة أو تل المسخوطة (أبو كشيد حالياً) أو تل الرطابة وغيرها، هي تلك المدينة التي انطلق منها بنو إسرائيل إلى الحدود الشرقية لمصر بغرض الهروب إلى خارجها.

أن كثيراً من المؤرخين لم يتفقوا على أن رمسيس الثاني هو الفرعون الذي عاصر موسى عليه السلام بل اقترحوا حوالي ثلاثة عشر ملكاً من ملوك الدولة الحديثة وهم جميعاً لا علاقة لهم بمدينة بر-رمسيس[1] ولا يمكننا القول بأن الخلط من قبل كتاب التوراة يرجع إلى أن مدينة بر-رمسيس قد أقيمت على أنقاض مدينة حت وعرت التي شيدها الهكسوس فى شرق الدلتا والتي حرفها اليونانيون إلى أواريس وقد هدف الملك رمسيس الثاني من ذلك طمس كل أثر للهكسوس فى مصر حتى ولو كان هذا الأثر يتمثل فى الأرض التي كانوا يقيمون عليها فقط باعتبار أن الله عز وجل قد تولى تدمير كل أثر لفرعون وقومه بعاصمة ملكهم اواريس ويعتقد أن كتَّاب التوراة كان تحت أيديهم الاسمان الصحيحان للمدينتين اللتين سخر فرعون بني إسرائيل فى تشييدهما ولكنهم آثروا التبديل والتحريف عن عمد وقصد لإخفاء الحقائق ربما بغرض عدم تشويه صورة الحاكم وقومه الذين اضطهدوا بنى إسرائيل والصاق التهم بقوم آخرين وهم بريئين من ذلك براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب.

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق،- ص:٦٦٨- ٦٧٢

فإذا كان الهكسوس هم الذين اضطهدوا بني إسرائيل فلماذا يلقى بالتهمة على المصريين القدماء؟

كما سبق الذكر فإن كلا من بني إسرائيل وقبائل الهكسوس من جنس واحد ولغتهم واحدة وحرفتهم واحدة وربما تجمعهم علاقات قرابة.كما أن من الهكسوس من دافع عن موسى وآزره وكفل الحماية له من بطش فرعون كامرأة فرعون ومؤمن آل فرعون والرجل الذي أبلغه بمؤامرة القوم على قتله ونصحه بالهروب وغيرهم.كما أن الهكسوس وقت كتابة التوراة لم يعد لهم ذكر فإذا ما نسبوا انتصارهم عليهم قللوا من عظمة وقيمة هذا الانتصار بينما إذا نسبوا ذلك إلى المصريين القدماء الذين- كانوا ذا مكانة عالية قبل تدوين التوراة وأثناء تدوينها بين شعوب العالم القديم- فإن ذلك يكون مدعاة للفخر والاعتزاز[1].

ومما يؤكد قيام كتاب التوراة بالتحريف رغم وجود الأصول الصحيحة للتوراة بين أيديهم أن الله قد توعدهم بعذاب شديد فى الآخرة وهذا الوعيد الإلهي لن يوجهه الله لكتاب التوراة إذا كانت أصول التوراة قد فقدت فعلاً أو أن الأخطاء التي وردت فى التوراة لم يتعمدها أو يقصدها الكتّاب.

وإذا كان الهكسوس هم الذين بنوا هاتين المدينتين وأنهما كانا يحملان اسمين أخرين غير ما أورده كتاب التوراة، فيعتقد أن بني إسرائيل لم يشيدوا هاتين المدينتين لأول مرة بل أنهم استكملوا بعض المباني بهما أو أعادوا بناء ما تهدم من مبانيهما وذلك خلال عصر فرعون باعتبار أنه قد تم تشييدهما فى عهود سابقة لعهد هذا الحاكم حيث أن النصوص المصرية القديمة لم تشر إلا لمدينه سكنية واحدة فقط

(١) محمد حسين الذهبي:الإسرائيليات فى التفسير والحديث،القاهرة:٢٠٠٤م،- ص:٢٥- ٢٨، ٤١-٤٥

أقام بها الهكسوس فى مصر وهي أواريس فى شرق الدلتا والتي تم تحصينها تحصيناً منيعاً وتزويدها بحامية عسكرية بلغ عدد جنودها مائتين وأربعين ألفاً أما مدينة فيثوم فكانت مخصصة للمخازن على اختلاف أنواعها[1].

ومن مواصفات مدينةبر-رمسيس التي شيدها الملك رمسيس الثاني:

يستنتج من خلال هذه المواصفات موقع مدينة أواريس التي اتخذها الهكسوس عاصمة لهم باعتبار أن كلا من المدينتين تقعان فى مكان واحد وباعتبار أن مدينة بر-رمسيس قد شيدت على أنقاض وبقايا مدينة أواريس حسب إعتقاد بعض الباحثين.

١- بها آثار لمساكن وغيرها من المنشآت من عصر الهكسوس وأخرى من عصر الملك رمسيس الثاني وما بعده[2].

٢- تقع فى أقصى شرق الدلتا على الحدود مع مناطق المستنقعات والبحيرات المتصلة بسيناء.

٣- تقع على الطريق الوحيد المؤدي إلى خارج مصر شرقاً.

٤- أنها لا تبعد كثيراً عن الساحل الغربي لبحر أطلق عليه فى التوراة (بحر سوف).

٥- لها ميناء بحري دولي يستقبل سفناً عملاقة.

٦- على مقربة منها قناة تحمل اسم سي-حور حسب النصوص المصرية وشيحور حسب نصوص التوراة.

٧- يقع إلى الشرق منها مكان يسمى سكوت.

---

(١) سيد القمني: النبي موسي وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الرابع، القاهرة: ١٩٩٩م.- ص: ٩٦٣- ٩٦٦، ١٠٥٠-١٠٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠٢٢-١٠٢٥، ١٠٤٧- ١٠٤٩؛ سليم حسن: الأدب المصري القديم، الجزء الأول..- ص: ٢٨٤- ٢٨٥؛ الجزء الثاني..- ص: ٢١٥- ٢١٨

٨- يقع بالقرب منها مدينة مخازن فيثوم حسب نصوص التوراة.

٩- تعد نهاية مصر وبداية الأراضي الأجنبية.

١٠- مكان لتجمع الجنود والفرسان.

١١- شيدت على غرار طيبة وتتمتع بثرائها وتوافر متطلبات الحياة بها.

١٢- من أهم منتجاتها القمح والشعير والثوم والكرات والخس والفاكهة.

١٣- تكثر حولها البرك والمستنقعات وهي التي لا توجد فى مصر إلا فى الدلتا [و]كان يصطاد منها أنواع كثيرة من الأسماك.

١٤- كانت السفن والمراكب تبحر من طيبة عن طريق النيل حتى تصل إليها [1].

وهنا يجب علينا أن نتساءل عما إذا كانت مدينة رمسيس الواردة فى التوراة [هي] ذاتها مدينة بر-رمسيس التي شيدها الملك رمسيس الثاني أحد ملوك الدولة [ال]حديثة فى شرق الدلتا أم لا؟.

ويمكن الرد على هذا التساؤل بالآتي:

١- إذا كانت مدينة رمسيس مقرّاً للحكم فى عصر فرعون وعاصمة للبلاد [فل]ماذا يطلق عليها كتب التوراة مدينة مخازن مثلها فى ذلك مثل بيثوم التي لم تكن [عا]صمة ثانية لمصر أو مقراً آخر للحكم.

٢- إن مدن المخازن لم يعرفها المصريون القدماء خلال عصورهم المختلفة [ولكن]ها عرفت بين الممالك والإمارات الآسيوية ويعتقد أن بني إسرائيل قد عرفوها [عن] طريق تلك الممالك المجاورة لهم وخاصة بعد أن استطاعوا تأسيس مملكه كبرى

---

(1) [س]ليم حسن: المرجع السابق ... الجزء الثاني ... ص: ٢١٥- ٢١٨

لهم تحت حكم شاؤل ومن بعده داود وسليمان عليهما السلام أو عن طريق الهكسوس الذين سمحوا لهم بدخول مصر والإقامة فيها.

٣- إن بني إسرائيل لم يشيدوا مدينة سكنية كبرى لتكون عاصمة كبيرة للبلاد ومقراً للحكم وذلك بافتراض أن فرعون من الهكسوس فإن أول ملوكهم قد اختار موقعاً سكنياً بشرق الدلتا كان يسكنه بعض المصريين ويعبدون فيه ست فأجلاهم عنه وشيد به مدينة سكنية عملاقة وقام بتحصينها تحصينا فائقاً وأسكن بها قومه واعتبرها مقرّاً آخر للحكم بالإضافة إلى مدينة منف التي استقر بها مع آله وجنوده وحكم منها خلفاؤه ولكنهم فى أواخر حكمهم انحصر مقر الحكم فى أواريس بعد أن حل الضعف بمملكتهم واندلعت شرارة الثورة فى إمارة طيبة وتمكن أمراؤها من حصار الهكسوس فى تلك المدينة التي أطلقوا عليها حت وعرت ونطقها الإغريق أواريس.

٤- إن اسم رمسيس قد عرفه الهكسوس منذ عصر يوسف عليه السلام وهذا يؤكد أن الهكسوس أسبق من المصريين القدماء معرفة بهذا الاسم ولذا فمن المعتقد أن بعض المصريين قد أطلقوا هذه الاسم على بعض نسلهم. وخاصة بعد خروج الهكسوس بفترة زمنية طويلة خلال الأسرة التاسعة عشرة ومما يثير الدهشة أن بعض المؤرخين حاولوا ربط اسم رمسيس فى التوراة بأسماء بعض ملوك الدولة الحديثة خاصة أولئك الذين حملوا أسم رمسيس، ولم يحاولوا أن يعقدوا صلة بينه وبين أشياء أخرى، خاصة وأنه كان معروف منذ عصر يوسف عليه السلام الذي استقر الرأي على أنه كان معاصراً للهكسوس ولم يعرف المصريون هذا الاسم أو يستخدموه فى نصوصهم قبل عصر الأسرة التاسعة عشرة إلا أنه منذ هذا العصر أطلق المصريون هذا الاسم على بعض نسلهم.

وعلى ذلك لا يمكننا القول بأن كُتَّاب التوراة قد استخدموا الأسماء المصرية

القديمة المتداولة أثناء تدوينهم التوراة والتي حلت محل الأسماء القديمة التي كانت تعرف فى عصر فرعون، وخاصة أنهم لم يشيروا إلى مدينة سكنية كان يقطنها فرعون وقومه ولكنهم أشاروا إلى مدينة مخازن وهذه لم تكن تتضمن منشآت سكنية أو دينية أو عسكرية ولكنها فيما يبدو كانت عبارة عن مجموعة من المخازن ذات أغراض مختلفة.

٥- إنه من غير المقبول أن بني إسرائيل يبدءون مسيرتهم من المقر السكني لفرعون وقومه وهم على حد زعم كتاب التوراة ستمائة ألف رجل دون النساء والشيوخ ومن لم يبلغ العشرين عاما لأسباب عديدة منها.

ورد بالقرآن الكريم أمر إلهي موجه إلى موسى بأن يسير بقومه ليلاً ناحية الحدود الشرقية لمصر بغرض اجتيازها والتوجه إلى الأراضي المقدسة فى فلسطين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [1] (الشعراء: ٥٢ – ٥٣).

ولا يمكننا القول بأن موسى قد جمع قومه فى عاصمة الملك ليحوز موافقة فرعون وبركته على الانطلاق فى الصحراء لمسيرة ثلاثة أيام ثم العودة بعد انتهاء شعائرهم الدينية لأسباب منها:

أ- لماذا يجمع موسى عليه السلام شيوخ ونساء وأطفال بني إسرائيل فى مقر فرعون وهذا يكلفهم عناء ومشقة الانتقال.

ب- لم تكن العلاقة طيبة بين فرعون وقومه من جهة وبين موسى وقومه من بني إسرائيل من جهه أخري حتى يحشر موسى بني إسرائيل أمام فرعون خاصة وأن

(1) القرآن الكريم سورة الشعراء:٥٢-٥٣

عدداً منهم لم يعدُّوه إلهاً كما لم يدين بعضهم بآلهة قومه.

ج- إذا كان موسى قد حصل على موافقة فرعون بالخروج لمدة ثلاثة أيام فى الصحراء ومعهم جميع أنعامهم،ونعلم حساسية قوم فرعون تجاه بني إسرائيل الذين يذبحون بعض الحيوانات التي يقدسونها، وذلك على حسب ما ورد فى التوراة،فهل كان قوم فرعون يتركون موسى وقومه يحتشدون فى عاصمة الملك بسلام دون أن يرجموهم لعلمهم بما يدور فى خلدهم.

٦- أكد كتاب التوراة بأن لفيفا من المصريين قد خرجوا معهم فهل يعقل أن هذا اللفيف الذي صبئ عن دين قوم فرعون أو عبادة أو تأليه فرعون نفسه وآمنوا بدين موسى وقومه أتتهم الجرأة على الوقوف أمام فرعون، وقد أكد القرآن والحديث الشريف أن فرعون لم يترك أحداً من قومه آمن بدين موسى إلا وقتله ومنهم السحرة وامرأته والماشطة وأولادها وأبناء الذين آمنوا بدعوة موسى،ألم يخافوا أن يكون مصيرهم القتل، وهل كان فرعون سيسمح لهم بمرافقة موسى؟.

٧- ما الذي يدفع كتَّاب التوراة إلى أن ينسبوا اسم رمسيس إلى عصر يوسف فى حين أنهم كما يعتقد البعض يريدون أن يلقوا بتُهَم التذبيح والسخرة وهتك أعراض بني إسرائيل خلال عصر موسى إلى ملوك الدولة الحديثة من المصريين القدماء والذين يحمل بعضهم اسم رمسيس.

وعليه فلم تكن هناك أية دواعٍ لأن ينسبوا هذا الاسم إلى عصر يوسف خاصة أنهم حققوا هدفهم المنشود بإعفاء حكام الهكسوس من صفات الوحشية والتجرد من الإنسانية وألقوا بها على عاتق الحكام المصريين القدماء الوطنيين وإن كان يفهم من ذلك أن حكام الهكسوس هم الذين ارتكبوا تلك الأعمال الوحشية وعلى ذلك يمكن

أغفل الإشارة إلى مدينة رمسيس فان كانت هذه المدينة هي عاصمة الملك أثناء وجود بني اسرائيل فى مصر والتي شيدوا منشآتها المختلفة كانت أحق من أواريس بالذكر بينما أشار إلى مدينة أواريس تلك المدينة التي سكنها البدو الرعاة الهكسوس التي اختفت معالمها بإقامة مدينة جديدة من قبل الملك رمسيس الثاني فوق أطلالها والتي كان مانيتون الذي اقتبس منه يوسفيوس على علم بها.

٢- سكوت

تقع إلى الشرق من مدينتي رمسيس ومخازن فيثوم وهي أول ما يقابل الداخل من سيناء إلى رمسيس وتبعد عن قنتير (باعتبارها رمسيس الواردة فى التوراة) مسيرة يوم واحد باتجاه سيناء بدليل وثيقة إنستاسي.

يعتقد البعض من المؤرخين أنها أبو كشيد حالياً، ورد اسم ثكو بالنصوص المصرية القديمة وهو يشير إلى أحد المواقع الجغرافية فى مصر والذي يعتقد عدد من المؤرخين أنه سكوت الذي ورد فى نصوص التوراة- وعادة ما يأتي اسم ثكو بمخصص المدينة أو العصا والأرض الأجنبية وخاصة فى نصوص الأسرة التاسعة عشرة. لقد اعتاد المصريون القدماء تدوين أسماء المواقع أو المدن الحدودية التي تستقر بها قوات أو حاميات عسكرية لمراقبة الداخل إلى مصر أو الخارج منها أو المواقع والمدن التي تقع على طرق التجارة الدولية حيث تمر منها قوافل التجارة المصرية إلى خارج مصر أو القوافل التجارية الأجنبية إلى داخل مصر أو بوجه عام المدن التي تتعامل فى الشؤون الأجنبية بنفس المخصصات التى كان يلحقها بأسماء المدن الأجنبية فى بلاد الهلال الخصيب وغيرها ومنها مثلاً مدينة قفط التى تقع فى جنوب مصر[١] ومن أهم

---

(١) نخبة من الباحثين: بوابة مصر الشرقية الإسماعيلية، الإسماعيلية: ١٩٨٠، ص: ٩٧ – ٩٨، سيد القمني: النبي موسى، الجزء الرابع، ص: ٩٩٤ – ٩٤٤، ١٠٦٠ – ١٠٦٤.

النصوص التى ورد بها اسم ثكو:

١ - نقش فى سيناء من عصر الملك تحتمس الرابع جاء به قائد القوات أمنمحات فى ثكو[1].

٢ - كسرة من الفخار عثر عليها بدير المدينة دوّن عليها إسم (ثكو) بمخصص المدينة[2].

٣ - ورد ببردية إنستاسى الخامسة أمر من أحد الضباط بإحضار مجموعة من جنود المجاى النوبيين إلى ثكو مما يعنى أنه كان بها قوات عسكرية، كما تضمنت البردية أيضاً استجواب شخصين تم القبض عليهما بعد أن هربا من ثكو[3].

٤ - ورد ببردية إنستاسى السادسة نص من عصر الملك مرنبتاح (باختم إم مر إن بتاح حر ماعت إنتى ثكو) ويعنى (قلعة مرنبتاح حر ماعت التى فى سكوت) ويشير النص إلى قلعة ضخمة خصصت لمراقبة الداخل إلى مصر أو الخارج منها[4].

٣- إيثام

هى النقطة الثالثة فى طريق الخروج وحاول بعض المؤرخين ربط هذا الاسم الذى ورد فى نصوص التوراة بالاسم المصرى إيتم أو بر - إيتم وقد حذفت بر من هذا الاسم لتصبح إيتم فقط والتى حرِّفت من قبل كتّاب التوراة إلى إيثم - أو إيثام خاصة وأنهم قد سبق وقاموا بحذف بر أيضاً من إسم بر - رمسيس لتصبح رمسيس

(1) R. Givon. A long Lost Incriptions of Thutmosis IV. Tell Aviv. 1978. P.170 - 174

(2) Hoffimeir. Israel In Egypt.P.180.193 Montet.P.. Georaphique de L'Egypte Ancienne. I.Paris.1957.P.213-214

(3) Montet.P..Georaphique de L'Egypte Ancienne. I.Paris.1957.P.213-214

(4) Hoffmeir.Op.Cit.P.190

كما اعتقدوا أنها بير السويس حالياً الواقعة فى شرق الدلتا وتقع بعيداً عن الحصون المصرية كما أنها بعيدة عن طريق حورس الحربى المؤدى إلى بلاد الشام[1].

٤- فم الحيروت

أخبر الله موسى عليه السلام عندما أمره بالخروج ليلاً بقومه أن فرعون وجنوده سيتبعونهم وسيكون مصيرهم الغرق فى بحر عظيم وعلى ذلك فإن موسى يعلم أن فى طريق خروجه مجرى مائى سيهلك فيه فرعون وجنوده بقدرة الله، ولما كان البحر الذى وصل إليه موسى يمتد آلاف الأميال جنوباً ويختلف اتساعه وعمقه فقد حدد الرب لموسى موقعا معينا لا يتقدم عنه خطوة ولا يتأخر وهو المكان الأصلح لعبور قومه بدون مشقة وفيه يغرق فرعون وجنوده فقد ذكر كتاب التوراة «كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون مقابلة تنزلون عند البحر»[2] (سفر الخروج: ١٤ / ٢) إذن فم الحيروت هى اسم المنطقة المطله على البحر والتى عندها ضرب موسى البحر بعصاه لينفلق إلي فرقين كل فرق كالطود أو الجبل الشاهق إذا ما نظر العابرون فى قاع البحر المفلوق إلي أعلى.

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد ماهية المجرى المائى الذى يطل عليه فم الحيروت فمنهم من اعتبره بحيرة من بحيرات مصر أو أحد أفرع نهر النيل أو أحد القنوات المتصلة به أو البحر الأحمر ولم يتفقوا على مجرى مائى محدد باعتباره هو الذى عبره موسى وقومه[3].

---

(١) مصطفى الدميري:اليهود تاريخهم وكتبهم المقدسة،.- ص:٥٥- ٥٦،الكتاب المقدس، العهد القديم،سفر العدد:٣٣/٧

Hoffmeir.Op..Cit.P.12

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٤/٢

(٣) سيد القمني:النبي موسى،الجزء الرابع،.- ص:١٠٤٦-١٠٧٠

٥- مجدل

هذا الاسم ورد فى سفر الخروج وقد ذكره الرب لموسى حتى يعلم ويتعرف على مكان عبور قومه فى البحر كما ورد أيضاً فى سفر إرميا وحزقيال ويعنى هذا الاسم فى اللغات السامية برج المراقبة وفى اللغة المصرية القديمة القلعة وحاول بعض الباحثين تحديد موقع هذه القلعة فى أرض مصر على النحو التالى(١):

١ – النهاية الشرقية لوادى الطميلات ناحية الإسماعيلية بالقرب من بحيرة التمساح وذلك بالاعتماد على بردية إنستاسي الخامسة والسادسة الذى ورد بكل منهما عدد من القلاع خاصة فى المنطقة المسماة ثكو.

٢- أنها قلعة مكتر الواقعة على طريق حورس الحربى وذلك بالاعتماد على نص للملك سيتى الأول بمعبد الكرنك ولكن بعد أن ثبت أن هذه القلعة تعد من القلاع الأولى ناحية الغرب فى بداية طريق حورس الحربى فقد استبعد هذا الرأى على اعتبار أن موسى لم يسلك هذا الطريق وإنما اتجه جنوباً ناحية خليج السويس.

٣- إنها قلعة تل الكدوه بشمال سيناء التى ترجع إلى العصر الفارسى إلا أنه لم يعثر بها على أية شواهد أثرية تؤكد تواجد مصرى قديم خلال عصر الدولة الحديثة أو قبله.

٦- بعل صفون

يعنى هذا الاسم سيد الشمال فى اللغة السامية وهو إله آسيوى وقد جاءت به قبائل البدو الهكسوس حينما احتلوا مصر فى أواخر عصر الدولة الوسطى. وقد عبده المصريون القدماء خاصة بعد إن ازدادت الصلات والعلاقات بينهم وكثير من

(1) Gardiner.JEA..1920.P.99-116

نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،، ص: ١٨٧-١٨٨

ممالك وإمارات آسيا سواء بسبب نمو التبادل التجارى أو نتيجة المصاهرات السياسية بعد أن تم طرد الهكسوس من مصر حيث عبد فى تل دفنه بشمال الإسماعيلية وفى منف حيث ذكر بعل صفون فى قائمة ببردية سالييه الرابعة تضم أسماء الآلهة فى معبد بتاح وكذلك فى تل الضبعة مركز فاقوس حيث عثر فيما يبدو على لقب له وهو (حامى البحارة) نُقِشَ على ختم أسطوانى وفى جبل الحصة بجنوب بحيرة التمساح عثر على أطلال معبد يعتقد أنه كان مخصصاً لعبادة هذا الإله[١] وبما أن هذا الإله يرتبط بالبحار وبالبحَّارَة فإنه من المعتقد أن موقع معبده الذى ورد ذكره فى سفر الخروج يكون فى مكان ما بالقرب من شمال خليج السويس أو بالقرب من أحد البحيرات المتصلة إما بخليج السويس أو بالبحر المتوسط وعلى ذلك يعتقد أن موقع بعل صفون هو جبل الحصة الكائن بجنوب بحيرة التمساح[٢].

٧ - بحر سوف

ورد بالتوراة لفظ يم منفرداً أو مضافاً إليه لفظاَ آخر هو سوف مما يدل على أن لفظ يم يشير إلى أى مسطح مائى بدون تحديد بينما يم سوف يشير إلى مجرى مائى محدد ومعروف لأكثر الناس ولا يمكن الخلط بينه وبين أى مجرى مائى آخر وقد ترجم كل من يم وأيضاً يم سوف بألفاظ البحر أو بحر سوف أو البحر الأحمر[٣] مما يؤكد أن بحر سوف هو البحر الأحمر ما ورد فى التوراة (وعمل الملك سليمان

---

(١) J.Cledat.BIFAO.16 (1919).P.208

(٢) سيد القمني: النبي موسى، الجزء الرابع،.- ص: ٩٩٠، ٩٩٥

(٣) J.Bright.A History Of Israel. Philadelphia. 1981. p.121

نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ١٩٠ - ١٩١

سفنا فى عصيون جابر التى بجانب إيله على شاطئ بحر سوف فى أرض أدوم [1] (سفر الملوك الأول: ٩/ ٢٦) وهذا يعنى خليج العقبة الذى يمثل الذراع اليمنى أو الشرقى للبحر الأحمر أما لفظ سوف فقد أُختلف فى تحديد أصله ومعناه الباحثون فمنهم من يعتقد أنه لفظ آرامي بإعتبار أن البحر الذى عبره بنو إسرائيل بعيد عن المسطحات المائية التى ينمو بها نبات البردى (سوفى) ومنهم من يعتقد بأنه له علاقة بألفاظ سوفى أو سيارو أو سارى فى اللغة المصرية القديمة والتى تعني الحلفا أو البردى[2] وقد أدى هذا إلى اعتبار أن بحيرة البلاح هى بحر سوف على أساس أنها ذكرت فى بردية إنستاسى الثالثة باسم (باسوفى أوباإس) ومن الروايات التى نقلها المؤرخون الإسلاميون القدماء عن عبور بنى إسرائيل لهذا البحر والذى يفهم منها أنه كان من الممكن لهم العبور دون شق البحر حيث قام أحد أصحاب موسى بامتطاء صهوة فرسه والإنطلاق به داخل البحر أمام بنى إسرائيل بعد أن سأل موسى عن المكان الذى أمره ربه بعبوره وقد فعل ذلك ثلاث مرات إلا أن قومه لم يتبعوه فأمر الله موسى بفلق البحر لينكشف لهم قاعه بعد انحسار المياه عنه وصار طريقاً يابساً أمامهم والماء سور لهم عن يمين ويسار وعندئذ عبروا البحر إلى الضفة الشرقية.

"... فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين أمر ربك؟ قال: أمامك. يشير إلى البحر فأقحم يوشع فرسه فى البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال أين أمر ربك؟ فوالله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ

---

(1) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر ملوك أول: ٩/ ٢٦

(2) Hoffmeir.Op.Cit..P.139

نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.- ص: ١٩٢

ففعل ذلك ثلاث مرات[١]، ثم أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول مثل الجبل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢] (الشعراء: ٦٣ – ٦٨) ثم سار موسى ومن معه وأتبعهم فرعون فى طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[٣] (البقرة: ٥٠).

■■■



---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص: ١١٤-١١٥

(٢) القرآن الكريم: سورة الشعراء: ٦٣-٦٨

(٣) القرآن الكريم: سورة البقرة: ٥٠

موقع العبور لموسى وقومه والغرق لفرعون وآله وجنده

أولاً: صفاته

يمكننا التعرف على صفات موقع العبور لبنى إسرائيل وموقع الغرق لفرعون وآله وفرسان مركباته من خلال ما جاء بالقرآن الكريم وما حرره كتاب التوراة وهي تتمثل في الآتي[1]:

١- يتميز بعظم عمقه واتساع مجراه وبأن قاعه من الصخر أو الأحجار الصغيرة والحصى مما يجعل من السهل عبوره واجتيازه سواء سيراً على الأقدام أو بواسطة الدواب.

٢- أن ماؤه في حالة شقه يسمح بتكوين فرقين كل فرق كالطود العظيم وهذا لا يمكن أن يحدث في مجرى مائي ضحل أو حتى بعمق مترين أو أكثر.

٣- أنه لا يمكن البحث فيه عن جثث أو معدات حربية أو أي متاع شخصي قد غرق فيه للخطورة التي ستحدق بالباحثين سواء نتيجة الأعماق البعيدة أو لما يعيش به من أحياء مائية مفترسة وكان ذلك سبباً في قوله تعالى مخاطباً فرعون حينما أعلن إسلامه بأنه سينجيه ببدنه ليكون لمن بعده آية وعظة ويَمُنُّ عليه بذلك وهذا معناه أنه الجثة الناجية الوحيدة بينما سَيُهلِك بقية الجثث.

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث،، ص: ٥٢٣-٥٢٩.

٤- لا يوجد بالقرب منه طريق أو معبر برى يفضى إلى الساحل الشرقى لهذا البحر دون المجازفة بالعبورفى بحر لجى عميق مغلوق بمعجزة من رب موسى.

٥- أن عبور هذا البحر فى هذا الموقع يتيح للعابرين فرصة الهروب خارج الحدود دون إعطاء فرصة للذين يلاحقونهم أن يصلوا إليهم أو يلحقوا بهم.

٦- يتميز هذا البحر بارتفاع أمواجه وبأحيائه البحرية المفترسة وخاصة أسماك القرش وغيرها والتى باستطاعتها التهام وإفتراس جيش بأكمله فى ساعات قليلة لسرعتها الشديدة فى اقتناص الفرائس والانتقال من فريسة إلى أخرى فى سرعة مذهلة.

٧- يرتبط هذا البحر بلفظ (سوف) الذى اختلف الباحثون فى تفسيره على النحو التالى[1].

أ- إن لفظ سوف الذى ورد فى التوراة ليس مشتقاً من الكلمة المصرية (سوفى) ولكنها مشتقة من اللغة الآرامية.

ب- إن لفظ سوف فى اللغة العبرية القديمة مشتق من كلمة (سوفى) المصرية القديمة وأن "يم سوف" يعنى (بحيرة البردى أو البوص) كما ورد فى اللغة القبطية باللهجة البحيرية عبارة (بايوم - إن - سارى) وتعنى بحيرة الحَلَفَا ويعتقد أن لفظ سارى هنا يرجع أصله إلى لفظ (سياروا) الذي ورد فى متون الأهرام ومتون التوابيت وكتاب الموتى أى ابتداء من عصر الدولة القديمة وحتى العصر اليونانى الرومانى والذى يعنى أيضاً بحيرة الحلفا وهو مكان يرتبط بتطهير جسد الملك المتوفى.

ج- أن كلمة (سوف) تعنى الشعاب المرجانية التى تشبه فى شكلها نبات البوص

---

(١) محمد بيومي مهران: مصر والعالم الخارجي فى عصر رمسيس الثالث.. - ص: ٤٧-٦٢

أو البردى ومما يؤكد ذلك أن كتاب التوراة قد استخدموا لفظاً واحداً للإشاره إلى شيئين متشابهين معاً فى بعض الصفات المشتركة ومن أمثلة ذلك لفظ (لوثايان) فقد أطلقوه على التماسيح التى تعيش فى المياه العذبة وكذلك على الدرافيل التي تعيش فى مياه البحار والأنهار حيث ورد بالتوراة ما نصه "هذا البحر الكبير (البحر المتوسط؟) الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار، هناك تجرى السفن، لوياثان (التمساح؟) هذا خلقه ليلعب فيه" [1] (المزمور: ١٠٤/٢٥-٢٦).

ومما يؤكد أن البحر الكبير الواسع الأطراف لا يشير إلى نهر النيل أو إلى البحيرات أو المستنقعات الواقعة فى شمال مصر أن داود عليه السلام لم يكن من أجيال بنى إسرائيل التى عاشت فى مصر أثناء فترة خدمتها لقبائل البدو (الهكسوس)، ولكنه قد ولد فى نهاية فترة حكم القضاة فى فلسطين بما يعنى أنه كان يعيش قرب بحرين كبيرين أحدهما غرباً وهو البحر المتوسط والآخر جنوباً وهو خليج العقبة الذى يمثل امتداداً للبحر الأحمر وبما أنه لا يوجد فى فلسطين أنهار كبيرة واسعة الأطراف تبحر فيها السفن فإنه من المرجح أن المقصود بالبحر الكبير إما البحر المتوسط أو البحر الأحمر وبالتالى فإن لفظ لويا ثان يشير إلى الدرافيل أو حتى أسماك القرش أو غيرها التى تشبه فى شكلها التماسيح من حيث اتساع فمهاوكبر حجمها وطولها كما أن التماسيح لا تلعب فى الماء ولكن التى تلعب هي الدرافيل التى تقفز فى الهواء وتهوي مساعدة الإنسان وخاصة الذى يوشك على الغرق.

د – أنه يوجد فى مصر العديد من البحيرات التى تصب فيها مياه أفرع النيل المختلفة بما يسمح بنمو نبات البوص بها [2] وبما أن كتاب التوراة يحددون مكانا معينا لا يمكن الخلط بينه وبين أماكن أخرى وإلا اختلط الأمر علي قرّاء التوراة، كما يعد

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، المزمور: ١٠٤/٢٥-٢٦

(٢) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثالث،- ص: ٥٢٥، ٥٢٨

هذا قصوراً بالغاً، وعليه فإن كتاب التوراة قد وقع اختيارهم على صفة لهذا البحر لا يشاركه فيها أية بحار أو مجارى مائية أخرى فى مصر ولذا فإن لفظ (سوف) لا يمكن أن يعني (بوص) أو (بردى) وإنما يعنى شعابا مرجانية وهي التي يتميز بها البحر الأحمر دون بقية البحار المجاورة له التي فى طريق خروج بني إسرائيل[1].

٨- أن يكون هذا الموقع صالحاً لنزول بني إسرائيل إلى قاعه بما فيهم الأطفال والشيوخ والنساء وصالحاً أيضاً لصعودهم منه فى يسر وسهولة.

وكان ذلك دافعاً لبعض الآراء التي أدلت بدلوها لإيجاد حل مناسب لتك المشكلة منها[2]

أ- انحدار الطريق اليابس بالبحر المشقوق أو المفلوق من ساحله الشرقي تدريجيا فى اتجاه قاعه لتسهيل عمليه نزول بني إسرائيل ثم ارتفاعه تدريجيا ناحيه ساحله الغربي لتسهيل صعودهم منه.

ب- استخدام بعض الأدوات البسيطة لتسهيل نزولهم إلى قاع البحر وصعودهم منه

ج- صاحب معجزة فلق ماء البحر إلى فرقين،معجزة أخرى سهلت نزول بني إسرائيل إلى البحر فضلاً عن صعودهم منه.

ثانياً: تحديده

اختلف المؤرخون فى تحديد موقع المجرى المائي الذي أطلقت عليه التوراة (بحر سوف) والذي عَبرهُ موسى وقومه وغرق فيه فرعون وجنوده.

وهي كالآتي:

١- فرع من أفرع نهر النيل يتميز بكبر اتساعه وعظم عمقه.

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم،مزمور١٠٤/٢٥ -٢٦؛رشدي البدراوي:قصص الأنبياء،الجزء الثالث،.- ص:٥٢٨،٥٢٥

(٢) نجيب ميخائيل:مصر والشرق الأدني القديم،الجزء الخامس،.- ص: ١٦٤

ولكن يؤخذ على هذا الرأي:

أ- أنه يكثر وجود الطرق والمعابر البرية حول نهر النيل وأفرعه المختلفة مما يعطي فرصة لفرعون وجنوده من ملاحقة موسى وقومه دون المجازفة فى خوض المياه الكثيفة العميقة.

ب- فى حالة تعرض فرعون وجنوده للغرق فى أحد فروع النهر أو بالنهر ذاته سيكون هناك ناجون أحياء وكثير من الجثث إلا أن الله ﷻ أكد فى قرآنه العظيم أنه لم ينج من الغرق إلا جثة فرعون فقط.

ج- سوف ينتقم قوم فرعون من بني إسرائيل وخاصة أطفالهم وشيوخهم ونساءهم ويسلبون ما معهم من مواشٍ وأغنام فى حالة علمهم بغرق أبنائهم وخيرة شبابهم فضلاً عن مَلِكهم فى البحر باعتبارهم سبباً جوهرياً فى غرقهم.

د- إن فرصة الهروب أمام بني إسرائيل ستكون منعدمة لإمكانية ملاحقتهم من خليفة فرعون حيث إن الهكسوس استمروا يحكمون مصر بعد أن غرق فرعون وجنوده وبطبيعة الحال لم تكن القوة العسكرية التي انطلقت مع فرعون خلف بني إسرائيل تمثل كافة قوات الهكسوس بما يعني أن هذه القوات المتبقية لم تغرق فى البحر وكان من الممكن لهذه القوات بعد أن يتم تجميعها من الحاميات المختلفة أن تتوجه بسرعة تجاه الخارجين من بني إسرائيل لقمعهم وإعادتهم إلى مقرهم بأرض جاسان فضلاً عن أن قوم فرعون فى حالة تعرضهم لبني إسرائيل سيؤدي إلى ارتباك فى صفوفهم مما يؤخرهم فى التوجه إلى الحدود الشرقية ويجعل اللحاق بهم من قبل الحاكم الذي سيخلف فرعون حين غرقه سهلاً ميسوراً وخاصة أن فرعون قبل غرقه قد أرسل رسلاً إلى المدائن ليبلغوا حكامها وأهلها بهروب بني إسرائيل حتى

يتصدوا لهم ويوقفوا زحفهم، وإن كان يرى بعض المؤرخين أن فرعون لم يكن له ذرية من الذكور ترث العرش من بعده ولذا فإنه يعد آخر أسرته الملكية، ولم يكن يُهم من يخلفه على العرش من أسرة أخرى جديدة ملاحقة بني إسرائيل وإعادتهم بل اعتبرهم عبئاً على مصر ومصدر نكبات لها كما أن أكثر المدن والقرى التي كان يسكنها المصريون القدماء والتي مر عليها بنو إسرائيل لم يتعرضوا لهم باعتبارهم لا يشكلون أهمية لهم وإنما يشكلون أهمية للحكام البدو الرعاة الذين احتلوا مصر[١].

٢- أحد القنوات التي حفرها المصريون القدماء[٢]:

يعتقد بعض المؤرخين أن غرق فرعون وجنوده قد حدث بإحدى القنوات التي شقها المهندسون المصريون بسواعد قومهم ومن بينها:

أ- قناة سيزوستريس التي تم حفرها فى عصر الدولة الوسطى حيث كانت هذه القناة متسعة وعميقة وتتصل من جهة بالفرع البوباسطى للنيل الذي كان يغذيها بالمياه العذبة وتتصل من جهة أخرى بمجموعة من البحيرات التي كانت تشكل امتداداً طبيعيّاً لخليج السويس،وكانت مياه البحر الأحمر تتوازن مع المياه العذبة الواردة إليها من الفرع البوباسطى للنيل وكان اتساع هذه القناة يسمح لسفينتين كبيرتين أن تسيرا فى اتجاهين متضادين.

ب- قناة تمتد من القنطرة شرق إلى بحيرة التمساح جنوب الإسماعيلية حالياً ويتفاوت اتساعها ما بين عشرين متراً إلى سبعين متراً وبعمق يتفاوت ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار.

---

(١) محمد بيومي مهران:المرجع السابق،.- ص:٥٣٧-٥٣٩

(2) Gardiner.JEA..6.1920.P.99-104 ؛E.Naville.The Store City Of Pithom and The Route of the Exodus.London.1903.P.2

٣- بحيرة من بحيرات مصر السفلى أو الوسطى[1]:

أ- يعتقد بعض المؤرخين أن فرعون وجنوده قد أصابهم الغرق بإحدى البحيرات الواقعة فى مصر السفلى وخاصة المتاخمة للحدود الشرقية والشمالية لسيناء وذلك باعتبار البحيرات القريبة من خليج السويس كانت تشكل كما يعتقد بعض العلماء جزءاً من هذا الخليج لا تنفصل عنه وبانسحاب مياه الخليج للخلف ترك وراءه بعض البحيرات وقد عثر على شواهد أثرية تؤكد ذلك وخاصة فى منطقة العجرود.

ب- يرى البعض الآخر من المؤرخين أن فرعون وجنوده قد غرقوا فى بحيرة الفيوم،لكنه كما سبق وأن ذكرنا أن ذلك سيجعل بني إسرائيل عرضه لانتقام المصريين إذا كان فرعون وجنوده منهم أو لانتقام قبائل البدو الهكسوس إذا كان فرعون وجنوده من سلالتهم وأيضاً إلى إمكانية ملاحقتهم بقوات أخرى علي يد خليفة فرعون.

٤- البحر الأحمر[2]:

يرى بعض المؤرخين أن موسى وقومه قد عبروا خليج السويس الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من البحر الأحمر ويشكل امتداداً طبيعياً له معتمدين فى رأيهم هذا على:

أ- التوراة وخاصة ما ورد فى سفر الملوك الأول ٢٦/٩ وأيضاً فى الترجمات خاصة الإنجليزية أو اليونانية اللاتينية للتوراة أن بحر سوف هو البحر الأحمر أو امتداده بخليج السويس.

ب- أن لفظ سوف الذي ورد فى التوراة لا يعني البوص وإنما يعني الشعاب

---

(١) عبد المنعم سيد:المغالطات والافتراءات على تاريخ وحضارة مصر القديمة،.- ص:١٤٤؛محمد بيومي مهران:مصر والشرق الأدنى القديم،الجزء الثالث،ص:٥٢٥

(٢) سيد القمني: النبي موسى،الجزء الرابع،،- ص:١٠٠٥؛محمد بيومي مهران:المرجع السابق،ص:٥٢٥

المرجانية التي تنمو فى البحر الأحمر وتشبه فى شكلها نبات البوص وخاصة أن التوراة قد درجت على استخدام لفظاً واحداً له أكثر من معنى ودلالة.

ج- أنه يعد الموقع الأكثر قبولاً ويتمشى مع ما ورد فى القرآن الكريم من غرق الجيش بأكمله فى البحر دون أن يعثر له على أثر باستثناء جثة فرعون إلا أن البعض الآخر من المؤرخين يرفض أن يكون خليج السويس حالياً هو موقع العبور لبني إسرائيل ويقترح أن يكون خليج السويس فى وضعه القديم[1] الذي كان يمتد حتى بحيرة التمساح حالياً والتي تتصل بقناة سيزوستريس التي كان مجراها يسمح بمرور سفينتين متجاورتين بمعنى أن هذه السفن كانت تأتي من موانئ الإمارات والممالك المطلة على البحر الأحمر وتدخل إلى خليج السويس حالياً ثم تواصل سيرها عبر امتداده القديم لتدخل إلى قناة سيزوستريس التي تقع على جانبيها كثير من المدن والقرى.

أما الأسباب والأدلة التي اعتمدوا عليها لتبرير رفضهم[2] فيمكن إيجازها فى الآتي:

١- يتراوح اتساع المجرى المائي لخليج السويس ما بين خمسة عشر كيلو متراً إلى خمسة وعشرين كيلو متراً إلى أربعين كيلوا متراً.

٢- يتراوح عمق المجرى المائي لخليج السويس ما بين ثلاثين متراً إلى خمسين متراً.

٣- كثرة الشعاب المرجانية فى مجرى النهر يعيق عملية العبور.

٤- كثرة التقلصات الصخرية فى خليج السويس.

(١) سليم حسن:مصر القديمة،الجزء السابع،ص:١٢٨؛عبد الوهاب النجار:قصص الأنبياء،ص:٢٠٣

(٢) سيد القمني:النبي موسى،الجزء الرابع،-- ص:٩٧٠

M.Noth.The History Of Israel.London.1965.P.116

٥- صعوبة النزول إلى قاع البحر الذي انحسر عنه الماء أو الصعود منه.

٣- أسباب انحسار الماء عن موقع العبور:

أ- **الرياح**: تؤكد التوراة أن سبب شق بحر سوف يتمثل فى الريح التي أجراها الرب طول الليل قد جعلت مياه البحر سوراً لبني إسرائيل عن يمين وعن شمال.

... «فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل فى وسط اليابسة والماء سوراً لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم...» [1] (خروج: ١٤/٥- ٣١).

ولكن يمكن الرد على ذلك:

١- أن الريح لا تجري فى اتجاهين متضادين وإذا جرت فى اتجاه واحد فإنها فى تلك الحالة ستهلك العابرين من بني إسرائيل وتعد أشد خطراً إذا عبروا البحر سباحه ويستثنى من ذلك إذا كانت هذه الريح أمناً وسلاماً على بني إسرائيل كما كانت النار برداً وسلاماً على جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [2] (الأنبياء: ٦٩).

٢- أن القرآن الكريم لم يشر إلى أن سبب فلق البحر يرجع إلى أي نوع من الريح وهذا لا يمنع أن تكون هناك ريح خفيفة لتجفيف قاع البحر المشقوق من المياه زيادة فى تسهيل مهمة بني إسرائيل فى العبور.

٢- **المد والجزر**: كان المد والجزر فى خليج السويس قديماً يعمل على اتصال ماء البحيرات الواقعة إلى شماله بمياه الخليج ويؤكد ذلك أنه قد عثر على ما يشير إلى

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم: سفر الخروج ١٤/٥- ٣١

(٢) القرآن الكريم: سورة الأنبياء: ٦٩.

وجود بحيرة عظيمة تقع فى طرف لسان خليج السويس من شماله الغربي (جنوب شرقي العجرود) وكانت منخفضة عن مستوى مياه الخليج مما يسمح باتصالها بمياه الخليج فى زمن موسى عليه السلام.

كما أن الساحل الشمالي لمصر شرقاً أو غرباً يتعرض لمد وجزر شديد لمياه البحر المتوسط وقد أكد استرابون ذلك حينما جاء مصر سائحاً وأن المد والجزر المميت نجده دائماً يرتبط بالمحيطات الواسعة وليس بالبحار كالبحر المتوسط أو البحر الأحمر.

كما أن المد والجزر لا يؤدي إلى اختفاء جيش كامل بعتاده وجنوده، حتى فى حالة المد والجزر المميت التي من أمثلته ما حدث فى تسونامي بإندونيسيا قد عثر على أكثر جثث الضحايا وغيرها من الأدوات والآلات والمعدات [1].

٣- عصا موسى:

أ- ورد بالتوراة « فقال الرب لموسى مالك تصرخ إليّ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة وها أنا أشد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سوراً لهم عند يمينهم ويسارهم وتبعهم المصريين ودخلوا وراءهم...» [2]. (سفر الخروج: ١٠/١٤).

ب- أكد القرآن الكريم استخدام العصا فى شق البحر حيث ورد به:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ

---

(١) سيد القمني: النبي موسى، الجزء الرابع، - ص: ٩٨٩

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٠/١٤

دركاً ولا تخشى ﴾[1] (طه: ٧٧).

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2] (الشعراء: ٦٣).

ومن هذا يتضح أن العصا كانت من الأسباب التي أدت إلى شق البحر وانفلاقه وتهيئة طريق جاف يابس يسهل سير الإنسان والحيوان فيه ونخلص من هذا بأن موقع الغرق ليس فرعا من أفرع النيل أو بحيرة من بحيرات مصر أو قناة من القنوات ولكنه يقع بخليج السويس الذي يشكل امتداداً للبحر الأحمر للأسباب الآتية[3]:

١- أن هذه المواقع المقترحة جميعاً قد تسمح بوجود أحياء فضلاً عن وجود جثث كثيرة طافية فوق سطح الماء.

٢- أن بعض هذه المواقع تتواجد بعيداً عن حدود مصر الشرقية، مما يتطلب أكثر من يوم لبلوغ هذه الحدود وبالتالي سيكونون عرضه للانتقام من الشعب سواء من المصريين القدماء أو الهكسوس فى حالة غرق فرعون وجنوده وحتى بدون ذلك أيضاً كانوا سيحولون دون وصولهم إلى الحدود الشرقية للاستمرار فى خدمتهم.

٣- أورد كتبه التوراة ما نصه «وعمل الملك سليمان سفنا فى عصيون جابر التي بجانب إيله على شاطىء بحر سوف فى أرض أدوم»[4] (سفر الملوك الأول:٩/٢٦) وفى هذا إشارة واضحة إلى الطرف الآخر للبحر الأحمر وهو خليج العقبة وبناء على

---

(١) القرآن الكريم سورة طه:٧٧
(٢) القرآن الكريم سورة الشعراء:٦٣
(٣) سيد القمني: النبي موسى، الجزء الرابع ص: ٩٧٠
E.Naville. JEA. 10.1924.P.36-38
(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم سفر الملوك الأول ٩/٢٦

هذا النص التوراتي فإن يم سوف هو البحر الأحمر.

٤- ورد بإحدى النصوص القبطية[1] ما يشير إلى اتجاه بني إسرائيل ناحية البحر الأحمر أثناء خروجهم من مصر وأنهم قد عبروا مياهه سالمين، ويؤرخ هذا النص بالقرن الثالث قبل الميلاد ويتضمن: «هذا هو الذي أحضرهم خارجاً وقام بعمل الآيات والمعجزات فى مصر وفى البحر الأحمر، وفى الصحراء».

أهم أحداث الخروج

يمكننا تقسيم هذه الأحداث إلى قسمين أولها يتضمن تلك الأحداث التي وقعت قبل عبور بني إسرائيل بحر سوف وهي التي سيتم تناولها فى هذا الفصل والتي تتمثل فى البحث عن جثمان يوسف عليه السلام ثم تغيير مسار طريق الخروج ثم مطاردة فرعون وجنوده لهم وانفلاق البحر ونجاه موسى وقومه وغرق فرعون واله وجنده.

أما تلك الأحداث التي وقعت بعد عبور بني إسرائيل بحر سوف فسيتم تناولها والإشارة إليها فى الفصل السادس.

١- البحث عن جثمان يوسف:

لعلنا نتسائل لماذا لم يخرج جثمان يوسف عليه السلام من مصر ،كما سبق وأن خرج جثمان أبيه يعقوب وتم دفنه فى أرض كنعان مع آبائه؟.

إن وصيته التي تركها لقومه التي يحثهم فيها على حمل جثمانه معهم حين خروجهم من مصر، لتدل دلالة واضحة على أنه كان لديه الرغبة فى دفن جثمانه فى أرض كنعان ولكن حال دون ذلك سبب ما وهو الذي دفعه إلى حث الخارجين من

---

(١) وجدي رمضان:عصر مرنبتاح وآثاره،رسالة ماجستير،جامعة القاهرة: ١٩٨٦،،- ص: ١٧٥، حاشيه: ٣٤

مصر لحمل جثمانه معهم حيث ورد فى التوراة ما نصه «وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي معكم»[1] (خروج:١٣).

ويقترح بعض المؤرخين بعض الأسباب التي حالت دون خروج جثمانه من مصر بعد وفاته مباشرة ومنها:

أولاً: سوء العلاقة فى أواخر أيام يوسف بين بني إسرائيل وملوك الهكسوس[2] ولكن يؤخذ على هذا الرأى أن كتاب التوراة قد حددوا الزمن الذي انقلب فيه الهكسوس على بني إسرائيل حيث ورد فى التوراة مانصه « ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بني إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا[3] (خروج:١/٥- ١٤).

وكذلك حدد المؤرخون المسلمون بان سوء العلاقات بين بني إسرائيل والهكسوس قد بدأ فى عهد فرعون موسى حيث قالوا كما سبق وأن ذكرنا أنه قد رأى فى نومه كأن ناراً تخرج من الأرض المقدسة فى فلسطين وتحرق قصره ومساكن قومه وفسر

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٣

(٢) نور الدين عبد الصمد:المرجع السابق،- ص:١٣٦؛ الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١/٨

(٣) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر الخروج:١/٥- ١٤

له الكهنة والعرافون هذا الحلم بميلاد طفل فى بني إسرائيل يكون هلاكه وزوال ملكه على يديه وهنا بدأت العلاقة بين الطرفين تنحو منحاً آخر حيث أصدر هذا الفرعون أمراً بقتل وذبح كل طفل يولد فى بني إسرائيل وتسخيرهم فى كافة أعمال المملكة ولكن القرآن الكريم قد أشار فى بعض آياته إلى أن العلاقات بدأت تسوء بين يوسف والهكسوس حيث ورد به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[1] (غافر: ٣٤).

ومن هذا يتضح أن الهكسوس كانوا يشكون فى نبوة يوسف وكذلك فيما أُنزل إليه من شرائع مما يعني أن أكثرهم لم يؤمنوا بدعوته وهذا يؤكد أن العلاقات لم تكن طيبة وخاصة من جانب الهكسوس ولذا فإنهم ضلوا ولم يهتدوا.

ثانياً: حدوث تغير سياسي فى أرض كنعان ولكن الأحداث فى هذا العصر وما بعده تؤكد أن أرض كنعان وغيرها من بلاد الشام كانت تدين بالخضوع للسلطة الحاكمة فى مصر ويؤكد ذلك:

أ- حينما طرد أحمس الأول الهكسوس من مصر إلى أرض كنعان لم يجدوا مقاومة من أهلها بل استطاعوا أن يمكثوا فيها ثلاث سنوات متصلة حتى تمكن هذا الملك المصري من طردهم منها وتشتيتهم والقضاء على قوتهم العسكرية[2].

ب- إن فرعون الذي ورد ذكره فى القرآن الكريم والذي كان يعاصر لم يسمح له

---

(١) القرآن الكريم:سورة غافر:٣٤

(٢) سليم حسن:مصر القديمة،الجزء الرابع،- ص:٥٩- ٦٠؛ نور الدين عبد الصمد:المرجع السابق،ص:١١٦

أو لقومه من بني إسرائيل بالخروج إلى أرض كنعان فلو كانت هذه الأرض قد خضعت لسلطان غير مصري لما كان يأبه لخروجهم من مصر والاستقرار فى أرض كنعان.

ثالثاً: التبرك بيوسف حيّاً أو ميتاً لاعتقادهم بأن وجوده على أرض مصر ضماناً لعدم حدوث مجاعات أخرى بها.

ولكن حسب هذا الرأي فإن قبر يوسف عليه السلام كان سيكون مَعْلَمًا بارزاً يزوره أهله فيه ويرتاده كل من الهكسوس وبني إسرائيل طلبا لبركاته ونفحاته المقدسة ولكن الأمر كان عكس ذلك فحينما توجه موسى عليه السلام إلى سكوت (سكتوبايوس) لم يجد قبره ولم يكن يعرف أحداً من الناس مكان هذا القبر إلا امرأة كبيرة فى السن أصابها العمى وأقعدها المرض فلم تعد قادرة على الحركة وقد اشترطت على موسى بعض الاشتراطات لتدله على مكان قبره ومنها[1] أن تكون رفيقته فى الجنة وان يدعو لها بالشفاء.

ولكن لا يعرف الأسباب التي حالت بين معرفة ذرية يوسف مكان جثمانه رغم أن يوسف قد ظل على قيد الحياة حتى ولد الجيل الثالث من ذرية إسرائيل حيث حمل أحفاده على ركبتيه[2] اقتصر العلم على معرفة قبره على تلك المرأة العجوز ولم تشر النصوص إلى الأسباب التي تكمن وراء ذلك ويفهم من خلال دفن جثمانه فى مكان سري لا يعرفه أحد من الناس أن العلاقة بين الهكسوس وبني إسرائيل كانت متردية وأنه قد خشي أن يتعرض جثمان يوسف للإهانة باعتباره نبيّاً من أنبياء الله ورمزاً من رموز بني إسرائيل. إلا أن البعض الآخر من المؤرخين يرى أن قبر يوسف

---

(1) ابن كثير:تفسير القرآن العظيم،الجزء السادس، ص:٣٢-٣٣؛نور الدين عبد الصمد:المرجع

كان معروفا للناس بأنه فى سكوت وعلى هذا الأساس توجه موسى عليه السلام إليها ليأخذ جثمان يوسف- ولكن حينما ساءت العلاقات بين بني إسرائيل والهكسوس فى عهد موسى قام بتغيير مكان قبره بعض بني إسرائيل خشية تعرض هذا الجثمان للإهانة فدفنوه بالقرب من أحد المستنقعات أو البحيرات التي كانت تعد امتداداً لبحر سوف (البحر الأحمر) ولم يعلم بهذا المكان سوى هذه المرأة المسنّة التي كانت تسكن فى فيثوم والتي توجه إليها موسى بعد أن لم يستدل من أهل سكوت عن مكان قبر يوسف عليه السلام[1] ومن هذا يتضح أن قبر يوسف كان بالقرب من موقع عبور بني إسرائيل إلى الساحل الشرقي للبحر. فحمله موسى معه وعبروا به البحر وظل معهم فترة التيه كلها وحينما دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة فى فلسطين بقيادة يشوع بن نون من ذرية يوسف حمل جثمان يوسف ودفنه فى شكيم[2].

عمودا السحاب والنار (الغمام والنار)

أشار كل من القرآن وكُتَّاب التوراة إلى السحاب أو الغمام الذي كان يسير مع موسى وقومه أينما توجهوا ليحميهم من أشعة الشمس الشديدة فى أشهر الصيف وليحول بينهم وبين العطش حتى لا تنفد كميات المياه التي أخذوها معهم وعدم الإحساس بالضيق والتعب أثناء تحركاتهم وتنقلاتهم فى الصحراء، كما كان ذلك رحمة من الله تعالى لهم حيث ورد بالقرآن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ ... ﴾[3] (الأعراف: ١٦٠) بينما أورد كتاب التوراة ما نصه: « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى

---

(١) نور الدين عبد الصمد، المرجع السابق،.- ص: ٦٩ ؛رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الثالث،.- ص:٥٣٢-٥٣٤ ؛ الثعلبي:عرائس المجالس،ص:١٧٠

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر التكوين:٥٠/٢٢-٢٦

(٣) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٦٠

عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلاً فى عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً[1] (خروج:١٣/٢١) ولم يشر القرآن الكريم إلى ذلك ويرى بعض المفسرين أن الإضاءة أو النور الناتج عن عمود النار قد يحدد موقعهم ومكان تواجدهم أمام عدوهم مما يسهل عملية الوصول إليهم فى فتره وجيزة ولكن يري البعض الأخر منهم بأن النور أو الإضاءة أو عمود النار هذا كان ضرورياً لإبعاد الضواري والحيوانات المتوحشة التي تعيش فى الصحراوات عن طريق مسيرهم كما أنه يبعد شبح الخوف والتردد عنهم سواء أثناء سيرهم فى الطريق أو أثناء عبورهم البحر المفلوق، كما أنه كان سبباً فى إحداث نوعٍ من الاضطراب والفزع بين خيول مركبات فرعون مما جعل من الصعب التحكم فى توجيهها وقيادتها وقد تعدى هذا الفزع إلى قلوب فرسان جيش فرعون[2] وقد عرف الغمام فى أيام محمد ﷺ حيث كان يظله أثناء تجواله وترحاله فى دروب الصحراء منذ كان صبيّاً صغيراً وقد حاول بعض العلماء إعطاء تفسير علمي لعمود النار الذي ورد ذكره بالتوراة فقالوا إنه ربما يرجع إلى أحد البراكين التي حدثت فى جبل موسى أو جبل سانت كاترين ولكن تبين أنه لا يوجد أية شواهد بركانية بهذين الجبلين أو غيرهما، فقالوا إنها ترجع إلى المشاعل النارية التي يحملها البدو ليلاً أثناء تحركاتهم من مكان إلى آخر[3].

كما لم يكن لعمود السحاب أو النار أي دور فى إرشاد موسى وقومه إلى الطريق الصحيح ويؤكد ذلك ما ورد فى التوراة (مرتبكون فى الأرض، استغلق عليهم القفر)[4] (خروج:١٤/٤) حيث لا يتفق هذا مع ما ورد فى نفس السفر» وكان الرب

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٣/٢١
(٢) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ الجزء الرابع:ص: ٩٤٤
(٣) نور الدين عبد الصمد:المرجع السابق،ص:١٦٠
(٤) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٤/ ٤

يسير أمامهم فى عمود سحاب ليهديهم الطريق» [1] (خروج١٣: ٢١) وإن كان يفسر ذلك على أنه حيلة من الرب لإيقاع فرعون وجنوده فى الشرك الذي نصبه لهم وهو الغرق فى البحر.

تغيير مسار طريق الخروج

أوحى الله ﷻ بخطّة الخروج لينفذها موسى تحت رعايته وعنايته ويعتقد أن من أهم تضمنته تلك الخطة.

١- تحديد مسار الطريق الذي سيسلكه موسى بقومه إلى خارج مصر.

٢- المدة الزمنية المفترضة من بداية تحركهم من موقع إقامتهم بأرض جاسان حتى عبورهم إلى الضفة الشرقية لبحر سوف.

٣- الخُدُع التي سيقوم بها لتضليل أعدائه والإيقاع بهم فى الشرك المنصوب لهم.

٤- الابتلاءات والاختبارات التي تُظهِر المؤمنين من قومه أو المنافقين منهم.

٥- التوجه ببني إسرائيل ناحية بحر عظيم متسع الأطراف عميق الأغوار، متلاطم الأمواج يصعب عبوره بدون استخدام وسيلة نقل مائى.

٦- الأمر الإلهي لموسى بضرب البحر بعصاه لينفلق إلى فرقين عظيمين وبينهما طريق يابس يمكن السير فيه.

٧- النتائج ومنها غرق فرعون وجنوده فى البحر ونجاة بني إسرائيل.

إن الله وضع لكل شيء حسابه فهو يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وقد أحاط بكل شيء علماً فهو الذي يتحكم فى خلقه ولا يتحكم فيه شيء منها، وعلى

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ١٣/ ٢١

ذلك فقد اتجه موسى بقومه ناحية الشرق وأرسل فرعون رسلاً إلى المدائن يخبرهم بهروب بني إسرائيل. وأن عليهم اليقظة والحذر حتى لا يتمكنوا من الخروج عبر الحدود الشرقية ثم أخذ فرعون آله وجنوده وجنود هامان وانطلقوا خلف بني إسرائيل ناحية الشرق ويذكر كتاب التوراة بأن الرب أمر موسى بالاتجاه بقومه جنوباً «وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون مقابله تنزلون عند البحر فيقول فرعون عن بني إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض قد استغلق عليهم القفر واشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتمجد بفرعون وجميع جيشه ويغرق المصريون إني أنا الرب ففعلوا هكذا»[٢] (خروج:١٣/١٧- ٢٢).

وكان موسى وقومه يعلمون أن الاتجاه شمالاً يعني وقوعهم فى أيدي فرعون وإعادتهم إلى حياة الذل والهوان بأرض جاسان وأن الاتجاه جنوباً حسب أمر الرب سيحول بينهم وبين العثور على طريق بري للعبور وكان هذا اختباراً شديداً أمام موسى وقومه حتى يعلم الله المؤمنين به وبقدرته عن حق ممن لا يثقون فى هذه القدرة الإلهية وقد أشارت التوراة إلى أن بعض بني إسرائيل قد ثاروا فى وجه موسى واتهموه بأنه بأفعاله سيوردهم مورد الهلاك، وكان موسى لديه علم مسبق بأن فرعون وجنوده مصيرهم الغرق فى بحر سوف ويبدو أنه لم يعلم بكيفية نجاة بني إسرائيل وعبورهم سالمين إلى الضفة الشرقية إلا بعد أن أمره الله بضرب البحر بعصاه فوجده ينفلق ويكشف عن طريق يابس، أتخذ الماء عن يمينه وعن يساره هيئة جبلين شاهقين فعبر بنو إسرائيل بسرعة إلى الضفة الشرقية وقد اختلفت الآراء العلمية بخصوص انحسار المياه عن قاع البحر فى منطقة العبور حيث أفادت بأن

(٢) الكتاب المقدس ...

سبب ذلك هو المد والجزر أو بركان وقع بقاع البحر المتوسط قرب جزيرة كريت أو
انفجار بركاني فى سيناء أعقبه زلزال صحبته موجه جزر كشفت عن قاع البحر في
موقع العبور[1].

مطاردة فرعون وجنوده لبني إسرائيل وانفلاق البحر

كان يعلم فرعون وآلـه أن بني إسرائيل إذا ما سنحت لهم الفرصة للهروب
خارج حدود مصر فلن يتورعوا عن اغتنامها وعدم تضييعها ولذا فإنه قد أصدر
أوامر مشددة لحامياته التي تشرف على جميع الطرق الرئيسية أو الفرعية المؤدية
إلى خارج الحدود المصرية باليقظة والحذر، كما أنه كان يعلم أن أية محاولات من
جانبهم ستبوء بالفشل وإن أقدموا على ذلك فستكون نتيجته قتل المدبرين الأساسيين
لذلك فضلاً عن زيادة اضطهادهم وتسخيرهم ولكنه حينما علم بهروبهم واتجاههم
شرقاً أحس بغيظ شديد وجهز جيشه وانطلق مع كوكبة من سلاح المركبات التي تتميز
بسرعتها الفائقة مصطحباً معه جميع آله فضلاً عن هامان وجنوده حتى تمكنوا من
اللحاق ببني إسرائيل حيث ورد بالقرآن الكريم قوله تَعَالَى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا
تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2] (الشعراء: ٦٠ - ٦٣) ويبدو أن
رؤية فرعون وجنوده لبني إسرائيل لم يعقبها هجوم وعلى ذلك فإن المواجهة بينهما قد
أرجئت إلى صباح اليوم التالي لحلول الظلام وهنا يقول كتاب التوراة: "بأن عمودي
السحاب والنار أشرفا على معسكر فرعون طول الليل حيث هاجت خيول فرعون ومياه

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، ص: ٥٢٤؛ الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ١٤/ ٢١- ٢١

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٦٠-٦٣

الهرج والمرج بين جنوده» وتطرق الخوف إلى قلوبهم وبدلا من أن يفكروا فيما يجب عليهم تجاه الهاربين من بني إسرائيل بدأوا ينشغلون بأمر عمودى السحاب والنار وكانت هذه فرصة لبنى إسرائيل للتفكير فى كيفية الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه،فها هو يشوع بن نون أحد صحابة موسى يقول له أين أمر ربك؟قال:أمامك يشير إلى البحر فأقحم يوشع فرسه فى البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال أين أمر ربك يا موسى فو الله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ ففعل ذلك ثلاث مرات إلا أنه لم يحذوا أحدا من بني إسرائيل حذوه بمعنى أنه كان من الممكن لهم عبور البحر دون شقة أو فلقه إلا أن قلوبهم وعقولهم لم تجرؤ على أن تحذو حذو يوشع»[1].

وهنا أوحى الله ﷻ إلى موسى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾[2] (الشعراء: ٦٣) وبدأ بنو إسرائيل فى عبور البحر بعد أن انكشف أمامهم طريقا يبساً بقاعه واستمروا فى العبور طوال الليل بينما كان جيش فرعون مشغولاً بعمودي السحاب والنار من جهة ومنتظراً ظهور نور الصباح لبدء الهجوم على بني إسرائيل من جهه أخرى إلا أنه كانت المفاجأة أمام فرعون أن وجد البحر مشقوقاً ومفلوقاً وبه طريق يابس عبره بنو إسرائيل إلا نفر قليل منهم كانوا بالقرب من ضفته الشرقية وهنا أمر فرعون مَنْ معه باختراق البحر وحينما أصبح جميع جيشه وآله فى وسطه أنطبق عليهم فأغرقهم أجمعين ما عدا جثة فرعون التي ألقاها البحر على الساحل وقد ورد بالقرآن قوله تعالى:﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[3] (الشعراء: ٦٤ - ٦٦).

---

(١) نور الدين عبد الصمد:الأصول التاريخية والدينية والسياسية لقضية الشرق الأوسط،الجزء الأول، القاهرة:٢٠٠٨،ص:١٩٤

(٢) القرآن الكريم،سورة الشعراء ٦٣

(٣)

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد سبب انفلاق البحر وقد أكد القرآن أن وراء ذلك عصا موسى بينما أوضحت التوراة أن السبب يتمثل فى يد موسى التي كانت وراء هبوب ريح شرقية شديدة أزاحت الماء وكشفت عن طريق يابس فى البحر وعلى خلاف ذلك قد أرجع بعض المؤرخين سبب ذلك إلى حركة المد والجذر الناجمة عن أحد البراكين فى سيناء أو فى قاع البحر المتوسط[١] كما اختلفوا فى تحديد موقع انفلاق البحر، فمنهم من رأى أنه بخليج السويس حالياً أو امتداده فى العصور القديمة أو بإحدى البحيرات الواقعة فى شمال الدلتا أو بإحدى القنوات أو بأحد أفرع نهر النيل ويعتقد إن أقربها إلى الصواب خليج السويس حالياً أو امتداده إن كان هذا الامتداد قد تميز بكبر اتساعه وعمقه واتصاله بماء البحر الأحمر بصفه دائمة ومستمرة بما يسمح أن تعيش فيه نفس الكائنات البحرية التي تعيش فى هذا البحر الذي يشكل خليج السويس حالياً امتداداً طبيعياً له وبذلك يمكن القول إن الامتداد القديم لهذا الخليج يعد موقعاً لانفلاق البحر وعبور بني إسرائيل[٢] كما يرى بعض المؤرخين أن منطقة شرق الدلتا قد شهدت هلاك الطغاة الثلاثة قارون بالخسف وهامان وفرعون وآله بالغرق فضلاً عن جنوده[٣].

■■■

---

(١) ابن كثير :تفسير القرآن الكريم ،الجزء الثاني ،ص:٦٤٨

(2) A.Shafa.BSGE.21.1946. P.244: Petrie. Egypt and Israel . New York.1912. P.39.Fig.7.S.Segert. KNES.53.1994.P.195-203

(٣) الحافظ ابن كثير :تفسير القرآن العظيم ،الجزء الأول ،ص:١١٤- ١١٥

من هو حاكم مصر الغريق

اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون على حد سواء فى تحديد اسم وجنسية وعصر حاكم مصر فى عهد موسى عليه السلام وهي كالآتي:

أولاً: عصر الدولة الوسطى

يعتمد أصحاب هذا الرأي على قصه الضابط المصري سنوحي حيث وجدوا تشابهاً كبيراً بين شخصيته وشخصية موسى عليه السلام يصل أحياناً إلى حد التطابق[1] يتمثل فى:

١- سبب فرار وهروب كل منهما جريمة قتل.

٢- خوف كل منهما أن يقوم القصر الملكي بالقصاص منه.

٣- هروب كل منهما إلى الشطر الآسيوي متسللاً عبر الحدود الشرقية لمصر.

٤- أقام كل منهما فترة من حياته فى وسط قبائل البدو.

٥- تزوج كل منهما من امرأة من إحدى القبائل البدوية وأنجب منها ذرية.

٦- عاد كل منهما إلى مصر تاركاً أولاده وامرأته.

٧- قابل كل منهما الحاكم فى مصر ورضي الحاكم عن سنوحي بينما لم يرض عن موسى.

ويعتبر ذلك حسب وجهة نظرهم دليلاً على أن موسى كان معاصراً للدولة الوسطى وأن فرعون كان من المصريين القدماء وأنه هو الملك سنوسرت الثالث الذي

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ١٤٩، ١٥٣

رفعه المصريون إلى مصاف الآلهة بعد أن مات غريقاً ودفن بجبانة أوزير خنتي إمنتي ولكن رأى بعضهم أنه الملك أمنحوتب الرابع المسمى خرو-رع الذي يمكن تقريب اسمه إلى (فرعون) [١].

أما عن لفظ فرعون فيعتقدأنه مشتق من لقب الإله أوزير الذي احتل مكانة كبيرة خلال هذا العصر، والذي حمله أيضاً بعض ملوك الدولة الوسطى وهو (نفر-ونن) أو (ونن-نفرو) وبإسقاط حرف النون فى بداية اللقب وآخره يصبح فرون أو فيرون الذي أطلقه المؤرخون اليونانيون على الملك المعاصر لموسى فى مصر [٢].

ثانياً: عصر الاضمحلال الثاني (الهكسوس)

يعتقد بعض المؤرخين المسلمين القدماء أن فرعون ذلك الحاكم الذي كان يحكم مصر خلال عصر موسى ينتمي إلى القبائل البدوية الآسيوية التي كانت تشتغل بالرعي قبل احتلالهم لمصر أو بعد احتلالهم لها ورغم أنهم لا يعتمدون على أدلة وبراهين مادية إلا أنهم وجدوا بعض المؤرخين المحدثين يؤيدونهم فى وجهة نظرهم هذه حتى أصبح هناك يقين راسخ من قبل جميع المؤرخين أن حاكم مصر الذي عاصر يوسف عليه السلام ينتمي إلى تلك القبائل البدوية [٣] ولم يبق إلا بعض المؤرخين الذين يعتقدون أن الملك الحاكم فى مصر خلال عهد موسى من المصريين القدماء الذين حكموا خلال عصر الدولة الحديثة معتمدين فى ذلك على أنه لا يوجد ذكر لأية أحداث تتعلق ببني إسرائيل فى النصوص المصرية القديمة أو غيرها من

---

(١) سيد القمني: النبي موسى، الجزء الثالث، القاهرة: ١٩٩٩، ص: ٨٩٦ - ٩٠٠

(٢) سعيد ثابت: فرعون موسى من يكون وأين ومتى؟ الجزء الأول، القاهرة: ١٩٨٧، ص: ١٦١-١٦٣، ١٨٢-

(٣) محمد أبو رحمة: الإسلام والديانة المصرية القديمة، - ص: ٣٥-٣٩

نصوص بلاد الشام وبلاد الرافدين سابقة لهذا العصر ومما يؤيد وجهه نظرهم أن نصوص الدولة الحديثة قد ذكرت أرض أدوم وموآب إلا أن البعض الآخر من المؤرخين يعترض على هذا الرأي باعتبار أن لفظ يسير يارو الذي ورد بلوحة الملك مرنبتاح لا يشير إلى إسرائيل وإنما إلى جماعة ظهرت خلال عصر الملك رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح وشكلت تهديداً للسلطة المصرية آنذاك وتم القضاء عليها، كما أنه لم يتم ذكرها قبل عصرهما أو بعده[1].

وقد ذكر هؤلاء المؤرخون المسلمون أن اسم هذا الحاكم هو الوليد بن مصعب وهو من قبائل البدو الرعاة الآسيويين ويبدو أن مصدرهم بعض الأحاديث الشريفة التي تنسب إلى محمد ﷺ والتي منها « دخل النبي ﷺ على أم سلمة وعندها غلام يسمى الوليد فقال لها النبى: اتخذتم الوليد حناناً غيروا اسمه وفى رواية أنه من أسماء الفراعنة[2] ونفهم من الحديث أن الوليد هذا كان طاغياً كافراً بالله ﷻ وأنه يعرض وجنوده على النار يوميّاً إلى أن تقوم الساعة ومن بين ما يحث عليه دين الإسلام تخير أسماء الصالحين من عباد الله وكل اسم لا يرتبط بشرك أو كفر لواليدهم.ويعتقد أن الوليد كان آخر الحكام الأقوياء للهكسوس وأنه حكم من بعده ملوك ضعاف متفرقون مما كان سبباً فى انهيار مملكتهم وزوالها. وإن كانت هناك رواية محل شك أن فرعون كان شخصاً بارعاً فى العلوم والآداب من حوران ببلاد الشام ونزل أرض مصر فى عصر الهكسوس وتملق حكامها فرفعوه عليهم ثم ما لبث أن اعتلى العرش[3].

---

(١) محمد بيومي مهران:مصر:منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين،الجزء الثالث،القاهرة:١٩٩٣،ص:٤٣٩- ٤٤٠،حاشية: ٨٨

(٢) ابن كثير:تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول،ص: ١١٤

(٣) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص: ٤٣٩ - ٤٤٠، حاشية: ٨٨

ثالثاً عصر الدولة الحديثة

يرى أصحاب هذا الرأي أن فرعون موسى من ملوك الدولة الحديثة ثم اختلفوا فمنهم من نسبه إلى ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومنهم من نسبه إلى الأسرة التاسعة عشرة ومنهم من نسبة إلى الأسرة العشرين واعتمدوا على عدد من الأدلة منها[1].

١- الطوب المحروق أو الطوب الأحمر لم يعرفه المصريون القدماء إلا خلال عصر الدولة الحديثة وخاصة الأسرة التاسعة عشرة وذلك على نطاق ضيق ثم ما لبث أن توقفوا عن استخدامه.

٢- أن لقب فرعون لم يطلق على الملوك إلا فى النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة.

٣- أن كثيراً من الأحداث التي ارتبطت ببني إسرائيل ترجع إلى هذا العصر وخاصة حادثة شق الماء وتحول ماء النهر إلى دماء وإظلام مصر لمدة ثلاثة أيام فضلاً عن اسم ياهو وغيره.

ومن بين أسماء الملوك التي اقترحها أصحاب هذا الرأي باعتبار كل منها يشير إلى فرعون الخروج.

١- **أحمس الأول.**

يعد هذا الملك فرعوناً للخروج باعتبار أن الذين خرجوا فى عهده من مصر هم اليهود وليسوا الهكسوس. ولكن يؤخذ على هذا الرأي.

أن الملك أحمس الأول لم يغرق فى البحر وهذا يخالف ما ورد فى نصوص القرآن الكريم وما ذكره كتّاب التوراة.

---

(١) أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص:٣٥٩؛ رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، ص: ٦٦٠- ٦٧٨؛ رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩٣، ص: ١٧٥.

أن النصوص المصرية ذكرت اسم الهكسوس ولم تذكر اسم اليهود، وليس هناك سبب يجعل الكتّاب المصريين يتعمدون عدم ذكر اسم اليهود وإحلال اسم آخر مكانه.

أن النصوص المصرية قد أكدت أن الذين طردهم الملك أحمس الأول من مصر دخلوا أرض كنعان وتحصنوا بها لمدة ثلاث سنوات كاملة حتى تمكّن هذا الملك المصري من هزيمتهم وتشتيتهم بعيداً عن دائرة سلطانه والقضاء على قوتهم العسكرية.

أن النصوص المصرية لم تشر يوماً أن القوم الذين احتلوا مصر لعدة قرون ثم طردوا منها إلى أرض فلسطين قد أسسوا مملكة لهم فى أورشليم[1].

إن القرآن الكريم قد أكد أن الذين خرجوا من مصر لم يدخلوا فلسطين إلا بعد أن قضوا أربعين عاماً متصلة فى أرض التيه بينما أكدت النصوص المصرية أن من طردهم أحمس الأول قد تمكنوا من دخول فلسطين والتحصن بها بعد طردهم من مصر مباشرة وقد إستطاع هذا الأمير إخراجهم منها وتشتيتهم فى أراضٍ بعيده عنها بعد ثلاث سنوات.

٢- أمنحوتب الأول:

يعد هذا الملك فرعوناً للخروج وإن كان لم يغرق أيضاً فى البحر وأنه فى عهده حسب رأي بعض المؤرخين حدث صراع بين موسى والأمير تحتمس الثاني للفوز بالزواج بالأميرة حتشبسوت وقد انتهى هذا الصراع بقتل الأمير تحتمس الثاني قتلاً غير متعمد مما جعل موسى يفر إلى مدين[2].

---

(١) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، الجزء الأول، ص: ٧٩

(٢) عبد المنعم عبد الحليم: المغالطات والافتراءات على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، - ص: ١٤٠-١٤٥

٣- حتشبسوت.

يعتبر بعض المؤرخين أن هذه الملكة التي حكمت مصر خلال الأسرة الثامنة عشرة من عصر الدولة الحديثة هي التي سمحت لبني إسرائيل بالخروج من مصر على أساس العثور على نصوص من عصرها فى إسطبل عنتر تفيد بأنها قد سمحت للأقوام الأجنبية بالخروج من مصر» أصغ إلى إن جميع الناس من البدو هم على ترحالهم وإني لم آخذ فى اعتباري أعمالهم الشاذة ولم تشغل خاطري، فإني لم أنس أشيد وأصلح ما دمروه وأتلفوه من قبل،... ولما سمحت لأولئك الذين أغضبوا الآلهة بالخروج فكأن الأرض ابتلعت آثار أقدامهم وهذه إرادة أبي التي رتبت ذلك فى حينه»[١] ويفهم من هذا النص بأن الملكة حتشبسوت هي التي سمحت لأولئك البدو الرعاة الذين دمروا المعابد والمساكن وأحرقوا المدن والقصور بالخروج من مصر، وقد أكدت النصوص المصرية بأن من قام بالتدمير وإتلاف المنشآت المصرية هم الحقاخاسوت (الهكسوس) بما يعني أن الملكة حتشبسوت قد سمحت للهكسوس بالخروج من مصر،فأما من يرى أنها تعني بني إسرائيل فهذا يعتمد على رواية المؤرخ اليهودي يوسيفيوس الذي يدعي بأن الحقاخاسوت فى النصوص المصرية تعني اليهود وهذا مخالف للواقع التاريخي والأدلة الأثرية.

وفى الواقع أن الملكة حتشبسوت لم تعاصر وجود الهكسوس فى مصر ولم تطردهم منها ولكنها حسب ما اعتاد عليه الملوك ابتداء من عصر الدولة الحديثة فقد نسبت بعض جلائل الأعمال التي قام بها بعض أسلافها من ملوك مصر العظام لنفسها مثل الملك أحمس الأول الذي تكبد هو وأسرته عناء طرد الهكسوس وتشتيتهم.

---

(١) غطاس الخشبة: رحلة بني إسرائيل ... ص ١٩٢-١٩١

كما اعتقد بعض المؤرخين بأنها ابنة فرعون التي ورد ذكرها فى الحديث الشريف والتي كانت سببا فى مقتل الماشطة وأولادها[1] أو التي ذكرها كتّاب التوراة على أنها هي التي انتشلت موسى من النهر وهي التي تبنته أو اتخذته ولداً لها وبحثت له عن مرضعة حين رفض الرضاعة من مرضعات القصر الملكي[2].

٤- تحتمس الثالث وولده أمنحوتب الثاني:

يعتقد بعض المؤرخين أن تحتمس الثالث هو فرعون الخروج، حيث أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر عام ألف وأربعمائة وسبع وأربعين قبل الميلاد وذلك بالاعتماد على ما ورد فى النصوص المصرية والذي فحواه أن الملك شاشانق الأول دخل أورشليم واستولى على كل ما جمعه الملك سليمان من الكنوز التي أودعها فى بيت الرب أو بالقصر الملكي[3] كما يرون أيضاً أن ابنه أمنحوتب الثاني هو فرعون الخروج باعتبار أنه لم يَقُل قوة وشجاعة عن أبيه تحتمس الثالث كما كان كأبيه قائداً عسكريّاً فائقاً وكان السهم الذي يطلقه يستطيع اختراق ترساً نحاسياً سميكاً،كما حارب أيضاً كأبيه كثيرا من ممالك وإمارات بلاد الشام وأحضر من كل منهما إلى مصر أعدادا كبيرة من الأسرى وخاصة العابيرو الذين يَعُدُّهم البعض أنهم من ذرية إسرائيل.

ولكن يؤخذ على هذا الرأى[4]:

أن كلاً من الملك تحتمس الثالث وابنه أمنحوتب الثاني لم يغرقا فى البحر.

أن عصر الملك تحتمس الثالث شهد خلافات كثيرة على عرش البلاد وهذا

---

(1) الإمام السيوطي:الإسراء والمعراج،تحقيق/محمد بيومي،،- ص:٨٩-٩٠

(2) سيد القمني:النبي موسي، الجزء الأول، ص: ١٦٨- ١٧٢؛ الجزء الرابع،،- ص:١٠٠٦

(3) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث،،- ص:٤٥٦- ٤٦٦

(4) De Weit. The Data and Route of The Exodus. 1960.P.29

يخالف نصوص القرآن وما أورده كتَّاب التوراة من أن فرعون كانت فى يده كافة مقاليد السلطة لا ينازعه فيها أحد.

إن كلا من اسم الملك تحتمس الثالث وأمنحوتب الثاني يتضمن الخضوع لكل من المعبود المصري تحوت وآمون وهذا يخالف ما ورد فى القرآن من أن فرعون قد اعتبر نفسه إلهاً لقومه لا يحق لهم عبادة غيره وقد أكد القرآن قيام فرعون بقتل السحرة وكذلك قتل أبناء الذين آمنوا بدعوة موسى من بني إسرائيل وكذلك أكد الحديث النبوي الشريف قيامه بقتل الماشطة وأولادها الثلاثة لأنهم قالوا ربنا الله وليس فرعون[1].

٥- تحتمس الرابع:

يعتبر بعض المؤرخين أن هذا الملك هو فرعون الخروج. ولكن شخصية فرعون الواردة فى القرآن والتوراة وشخصية تحتمس الرابع الواردة فى النصوص والمناظر المصرية القديمة لا تتفقان.

أن امرأة فرعون لم تنجب ذكوراً وإنما أنجبت بنتاً واحدة وإن كان يرى بعض الباحثين أن هذه الابنة من إحدى محظياته وليست من امرأته ولذا حينما عثرت على موسى ملقى على الساحل سارعت إلى اتخاذه ولداً لها ولم يذكر القرآن الكريم أن هذا الملك قد تزوج من امرأة أخرى ويبدو أن شريعة الزواج فى قوم فرعون اقتضت الاكتفاء بزوجة واحدة وأنه لا يجوز له أن يطلقها فى حال عقمها أو إنجابها البنات دون البنين وأنه كان من حقها أن تهب لزوجها إحدى جواريها أو وصيفاتها ليدخل بها أو يتزوجها على أن ينسب الابن الناتج عن هذا الزواج إلى الزوجة

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، - ص: ٦٦٧- ٦٦٩

الأولى، كما لم يثبت أن فرعون قد أنجب ولداً ذكراً كما أكدت النصوص المصرية أن هذا الملك كان يدين بالولاء إلى المعبود المصري رع وكهنة عين شمس الذين كانوا سبباً في اعتلائه عرش مصر، مما يدل على أنه كان يواجه مشاكل في تولي حكم مصر وأنه لم تكن لديه الأحقية في الجلوس على هذا العرش، فضلاً عن أن اسمه يتضمن اسم المعبود المصري تحوت بينما فرعون لم تكن لديه أي مشاكل تواجهه في اعتلاء العرش، كما أنه كان يعد نفسه إلهاً ولا يرضى بالخضوع لآلهة أخرى كما لا يقيم لها أو لشرائعها وزناً فهو على حد قول كتاب التوراة قد سمح لموسى وقومه بأداء شعائر وطقوس مخالفة لطقوس قومه ومخالفة لأحكام دينهم والتي كانت تستوجب غضبهم لما فيها من إهانة لمعبوداتهم ولمعتقداتهم الدينية[1].

٦- **أمنحوتب الثالث وولده أمنحوتب الرابع (إخناتون):**

يعتقد بعض المؤرخين أن الملك أمنحوتب الذي ورد ذكره في رواية المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي يدَّعي أنه ينقل عن مؤرخ مصري يدعى مانيتون إما يكون الملك أمنحوتب الثالث أو الملك أمنحوتب الرابع وأن أحدهما كان وراء نفي بني إسرائيل إلى مدينة أواريس في شرق الدلتا التي كان يسكنها الهكسوس من قبل كما نفى بعض الكهنة المصريين ومنهم الكاهن أوزير سيف الذي تزعم كلاً من بني إسرائيل والكهنة المصريين المنشقين عن الملك ووضع لهم قوانين وشرائع تنظم حياتهم وقد استطاع الاتصال بيهود أورشليم الذين ساعدوه بقوات عسكرية تمكنت من احتلال مصر مدة ثلاثة عشر عاماً ولكن الملك أمنحوتب وابنه قد تمكنا بعد ذلك من طردهم خارج مصر[2].

---

(1) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث،- ص: ٥٨٥، ٥٨٨؛ إسماعيل حامد: أخناتون الفرعون الموحد، القاهرة، ٢٠٠٠، ص: ٢٢-٢٣؛ سليم حسن: مختصر موسوعة مصر القديمة، الجزء الخامس،- ص: ٢٥٧

(2) أحمد فخري: المرجع السابق،- ص: ٣٥٩ ؛ علي حسن: النبي موسى المصري الذي قاد اليهود،- ص: ١٥٦-١٥٧

كما يعتقد أيضاً أن الملك أمنحوتب الثالث كان معاصراً لموسى بناءً على ما ورد بالتوراة السبعينية من أن مدة إقامة بني إسرائيل فى مصر مائتان وخمسة عشر عاماً ليكون الخروج فى عام ألف وثلاثمائة وست وتسعين قبل الميلاد وهذا العام يدخل ضمن فترة حكم هذا الملك التي تبدأ من ألف وأربعمائة وأحد عشر قبل الميلاد إلى ألف وثلاثمائة وخمس وسبعين قبل الميلاد ولكن يؤخذ على هذا الرأي أننا لم نعثر على نصوص تؤكد مخالفة الكهنة المصريين لشرائع دينهم، فهم قد تتعدد عقائدهم ولكن لا ينقلبون على ملوكهم، كما أننا لم نجد أحداً منهم يخون وطنه ويسلمه لأيدي أعدائه لمجرد خلاف مع الملك الحاكم وكانت العلاقات بين الحاكم والكهنة علاقة طيبة تغلب عليها المصالح المشتركة ولكن الخلاف كان شاذّاً وفى حالات نادرة.

كما كان هذا الملك لا يميل إلى الحروب والغزوات العسكرية بل كان يركن إلى حياة الدعة والخمول، وكان على عكس فرعون الذي ورد ذكره فى القرآن الذي كان يميل إلى الحياة العسكرية وإلى الشدة والقسوة فى المعاملة. والذى كان لديه جنود مدربون تدريباً عسكريّاً راقياً ورغم أن فرعون قد بلغ من العمر أرذله إلا أنه ترأسّ جيشه بنفسه لملاحقة بني إسرائيل كما أن أمنحوتب الثالث لم يكن لديه الحق فى وراثة العرش نظراً لأنه لم تكن تجري فى عروقه دماءٌ مصرية خالصة وإنما كانت مختلطة بدماء آسيوية مما جعل كهنة البلاد يدعون أن آمون قد اتخذ صورة تحتمس الرابع والد أمنحوتب الثالث ودلف إلى مخدع أمه بوتمويا الآسيوية الأصل وعاشرها معاشرة الزوج لزوجته فحملت منه أمنحوتب[1] وكما سبق القول فإن فرعون الذي عاصر موسى لم يجابه أية مشاكل بخصوص اعتلائه العرش ولم يكن فى حاجة إلى أية آلهة أو شخص من قومه لتأكيد شرعيته فى حكم مصر إذ كان يعتمد على قوته وجبروته فى تحقيق أهدافه ومآربه.

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثالث.. – ص: ٥٨٩–٥٩٠

حاول بعض المؤرخين بالاعتماد على ما ورد فى التوراة من تواريخ أن يخرج بنظرية مفادها أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر فى عصر الملك أمنحوتب الرابع. ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار إخناتون فرعون الخروج لاختلاف صفات شخصية كل منهما عن الآخر[١].

لم يدَّعِ إخناتون لنفسه الإلوهية ولم يدعو قومه إلى عبادته ولكنه دعا إلى عبادة آتون الذي صوّره فى هيئة قرص الشمس تخرج منه أذْرِعَة آدمية.

لم تشر النصوص المصرية إلى أن زوجته نفرتيتي قد تبنت طفلاً ذكراً من أصول أجنبية لكونها لم تنجب ذكوراً،بل هناك من يرى أن توت عنخ آمون كان ابناً ووريثاً شرعياً لإخناتون.

ورد بالأحاديث النبوية الشريفة أن فرعون لم ينجب إلا ابنة واحدة كانت على شاكلة أخلاقه بينما أكدت كل من النصوص والمناظر المصرية أن إخناتون كان لديه أكثر من بنت واحدة ولم تذكر النصوص المصرية أن واحدة من بنات إخناتون قد تبنت طفلاً ذكراً واعتبرته ابناً شرعيّاً لها.

كان إخناتون ينزع إلى السلام ولا يميل إلى العنف أو الحرب فقد أقسم إخناتون قسماً غليظاً على ألا يخرج من أخت آتون (تل العمارنة) تلك المدينة التي أسسها لأتباعه ووضع علاماتها وحدودها.

كان فرعون عالياً فى الأرض من المتكبرين المسرفين،جعل أهل مصر شيعاً وكان يتصف أيضاً بالقسوة والشدة ويقتل الأبرياء ويستحيي حرمات النساء بينما كان

(١) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الثالث،.– ص:٥٥١،٥٦٨،٥٨٩ – ٥٩٠

إخناتون زاهداً فى الحياة ورعاً تقيّاً داعيا إلى إزالة الفوارق الاجتماعية بين الناس فى مشارق الدنيا ومغاربها وكان محباً للأطفال يداعبهم ويلاطفهم وكانوا يرافقونه فى كافة رحلاته ورغم أنه قد رزق بأكثر من بنت إلا أنه لم يعترض على ذلك بل حزن حزناً شديداً حينما وافت المنية إحدى هؤلاء البنات.

دعا إخناتون إلى المساواة بين الناس واعتبر غنيهم وفقيرهم سواسية كأسنان المشط، كان من صفاته الشفقة والرحمة كما كان داعياً إلى الأخلاق القويمة[1].

٧- توت عنخ آمون:

اقترح بعض المؤرخين أن الملك توت عنخ آمون هو فرعون الخروج إلا أن الأبحاث العلمية الحديثة قد أثبتت أن هذا الملك لم يمت بسبب الغرق فى البحر وإنما كان بسبب حادث أليم تعرض له أثناء قيادته لمركبته أو لمرض عضال أَلَمّ به كما أنه قد غير اسمه من توت عنخ آمون إلى توت عنخ آتون ثم ما لبث أن عاد إلى اسمه القديم الذي يبين ولاءه لآمون ولعقيدته. وهذا لم يكن يحدث من فرعون الذي أعتبر نفسه إلهاً يُعبد ويقدس وأنه لم يكن يعير آلهة قومه أو غيرهم كإله موسى وقومه أي اهتمام بل قد وقف منها جميعاً موقف عداء.

إن صفات توت عنخ آمون والمناظر والنصوص التي ترجع إلى عصره تؤكد الاختلاف بين شخصيته وشخصية فرعون[2].

٨- حور محب:

يرى بعض المؤرخين أن فرعون الخروج هو الملك حور محب ولكن يؤخذ على

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص: ٥٨٥-٥٨٨

(٢) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، - ص: ٤٦٦- ٤٨١

هذا الرأي أن هذا الملك كان مهتماً بالعدالة وبالقضاء وتنفيذ القوانين حيث وضع عددا من التشريعات التي تضمن الأمن والأمان فى ربوع المملكة وتنشر السلام فيها وكان فرعون على عكس هذه الاهتمامات فلم يكن يهتم بنشر العدالة بل كان يدعو إلى انتهاك حرمات القوانين والشرائع الدينية وإلى التفرقة بين الأقوام المختلفة فى مملكته وقد أكد القرآن الكريم على ذلك حيث ورد به (ذروني أقتل موسى سنقتل أبناءهم ونستحيي نسائهم، إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا)[1] كما أن اسم حور إم حب يتضمن خضوعاً وإذعاناً للمعبود حور وهذا لا يتفق مع مبادئ فرعون الذي يعد نفسه إلهاً لقومه وأيضاً اعتماداً على رواية المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي يدعي أنه ينقل من المؤرخ المصري القديم مانيتون والتي أكد فيها أن بني إسرائيل المقيمين فى مصر حتى عصر الدولة الحديثة تم طردهم على يد ملك يسمى أمنحوتب وولده سيتوس،رمسيس من أبيه رهامبيس، فأما رهامبيس فهو النطق اليوناني لحور محب، ونظراً لشك مانيتون فى سلسلة هذا النسب أضاف اسمين آخرين هما سيتوس (ربما سيتي الأول) ورمسيس (ربما رمسيس الأول أو الثاني)[2] وقد أرجع بعض المؤرخين اللبس الذي وقع فيه مانيتون فى إعطاء ثلاثة أسماء لابن الملك أمنحوتب إلى قيام الكتبة المصريين القدماء بحذف اسم إخناتون وأسرته من القوائم الملكية نظرا لتطرفهم الديني[3].

عثر على لوحة للملك أمنحوتب الثالث بالكرنك نقش عليها صورته وإلى جواره أحد أبنائه فى مرحلة الطفولة ودون اسمه حور محب.

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق،.- ص:٢٠٠-٢٠١

(٢) سيد القمني: النبي موسى،الجزء الأول،.- ص:١٤٩-١٥٢

(٣) رشدي البد[illegible] موسى:الجزء الأول،ص:١٥٨

عثر على نقش آخر بالكرنك يمثل الملك أمنحوتب الثالث واقفاً وبصحبته شخص تمت إزالة صورته إلا أنه مما تبقى منها يؤكد أنها لاخناتون ودون محل الصورة اسم حور محب.

وخلاصة الأمر أن الملك حور محب لا يمكن عَدُّهُ كفرعون للخروج باعتبار أنه لا شواهد ولا أدلة على غرقه فى البحر، كما أنه ليس فرعون التربية حيث أكد بعض الباحثين أنه قد تزوج من ابنة فرعون التي ذكرت فى التوراة وفى الحديث الشريف كما أنه لا يمكن الاعتقاد بأن فرعون قد تزوج من ابنته كما يدعي البعض حيث أن كلا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد ميزا بين شخصية امرأة فرعون وشخصية ابنة فرعون ولم يعتبرا كلا منهما شخصية واحدة فامرأة فرعون هي التي احتضنت موسى عليه السلام وكفلته وضمنت له الحماية حتى صار شاباً يافعاً وابنة فرعون هي التي كانت وراء هلاك ماشطة القصر الفرعوني وأطفالها الثلاثة.

وفى الواقع أنه لا يمكن الارتكان إلى رواية يوسفيوس اليهودي الذي يدعي اقتباسها عن مانتيون المؤرخ المصري لأنه إذا كان الكتَّاب المصريون القدماء الذين عاصروا بني إسرائيل لم يدونوا عنهم شيئاً يذكر فمن أين أتت هذه المعلومات الغزيرة عن أسباط إسرائيل وحياتهم فى مصر لهذا المؤرخ المصري الذي تم التأكد من أنه ينقل تاريخه من مصادر مصرية قديمة حيث وقع فى لبس نتيجة لقيام بعض كتَّاب التاريخ المصري بإسقاط اسم إخناتون وأسرته من القوائم الملكية المصرية لقيامهم بإزالة ومحو أسماء الآلهة المصرية فى سفور وخروج عن دين الآباء، ولم ينتبه أو يُنَبِّهْ أحد من عصره إلى هذا الخطأ وقد تم الكشف عنه من خلال نصوص ومناظر وردت بمعبد الكرنك[1] ويفهم من ذلك أن هذه المعلومات التي أوردها المؤرخ اليهودي ولم تشر إليها النصوص المصرية من نسج خياله المريض بغرض الإعلاء من شأن اليهود.

(١) سيد القمني: المرجع السابق،.- ص:١٥٧-١٥٨؛ أ.جاردنر:مصر الفراعنة،تعريب/نجيب ميخائيل،.- ص:٦٨

١- رمسيس الثاني:

تتأرجح آراء المؤرخين بين اعتبار رمسيس الثاني فرعوناً للاضطهاد أو فرعوناً للخروج على أساس أن موسى قد عاصر فرعونين على حد زعم كتاب التوراة، أو أنه فرعوناً للاضطهاد والخروج معاً باعتبار أن موسى عاصر فرعوناً واحداً خاصة وأن القرآن الكريم لم يضع حدوداً فاصلة فى شخصية فرعون حتى يمكن الاعتقاد بأن لفظ فرعون يشير إلى شخصيتين لا إلى شخصية واحدة.

ويعتمد أصحاب الرأي القائل بان رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد والتسخير علي أن مدينتي رمسيس وفيثوم اللتين ذكرتا فى التوراة تؤرخان بعصر هذا الملك وإن كانت فى الواقع أعمال التشييد لم تقتصر على هاتين المدينتين بل امتدت لتشمل كافة أنحاء مصر وربما يرجع السبب فى وراء كثرة المباني والمنشآت خلال عصر هذا الملك إلى تدفق الجزى وخيرات إمارات وممالك بلاد الشام على القصر الفرعوني فى مصر فضلاً عن المكاسب المالية الضخمة نتيجة للتبادل التجاري وإقامة معاهدات التآخي والزواج من أميرات من الأسرات المالكة فى بلاد النهرين ومنها مملكة الحيثيين[١].

يعتقد المؤرخون أن اسم سيزوستريس الأول الذي ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت أسند إليه بعض الأعمال منها إقامة العديد من اللوحات فى البلاد المفتوحة وسجل عليها اسمه وانتصاراته كما وصل بحدود مصر إلى أقصى جنوب البحر الأحمر وخدم في جيشه العديد من اليونانيين كمرتزقة قد أغدق عليهم النعم والهبات والمكافآت وعاملهم معاملة أهل البلاد وقد أجمع الباحثون على أنه رمسيس الثاني أعظم ملوك

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث،، - ص٤٨١-٤٨٧؛ نور الدين عبد الص...

مصر باعتباره قائداً حربياً شجاعاً فرض سلطان مصر على العديد من الممالك والإمارات الأجنبية شرق الحدود المصرية وجنوبها. أما ابنه فيرون عند هيرودوت أو سيزوستريس الثاني عند ديودور الصقلي فتختلف شخصيته عن شخصية مرنبتاح بن رمسيس الثاني فهذا الأخير لم يكن حاكماً ضعيفاً حيث حقق انتصارات عسكرية ساحقة وخاصة ضد شعوب البحر وضد بعض الممالك والجماعات فى بلاد الشام[1] على عكس شخصية فيرون التي كانت تتسم بالضعف والاعتقاد فى الخرافات.

يعتقد بعض المؤرخين أن هذا الملك قد ذكر اسم إسرائيل فى نصوصه كما ذكرها ابنه مرنبتاح من بعده حيث ورد لفظ يزرري أو يسرري والذي نطقوه يسرءل لكن من ناحية أخرى يرى بعضهم الآخر أن هذا الاسم لا يشير إلى إسرائيل حيث أنه لم يذكر إلا فى عهده وعهد ابنه مرنبتاح وقد تضمن أحد نصوص هذا الملك الأخير أنه قد قضى على نسلهم ولم يعد لهم بذرة.

ويبدو أن السبب الرئيسي فى عدم ذكر اسم بني اسرائيل فى النصوص القديمة[2] وخاصة خلال عصر الدولة الحديثة وما قبله يرجع إلى أن يشوع قد دخل أرضاً صحراوية بعيدة عن العمران لا تشكل أهمية اقتصادية أو استراتيجية لما يجاورها من ممالك كما أنها لم تسبب أي مشاكل للنفوذ المصري فى بلاد الشام على عكس ما ذكره كتّاب التوراة من مبالغات غير مقبولة تتمثل فى سيطرة إسرائيل على فلسطين وجزء من لبنان والجولان إذ لا توجد من النصوص القديمة فى مصر أو العراق أو فى بلاد الشام ما يؤيد ذلك.

كما يعتقد بعض المؤرخين بأنه يوجد صفات مشتركة بين الملك رمسيس الثاني

---

(١) أ.ج. ايفانز :هيرودت،تعريب/ أمين سلامة، القاهرة :د.ت.، ص:٩٩

(2) R.Coote.Early Israel:A New Horizon.Minneapolis.1990.P.5ff

وفرعون حاكم مصر فى عهد موسى الذي ذكر فى القرآن الكريم ومن بينها[1]:

١- قاد حملات حربية كثيرة إلى بلاد النهرين وإلى بلاد الشام حقق فيها انتصارات ساحقة على بعض الممالك والإمارات وقتل كثيرا من جنودها وقدم بعض قادتها العسكريين قرباناً للآلهة المصرية.

٢- أخضع الكثير من الممالك والإمارات فى آسيا لنفوذه وفرض عليهم الجزى التي كانت تتدفق سنوياً على القصر الملكي.

٣- إن المباني والمنشآت العديدة التي تركها الملك رمسيس الثاني سواء فى مصر أو فى خارجها تدل على جبروت هذا الملك.

بينما يعتقد البعض الآخر من المؤرخين أنه لا يوجد بينهما أية صفات مشتركة بل يرون أنهما شخصيتان مختلفتان تماماً ويدل على ذلك [2].

١- إذا كان فرعون الذي ورد ذكره فى القرآن قد اعتبر نفسه إلهاً ورباً أعلى لقومه ولا يحق لهم أن يدينوا بالولاء والتقديس لغيره فإن رمسيس الثاني كان عبداً متديناً لا يتورع على صرف أموال كثيرة فى إقامة بعض المعابد والمنشآت الدينية لتقديس وتبجيل بعض الآلهة المصرية، كما أن الاسماء التي أطلقت عليه تتضمن خضوعه لآلهة مصر وخاصة رع وما عت وأوزيريس ومن هذه الاسماء رع مسو، أوسر، ماعت رع، سا أوزيريس وإن تأليهه لم يكن فى حياته وإنما بعد مماته وأن هذا التأليه لم يكن قاصراً عليه وهو يعد كنوع من التكريم لا أكثر ولا أقل.

٢- إن بعض المنشآت التي أقامها هذا الملك قد بقيت على حالتها ولم تصب بسوء

(١) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء السادس، ،- ص: ٣٢٣؛ رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، ص: ٧٠٩-٧١٤، عبد المنعم السيد: المرجع السابق، ص: ٦٠-٦٢

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص: ٦٩٠، ٦٩٩، ٧٥٩ – ٧٦٩

على عكس غيره من حكام مصر الذين سبقوه أو أتوا من بعده وهذا يخالف ما ذكره القرآن قال تعالى: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[1] (الأعراف: ١٣٧).

٣- أنجب الملك رمسيس الثاني العديد من الذكور والإناث ولم يكن فى حاجة إلى أن يتبنى موسى، كما أن زوجاته الرئيسيات لم تكن إحداهن عاقراً لا تنجب.

٤- لقد ذكر فى القرآن الكريم وكذلك فى الأحاديث النبوية الشريفة كل من امرأة فرعون وابنة فرعون وإن كان لهذا الفرعون أكثر من امرأة أو أكثر من ابنة لاختلط الأمر على المستمع أو القارىء لكل منهما ولم يكن فى استطاعته تحديد أي امرأة أو أي ابنه يقصدانها وبما أن كل من القرآن والأحاديث تتحدثان عن شخصيتين محددتين ترتبطان بأفعال وأقوال صادرة عن كل منهما لا يمكن أن تختلط مع شخصيات أخرى حتى وإن كانت تربطهم بفرعون علاقة مماثلةومن هذا نستنتج أن فرعون لم يكن له غير امرأة شرعية واحدة وباقي النسوة كن جوارٍ وإماء كما لم يكن له سوى ابنة واحده أيضا[2].

٥- كان رمسيس الثاني كاهناً لآمون وقد قام بهذا الدور فى عيد أوبت وهذا يخالف ما ورد فى القرآن الكريم الذي أكد أن فرعون اعتبر نفسه إلهاً وربّاً أعلى لقومه ولا يحق لهم عبادة غيره.

٦- زواج رمسيس الثاني بأكثر من زوجة شرعية بينما أكد القرآن أن فرعون لم يكن له سوى زوجة شرعية واحدة حيث ذكرت فى القرآن باسم «امرأة فرعون» دون تحديد اسم لها مما يفهم منه أنها كانت امرأته الشرعية الوحيدة وإلا اختلط الأمر

---

(١) القرآن الكريم سورة الأعراف:١٣٧

(٢) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ١٤٧-١٤٩

على من يقرأ القرآن فى تحديد الزوجة الشرعية التي تبنت موسى عليه السلام، وبحثت له عن مرضعة واهتمت به فى طفولته وشبابه.

٧- لم يدَّعِ الملك رمسيس الثاني الإلوهية المطلقة بل كان شخصية ورعة تقية تخشى الآلهة وتخافها وتعمل حسابها وتنفذ كل ما يرضيها وكان ذلك سبباً فى إنفاق الأموال الطائلة بسخاء لتشييد المباني التي تبجل وتعبد فيها الآلهة وإذا كان قد عُبد فهو لا يختلف عن غيره من ملوك مصر الذين عبدوا مع آلهة مصر الأخرى.

٨- إن تعدد المنشآت المعمارية التي تركها الملك رمسيس الثاني فى مختلف أنحاء مصر ليست دليلاً كافيا على أنه الفرعون الذي عاصر موسى عليه السلام كما أن الآثار السليمة الباقية لهذا الملك تجعله من أكثر ملوك مصر قاطبة تركاً لمبانٍ ومنشآت نجت من التدمير والهلاك وأن ما أصاب بقية المنشآت التي أمر بتشييدها هذا الملك من تدمير لا يرجع إلى كوارث طبيعية أو حروب أو عوامل بشرية مختلفة.

وإذا ما افترضنا أن موسى عليه السلام قد ولد فى عهد رمسيس الثاني وأنه قد تمكن هو وقومه من بني إسرائيل من الهروب إلى خارج مصر ودخلوا أرض فلسطين وكونوا تحالفاً عسكرياً ضد مصر فهل كان هذا التحالف قادراً على الصمود فى وجه الجيش المصري إبان عصر الملك رمسيس الثاني؟ والرد على هذا السؤال يجيب عليه قبول أعتى القوى العسكرية فى هذا الزمان وهي قوة الحيثيين وقف القتال مع مصر وقبول معاهدة صلح بينهما وقبولها زواج الملك رمسيس من إحدى الأميرات فى أسرتهم المالكة وتنمية العلاقات التجارية بينهما[1].

أنه لا أثر للابتلاءات التسع التي ذكرها القرآن الكريم وأشار إليها كتاب التوراة فى

(١) محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الاسكندرية: ١٩٩٣م، ص: ٢٨٥

عهد الملك رمسيس الثاني أو أي ملك من ملوك الدولة الحديثة ويتميز هذا العصر

أ- أنه كان عصر ازدهار كثرت فيه المنشآت والمباني على اختلاف أغراضها

ب- كان عصر استقرار واستتباب الأمن.

ج- لم تتوقف المشاريع الملكية ولم يعم الفوضى والاضطراب بالبلاد.

د- احتفظ الجيش المصري بقوته واستمرار السلطان المصري على بلاد الشام

عثر على بعض الرمال ملتصقة بجثمان هذا الملك واعتقد بعض الباحثين أن هذه الرمال هي من رمال ساحل بحر سوف بشرق الدلتا الذي ورد ذكره بالتوراة ولكن يرد على ذلك:

أ- أن أعمال التحنيط تتضمن عمليات كثيرة منها شق البطن لاستخراج الأحشاء وعمل فتحة بالأنف لاستخراج محتويات الجمجمة ثم غسل الجثمان غسلاً جيداً وتطهيره ثم وضعه فى محلول النطرون لمدة سبعين يوماً وهذه العمليات كافية لإزالة أي أثر للرمال التي تعلقت بجثمان فرعون حينما ألقاها البحر على ساحله.

ب- يعتقد أن هذه الرمال التي كشف عنها بعض الباحثين قد تكون التصقت بجثمان الملك رمسيس الثاني أثناء قيام كهنة الأسرة الحادية والعشرين بإعادة تحنيطه وقد اقتصر دورهم فى إعادة التكفين وإضافة بعض المواد الحافظة دون تعريض الجثمان للغسل أو التطهير باعتبار أن هذه العمليات قد سبق وأن عملها وأن إعادتها قد ينجم عنه ضرر بالغ للجثمان.

١٠- مرنبتاح:

يرى بعض المؤرخين أن الملك مرنبتاح هو فرعون الخروج ولكنه لم يغرق فى

البحر أو أي فرد من جنوده وذلك على أساس أن القرآن الكريم لم يؤكد غرقه إذ ورد به قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [1] (يونس: ٩٢) ويمكن أن تقابل فى التعبير العامي (خلص بجلده) وكذلك اعتماداً على ما ذكره كتاب التوراة من أن فرعون قد سمح لموسى وقومه بالخروج من مصر: فقال الرب لموسى الآن ننظر ما أنا فاعل بفرعون فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه» [2] (سفر الخروج:١/٦) وكذلك « **فينزل إلى جميع عبيدك هؤلاء ويسجدون لي قائلين أخرج أنت وجميع الشعب الذين فى أثرك** [3] (سفر الخروج:٨/١١).

ويفهم مما ورد فى نصوص التوراة أن موسى وقومه قد خرجوا من مصر نتيجة انشغال فرعون وقومه بوفاة الأبكار من الناس ومن البهائم فضلا عن أن قوم فرعون قد تاقوا إلى الخلاص منهم بعد أن تحولت مصر إلى خراب على حد قولهم لملكهم فرعون.

إلا أنه يمكن الرد على ذلك بأن القرآن الكريم قد أكد غرق فرعون وآله وجنوده حيث ورد به:

١- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [4] (الزخرف: ٥٥).

٢- «قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [5] (البقرة ٥٠).

٣- قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا

(١) القرآن الكريم ،سورة يونس:٩٢
(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم ،سفر الخروج:١/٦
(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم ،سفر الخروج:٨/١١
(٤) القرآن الك...

غَٰفِلِينَ ﴾[1] (الأعراف: ١٣٦).

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[2] (يونس: ٩١ – ٩٢).

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾[3] (الإسراء: ١٠٣).

٦- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾[4] (الشعراء: ٦٣ – ٦٦).

فإذا لم يكن فرعون وجنوده وآله قد غرقوا فى البحر فما هو إذن الانتقام الإلهي منهم ولماذا يَمُن الله على موسى وقومه بالنجاة إذا كان فرعون وجنوده لم يغرقوا فى البحر وإذا تحدث الله عن نجاة موسى وقومه فقد تحدث أيضاً عن نجاة فرعون ولكنه- تعالى- فرَّق بين نجاة موسى وقومه ونجاة فرعون بأن هذا الأخير لم ينج إلا ببدنه والبدن ينفى أن يكون معه الروح عكس النفس التي يمكن أن تضم الجانب المادي والروحي للإنسان ثم إذا كان هناك بقية من حياة لفرعون بعد أن أطبق عليه وعلى جنوده فرقي البحر فلماذا يقول الله لفرعون؟» الآن وقد عصيت من قبل؟ فهذا يعني أن هذا الوقت الذي تعلن فيه إسلامك هو وقت قبض روحك وإنه قد انتهى أجلك» وأنه أي الله سيثيبه عن إعلانه الإسلام بنجاة بدنه ولن يجعله طعاماً لكائنات

(١) القرآن الكريم،سورة الاعراف:١٣٦
(٢) القرآن الكريم،سورة يونس:٩٢
(٣) القرآن الكريم،سورة الاسراء:١٠٣
(٤) القرآن الكريم

البحر المفترسة ثم أن موقع العبور لم يكن ضحلاً ضحضاحاً لا يتجاوز عمقه ما بين قدمين إلى ثلاثة أقدام بل كان عميقاً ويؤكد ذلك أن كل فرق صار كالجبل الشاهق العظيم الارتفاع وقد انقسم الباحثون فى تفسير لفظ يسيريارو الوارد بلوح النصر أو لوح إسرائيل أو اللوح ذو النصين إلى فريقين أولهما: يرى أن هذا اللفظ يشير إلى بني إسرائيل وأنه أول ذكر لهم فى النصوص المصرية[1] وأنهم خرجوا من مصر فى عهد الملك مرنبتاح منتهزين فرصة انشغاله وقومه فى حروبهم ضد شعوب البحر أو بأحد الاحتفالات الكبرى أو بالابتلاءات التي أصابت الحياة فى مصر بأضرار جسيمة وأن هذا الملك قد حشد قواته المسلحة وخرج فى حملة عسكرية فى العام الثالث من حكمه للاحقتهم خارج الحدود المصرية الشرقية لإعادتهم إلى خدمته وأنه:

أ- تقابل معهم قبل دخولهم الأرض المقدسة فى فلسطين فى سهل يزريل أو جزريل وهو سهل مرج بن عامر الذي يمتد من حيفا غرباً إلى وادي الأردن وتمكن من القضاء على أكثرهم[2].

ب- بحث عنهم فى بلاد الشام ولكنه لم يجدهم فاعتقد أنهم إما هلكوا فى الصحراء بعد خروجهم من مصر أو أنهم قد تاهوا وضلوا الطريق إلى فلسطين فادّعى كتّابه أن ملكهم مرنبتاح قد قضى عليهم ولم يبق لهم بذرة.

ج- حارب مجموعة من العابيرو وإن كانوا ليسوا من ذرية يعقوب إلا أنهم فيما يبدو يتصلون بهم بصلات ووشائج القربى ولذا اعتقد كتاب الحملة العسكرية أنهم

---

(1) رشدي البدراوي: موسى وهارون عليهما السلام، من هو فرعون موسى، قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، - ص: ٦٧٢-٦٧٦

(2) Vandier.Manuel d'Archeologie. II Paris. 1955.P.714.

محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، ص: ٤٨٧-٥٠٧

من بني إسرائيل وادعوا أنه تم القضاء على نسلهم وإزالة شأفتهم أو أن الملك لم يقم بأية حملات عسكرية إلى بلاد الشام فى بداية حكمة وأنه حينما سجل الكتاب الملكيون النصر العظيم لملكهم على شعوب البحر أرادوا تفخيم هذا الانتصار فادعوا هزيمة بعض الإمارات والممالك والجماعات فى بلاد الشام(١).

أما ثانيهما: فيرى أن لفظ يسيريارو لا يشير إلى بني إسرائيل أو إلى موقع إقامتهم أو سكنهم فى بلاد الشام ويؤكد ذلك أنه قد ورد فى نصوص الملك رمسيس الثاني لفظ يسررى أو يزري وهو لفظ قريب الشبه نوعاً ما مع لفظ يسيريارو الوارد فى لوح مرنبتاح وهذان اللفظان لم يظهرا إلا خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة ثم ما لبث أن اختفيا بعدها مما يؤكد صدق كتبة الملك مرنبتاح الذين ذكروا أن ملكهم قد قضى على هذه الجماعة قضاءً مبرماً، خاصة أن الملك مرنبتاح قد حقق بالفعل انتصاراً عظيماً على شعوب البحر وتمكن من صدهم ومنعهم من دخول مصر واحتلالها.

وأنه لا مجال للافتخار على مجموعة من الناس لا يملكون قوه عسكرية أو اقتصادية كبرى كما أنه لا وطن ولا مملكة تضمهم ويعتقد أن هذه الجماعة لم تكن تتورع عن قتل وسفك الدماء والسلب والنهب وإتلاف وتدمير وحرق المساكن والمزروعات والممتلكات ويبدو أنهم كانوا يهددون بعض الممالك والإمارات الخاضعة للسلطان المصري فى بلاد الشام (٢) فضلاً عن تعرضها فيما يبدو للقوافل التجارية الخارجة من مصر أو المتجهة إليها وكان المصريون على علم بهذه الجماعة وأصلها حيث أشير إليها بضمير المفرد الغائب بدلاً من ضمير الغائب الجمع مما يؤكد أنهم سلالة رجل واحد(٣) ويبدو أن هذه الجماعة تنتمي إلى جماعات البدو التي تعتمد فى

---

(١) رمضان علي: رموز من تاريخ مصر القديمة، ص:١٤٨

(2) Hoffmeir. Israel in Egypt. P.28-31 45

(٢) رمضان على: رموز من تاريخ مصر القديمة، ص:١٤٩؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص:١٧٦

حياتها على رعى الأنعام بالصحراوات المتسعة.

ولا يعتقد أن مرنبتاح قد حارب سبطاً واحداً أو مجموعة من أسباط إسرائيل قبل دخولهم الأرض المقدسة فى فلسطين أي خلال فترة التيه لأسباب منها:

أ- أن الله ﷻ لن يخرجهم من مصر بمعجزة إلهية من عنده ثم يعرِّضهم إلى جيش قوى ليست لهم القدرة العسكرية على مقاومته أو التصدي له مما يكون فيه هلاكهم وإبادة جنسهم،خاصة أن الله قد كلفهم بحمل رسالته وهي نشر دين الإسلام بين ما حولهم من أمم وممالك مختلفة.

ب- أن الله ﷻ لن يعرّضهم أيضاً للأسر وإبعادهم عن الأرض المقدسة فى فلسطين التي وعدهم بها مما يحول فى النهاية بينهم وبين القيام بما كلفهم الله ﷻ به.

ج- إن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر قبل عهد مرنبتاح بل يمكن القول قبل عهد الملك أحمس الأول طارد الهكسوس ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة ويؤكد ذلك أنه قد ورد فى بردية إنستاسي المحفوظة بالمتحف البريطاني ما نصه «أمر آخر يا سيدي لقد انتهينا من ملاحظة مرور قبائل الشاسو التابعين لأدوم من حصن مرنبتاح حتب حر ما عت له الحياة والسعادة والصحة فى سكوت نحو برك بيثوم لأجل أن يطعموهم ويطعموا قطعانهم فى ضياع الفرعون له الحياة والسعادة والصحة وهو الشمس الطيبة لكل أرض مصر»[1].

وكان ذلك فى السنة الثامنة من حكم الملك مرنبتاح. ويفهم من هذا النص أن بني إسرائيل الذين سمح لهم حكام الهكسوس فى زمان يوسف عليه السلام بالإقامة فى

---

(1) أ.جاردنر:مصر الفراعنة،تعريب/نجيب ميخائيل،ص:٣٠٢-٣٠٣،سيد القمني: النبي موسى،الجزء الرابع،ص:٩٨٧، ١٠٠٤.

أرض جاسان التي كانت عبارة عن مراع شاسعة لرعي أنعام الهكسوس، وبنو إسرائيل قد خرجوا منها ليصبح هذا الموقع خاليا وبالتالي يمكن لبدو أدوم رعى قطعانهم بها كما أن بني اسرائيل قد ظلوا على قيد الحياة ولم يفنوا أو يبادوا خلال عصر الدولة الحديثة بل على العكس من ذلك قد تمكنوا من إقامة مملكة كبرى لهم فى نهاية هذا العصر وبداية العصر المتأخر فرضت سلطانها على كثير من ممالك وإمارات العالم القديم، كما أنهم لا يزالوا موجودين حتى يومنا هذا بينما لا نسمع شيئاً عن جماعات يسرري أو يسيريارو التي عاصرت الملك رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح.

إذا كان الملك مرنبتاح حقا هو أول حاكم مصري يذكر اسم إسرائيل على افتراض أن لفظ يسيريارو فعلاً يشير إلى بني إسرائيل،فلماذا لم يشر أسلاف هذا الملك إلى هذا الاسم فى نصوصهم والذي كان معروفاً منذ عهد فرعون موسى عليه السلام وإذا كانت ذرية يعقوب قد عرفت خلال العصر السابق لحكم مرنبتاح بأسماء أخرى فما الذي يدعو كتبة الملك مرنبتاح إلى عدم الإشارة إلى هذه الاسماء وذكر اسم آخر لم يكن معروفاً من قبل[1] خاصة وأن الكتاب المصريين القدماء كانوا يعرفون أسماء الأمم والشعوب والجماعات التي تجاورهم أو تقيم على حدود مصر وكانوا يفرقون بينها جيداً ولم يختلط الأمر عليهم يوماً، كما أنهم دوَّنوا أسماء الجماعات التي تمكنت من احتلال بلادهم وتلك التي كانت تهدد عرش مصر دون أدنى حساسية فما الذي يدعوهم إلى إغفال ذكر أسماء ذرية يعقوب عليه السلام وهم قد ذكروهم خلال العصر المتأخر بعد أن تمكنوا من إقامة مملكة كبرى لهم فى بلاد الشام وأقاموا معهم علاقات سياسية وعسكرية واجتماعية ويستنتج من ذلك أن لفظ يسيريارو لا يشير

(١) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الخامس،ص:٢-١٤

إلى بني إسرائيل، كما أنهم لم يقيموا فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة وأنهم كانوا يعيشون خلال هذا العصر داخل الأرض المقدسة فى فلسطين فى مواقع نائية بعيدة عن العمران ولم تكن تشكل أهمية اقتصادية أو إستراتيجية وكانوا يعتمدون فى حياتهم على الآبار وعلى الكلأ والعشب القليل الذي ينمو فى تلك المناطق التي تتغذى عليه قطعانهم ولم يكن لهم أي تأثير يذكر على الساحة السياسية فى بلاد الشام ولم يكونوا يشكلون تهديداً عسكريا لأحد من جيرانهم باستثناء بعض الحالات القليلة وقد ظل هذا الوضع حتى تأسيسهم مملكة إسرائيل الكبرى على يد شاؤل الذي استطاع تكوين جيش منظم قوي لبني إسرائيل وبدأ دورهم المؤثر على من حولهم من الممالك والإمارات بعد أن هيأ الله ﷻ الأوضاع السياسية فى العالم القديم وخاصة فى مصر والعراق حيث انتاب كل منهما الضعف والفرقة والانقسام[1].

أشارت نصوص الكاهن الأوجاريتي ميكلو الذي كان يعاصر أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة إلى وجود سبطين من أسباط بني إسرائيل خارج مصر وهما سبطا يهوذا وأشير، مما يؤكد أن بني إسرائيل حين خروجهم من مصر على يد موسى قد تم تقطيعهم إلى اثنى عشر سبطاً وعرف كل سبط باسم أحد أبناء يعقوب عليه السلام ولم يعد اسم بني إسرائيل حين خروجهم من مصر على يد موسى معروفاً ولم يعاد استخدامه إلا بعد توحيد الأسباط فى مملكة واحدة تجمعهم عرفت باسم مملكة إسرائيل الموحدة وبالتالي فان اسم يسيريارو الذي عرف بعد خروج بني إسرائيل من مصر لا يشير إلى ذرية يعقوب عليه السلام بل إلى قوم آخرين.

إن لفظ يسيريارو يشير إلى جماعة من جماعات شعوب البحر كانت تبحث عن

(١) نقلا [illegible] ص: ٤١٦:١٦ الكتاب [illegible]

مستقر لها تقيم فيه فى بلاد الشام أو يشير إلى جماعة من البدو كانت تقطن سهل مرج بن عامر والذي أطلق عليه كتاب التوراة أسدرالون الذي أطلق عليه أيضاً اسم يزريل أو جزريل[1].

١١- سيتي الثاني:

يرى بعض الباحثين أن هذا الملك هو الفرعون الذي خرج وراء موسى وقومه حينما عزموا على الهروب من مصر وقد لقي حتفه غرقاً فى البحر وأنه قد أثبتت الفحوص المعملية لجثته أنه مات غريقاً فى سن الشباب وهذه الجثة محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة وأنه هو الذي سمح لبني إسرائيل بالخروج فى البرية لمدة ثلاثة أيام للذبح لربهم وإلههم وأن هذا الفرعون هو الذي حدثت فى عصره الابتلاءات التسع التي أصابت أوجه الحياة فى مقر عاصمة الملك وأنه هو الذي أجرى موسى وأخوه هارون حواراً معه فى القصر الفرعوني انتهى بالاتفاق على إجراء مناظرة فى السحر بين موسى والسحرة فى مملكته وكان نتيجتها هزيمة نكراء لسحرة فرعون ونصراً عظيماً لموسى وهارون[2].

كما يرى هؤلاء الباحثون أنه ابن آسية امرأة مرنبتاح ويعد أخاً لموسى بالتبني وأنه هو الذي طارد موسى وقومه وهو الذي دفعه الله لعبور البحر خلف بني إسرائيل ويمكن الرد على ذلك من خلال نصوص والده الملك مرنبتاح والتي يتضح منها خروج بني إسرائيل من مصر قبل عصر مرنبتاح نفسه ومنها بردية أنسطاسي السادسة

---

(1) Hoffmeir. Israel In Egypt. New-York 1907.P.30-31. Kitchen. Historical Method And Early Hebrew. Tradition. Tb.17. 1966.P. 63-97

(2) E.Smith. Royal Mummies. Cairo. 1912.P.69

المحفوظة بالمتحف البريطاني التي تؤكد دخول بدو أدوم ليرعوا قطعانهم بالمراعي التي كان يستخدمها بنو إسرائيل أثناء إقامتهم فى أرض جاسان[1].

١٢- رمسيس الثالث:

يعتقد الباحثون أن الملك رمسيس الثالث هو فرعون الخروج وذلك بالاعتماد على مدة إقامة بني إسرائيل فى مصر والتي حددتها التوراة المازورية بأربعمائة عام وثلاثين ليقع الخروج ضمن فترة حكم هذا الملك وإن كانت هناك آراء أخرى تعارض أن يكون رمسيس الثالث هو فرعون الخروج وذلك لأسباب مختلفة منها[2].

١- لا دليل على وجود بني إسرائيل فى فلسطين خلال عصر هذا الملك.

٢- لم يمت الملك رمسيس الثالث غرقاً فى البحر مع جنوده ولكن بسبب مكيدة دبرت له فى القصر الملكي.

٣- لم يشر هذا الملك فى نصوصه المختلفة إلى اسم إسرائيل أو أي اسم من أسماء أسباط إسرائيل.

٤- يفترض أن بني إسرائيل كانوا خلال عصر هذا الملك فى فترة التيه حيث لا يوجد لهم أي نشاط سياسي أو عسكري.

٥- أن الفترة المتبقية من خروج بني إسرائيل فى عهده وحتى العام الرابع من عصر الملك سليمان تبلغ مئتي عام وليست أربعمائة عام وثمانين أو أربعمائة عام وأربعين.

(١) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء السادس، ص ٥٨٨.

(2) A.Al Ayedi. The Inscriptions of The Ways of Hours. Ismailia 2006.P.104

تعدد النظريات المتعلقة بالخروج وأسبابها:

اختلف الباحثون والمؤرخون فى تحديد كل من:

أ- اسم فرعون الخروج وجنسه وعصره وعما إذا كان قد غرق فى مجرى مائي أم لا.

ب- دخول بني إسرائيل إلى مصر مرة أو مرتين.

ج- خروج بني إسرائيل من مصرة مرة أو مرتين.

د- احتلال بعض ذرية إسرائيل مصر وحكمها.

هـ- مدة إقامة بني إسرائيل فى مصر.

و- طريق الخروج وموقع غرق فرعون وجنوده.

يبدو أن هذه الأسباب ترجع إلى:

١- عدم وجود نص قطعي فى القرآن الكريم أو التوراة يحدد اسم فرعون الخروج أو عصره.

٢- ندرة وجود نصوص من ممالك وإمارات الشرق الأدني القديم تشير إلى إقامة بني إسرائيل فى مصر أو خروجهم منها.

٣- تناقضات كتاب التوراة فيما دوَّنوه من تواريخ وأحداث وأسماء أفراد أو أماكن.

٤- محاولات بعض الباحثين الربط بين أسماء المواقع الواردة فى التوراة وبعض المواقع المذكورة فى النصوص المصرية القديمة.

٥- محاولات بعض الباحثين الربط بين أسماء الأفراد الواردة وبعض الأسماء المذكورة فى النصوص المصرية القديمة.

٦- الأخذ ببعض ما دوَّنه المؤرخون القدماء مثل يوسفيوس وهيرودوت وغيرهما

مأخذ الجد رغم ما فى رواياتهم من تناقضات ومبالغات.

٧- قيام المؤرخين المحدثين بتقديم أو تأخير التواريخ المذكورة فى التوراة ليتمشى ذلك مع توجهاتهم وآرائهم فضلاً عن تفسيراتهم الشخصية لبعض ما ورد فى القرآن والتوراة.

٨- عدم العثور على نصوص مصرية قديمة ترجع إلى كل من عصر الاضمحلال الثاني أو عصر الدولة الحديثة تتناول حياة بني إسرائيل فى مصر.

٩- لم يترك -الهكسوس الذين سمحوا لبني إسرائيل بالانتقال من أرض كنعان إلى أرض مصر ليعيشوا فى كنفهم- نصوصاً تتناول العلاقات فيما بينهما.

■■■



الفصل السادس

بنو إسرائيل بعد الخروج

- أولا – طلب عبادة الأصنام.
- ثانيا – تقطيعهم إلى اثنى عشر سبطا.
- ثالثا- طلب الطعام والشراب.
- رابعا- زيارة حمي موسى لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر.
- خامسا- عبادة العجل.
- سادسا- طلب رؤية الله.
- سابعا- إنزال الشريعة وأخذ الميثاق.
- ثامنا- تشييد المباني الدينية.
- تاسعا- رفض دخول الأرض المقدسة.
- عاشراً- حادثة القتل المجهول فاعلها والكشف عنه.
- حادي عشر- لقاء موسى بالخضر.

- ثاني عشر- صائدو الحيتان المخالفون لشرع الله ومسخهم إلى قردة.
- ثالث عشر- الحروب.
- رابع عشر- خطب الوداع الثلاث.
- خامس عشر- دخول الأرض المقدسة.
- سادس عشر- كيف يكون بنو إسرائيل ملوكا قبل دخولهم الأرض المقدسة؟.
- سابع عشر- علاقة أسماء الأفراد والأماكن الواردة بالقرآن الكريم والتوراة بالمصريين القدماء.





بنو إسرائيل بعد الخروج

أولا: طلب عبادة الأصنام

رغم أن لم يمض إلا ساعات أو أيام قلائل على عبور بني إسرائيل بحر خضم عظيم الاتساع سحيق القاع تحتشد فى مائه بعض الكائنات المتوحشة ذات القدرة على افتراس غيرها مما يقابلها من كائنات ضعيفة حيث أنجاهم الله بقدرته وعظيم آياته من الغرق فى هذا البحر بينما أغرق أمام أعينهم عدوهم الذي كان يذيقهم سوء العذاب ويذلهم ويسخرهم فى أعماله الشاقة وجعلهم أحراراً لا سلطان لغيرهم عليهم – إلا إنهم نسوا فضله وجحدوا ما آتاهم وما أنعم عليهم حيث أنهم بمجرد أن قابلوا فى طريق خروجهم قوماً يعكفون على عبادة أصنام لهم طلبوا من نبيهم موسى أن يجعل لهم أصناما يعبدونها كما يعبد هؤلاء أصناماً لهم.

وقد حدث هذا ويعيش فى وسطهم نبيان كريمان لهما منزله رفيعة عند الله وهما لم يدخرا وسعاً فى تفهيمهم قدرات وآيات ربهم وبيان عقم عبادة الأصنام وأنها عبادة لم يتزل الله بها من سلطان إلا أنهم أصروا على عبادة غيره من الآلهة التي وجدوا غيرهم من الأقوام يعبدونها وخاصة قبائل الهكسوس[1] الذين كانوا يعيشون فى كنفهم فى مصر، ورغم أن موسى سفّههم وقال لهم إنكم قوم تجهلون إلا أنهم بمجرد أن غاب نبيهم هذا عنهم فى مهمة دينية ارتدوا على أعقابهم وقاموا بعبادة عجل جسد له خوار صنعه لهم السامري فظلوا له عاكفين حتى عاد إليهم

(1) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، ص: ٩٨٧

موسى الذي قام بنسفه في اليم.

ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (1) (الأعراف:١٣٨).

ثانياً: تقطيع بني إسرائيل إلى اثني عشر سبطاً

أكد القرآن الكريم على أن أولاد يعقوب عليه السلام الذين دخلوا معه مصر بدعوة من يوسف عليه السلام وموافقة من الملك الحاكم في مصر أطلق عليهم الأسباط، كما أطلق أيضاً على ذريتهم التي خرجت مع موسى عليه السلام أما الأسباط الذين يقصد بهم أخوة يوسف فكانوا أنبياء يوحى إليهم وتَمثَّل دورهم في دعوة أهلهم ثم قبائل الهكسوس الذين يعيشون معهم خاصة أن يوسف كان مشغولا في أمور إدارية تتعلق بجمع الحبوب وتخزينها وتوزيعها على الناس.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(2) (آل عمران:٨٤).

أما ذرية إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام فقد قطَّعهم الرب إلى اثنى عشر أسباطا أمماً وأصبح لكل سبط ملكاً يحكمه ويكون مسؤولاً عنه وظلوا على حالهم هذا حتى دخلوا الأرض المقدسة ثم اتحدوا مع بعضهم البعض تحت قيادة ملكهم شاؤل وكوَّنوا مملكة إسرائيل الكبرى ثم ما لبثوا أن انفصلوا في مجموعتين شكلت إحداهما مملكة إسرائيل وتألفت من عشرة أسباط بينما تألفت مملكة يهوذا من سبطين فقط.

---

(١) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٣٨

(٢) القرآن الكريم:سورة آل عمران:٨٤

وقد ورد ذكرهم أيضاً فى القرآن الكريم ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] (الأعراف: ١٦٠).

ويعتقد أن أسباب التقطيع ترجع إلى[2]:

١- تمهيداً لدخول الأرض المقدسة وسكني كل سبط الأرض المحددة له سلفاً.

٢- تسهيل تلبية طلبات كل سبط والتعرف على احتياجاته والاهتمام بشأن جميع أفراده.

٣- فض المنازعات التي تنشب بين أفراده فيرضون بالأحكام وينفذونها بعكس إن صدرت أحكام ضدهم من أفراد ينتمون إلى أسباط أخرى.

٤- إمكانية توزيع الطعام والشراب عليهم.

ثالثاً: طلب الطعام والشراب

يعتقد أن بني إسرائيل قد أقاموا فى منطقة طور سيناء بعد عبورهم البحر بفضل معجزة إلهية أيد بها موسى ولكن يعترض بعض المؤرخين على أن موسى قد أقام بقومه فى هذا المكان لأسباب منها[3].

أ- عدم صلاحية هذه المكان للسكني الآدمية.

ب- عدم توافر أسباب الحياة من الطعام والشراب.

---

(١) القرآن الكريم:سورة الأعراف: ١٦٠

(٢) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثالث،ص: ٥٢٠

(٣) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثالث،ص: ٩٨٠

ج- لا يرتاده أحد من الناس لكونه موقعاً لا يشجع على الإقامة فيه ولو لفترة محدودة ويفهم مما ورد فى القرآن الكريم أن بني إسرائيل قد أقاموا بهذا المكان إذ جاء به ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾[1] (طه:٨٠).

ويبدو أن السبب الرئيسي وراء اختيار موسى لهذا المكان أنه كما سبق القول لا يرتاده أحد من الناس وأنه يعد مكاناً للاختباء والحماية من ملاحقة قوم فرعون لهم للانتقام لمقتل ملكهم وأولادهم غرقاً فى البحر.

ومما يؤكد أن هذا المكان هو الذي أقام فيه بنو إسرائيل لفترة من الزمان أن الله ﷻ كما تشير الآية السابقة قد أنزل عليهم المن والسلوى، وإذا افترضنا أنه كان يتوافر فيه الطعام الذي يكفيهم لم يكن ينزل الله عليهم من المن والسلوى كما أنهم لن يفكروا فى طلب الطعام من موسى.

ومن الآيات القرآنية التي تدل على تكفل الله بطعام بني إسرائيل ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾[2] (سورة طه: ٨٠).

أما كتاب التوراة فذكروا (... فكلم الرب موسى قائلاً: سمعت تذمر بني إسرائيل كلمهم قائلاً فى العشيه تأكلون لحماً وفى الصباح تشبعون خبزاً وتعلمون أني أنا الرب إلهكم) [3] (الخروج:١٦/١).

وفى المساء كانت تأتيهم السلوى وهي طيور السمان فكانوا يصطادونه ويذبحونه ويطهونه ويأكلونه وكانت تأتيهم يوم الجمعة أعداد مضاعفة من طيور السمان لأن

---

(١) القرآن الكريم:سورة طه:٨٠

(٢) القرآن الكريم:سورة طه:٨٠

(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج: ١/١٦

الله قد منع صيدها يوم السبت، كما كان الله ينزِّل المنَّ فى الصباح الباكر مع سقوط الندى وهو شيء أبيض يشبه الدقيق وكانوا يصنعون منه خبزاً يتشابه مع الرقاق بالعسل وكان يأتيهم يوم الجمعة مضاعفاً.

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد نوعية المن والسلوى فمنهم من اعتبرهما من الشراب ومنهم من اعتبر أن المن من الشراب أو أنه كان فى شكل حبوب تطحن بالرحى أو تدق بالهاون ويطبخ فى قدور ويصنع منه خبز ومنهم من اعتبر السلوى هي طيور السمان التي تكثر فى سيناء[1].

وأن الله قد أمد بني إسرائيل بهذا الطعام للمحافظة على ما عند بني إسرائيل من ثروة حيوانية حيث أنها لو نفدت لماتوا جوعاً وعطشاً فإلى جانب المن والسلوى كانوا يعيشون على ألبان الماشية والأغنام ومنتجاتها.

ومما يؤكد أن كلاً من المن والسلوى طعام وليس شراباً أنهما ارتبطا بالأكل بينما السقاية ارتبطت بالأكل ثم الشراب وهو وضع طبيعي فالإنسان يأكل ثم يشرب ولا يشرب فقط ويمتنع عن تناول الطعام لما فى ذلك من أضرار صحية إلا أن بني إسرائيل بعد مرور فترة زمنية أصبحوا يعافون المن والسلوى ولا يميلون إليهما حيث ورد بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ...﴾[2] (البقرة:٦١).

وقد رد عليهم نبيهم موسى بأن الطعام الذي رزقهم به ربهم أفضل من الطعام الذي عرفوه فى مصر ولذا قال لهم على سبيل التوبيخ والتذكير بفضل الله عليهم

(١) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع،ص:٩٧٨-٩٨١

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:٦١

اهبطوا مصر فإن لكم فيها ما سألتم، ومن الآيات القرآنية التي تكشف عن موقف موسى من قومه فيما يخص طعامهم ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ...﴾ [1] (البقرة:٦١) ولا مجال إلى اعتبار أن مصر هنا ليس البلد الذي أقاموا فيه لأن بني إسرائيل تتحدث عن طعام محدد كانوا يأكلونه في مصر أثناء إقامتهم بها وأنهم لم يقيموا في مكان آخر ينبت فيه هذا الطعام كما أن لفظ اهبطوا الذي قاله موسى لقومه أثناء إقامتهم في سيناء يحدد أن أقرب بلد إليهم يمكن الهبوط إليه هي مصر أرض النيل.

ويذكر كتّاب التوراة «... فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن» [2] (العدد:١١/١٠٤).

ولم يصدق موسى أن الله سيطعم هذا العدد الكبير من بني إسرائيل من لحوم السمك والأبقار فقال له الرب: « فقال الرب هل تقصر يد الرب، الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا» [3] (العدد١١/١-٣).

وقد طلب بنو إسرائيل من نبيهم موسى السقاية وخاصة بعد أن تمكنوا من عبور البحر إلى برية شور وبعد مسيرة ثلاثة أيام فيها وصلوا إلى ماء ولكن لم يستطيعوا أن يشربوا منه لأن به مرارة فتذمر الشعب وتمكن موسى بتوجيه من ربه من تحويل ماء ماره الذي يتميز بمرارته إلى ماء عذب،حيث تحدث كتاب التوراة عن هذا الحدث

---

(١) القرآن الكريم:سورة البقرة:٦١

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر العدد:١١/ ١١٤

(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر العدد:١١/ ١-٣

فقالوا «ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور فساروا ثلاثة أيام فى البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر لذلك دعى اسمها مارة فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب فصرخ إلى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها فى الماء فصار الماء عذباً (خروج:١٥/٢٦).

وحينما وصل بنو إسرائيل إلى (إيليم) وهي عيون موسى حالياً خاصم الشعب موسى وطلب ماء للشرب فقد ذكر كتّاب التوراة هذا الحدث « خاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء للشرب فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني.. لماذا لا نجرب الرب وعطش الشعب إلى الماء وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا لتميتنا وأولادنا ومواشينا من العطش» [1] (خروج:١٧/١-٧).

بينما ورد فى القرآن الكريم ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2] (البقرة:٦٠).

ويبدو أنه قد وزعت العيون الاثنى عشر على أسباط إسرائيل فى أربعة نواح مختلفة ثلاثة أعين فى كل ناحية.

رابعاً: زيارة حمى موسى لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر

أشار كتاب التوراة إلى هذه الزيارة حيث سجلوها ضمن نصوص التوراة فى سفر الخروج وهي على الوجه الآتي « وأتى يثرون حمو موسى وابناه وامراته إلى موسى فى البرية وقص موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمشقة التي أصابتهم فى الطريق ففرح يثرون وقال مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين ومن فرعون

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج: ١٥/٣٢.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: ٦٠.

وأخذ يثرون محرقة وذبائح قربانا وشكراً[1] (خروج:١٨).

وأثناء إقامة يثرون مع موسى لاحظ أنه يقضى جزءاً كبيراً من يومه فى فض المنازعات التي تنشب بين أفراد كل سبط فضلاً عن الأسباط مع بعضها البعض ولذا عرض يثرون بعض نصائحه على موسى والتي قبلها لما فيها من توفير الوقت الكافى لتعريف شعبه فرائض الله وشريعته وكذلك الرد على الأسئلة التي يطرحها عليه هذا الشعب والتي تتعلق بأمورهم الدينية ومن أهم هذه النصائح[2].

أ- الاقتصار على تعليم بني إسرائيل أمور الدين والشريعة.

ب- الاقتصار على فض المنازعات المعضلة.

ج- اختيار كل ذي قدرة من قومه وجعلهم رؤساء على الشعب فقد تم اختيارهم على أسس دينية ومنها شدة التدين والتقوى والصلاح والخوف من الله والأمانة والابتعاد عن سوء الأخلاق وخاصة قبول الرشوة أو الظلم أو المحاباة وغير ذلك وكان من ضمن اختصاصاتهم الفصل بين الناس فى المنازعات الصغيرة والعادية.

خامساً: عبادة العجل

إن عبادة العجول كانت منتشرة بين شعوب العالم القديم منذ عصور مبكرة واستمرت حتى العصرين اليوناني والروماني بل حتى يومنا هذا وقد أُلِهت فى بلاد الهلال الخصيب وفى بعض بقاع شبه الجزيرة العربية فضلاً عن وادي النيل، حيث قدس المصريون الأبقار والثيران على حد سواء وأطلقوا عليها أسماء مختلفة منها حاتحور ومنفيس وأبيس ومونتو وبوخيس وغيرها وقد ورد بأقدم النصوص الدينية

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٨

(٢) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٩٨٤

فى مصر القديمة وهي متون الأهرام الفقرة أربعمائة وسبعين « أن ثور رع ذا القرون الأربعة يحرس السماء»[1] وقد قال كُتَّاب التوراة أنه حينما صدر الأمر الإلهي لموسى بالخروج من مصر طلب من قومه أن يستعيروا من المصريين بعض حليهم وأدواتهم الثمينة على أن يعيدوها إليهم بعد انتهاء طقوسهم فى البرية ولكنهم فى حقيقة الأمر قد عزموا على الخروج بها من مصر ولما عبر موسى وقومه البحر وأقاموا فى سيناء لبعض الوقت فقد خرج موسى للقاء ربه لمدة شهر ثلاثين يوماً ولكن الله أتمها بعشر لتكون أربعين يوماً وهنا أخرج بنو إسرائيل الحلي التي سرقوها من المصريين وأعطوها إلى هارون عليه السلام -وذلك على حد قول كُتَّاب التوراة- ليصنع لهم منها عجلاً يتخذوه إلها لهم، إلا أن الله فى قرآنه العظيم قد برَّأ هارون من هذه التهمة وكشف أن من قام بها هو السامري إذ ورد بالقرآن الكريم ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[2] (طه:٨٧-٨٨).

أما بالنسبة إلى إتهام كتَّاب التوراة لموسى النبي بأنه هو الذي أشار على قومه باستعارة بعض حلى المصريين أثناء خروجهم فهو اتهام باطل ولا يمكن أن يقع فيه موسى حتى ولو كان ذلك بدافع التمويه والتستر على عملية خروجهم لأن فى ذلك انتهاكاً للشريعة الإلهية والمتمثل فى عدم رد الأمانة فضلاً عن الكذب، وقد أكد القرآن براءة موسى من هذا الاتهام حيث أكد أن هذه الحلي خاصة ببني إسرائيل الذين قاموا باقتنائها أثناء إقامتهم فى مصر منذ عهد يوسف وقبل أن يحل بهم

---

(١) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٩٩٤-١٠٠٦

(٢) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٩٨٤

القتل والتعذيب والتسخير على يد فرعون وقومه[1] فقد ورد بالقرآن[2] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3] (البقرة: ٥١ – ٥٣)

وحينما خرج موسى النبي لميقات ربه جعل أخاه ووزيره هارون يخلفه على بني إسرائيل حيث جاء بالقرآن» قوله ﴿ ...ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[4] (الأعراف: ١٤٢)

وبعد أن تبين لهارون أن قومه فتنوا بعبادة العجل نصحهم بألا يعبدوا غير الله وأن يطيعوا أمره » قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[5] (طه: ٩٠ – ٩١).

وبعد انتهاء فترة لقاء موسى مع ربه عاد إلى قومه فوجدهم عاكفين على عبادة العجل ويظهر القرآن ذلك فى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6] (الأعراف: ١٥٠).

وقد توجه موسى إلى أخيه هارون ليسأله عن عدم اتخاذ موقف حازم مع الذين

---

(١) القرآن الكريم:سورة طه:٨٧-٨٨

(٢) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٩١٩ – ٩٢٠

(٣) القرآن الكريم:سورة البقرة:٥١ – ٥٣

(٤) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٤٢

(٥) القرآن الكريم:سورة طه: ٩٠-٩١

(٦) القرآن الكريم

عبدوا العجل من دون الله إلا أن هارون رد عليه قائلاً طبقاً لما أورده فى قرآنه الكريم: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[1] (طه: ٩٤) ثم توجه موسى إلى السامري وسأله عما دفعه إلى ذلك فقال طبقاً لما أورده عز وجل فى قرآنه الكريم: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾[2] (طه: ٩٦) فقال له موسى حسب ما أورده رب العزة فى كتابه الكريم ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ... ﴾[3] (طه: ٩٧).

ويذكر المفسرون أن السامري قد مرض بمرض عضال فلا يكاد يمس أحداً أو أحد يمسه إلا حُمّ من ساعته حمى شديدة فتحاشاه الناس وكذلك تحاشاهم وكان يصيح بأعلى صوته لا مساس أي لا تمسوني وتلافى الناس لقاءه ومكالمته ومؤاكلته ومبايعته وغير ذلك مما يعتاد جريانه بين الناس من المعاملات ثم ما لبث أن أخذ موسى هذا العجل الذي صنعه السامري لقومه وقام بحرقه ثم طحنه وحوله إلى رماد ثم نسفه وذراه فى البحر حتى لا يبقى منه أثر وأكد القرآن ذلك فى قوله تعالى: ﴿ ...وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾[4] (طه: ٩٧).

ولقد قيل إن هذا النسف كان فى نفس موقع غرق فرعون وجنوده باعتباره مكانا يضم رموز الشرك والكفر بالله تعالى على خطئهم فقد ورد بالقرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا

(١) القرآن الكريم: سورة طه: ٩٤

(٢) القرآن الكريم: سورة طه: ٩٦

(٣) القرآن الكريم: سورة طه: ٩٧

(٤) القرآن الكريم: سورة طه: ٩٧

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [1] (الأعراف: ١٤٩).

ولما طلب بنو إسرائيل التطهر فيما وقعوا فيه من خطيئة والتي تمثلت فى ردتهم إلى الكفر بعد الإيمان وذلك بقتل أنفسهم جزاءً لظلمهم أنفسهم وقد أشار الله عز وجل إلى ذلك فى قوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ... ﴾ [2] (البقرة: ٥٤).

فلما استسلم عبدة العجل للقتل تنفيذاً لأمر ربهم وهلك منهم الكثير رفع عنهم القتل وأخبر موسى من قتل احتسب شهيداً عنده وهو حي يرزق فى جنات عدن ومن لم يقتل فقد تاب عليه وقبل توبته ويتضح عفو الله عن بني إسرائيل بعد عبادتهم للعجل فى بعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [3] (البقرة: ٥٤).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ ..ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ [4] (النساء: ١٥٣).

وقد أشار كتَّاب التوراة إلى العقوبة التي أنزلها الرب على من عبدوا العجل من بني إسرائيل وكيفية تنفيذها فقالوا إن بني لاوي هم الذين أوكل إليهم قتل عبدة العجل: « وقف موسى فى باب المحلة وقال من للرب فإلي فاجتمع إليه جميع بني لاوي. فقال لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب فى المحله واقتلوا كل واحد أخاه (أي حتى لو كان أخاه)

---

(١) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٤٩

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:٥٤

(٣) القرآن الكريم:سورة البقرة:٥٤

(٤) القرآن الكريم:سورة النساء:١٥٣

وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه (أي حتى لو كان صاحبه أو قريبه) ففعل بني لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة ألف رجل»[1] (سفر الخروج:٣١/٢٦-٢٨).

سادساً: طلب رؤية الله

طلب موسى عليه السلام من ربه أن يُريه هيئته وصورته فقال له الله ﷻ انظر يا موسى إلى الجبل فإن وجدته مستقراً في مكانه وبقي على حاله فإنك ستراني فلما تجلى للجبل تفتتت قمته وصارت تراباً مدكوكاً وخر موسى مغشياً عليه فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك.

وقد أكد هذا الحدث كل من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فضلاً عن كتاب التوراة أما في القرآن الكريم فقد ورد قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣ ﴾[2] (الأعراف: ١٤٣).

بينما ورد في الأحاديث الشريفة « عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأرفع رأسي فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أصعق فيمن صعق فأفاق قبلي أم حوسب بصعقته الأولى أو قال كفته صعقته الأولى»[3].

وورد عن ابن عباس قوله أن موسى عليه السلام أخذته الغشية من عشية يوم الخميس

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر الخروج:٣١/٢٦-٢٨

(٢) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٤٣

(٣) تفسير القرطبي:الجزء السابع:ص:٢٧٩؛ الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر الخروج:٣٤/٥

إلى عشية يوم الجمعة فلما أفاق قال سبحانك وتاب إلى الله عن إقدامه على سؤال الرؤيا بينما أورد كتاب التوراة « فقال موسى أرني مجدك قال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش وقال الرب هو ذا عندي حل فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك فى نقرة فى الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى... فنزل الرب فى السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف غافر الإثم والمعصية والخطية فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد» [١] (خروج ١٨/٣٣، ٥/٣٤).

كما طلب الملأ الذين أخذهم موسى من بني إسرائيل والبالغ عددهم سبعين رجلاً للاعتذار إلى الرب عن عبادة بعض بني إسرائيل للعجل وطلب المغفرة لجميع بني إسرائيل رؤية الله ﷻ- خاصة بعد أن جاءهم موسى وبشرهم بأن الرب قد تاب على بني إسرائيل فأبوا أن يصدقوه إلا بعد أن يروا الله جهرة لأن ذلك هو الدليل الوحيد على صدقه أمامهم، وقد أكد القرآن الكريم هذه الأحداث فى بعض آياته ومنها قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٢] (البقرة: ٥٥ – ٥٦).

وقبل أن يخبرهم موسى باستحالة هذا الأمر لأنه بنفسه سبق وأن طلب من ربه ما طلبوه منه وأن الله بالتجربة العملية أكد له استحاله رؤيته وأن رؤيتهم لله يعني هلاكهم وفنائهم فإذا كان الجبل العظيم الاتساع والارتفاع قد صار دكاً فما بال أجسادهم الضعيفة. إلا أن الله تجلى للجبل مرة أخرى فأخذتهم الرجفة وماتوا

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج: ١٨/٣٣، ٥/٣٤.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: ٥٥-٥٦

...قومهم ولحظتهم. وهنا تضرع موسى لربه وقال: لو شئت لأهلكتهم قبل أن نخرج للميقات وأهلكتني معهم ويبدو أن موسى قد أحس أنه إذا عاد إلى قومه بدون من معهم من بني إسرائيل سيتم اتهامه بقتلهم وهنا يقول موسى لربه «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا» قاصداً أولئك الذين طلبوا رؤيته جهراً من الجماعة التي جاءت معه للاعتذار عن ذنب صدر من قومهم فإذا هم يقعوا فى ذنب آخر ويشير القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) ﴾ [(١)] (الأعراف: ١٥٥).

وقد استجاب الله لدعاء موسى وتضرعه فأحياهم ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [(٢)] (البقرة: ٥٦) ويؤكد كُتَّاب التوراة بأن هؤلاء السبعين رجلاً رأوا الله « ثم صعد موسى وهارون وتاداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل» [(٣)] (خروج: ٢٤).

ولكن هذا لا يتفق مع بعض ما أورده القرآن الكريم وأيضاً لا يتفق مع ما أورده كتاب التوراة ومنها « لأن الإنسان لا يراني ويعيش» [(٤)] (خروج: ٢٣/ ٢٠).

كما أكد كتَّاب التوراة أن بني إسرائيل قد رأوا الله وسمعوا صوته بدون طلب منهم ولم يحدث لهم كما حدث لموسى لأنهم لم يتعدوا حدود الجبل إذ ورد بالتوراة أن الله قد أمر موسى بأن يطلب من قومه أن يتطهروا لمدة يومين وفى اليوم الثالث

(١) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٥٥
(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:٥٦
(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:٢٤
(٤) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:٢٣/ ٢٠

ينزل الرب أمام أعينهم « وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جداً فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت، ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى، فقال الرب لموسى انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون فقال موسى للرب لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء لأنك أنت حذرتنا قائلاً أقم حدوداً للجبل نفسه[1].

سابعاً: نزول الشريعة وأخذ الميثاق

أنزل الرب مجموعة الشرائع والأحكام والوصايا على موسى عليه السلام لتنظيم حياة بني إسرائيل وقد أتسمت بكثرة محرماتها وتعدد تقديم القرابين وتعدد مسببات النجاسة والتشدد فى بعض أحكام المعاملات ويرجع السبب الرئيسي وراء ذلك إلى ظلمهم وغيهم وصدهم عن السبيل.

فقد حُرّمت عليهم كثير من حيوانات وطيور البر وكثير من كائنات البحر أو أجزاء منها كما حرم عليهم العمل يوم السبت كما تعددت مسببات النجاسة سواء التي تنتج عن إفرازات جسدية كالمني ودم الحيض وإفرازات النفاس بعد الولادة أو ملامسة الحيوانات المحرمة أو الجثث أو الإصابة ببعض الأمراض،كما أوجبت عليهم تقديم القرابين فى وجوه كثيرة للتطهر من الخطايا أو الآثام للأفراد أو الجماعات أو فى الأعياد والمناسبات على اختلاف أنواعها أما القرابين المقدمة من منتجات الأرض كالحبوب فكانت تقدم خبزاً، وكانت حيوانات القرابين يقتصر

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١٩/٩

ذبحها وتقديمها على كهنة بيت الرب وكان أغلبها يحرق ولا يستفاد منه الناس[١]
كما كان يعاقب بالقتل كل من يضرب أو يشتم أباه وأمه أو من سرق إنساناً وباعه
وتشديد العقوبة على الأخطاء التي يقع فيها الإنسان نتيجة للسهو أو النسيان أو
الحلف الطائش أو اغتصاب الودائع والأمانات ومن الوصايا التي ألزمهم الرب بها
كشرط لقيام العهد بينه وبين بني إسرائيل حتى يصيروا شعب الله « أنا الرب إلهك
لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ولا تسجد لهن ولا
تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد آثام الآباء فى البنين حتى الجيل الثالث
والرابع، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ،اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل
وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، أكرم أباك وأمك، لا
تقتل، لا تزن،لا تسرق، لا تشهد على قريبك، ولا تشته امرأه قريبك ولا عبده ولا أمته
ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك» [٢] (الخروج:٢٠) ولم يطق بنو إسرائيل
هذه الشرائع والأحكام ولم يستطيعوا تحملها، ولم يلتزموا بها وقاموا بمخالفتها ولذا
أمر الرب جبريل برفع الجبل فوقهم حتى كاد أن يقع عليهم فيهلكهم وتيقنوا أنهم إن
لم ينفذوا أحكام الشريعة فسيسقط الجبل عليهم وتعد معجزة من الله لهم ليمتثلوا
لأوامره وكانت علامة قبولهم لميثاق ربهم وإقرارهم له هو السجود له ويتضح ذلك
مما ورد فى القرآن الكريم حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا
أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٣] (الأعراف: ١٧١)
وكذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ

---

(١) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:١٠٢٨-١٠٣٦
(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١١، ٢٢
(٣)

﴿وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا..﴾[1] (البقرة: ٩٣).

ويرى بعض المفسرين أن جبريل عليه السلام لم يرفع الجبل فوقهم وإنما حدث زلزلة للجبل وكاد ينهار جزء منه فوقهم وأيقنوا أنه لا مفر ولا مهرب من سقوطه فوقهم فسجدوا فأنجاهم الله من سقوطه فوقهم وذلك على أساس أن رَفْع جبريل الجبل فوقهم فيه إكراه والقاعدة فى دين الإسلام كما ذكرها سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ..﴿٢٥٦﴾﴾[2] (البقرة: ٢٥٦).

بينما يرى البعض الآخر أن رفع الجبل فوقهم لا يعني إكراهاً ولكن يعني تخويفاً لبني إسرائيل حيث يقول الله ﷻ فى قرآنه ﴿...وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[3] (الإسراء: ٥٩).

ولقد كانت التكاليف والتشريعات على بني إسرائيل كما سبق القول شاقة وصعبة التنفيذ ولم تستطع الغالبية العظمى منهم الالتزام بها وكان السبب فى تشديد الله على بني إسرائيل أنهم قد خالفوا أوامره وأظهر أكثرهم الكفر والشرك به أكثر من مرة فهم بعد خروجهم من مصر مباشرة طلبوا عبادة الأصنام ثم بعد أن استقروا مؤقتاً إذ هم يعبدون العجل ثم بعد ذلك يرفضون دخول الأرض المقدسة ثم يتحايلون على شريعته وأحكامه ويقتلون بعضهم بعضاً ولا يتورعون عن إتيان المنكرات إذا ما سنحت الفرصة لهم [4].

---

(١) القرآن الكريم:سورة البقرة:٩٣

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة:٢٥٦

(٣) القرآن الكريم:سورة الاسراء:٥٩

(٤) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٩٧٥- ٩٩٤

ثامناً: تشييد المباني الدينية

كان عدم استقرار بني إسرائيل فى مكان واحد سبباً فى تشييد بيت العبادة من مواد بناء خفيفة من بينها الخشب والحصير والأقمشة والجلد والمعدن بحيث كان من الممكن فكه وحمله أثناء الانتقال والارتحال وإعادة بنائه فى موقع الإقامة الجديدة ومن أهم أقسام بيت العبادة.

١- الخيمة[٥]:

كانت تشتمل على المسكن المخصص للرب والمَقْدسَ وتابوت العهد أو الشهادة أما المسكن فقد شيد من البوص المبروم كالحصير الملون بلون شديد الزرقة بالإضافة إلى ألواح من خشب السنط للسقف، وغطيت جميع الألواح برقائق من الذهب وجهزت ألواح الجوانب بقواعد من فضة لترتكز عليها وينقسم المسكن إلى المقدس وقدس الأقداس ويفصلهما حجاب صنع من بوص مبروم كالحصير ملون بلون أزرق ويحمله أربعة أعمدة مطلاة بالذهب ويحتوي المقدس على المنارة التي تتكون من عمود أوسط يرتكز على قاعدة ويتشعب منه ثلاث شعب مقوسة ينتهي كل منها بسراج ومائدة خُبز الوجوه التي صنعت من خشب السنط وغطيت برقائق الذهب النقي وكانت مجهزة بعصوين للحمل. بينما صنع مذبح البخور من خشب السنط أيضاً وغطى بصفائح من الذهب وجهز بعصوين للحمل كذلك.

ويعد تابوت العهد الآثاث الوحيد الذي وضع فى قدس الأقداس وقد أشار إليه القرآن بأن فيه سكينة من الله وحفظ بداخله بقية ما ترك آل موسى وهارون وكانت تتكفل الملائكة بحمله وقد صنع هذا التابوت موسى عليه السلام من خشب السنط بتوجيه

---

(٥) رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص: ١٠٠٧ – ١٠٠٨

ووحي من الله وكان من أهم ما حفظ به عصا موسى وعصا هارون والألواح.

أما المغسلة فصنعت من النحاس وكان يوضع بها ماء لغسل الأيدي والأرجل[1]

وقد بنى موسى مذبحاً بجوار الجبل الذي تلقى على سفحه الوحي الإلهي وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا للرب ذبائح سلامة من الثيران فأخذ موسى نصف الدم ووضعه فى الطسوس ونصف الدم الآخر رشه على المذبح.

٢- المذبح الكهنوتي (مذبح المحرقة) [2]

وكان يوضع فى أول الفناء بعد المدخل الرئيسي وقد صنع من خشب السنط وكسي بصفائح من نحاس وجهز بقرون من خشب مكسي بالنحاس ثبتت بزواياه الأربع، وهو مجوف من الداخل وعلق به عند منتصفه شبكة من النحاس لوضع النار عليها وشبكة من أعلاه لوضع القرابين وجهز المذبح بأربع حلقات معدنية كان يولج بها قضيبان من خشب السنط المغطى بالنحاس لحمله ومن ملحقات المذبح القدور والمناشل والمجامر والمراكن.

تاسعاً: رفض دخول الأرض المقدسة

أمر الله ﷻ موسى وقومه بدخول الأرض المقدسة فلسطين ويشير إلى ذلك ما ورد فى القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [3] (البقرة:٥٨).

وذلك بعد أن أخرجهم من الأرض التي كان فرعون وقومه يسومونهم فيها سوء العذاب ويذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم كما أنه أراد أن يجعل بني إسرائيل

(١) رشدي البدراوي:المرجع السابق،ص:١٠١٧

(٢) المرجع السابق،ص:١٠١٥-١٠١٧

(٣) القرآن الكريم:سورة البقرة:٥٨

أمة ويجعلهم الوارثين للأرض المقدسة وقد قام موسى بتدريب وإعداد كل قادر على حمل السلاح من قومه على فنون القتال حتى أصبحت قواته العسكرية تسمح بمحاربة وهزيمة القوم الجبارين الذين لا يؤمنون بالله والذين يفرضون سيطرتهم على الأرض المقدسة وهنا أرسل موسى اثنى عشر نقيباً إلى بلاد الشام لاستطلاع أحوالها من حيث أعداد قواتها وحصونها ومواطن الضعف فيها وما بها من خيرات وأرزاق إلا أنه قد استعظم على عشرة من هؤلاء النقباء قوة الممالك والدويلات التي تجسسوا عليها وأدخل الشيطان فى روعهم استحالة دخولها وأن مصيرهم الموت إذا ما حاولوا دخولها وبعد عودتهم أخذ كل منهم يهول ما رآه من قوة عدوهم وجبروته فتخاذلوا وحل بهم الوهن والضعف أما بقية النقباء وهما رجلان قد أنعم الله عليهما بقوة الإيمان ومخافته قد وقفا موقفاً مغايراً، لم يشر القرآن إلى اسميهما بينما حدد كتّاب التوراة اسم كل منهما وهما يشوع بن نون وكالب بن يفنه فقد حث كل منهما سبطه على القتال فى سبيل الله وأكدا أن الانتصار سيكون حليفهما بإذن الله حيث ورد بالقرآن على لسان كل منهما « قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] (المائدة: ٢٣).

إلا أن قومهما قد قاموا بتمزيق ثيابهما ونهر كل منهما واتهموهما بمحاولة دفعهم إلى عدوهم لقتلهم وقتل أبنائهم.

وقد أجمع غالبية بني إسرائيل على موقف واحد وهو رفض الدخول إلى الأرض المقدسة التي وعدهم الله بها طالما أن القوم الجبارين يقيمون بها وأنهم لن يدخلوها إلا إذا خرجوا منها ورغم أن موسى وهارون قد بشروهما بالنصر على أعدائهم وأن

---

(١) القرآن الكريم:سورة المائدة:٢٣

الله سيقذف فى قلوبهم الرعب والخوف وستكون أرضهم وكل أملاكهم غنيمة لبني إسرائيل إلا أنهم تمسكوا برأيهم، بل تمادوا فى غيهم وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا هؤلاء القوم الجبارين وفكروا جدياً فى العودة إلى مصر وتعيين قائد غير موسى ليكون ملكا لهم بدلاً من الموت فى البرية ويتجلى موقف بني إسرائيل من القوم الذين يقيمون بالأرض المقدسة فيما أورده القرآن حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [1] (المائدة: ٢٤).

وهنا غضب موسي عليهم لتقاعسهم عن تنفيذ أمر الله بل والشك فى قدرة الله على تحقيق الانتصار على عدوهم وتمثل موقف موسى الذي حدده القرآن تجاه قومه فى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [2] (المائدة: ٢٥) كما غضب الله ﷻ على قوم موسى أيضاً لعدم تنفيذهم أمره وهو الذي أنجاهم من بحر عظيم بقدرته وحال دون غرقهم فى معينه ولم يضعوا فى أذهانهم أنه بقدرته أيضاً يمكنهم تحقيق الانتصار على هؤلاء القوم الجبارين وأن يجعل مصيرهم كمصير فرعون وآله وجنوده وبعد أن استمع لرأي نبيهم فيهم وفى موقفهم عاقبهم بالتيه فى الأرض أربعين عاماً وأشار القرآن إلى ذلك حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [3] (المائدة: ٢٦).

كما أشار كتاب التوراة أيضاً إلى قرار الرب حيالهم بعد أن تخاذلوا عن دخول الأرض المقدسة « لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأدخلهم فيعرفون

---

(١) القرآن الكريم:سورة المائدة:٢٤

(٢) القرآن الكريم:سورة المائدة:٢٥

(٣) القرآن الكريم:سورة المائدة:٢٦

الأرض التي احتقرتموها فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعون يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون إبعادي أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون» [1] (سفر العدد: ١٤/ ٣٨).

عاشراً: حادثة القتل المجهول فاعلها والكشف عنه

يذكر المفسرون أن رجلاً ثرياً من بني إسرائيل لم يكن له ذرية وقد اعتبر ابن أخيه بمثابة ابن له وقرَّبه إليه إلا أن ابن اخيه هذا لسبب ما قام بقتله ووضع جثته أمام بيت رجل كان عدوّاً له وذلك بغرض إبعاد التهمة عن نفسه وإلصاقها بهذا الرجل، ولما أنكر هذا الرجل قيامه بالقتل نشب خلاف حاد بين سبطيهما وكان حقناً للدماء بينهما أن تم عرض هذه القضية على موسى عليه السلام، فطلب من سبط القتيل وسبط المتهم بالقتل ذبح بقرة حدد لهم بعض صفاتها إلا أنهم قد رجعوا إليه ثلاث مرات ليخبروه فى كل منها بأنهم لم يهتدوا إلى البقرة التي حددها وسألوه مزيداً من المعلومات عن لونها وعملها حتى توصلوا إليها وبعد أن تم ذبحها أمرهم أن يضربوا جثة القتيل ببعض أجزاء منها فارتد القتيل حيا وبعد أن حدد اسم قاتله والأسباب التي أدت إلى قتله والأدلة المؤيدة لكلامه مات ثانية [2] وقد أوردت هذه القصة فى القرآن الكريم وكان الهدف من هذه الآية الإلهية ليس فقط تبرئة المتهم بالقتل ولكن التأكيد على قدرة الله على سلب الحياة من البشر وإعادتها إليهم فى الوقت الذي يحدده وبالطريقة التي يراها أما النص القرآني

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر العدد: ١٤/ ٣٨

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص: ١٠٦٤ - ١٠٦٨

لهذه القصة فيتمثل فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] (البقرة: ٦٧ – ٧٣).

حادى عشر: لقاء موسى بالخضر

كان هذا اللقاء من أهم الأحداث التي وقعت فى فترة التيه والخضر عليه السلام هو عبد من عباد الله الصالحين، علمه الله عز وجل علماً لادُنيًا وقد أخبر الله موسى بمكانه حتى يلتقي به ويتعلم منه هذا العلم الذي يغاير ما تعلمه ويعد ظاهر هذا العلم فى نظر البشر ضاراً غير نافع وإذا نفع فينتفع منه من لا يستحقونه ولكن حينما يُكشف عن خبايا وأسرار وخفايا هذا العلم أمامهم يجعلهم يرضون بظاهره الذي كانوا لا يرضون عنه من قبل[2] أما عن المكان الذي التقيا فيه والذي ورد ذكره فى القرآن فيتضح من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾[3] (الكهف: ٦٠).

---

(١) القرآن الكريم سورة البقرة: ٦٧-٧٣

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق ص: ١٠٦٨ - ١٠٦٩

(٣) القرآن الكريم سورة الكهف: ٦٠

فقد قصد موسى وفتاه مجمع البحرين سيراً على الأقدام لكنهما نسيا حوتهما فضاع في البحر فارتدا على آثارهما قصصا حيث وجدا الخضر عليه السلام واتفق موسى معه على الصحبة في سبيل العلم والرُّشد الذي يأخذهما موسى عنه.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقع ملتقى البحرين[1] وكانت آراؤهم

كالآتي:

١- التقاء بحر فارس ببحر الروم.

٢- التقاء البحر الأحمر بالمحيط الهندي.

٣- التقاء خليج العقبة بالبحر الأحمر.

٤- التقاء خليج السويس بالبحر الأحمر.

٥- التقاء البحر المتوسط بالمحيط الأطلنطي.

وبما أن موسى وقومه كان من الواجب عليهم ألا يبتعدوا كثيراً عن الأرض المقدسة التي وعدهم الله بها فقد عاشوا حياتهم في فترة التيه البالغة أربعين عاماً في وسط وجنوب سيناء كما أنهم فيما يبدو قد توغلوا داخل الأرض الصحراوية في شبه الجزيرة العربية وخاصة القريبة من ساحل البحر الأحمر وخليج العقبة، حيث لم يكن في استطاعتهم المخاطرة بدخول بلاد الشام أو بلاد النهرين للأخطار التي قد تتهددهم بها وعلى ذلك فإنه من المعتقد[2].

١- أن المكان الذي التقى فيه كل من موسى والخضر لا يمكن أن يكون قريباً من بلاد فارس أو بلاد الرافدين أو حتى في بلاد الشام وخاصة سوريا ولبنان والأردن أو

---

(١) رشدي البداروي: المرجع السابق، ص: ١٠٦٩-١٠٨٠

(٢) رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص: ١٠٥٦-١٠٦٢

أقصى الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية.

٢- إن المكان الذي التقى فيه كل من موسى والخضر عليهما السلام لا يمكن أن يكون ملتقى كل من خليجي العقبة والسويس بالبحر الأحمر لأنهما فى الواقع يمثلان امتداداً للبحر الأحمر ويعتبران جزأين غير منفصلين عنه فى حين أن القرآن الكريم قد أوضح أنهما بحران مختلفان تماماً عن بعضهما البعض،كما لا يوجد أية قرى مأهولة بالسكان بالقرب منهما فى ذلك الزمان لعدم توافر أسباب الحياة بهما.

٣- أن المكان الذي التقى فيه موسى والخضر هو فيما يبدو مضيق باب المندب حاليا الذي يفصل بين البحر الأحمر والمحيط الهندي والذي يقع كثيراً من القرى والمدن على جانبيه وبه تكثر السفن لنقل التجار وبضائعهم من الطرف الآسيوي إلى الطرف الإفريقي والعكس.

اختلاف المؤرخين فى تحديد اسم البلد الذي دخله موسى والخضر عليهما السلام.

اختلف المؤرخون فى تحديد اسم البلد الذي دخله كل من موسى والخضر عليهما السلام حيث رأى بعضهم أن مصر[1] هي التي جرت فيها الأحداث التي ذكرها القرآن الكريم والتي تتمثل في:

١- قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾[2] (الكهف: ٧١).

٢- قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾[3] (الكهف: ٧٤).

---

(١) أحمد يوسف:مصر فى القرآن والسنة،ص:١٥٠

(٢) القرآن الكريم:سورة الكهف:٧١

(٣) القرآن الكريم:سورة الكهف:٧٤

٣- قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴾[1] (الكهف: ٧٧).

٤- وحينما أستنكر موسى قيام الخضر بخرق السفينة وقتل الغلام وعاب عليه فعل الخير لأهل القرية الذين أبوا أن يضيفوهما قال له الخضر طبقاً لقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾[2] (الكهف: ٧٨).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾[3] (الكهف: ٧٩ – ٨٢).

واعتمد أصحاب هذا الرأي على الأدلة والبراهين الآتية:

١- الملاحة فى نهر النيل كانت عماد الحياة فى مصر حيث ينتقل الملوك والأشراف وعامة الشعب من ضفة إلى أخرى أو من مكان إلى مكان آخر فضلاً عن نقل دوابهم وبضائعهم المختلفة بواسطة السفن.

٢- كان احتياج الأسرات الحاكمة للسفن احتياجاً عظيماً وكانت الدولة فى بعض الأحيان تعرض على مُلاّك السفن إمدادها بما لديهم من سفن وخاصة حين خروج الملوك وكبار الأشراف فى مواكب أو رحلات إلى بقاع مختلفة من أرض مصر، وكانت السلطات المحلية تدبر كل شيء لمثل تلك الرحلات والمواكب بل كان عليها

(١) القرآن الكريم:سورة الكهف:٧٧

(٢) القرآن الكريم:سورة الكهف:٧٨

(٣) القرآن الكريم:سورة الكهف:٧٩-٨٢

تدبير أمور الرحلة لرسول الملك أيضاً ففى الأسرة الثامنة عشرة كان الوزير مسؤول عن نظام النقل النهري والبحري بأسره فى مصر وقد قال أحد هؤلاء الوزراء «إنني أنا الذي يمد بالسفن كل من ينبغي إمداده بها...» (١) وحينما انتشرت بين المسؤولين آفه السيطرة على سفن الناس غصباً فقد أصدر الملك حور محب من ملوك الأسرة الثامنة عشره قوانين صارمة تمنع المستغلين لنفوذهم من الاستيلاء على السفن غصباً وتوقيع أقصى العقوبات عليهم إن هم قاموا بذلك كما أن الملك بطليموس الأول الذي حكم مصر بعد حور محب بألف عام تقريباً قد أصدر قرارات ملكية تمنع كبار الموظفين من الاستيلاء على السفن غصباً لأنفسهم (٢).

٣- إن البناء بالطوب اللبن كان معروفاً فى مصر منذ عصور مبكرة وكان يصنع من طمي النيل وقد استخدم هذا الطمي لصنع وتشكيل الطوب اللبن اللازم لتشييد أو بناء أو تدعيم أحد الجدران الذي يوشك على الانهيار بالقرية التي دخلها.

٤- إن المصريين القدماء قد درجوا على إخفاء كنوزهم إما بالجدران أو فى أساسات الجدران أو أرضية الحجرات وخاصة بعد أن انتشرت سرقات كنوز كل من الأحياء والأموات على حد سواء.

ولكننا يمكننا الرد على هذا الرأي:

١- بما أن موسى عليه السلام كان معاصراً لحكام مصر الذين يحملون لقب فرعون أو الملك الذي اشتهر باسم فرعون كما اشتهر يعقوب باسم إسرائيل وعيسو باسم (أدوم) فإن القرآن الكريم الذي درج على استخدام اسم فرعون للإشارة إلى

---

(١) أحمد يوسف:المرجع السابق،ص:١٥٢

(2) H.Kees. Ancient Egypt. A Cultural Topography. London. 1961.P.102-104

الحاكم الذي يعاصر موسى كان سيقول « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم فرعون يأخذ كل سفينة غصباً »[١].

٢- كيف لموسى بعد أن خرج من مصر فاراً بقومه بمعجزة إلهية كبرى أن يعود إليها بعد أن تركها بأمر من ربه،وهل يعقل أن الله ﷻ لا يرتب أمر اللقاء بين موسى الذي عاش فيها طفولته وصباه وقضى خارجها عشر سنوات فقط ليعود إليها حتى يبلغ الثمانين من عمره وبين الخضر ذلك العبد الرباني إلا بعد أن يخرج موسى من مصر،ثم كيف لموسى أثناء حياته فى مصر لا يعلم بوجود عبداً ربانياً يعيش معه أيضاً على أرض مصر.

٣- إن موسى عليه السلام قد كتب الله على قومه التيه أربعين عاماً فى الأرض وهي تعد نوعاً من العقوبة الإلهية وقد قضاها بنو إسرائيل فى الأراضي الصحراوية التي تتسم الحياة فيها بالصعوبة وشظف العيش وخاصة بسيناء وبعض بقاع من شبه الجزيرة العربية ولم يكن موسى يذهب بدعوته إلى بلاد فارس أو بلاد الرافدين وعلى ذلك فإن موسى والخضر عليهما السلام قد استقلا سفينة من الطرف الآسيوي لمضيق باب المندب إلى الطرف الإفريقي لهذا المضيق وهما فيما يبدو ترجع أصولهما إلى قبائل البدو، وأن محل سكن الخضر كان فى شبه الجزيرة العربية وكان يتحدث بلغة قبائلها وهي اللغة التي كان يتحدث بها موسى وقومه وأن رحلتهما كانت داخل بعض البلاد الإفريقية القريبة من هذا المضيق ومن بينها بلاد الحبشة والتي تتميز بكثرة مجاريها المائية وبالطمي والطين الصالح لصنع الطوب اللبن الذي يستخدم فى البناء[٢].

---

(١) أحمد يوسـ...

(٢)

ثاني عشر: صائدو الحيتان المخالفون لشرع الله ومسخهم إلى قردة

لم يذكر كتاب التوراة هذه الواقعة لأن فى ذلك إساءة لهم وتقليلاً من شأنهم بينما انفرد القرآن الكريم بذكر قصة أصحاب السبت عن بني إسرائيل فى عهد موسى عليه السلام حيث ورد به ما نصه « قال تعالى: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[1] (الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦)

وقد جعل الله هذه القرية عبرة لمن حولها حتى لا يتعدى أحد منهم على ما حرم الله حيث قال الله تعالى فى القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2]

 (البقرة: ٦٥ - ٦٦).

وكان الله عز وجل قد خصص يوم السبت ليتفرغ فيه بنو إسرائيل لعبادته وحرم عليهم العمل فيه حيث كان ذلك ضمن الوصايا العشر التي تلقاها موسى عن ربه إذ جاء بها ما نصه « اذكر يوم السبت لتقدسه فى سته أيام تعمل وتنجز كل أعمالك واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملا أنت وابنك وبنتك وعبدك وبهيمتك وأمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن الرب خلق السموات والأرض والبحر وكل ما

---

(١) القرآن الكريم:سورة الأعراف:١٦٣-١٦٦

(٢) القرآن الكريم:سورة البقرة: ٦٥- ٦٦

فيها فى ستة أيام وفى اليوم السابع استرح لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه»[1]
(خروج ٢٠).

ولكنّ بعض أهل القرية التي كانت تقع على ساحل خليج العقبة حالياً الذي يعد امتداداً للبحر الأحمر ويعتقد بعض المؤرخين أنها عصيون جابر قد تحايلوا على شرع الله فكانوا يوم الجمعة من كل أسبوع يضعون شصوصهم وشباكهم فى البحر بعد أن وجدوا أن الحيتان تأتي يوم السبت ظاهرة دون أن تتوخى الحذر على عكس بقية أيام الأسبوع التي تختفى فيها فيكون من الصعب على الصيادين صيدها بسهولة. وكانت تمتلئ شباكهم وشصوصهم بالحيتان فلا يخرجونها من البحر إلا بعد انقضاء يوم السبت. وقد أنكر البعض الآخر من أهل القرية هذا العمل واعتبروه مخالفة صريحة لأوامر الله ونصحوا من يتجرأ منهم على مخالفة حدود الله أن يتوبوا ويرجعوا عن غيهم[2] حتى لا يعرّضوا أنفسهم لغضب الله وعقابه إلا أنهم لم يلقوا لنصحهم بالاً ونسوا تعاليم الشريعة وبينما هم على هذا الحال قال لهم ربهم كونوا قردة خاسئين وحينئذ قالوا لهم ألم ننهكم عما كنتم تفعلون وأبدينا لكم النصح ولكن كنتم عنها غافلين واستهنتم بما حذرناكم فذوقوا وبال ما كنتم تعلمون فظلوا ثلاثة أيام يبكون فلا هم يأكلون ولا هم يشربون حتى ماتوا وهم فاسقون وعن رحمات ربهم مبعدون[3].

ثالث عشر: الحروب

تعرض لبني إسرائيل بعض قبائل البدو القوية ومنهم العماليق وكان ذلك كنوع من العقاب لتقاعسهم عن دخول الأرض المقدسة فى فلسطين حتى إنهم إذا ما عثروا

---

(1) القرآن الكريم،سورة البقرة: ٦٥- ٦٦

(2) رشدي البدراوي،قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٩٩١-٩٩٢

(3) رشدي البدراوي ...

على مكان يكثر فيه الكلأ والعشب نازعهم فيه غيرهم من القبائل البدوية المجاورة وأجبروهم على الرحيل منه حتى لا يشعروا بطعم الراحة وتكون حياتهم هماً وحزناً مستمراً إلا أن موسى بعد أن أصبحت له قوة يخشى بأسها فأراد تجربتها ضد بعض أعدائهم فقال ليشوع بن نون أن ينتخب رجلاً من بني إسرائيل ويخرج على رأسهم لمحاربة العماليق وقد تمكن بنو إسرائيل من تحقيق انتصار عظيم عليهم(1).

ويعتقد أن بني إسرائيل لم تقتصر حياتهم بداخل سيناء فقط خلال الأربعين عاماً التي عاشوها قبل استقرارهم بالأرض المقدسة فى فلسطين بل أنهم فيما يبدو قد تنقلوا فى بعض أجزاء من شبه الجزيرة العربية حيث تتحدث التوراة عن حرب قادها موسى ضد مدين تلك الأرض التي عاش فيها عشر سنوات من عمره وتزوج من ابنة أحد شيوخها وأنجب منها ولدين عاشا مع أمهما فى مدين والتي يربطه بهم علاقات قرابة ترجع إلى جده الأول إبراهيم عليه السلام ويرجع كتاب التوراة هذه الحرب إلى قيام فتيات مدين بإغواء شباب بني إسرائيل على مخالفة شرائع الرب وذلك بدفعهم إلى الزنا وإلى عبادة الأصنام وأن ذلك كانت خطة من أهل مدين لتدمير دين موسى من الداخل وتجريد بني إسرائيل من أسباب قوتهم التي تعتمد على معونة ومساعدة الرب لهم ولاشك أن القرآن الكريم قد أشار إلى بعض هذه الأخلاق الفاسدة التي تمرس عليها أهل مدين وذلك حينما تحدث عن فرار موسى إليها.

ويستمر كتّاب التوراة فى حديثهم عن هذه الحرب بقولهم إن موسى قد غضب على وكلاء جيشه لأنهم بعد أن قتلوا كل ذكر فى مدين ونهبوا مواشيهم وأخذوا كل

---

(1) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع،ص:٩٨٣

ديارهم وحرقوا مساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأبقوا على الإناث ولم يقتلوهن وقتلوا الذكور[1].

كما حارب موسى وجيشه ملك الأموريين الذي حاول منعهم من المرور فى أرضه حتى يحول بينهم وبين الوصول إلى فلسطين وقد تمكنوا من هزيمته والاستيلاء على أرضه وغنموا أسلحته وهدموا معابده التي كان يعبد قومه فيها غير الله[2].

رابع عشر: خطب الوداع الثلاث

تعد هذه الخطب الثلاث وصية موسى الأخيرة إلى قومه وأتباعه، وهي فى الواقع عبارة عن خطبة واحدة أستغرق موسى عليه السلام فى إلقائها ثلاثة أيام وكان يصعد فى كل يوم منها على قمة مختلفة من قمم جبال بعل الموجودة على الضفة الشرقية لنهر الأردن فى المنطقة المعروفة بموآب، بحيث كان يرنو ببصره إلى الأرض المقدسة التي كان يتمنى أن يدخلها ولكن إرادة الله ﷻ قد حالت بينه وبين تنفيذ ذلك[3].

ومن أهم ما تضمنته هذه الخطب الثلاث[4]:

1- حياة بني إسرائيل فى مصر حتى خروجهم منها.

2- رفضهم دخول الأرض المقدسة.

3- حياة التيه الصعبة التي عاشوها لمده أربعين عاماً هلك فيها جميع الخارجين من مصر ماعدا ذريتهم ويشوع بن نون وكالب بن يفنه.

4- مباركة الأسباط.

---

(1) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع، ص ١٠٩٩

(2) المرجع السابق، ص ١١٠٠

(3) المرجع السابق، ص ١١٠٥

(4) المرجع السابق، ص ١١٠٤-١١١٠

٥- تحريم وتجريم السِّحْر والعرافة.

٦- الحث على دخول الأرض المقدسة.

٧- الحث على تشييد بيت العبادة.

٨- الحث على تدمير الأصنام التي يجدونها بالأرض المقدسة.

٩- التأكيد على أن أبواب التوبة مفتوحة أمام العصاة.

١٠- محاربة العماليق والميديانيين والأموريين.

١١- عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

١٢- التأكيد على أن التوحيد فيه خير الدنيا والآخرة.

١٣- ضرورة تقديم القرابين للرب بصفة منتظمة وإقامة الأعياد الدينية.

١٤- إن الانتصار على الأعداء بخطاياهم.

١٥- استنزال اللعنات على مرتكبي الخطايا.

١٦- الحث على الصلاة والزكاة والصوم وزيارة الأماكن المقدسة.

١٧- إكرام الوالدين وطاعتهما.

١٨- الابتعاد عن الشهادة الزور والحلف الباطل.

١٩- القناعة وعدم التطلع إلى ما فى أيدي الناس.

٢٠- الابتعاد عن القتل والزنا والسرقة والرشوة.

٢١- التبشير بأنبياء من بينهم ودعاهم إلى الاستماع إليهم.

٢٢- التحذير من الذين يدُّعون النبوة والحث على قتلهم.

٢٣- التبشير باتساع ملكهم والحث على تقويم الملوك الذين يبتعدون عن طريق

الرب وشريعته.

٢٤- التحذير من الاعتداء على حقوق الأرامل واليتامي.

٢٥- العمل والتمسك بكلمات الرب وشريعته[1].

خامس عشر: دخول الأرض المقدسة

بعد انتهاء فترة العقوبة- التي بلغت مدتها أربعين عاماً – التي أكد عليها كل من القرآن والتوراة وهي المدة الزمنية التي لم يستقر فيها بنو إسرائيل فى مكان واحد وإنما هاموا على وجوههم فى الأرض ينتقلون فيها من مكان إلى آخر ومنها جنوب ووسط سيناء وربما بعض بقاع شبه الجزيرة العربية وذلك جزاءً لرفضهم دخول الأرض المقدسة التي أمرهم الله بدخولها والتي كانت بمثابة مكافأة لهم نتيجة لصبرهم على الابتلاءات العظيمة التي ابتلاهم الله بها على يد فرعون وقومه- بدأت محاولة إعادة دخول الأرض المقدسة على يد موسى حيث قاد ذرية الخارجين معه من مصر بعد أن وافت أغلبيتهم المنية فى أرض التيه وذلك بعد أن أعدهم إعداداً عسكرياً فائقاً وجهزهم بالأسلحة المختلفة،و قد لجأ إلى الخدعة والمكيدة فى حربه مع أعدائه حيث اعتمد على عنصر المفاجأة فى الحرب وذلك لعلمه بأن قواته المسلحة ليس لديها الأسلحة والعتاد الحربي الكافى والخبرات العسكرية التي تتوافر لدي الجيوش النظامية للدويلات القائمة فى أرض كنعان[2].

وتمثلت خطة موسى التي وضعها لتحقيق الانتصار بأقل خسائر ممكنة فى[3]:

أ- دخول الأرض المقدسة من الطرف الجنوبي للبحر الميت من الممر المعروف

(١) المرجع السابق،ص:١١١٠-١١١٥

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،ص:١٠٨٥

(٣) المرجع السابق،ص:١٠٨٦-١٠٨٨

بطريق أدوم والذي يسمى بطريق الملك وكان من الطرق السريعة الممهدة والمتسعة وكان يهدف موسى إلى إيهام ملك عراد بأنه قد صرف النظر عن مهاجمة مملكته وتضمنت خطته اتخاذ طريق فرعي يتجه شمالاً ثم ينحرف إلى ناحية الغرب قليلاً ثم يسلك أحد الوديان مما يتيح لهم الانقضاض على مملكه عراد من ناحية الشرق وكان لتنفيذ هذه الخطة لابد له من الحصول على موافقة ملك أدوم فأرسل إليه موسى رسلاً تؤكد على صلات الرحم والقرابة بينهما حيث أنهما بنو عمومة وأنهم لن يسببوا أية أضرار لملكته أثناء مرورهم فى أرضه وإن حدثت أية أضرار فإنهم متكفلون بدفع التعويضات اللازمة عن ذلك.

أسباب رفض ملك أدوم مرور بني إسرائيل فى أرضه[1].

أن بني أدوم (عيسو بن إسحاق) لم ينسوا أن عمهم إسرائيل (يعقوب بن إسحاق) قد سلب البكورية من والدهم.

خوفهم فى حاله هزيمة بني إسرائيل أن يشاركوهم فى أرضهم أو تنقلب عليهم الممالك التي هاجمها بنو إسرائيل بفضل تسهيل مرورهم فى أرضهم.

فلما تبين لموسى أنه من الصعب المرور فى أرض أدوم قرر مهاجمة ملك عراد من الجنوب فاتجه بجيشه وقومه إلى جبل هور فى أقصى جنوب أرض فلسطين ويقع على حدود دويلة ملك عراد، وهنا استشعرت شعوب المنطقة بخطر بني إسرائيل ولذا فقد أخذوا أهبتهم واستعدادهم ثم ما لبثت أن نشبت حرب بينهما لم يحقق فيها بنو إسرائيل انتصاراً بل أنهم قد استشعروا الخطر المحدق بهم فى حالة إصرارهم على دخول الأرض المقدسة من الجنوب[2] فقرر موسى العودة إلى تنفيذ خطته الأولى التي

(١) المرجع السابق،ص:١٠٨٥

(٢) المرجع السابق،ص:١٠٨٦

أفسدها ملك أدوم برفضه والمتمثلة فى مهاجمة ملك عراد من جهة الشرق،فسار بجيشه وقومه فى اتجاه خليج العقبة حتى إبوث ومنها إلى عصيون جابر ثم إيلة ثم الطرف الشمالي لخليج العقبة ثم الالتفاف حول جبل عسير ثم الاتجاه شمالاً بأمر الرب ثم سار بمحاذاة الحدود الشرقية لمملكة أدوم ووصل إلى عباريم ثم عبر بجيشه وقومه نهر زارد حتى وصل إلى بلده متّانة على الحدود الشرقية لموآب ويحتمل أن تكون خربه المدينة حاليا ثم عبر بجيشه نهر أرنون ثم أتى إلى بئر فشرب وجيشه ثم عبر وادي أرنون حيث نشبت حرب مع الأموريين تمكن فيها بنو إسرائيل من الاستيلاء على أرض ملك حشبون ثم باشان[1]

ثم بدأ موسى يعد العدة لعبور نهر الأردن مقابل أريحا إلا أنه عطّل ذلك بعض الوقت حدوث تحالف بين ملك موآب وملك مدين بعد أن استشعر كل منهما بخطر بني إسرائيل واعتقدا أنهم سيهاجمون مملكتهما بسبب عبادتهما للأوثان ولذا فإنهما اتفقا على تدمير بني إسرائيل من الداخل وذلك بتشجيع شباب بني إسرائيل على مضاجعة بنات كل من مدين وموآب وارتكاب جرائم الزنا ثم جذبهم جذباً إلى عبادة الأوثان ولما استشرى هذا الأمر بين شباب بني إسرائيل تم إقامة الحد عليهم فقتلوا وهنا اجتمع رأي أسباط بني إسرائيل للانتقام لمقتل أولادهم حيث أجمعوا على محاربة مدين وتمكنوا من قتل ملكهم وأسرته وجميع ذكور مدين وسبى نسائهم وأطفالهم ونهب جميع ممتلكاتهم وبعد هذا الانتصار خاف الموآبيون ولم يعودوا يشكلون تهديداً لهم[2]

وبذلك تفرغ بنو إسرائيل لدخول الأرض المقدسة إلا أن موسى قد أحس بدنو

---

(1) المرجع السابق،ص:١٠٩١- ١٠٩٦

(2) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:١٠٩٦-١١٠٠

أجله وأمره الرب بأن يختار يوشع بن نون لخلافته وبعد إعداد الجيش وتقسيم الأرض على الأسباط توفى موسى عليه السلام دون أن يدخل الأرض المقدسة وقد استطاع يشوع دخول هذه الأرض ويقول كتّاب التوراة أنه تمكن من فرض سلطان إسرائيل على شرق الأردن وفلسطين وجنوب لبنان والجولان ولكن يبدو أن هذا القول فيه مبالغة كبيرة.

حيث لم يجد علماء الدراسات التوارتية الأدلة التي تؤكد الانتصارات التي حققها يشوع بن نون حين دخوله الأرض المقدسة فى فلسطين ويعتقدون أن ما ورد فى التوراة بخصوصها ضرب من الخيال لا أساس له من الواقع وأنها تدخل فى نطاق الأساطير وأن كتاب التوراة حينما سجلوا هذه الانتصارات قد مالوا إلى التهويل والمغالاة والمبالغة وهي من سمات النصوص القديمة فى الإشارة إلى انتصارات شعوبهم.

وأنه فى الواقع لم يسيطر يشوع إلا على الأراضي الصحراوية والجبلية قليلة الكثافة السكانية والتي تتميز بوعورتها وصعوبة المواصلات أو الانتقال فيها كما تجنب السهول والوديان ذات الكثافة السكانية العالية حيث توقع شدة المقاومة فيها كما أنه لم يهاجم المدن المحصنة التي تتميز بقوة ومناعة أسوارها ونظامها الدفاعي كما يبدو من جهة أخرى أن الجيش المصري قد استطاع القضاء على قوة الهكسوس فى بلاد الشام وخاصة فى فلسطين مما سهل دخول يشوع وجيشه إلى الأراضي الفلسطينية. فضلاً عن أنه يعتقد أن بني إسرائيل لم يحاربوا الأقوام الوثنية فى فلسطين مخالفين بذلك الأمر الإلهي وعلى العكس من ذلك سكنوا معهم و تزوجوا منهم و عبدوا آلهتهم مما أدى إلى تسلط الأمم المجاورة لهم عليهم وفرضوا عليهم الجزى وكانت حياتهم سلسلة من الحروب قادها القضاة ضد العمونيين والفلسطينيين كما لم تصمد الوحدة العرقية التي أرساها موسى ثم يشوع حيث دب النزاع فيما بينهم وانهار

التعاون وتعمقت النزاعات واستيقظت الجروح والخلافات والحزازات القديمة وتحول شيوخ الأسباط الذين تم انتخابهم إلى أمراء أو قادة ووصفوا أنفسهم باسم جبار أو نبيل وأصبح لكل قبيلة تقاليدها الخاصة بل كانت لكل منها لهجة مختلفة تتكلم بها وظل الحال كذلك حتى بدءوا يفكرون فى تكوين مملكة موحدة كبرى بعد أن تزايدت الأخطار عليهم ومن هذه الأخطار جماعات العابيرو التي أخذت تهاجم الأراضي الفلسطينية بكل قوة فضلاً عن المدن الساحلية وقد تمكنوا من تحقيق بعض الانتصارات إلا أن ملوك مصر خلال عصر الدولة الحديثة خاضوا معهم سلسلة من الحروب وتمكنوا من أسر الآلاف منهم و إحضارهم إلى مصر وقاموا بتسخيرهم فى الأعمال الشاقة وتحدثت النصوص المصرية عن استمرار وجودهم فى مصر حتى نهاية الأسرة العشرين وكانت الحملات العسكرية العديدة من قبل هؤلاء الملوك إلى بلاد الشام سبباً فى الحفاظ على النفوذ المصري فى تلك البلاد.

كما يعتقد أن هؤلاء العابيرو كانوا سببا فى إضعاف الممالك والإمارات والدويلات القوية فى بلاد الشام مما سهل ضم الكثير منها إلى مملكة إسرائيل الكبرى وخاصة فى عهد سليمان عليه السلام فيما يعاصر بداية العصر المتأخر فى مصر التي بدأت تفقد فيه قوتها العسكرية وتضعف مكانة حكامها فى بلاد الشام والذي اعتبر عاملاً آخر فى زيادة نفوذ ملوك إسرائيل فى هذه البلاد وهناك رأى آخر ورد فى رواية المؤرخ اليهودي يوسفيوس الذي يدعي أنه اقتبس روايته تلك عن المؤرخ المصري القديم مانيتون والتي مفادها بأن سبطاً من أسباط إسرائيل وهو يهوذا قد تمكن من دخول الأرض المقدسة فى فلسطين خلال عهد الملك أحمس الأول-أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة - من عصر الدولة الحديثة وذلك باعتبار أن اليهود هم أولئك البدو الرعاة الذين تمكنوا من احتلال مصر إبان أواخر عصر الدولة الوسطى والذين تم طردهم

إلى الأراضي الفلسطينية حيث تمكنوا من تأسيس مدينة أورشليم والاستقرار فيها وكانت لهم بها قوة عسكرية يخشى بأسها وأنه قد تم الاستعانة بهذه القوات العسكرية من قبل الكاهن المصري القديم المسمى أوزيرسيف الذي ترأس بقية أسباط إسرائيل التي لم تتمكن من الفرار إلى الأراضي الفلسطينية مع سبط يهوذا ليقعوا فى أيدي الجيش المصري وتم تسخيرهم فى الأعمال الشاقة والذي قد انشق عن الملك المصري المسمى أمنحوتب أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد تمكنت القوات اليهودية من احتلال مصر مرة ثانية لمدة تزيد عن ثلاثة عشر عاماً وتم طردهم أيضاً مرة أخرى على يد هذا الملك لينسحبوا إلى أورشليم ومعهم بقية أسباط بني إسرائيل.

ومن بين الأسباب التي تؤكد أن الانتصارات التي نسبها كتاب التوراة إلى يشوع تفتقد إلى الأدلة التي تؤيدها:-.

١- لماذا لم تذكر النصوص المصرية القديمة أو غيرها من نصوص بلاد الهلال الخصيب هذه الانتصارات الباهرة التي حققها جيش بني إسرائيل وهذه القوة العسكرية لا يمكن أن تضعف وتصاب بالوهن فى فترة قصيرة فهذا يؤكد أن بني إسرائيل قد سيطروا على أرضٍ بعيدة عن العمران لا تشكل أي أهمية اقتصادية أو إستراتيجية تجعلها مطمعاً لبعض الممالك والإمارات القوية المجاورة لها، كما أنهم لم يكن لهم دور سياسي قبل قيام مملكتهم..

٢- إن ملوك مصر خلال عصر الدولة الحديثة وخاصة ابتداءً من حكم الملك تحتمس الثالث الذي قاد الكثير من الحملات العسكرية ضد بعض الإمارات والممالك والدويلات فى بلاد الشام انتهج نفس سياسة ملوك آخرين حتى عصر الملك رمسيس الثالث، لم يذكروا فى نصوصهم اسم إسرائيل أو أي اسم من أسماء الأسباط حتى

وأخيراً فقد أجمع كثير من الباحثين على أن الاسم الذي ورد بلوحة مرنبتاح لا يشير إلى إسرائيل وذلك تأسيساً على أن هذا الاسم ظهر فى نصوص الأسرة التاسعة عشرة فقط وخاصة فى عهد الملك رمسيس الثاني ثم ولده مرنبتاح وبما أن مرنبتاح قد أكد إبادتهم فإن هذا الاسم لم يذكر بعد عصر الأسرة التاسعة عشرة فى حين أن اسم إسرائيل عرف فى عهد شاؤل حينما أسس مملكة إسرائيل الموحدة[1] وحين انفصال هذه المملكة إلى مملكتين صغيرتين متناحرتين وأيضاً فى عصرنا الحالي.

إن النصوص القديمة الوحيدة التي أشارت إلى وجود قوة عسكريه لبعض أسباط إسرائيل خلال عصر يقابل نهاية عصر الأسرة الثامنة عشرة فى مصر القديمة هي نصوص الكاهن الأوجاريتي ميلكو ومنها « إنهم باللعنات دمروا كفتور، حجبوا مساكنها بقوى سماوية وأرض ميراثها بمساعدة ألف إبليس مقاتل كالجيش أسقطوها تحت الأقدام وبسرعة جعلوها تنحني مثقلة بالشقاء[2].

٣- يذكر كتاب التوراه بأنه فى سنة أربعمائة وثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر حتى السنة الرابعة من حكم سليمان عليه السلام على إسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثاني بني بيتاً للرب وإن كانت بعض نسخ التوراة تذكر أربعمائة وأربعين سنة بدلا من أربعمائة وثمانين ويفهم من هذا النص أن هذه الفترة الزمنية تبدأ من خروج موسى من مصر وفترة التيه وفترة حروب موسى ويوشع حتى دخول الأرض المقدسة فى فلسطين ثم فترة حكم القضاة ثم حكم شاؤل (طالوت) وداود ثم أربع سنوات من حكم سليمان عليه السلام ولم يفرض بنو إسرائيل سلطانهم على أية ممالك

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، - ص:١٦٨- ١٦٩

(٢) إيلي ميلكو: اللآلي، تعريب/مفيد عرنوق، بيروت: ١٩٨٩- ص: ٧٠-١٢٥

خارج أو داخل الأرض المقدسة فى فلسطين الا بعد تأسيس مملكة إسرائيل الكبرى[1].

٤- ورد بلوح إسرائيل من عصر الملك مرنبتاح « خاروا صبحت أرملة لمصر...» وتشير خاروا إلى جزء من فلسطين وجنوب سوريا ويفهم من ذلك أن بني إسرائيل حينما دخلوا فلسطين لم يسيطروا عليها كلية وكذلك لم يكن لهم نفوذ يذكر فى سوريا أو لبنان حالياً وأن هذا يتفق مع ما قرره كثير من الباحثين على أن انتصارات يشوع التي وردت فى التوراة لا أساس فى الواقع لأغلبها كما أن بعض الممالك التي تقع فى جنوب فلسطين وفى شرق البحر الميت وخاصة أدوم وموآب وعمون وغيرها كانت تتمتع بقواتها العسكرية وباستقلالها بحيث كانت تصمد أمام الضربات العسكرية المصرية بما يعني أن بني إسرائيل لم يكن لهم أي نفوذ على تلك الممالك.

سادس عشر: كيف يكون بنو إسرائيل ملوكاً قبل قيام مملكة إسرائيل الكبرى؟

ورد بالقرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] (المائدة: ٢٠).

وهنا يتبادر إلى الذهن كيف يكون بنو إسرائيل ملوكاً وهم إما فى مصر يعيشون فى كنف مملكة الهكسوس ولم يكن لهم كيان منفصل عنهم وقد رفض حكام هذه المملكة رفضاً قاطعاً خروجهم من مصر ليقيموا فى أرض كنعان أو الأرض المقدسة وإما خرجوا من مصر ويقضون فترة عقوبة مدتها أربعين عاماً يرتحلون من أرض إلى أخرى ولا تهنأ لهم الإقامة فى مكان محدد بعد أن رفضوا تنفيذ أمر الله وأمر نبيهم فى دخول الأرض المقدسة ولكن إذا ما عدنا إلى القرآن الكريم نجد فيه قول

(١) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:١٠٩٦-١١٠٠

(٢) القرآن الكريم:سورة المائدة:٢٠

يوسف لربه الذي أورده القرآن الكريم فى قوله ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ... ﴾[1] (يوسف: ١٠١).

وبهذا يكون يوسف أول من آتاه الله الملك من بني إسرائيل إذ كان له عرش عظيم وسجد له إخوته كما يسجد الناس لملوكهم سجود احترام وتبجيل.

كما ذكر كُتّاب التوراة « وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص وطوق الذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادى أمامهم اركعوا وجعله على كل أرض مصر »[2].

ويبدو أن وظيفة خزائن الأرض أصبحت مرتبطة ببني إسرائيل إذ درج ملوك الهكسوس على اختيار من يصلح منهم لتولي هذه الوظيفة ويبدو أن قارون الذي كان من بني إسرائيل كما ذكر القرآن آخر من تولى هذه الوظيفة وكان عاقبة كفره أن خسف الله به وبداره الأرض كما ورد فى القرآن أيضاً.

وبما أن الله قد وافق موسى علي أن يكون هارون وزيراً فإنه يعد ملكا لبني إسرائيل ويتضح ذلك من قول موسى لفرعون الذي أشار إليه سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم بقوله ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3] (الشعراء: ٢١).

إن الهكسوس الذين تمكنوا من حكم مصر بعد انهيار الدولة الوسطى ليسوا اليهود وبالتالي فإنهم ليسوا المقصودين من قول موسى الذي ورد فى القرآن (وجعلكم ملوكا...) وقد أقر معظم المؤرخين بذلك، كما أنه لا أدلة تؤيده فضلاً

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:١٠١

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر التكوين:٤١

(٣)

عن مخالفة ذلك للواقع والتاريخ وربما يكون المقصود رؤساء أو مشايخ الأسباط حيث قُطِّعَ بنو إسرائيل إلى اثنى عشر سبطاً وأصبح كل سبط مسؤول عن نفسه ومن شؤونه الخاصة واحتياجاته.

سابع عشر: علاقة أسماء الأفراد والأماكن الواردة بالقرآن الكريم والتوراة بالمصريين القدماء.

حاول كثير من الباحثين الربط أو إيجاد علاقة بين أسماء الأفراد والمواقع الجغرافية التي وردت بكل من القرآن الكريم والتوراة وبين ما يقابلها فى اللغة المصرية القديمة ولكن هذا المنحى فى البحث قد أدى إلى متاهة كبرى إلى جانب متاهة كُتَّاب التوراة الذين شوهوا الكتاب المقدس وطمسوا الحقائق التي أبرزها الله ﷻ به ومن محاولاتهم عقد صلة ما بين اسم كل من فوطيفار وقطفير وبين بادى-رع وأيضاً بين لفظ فرعون ولفظ بر-عا واسم هامان وبين حور مين أو حومين فضلاً عن كل من الموقع الجغرافى سكوت وبين ثكو وأيضاً مجدل وبين مكتر وكذلك بيثوم وبين بر- آتوم أو بايوم وأيضاً رمسيس وبين بر-رمسيس ومما يؤكد أن هذا الاتجاه فى البحث العلمي يؤدي إلى نتائج غير يقينية عرضة للخطأ أكثر من ميلها إلى الحقيقة والصواب..

١- أن اسم رمسيس قد عرف فى عصر يوسف عليه السلام بينما لم يعرف المصريون القدماء حسب ما قرره علماء اللغة هذا الاسم إلا خلال الأسرة التاسعة عشرة مما يدل على أنهم قد استعاروه ممن استخدموا هذا الاسم وهم كل من الهكسوس وبني إسرائيل..

٢- أن الألفاظ الواردة فى القرآن الكريم هي ألفاظ عربية وليس فيها لفظ

عجمي واحد وأن الله ﷻ قد قام بتعريب الأسماء الأعجمية بما لا يخل بمعناها بما يتطابق مع الأصول الأعجمية لهذه الأسماء ومنها سليمان بدلاً من شلمون و طالوت بدلاً من شاؤل وفرعون بدلاً من اسم أعجمي مجهول أيضاً يعني العلى أو البارع في الطول وكذلك قارون الذي يقابل فيما يبدو اسم يصهار الذي يعني الأنور، وهكذا. وهذا يتفق مع قوله تعالى: ﴿... لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [1] (النحل: ١٠٣).

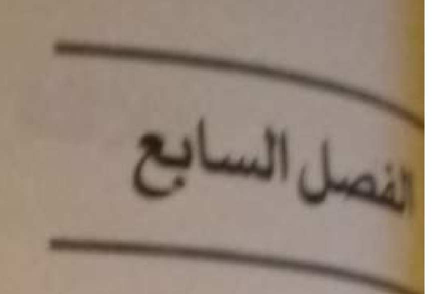
■■■




الأنبياء
وارض مصر


الأنبياء و ارض مصر

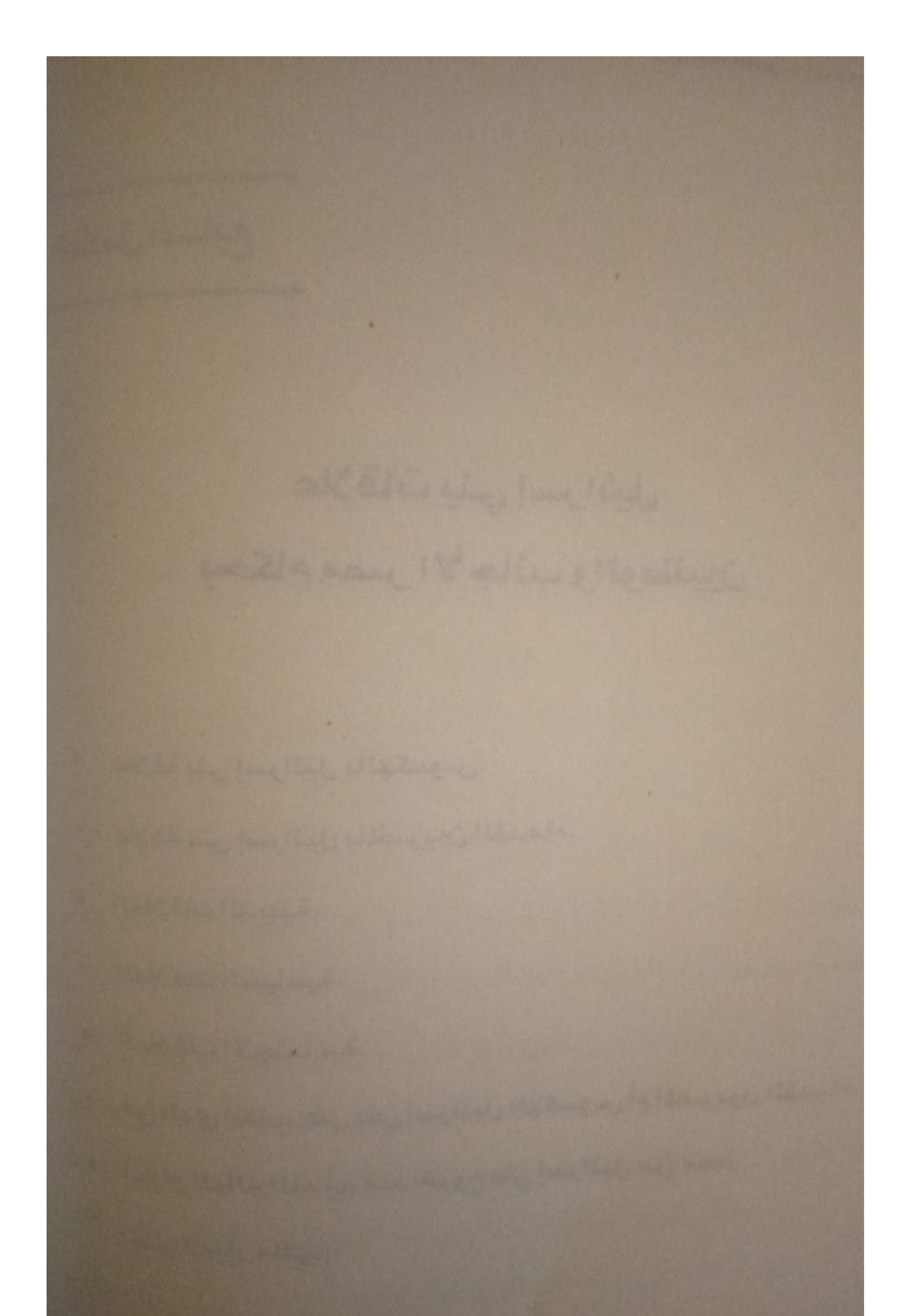




الفصل السابع

علاقات بني إسرائيل
بحكام مصر الأجانب والوطنيين

- علاقة بني إسرائيل بالهكسوس.
- علاقة بني إسرائيل بالمصريين القدماء.
- العلاقات الدينية.
- العلاقات السياسية.
- العلاقات الاجتماعية.
- من الذي انقلب على بني إسرائيل الهكسوس أم المصريون القدماء.
- أحوال العالم القديم منذ خروج بني إسرائيل من مصر حتى انهيار ملكهم.



علاقة بني إسرائيل بالهكسوس

كانت قبائل البدو الرعاة الآسيويون الذين دخلوا مصر من حدودها الشرقية وتمكنوا من احتلالها وأطلق عليهم أهلها اسم الحقاخاسوت أي حكام الأراضي الجبلية يتصفون بعدد من الصفات من بينها[1].

١- إنهم لا يؤمنون بالله عز وجل.

٢- إنهم كافرون بالآخرة.

٣- إنهم لا يعتقدون فى البعث والنشور.

٤- إنهم لا يؤمنون بالجنة أو النار.

٥- إنهم يعتقدون أن الموت نهاية لا يتبعه شيء فهم لا يجدون أحداً من موتاهم يعود إليهم حياً.

٦- إنهم كانوا يعبدون أرباباً متفرقين أطلقوا عليها أسماء عديدة.

ويؤكد ذلك ما ورد على لسان كل من يوسف وموسى ورجل مؤمن من آل فرعون الذين يعدون شاهدين على هذا العصر وما وقع به من أحداث.

أما ما جاء على لسان يوسف عليه السلام.

أ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿... إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[2] (يوسف: ٣٧).

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ٩٤

(٢) القرآن الكريم: سورة يوسف: ٣٧

ب- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ....ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾[1] (يوسف: ٣٩ -٤٠).

انقسم المؤرخون إلى فريقين فى تحديد هوية العلاقات بين الهكسوس وبني إسرائيل فى أواخر أيام يوسف عليه السلام فيرى الفريق الأول منهما أن العلاقات بدأت تسوء بينهما واستنتجوا ذلك من:-.

١- عدم سماح حكام الهكسوس بخروج جثمان يوسف كما خرج جثمان والده يعقوب من قبل وذلك ليدفن بجوار آبائه،وخاصة أن يوسف عليه السلام كان لديه الرغبة أثناء حياته فى أن يدفن فى الأرض المقدسة بفلسطين.

٢- لا يمكن القول بأن الهكسوس قد تمسكوا بجثمانه تبركا بوجوده بينهم وإلا كان قبره مزاراً يؤمه كل من الهكسوس وبني إسرائيل على حد سواء ولكنه فى الواقع قد تم اخفاؤه حتى عن ذريته الأقربين ولم يعرف مكان هذا القبر إلا امرأة طاعنة فى السن قعيدة أصابتها الأمراض وقد أكد الحديث النبوي الشريف ذلك.

٣- ورد بالقرآن الكريم على لسان رجل مؤمن من آل فرعون ما يؤكد أن القوم الذين وفد عليهم يوسف عليه السلام وعينه أحد حكامهم على خزائن الأرض كانوا يشكون فى نبوته وينظرون إليه نظرة ريبة وشك فيما يبلغهم به وكانوا ينتظرون هلاكه ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى نبوءة إبراهيم بأن زوال مُلك الأسرة الحاكمة فى مصر أثناء تواجد ذريته بها سيكون على يد أحد هذه الذرية.

أما الفريق الثاني فيرى أن العلاقة كانت طيبة للغاية وذلك اعتماداً على:-

أ- ورد بالتوراة أن يوسف عليه السلام كان مبجلاً وموقراً من قبل حكام الهكسوس

---

(١) القرآن الكريم:سورة يوسف:٣٨-٣٩

وكان يحتل مكانة عالية رفيعة فيما بينهم» ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال هو ذا شعب بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا [1] (سفر الخروج:١١/٨).

ب- إن وظيفة الإشـراف أو تـولي مهام خزائن الأرض قد توارثها بعض الشخصيات التي تتميز برجاحة العقل وسعة الاطلاع والثقافة من بني إسرائيل، حيث شغل هذه الوظيفة قارون فى عصر فرعون وكان من بني إسرائيل ولم يحاول حكام الهكسوس حجب هذه الوظيفة عن بني إسرائيل رغم تردى العلاقات فيما بينهما فى ذلك الوقت.

من القوم الذين تشككوا فى نبوَّة يوسف؟

يعتقد أن القوم الذين شكوا فى نبوة يوسف هم أجداد القوم الذين يخاطبهم ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون وبما أنه قد اتفق أغلب المؤرخين والباحثين حالياً علي أن يوسف وآباه وإخوته قد دخلوا مصر فى حقبة الاحتلال الهكسوسي لها وهذا يؤكد أن فرعون وآله وقومه كانوا من نسل وذرية الحاكم فى عهد يوسف وقومه ويعزز هذا الاستنتاج.

أ- إذا كان هذا الرجل المؤمن الذي ينتمي إلى أسرة فرعون وقومه من المصريين الوطنيين فكيف يذكرهم بيوسف عليه السلام ويقول لهم إنه جاءهم بالبينات بينما هذا النبي قد دخل مصر فى عهد الهكسوس وبعث إليهم حيث ينتمي إلى نفس جنسهم ويتحدث لغتهم.

ب- أن القرآن الكريم قد وصف القوم فى عهد يوسف عليه السلام وذلك على لسان

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:١١/٨

مؤمن آل فرعون بعدة صفات منها أنهم مسرفون ومرتابون ومتكبرون وجبارون وهذه الصفات لا يتصف بها المصريون القدماء أو حكامهم وأن هذه الصفات كانت معروفة فى كثير من الأقوام الآسيوية وخاصة فى بلاد الشام ومنهم أولئك البدو الرعاة الآسيويون الهكسوس الذين احتلوا مصر وذبحوا كثيراً من أطفال بني إسرائيل وسخروهم فى مشاريعهم الإنشائية وغيرها..

«قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1] (غافر: ٣٤ – ٣٥).

أما ما جاء علي لسان موسي أو يرجع لعهده:

أ- «قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[2] (غافر: ٢٧).

ب- «قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3] (الدخان: ٣٥ – ٣٦).

أما ما جاء على لسان رجل مؤمن من آل فرعون:

أ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[4] (غافر: ٣٩).

---

(١) القرآن الكريم:سورة غافر:٣٤-٣٥

(٢) القرآن الكريم:سورة غافر:٢٧

(٣) القرآن الكريم:سورة الدخان: ٣٥-٣٦

(٤) القرآن الكريم:سورة غافر:٣٩

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾[1] (غافر: ٤٠).

ج- قال تعالى: ﴿ .. وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) ﴾[2] (غافر: ٤٣).

د- «قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴾[3] (غافر: ٣٤).

أما ما جاء على لسان فرعون:

أ- قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) ﴾[4] (الشعراء: ٢٣).

ب- قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) ﴾[5] (طه: ٥١).

ج- قال تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[6] (الشعراء: ٢٩).

أما ما جاء على لسان قوم فرعون:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[7] (الأعراف: ١٣٢).

---

(١) القرآن الكريم: سورة غافر: ٤٠

(٢) القرآن الكريم: سورة غافر: ٤٣

(٣) القرآن الكريم: سورة غافر: ٣٤

(٤) القرآن الكريم: سورة الشعراء: ٢٣

(٥) القرآن الكريم: سورة طه: ٥١

(٦) القرآن الكريم: سورة الشعراء: ٢٩

ولذا كان على الله أن يرسل لهم إبراهيم عليه السلام ومن بعده حفيده يعقوب وذريته يوسف والأسباط وموسى وهارون حتى لا يكون لهؤلاء القوم حجة عليه-تعالى يوم القيامة وبهدف[1] يتمثل في:-.

١- تصحيح معتقداتهم الدينية الخاطئة.

٢- دعوتهم إلى عبادة الله وحده.

٣- دعوتهم إلى نبذ وترك ما يعبدون من أوثان وأصنام ومخلوقات.

٤- الإيمان بالحياة الآخرة وما بها من بعث ونشور وحساب عن الأعمال والأقوال في الدنيا ثم الجزاء جنة أو نار في الآخرة..

إلا أن هؤلاء القوم قد رفضوا دعوة أنبياء بني إسرائيل ولم يصدقوا بها وتمسكوا بمعتقداتهم الدينية التي ورثوها عن آبائهم الأولين.

وقد حاول هؤلاء القوم وعلى رأسهم فرعون القضاء على دعوة موسى من داخلها وذلك باستقطاب عدد من بني إسرائيل وكانت الأموال وسيلته لإثارة الفرقة والانقسام بين ذرية إسرائيل بل وإثارتهم ضد موسى وهارون[2] ومن بين هؤلاء قارون الذي سمح له فرعون بأن تتكدس الأموال في خزائنه التي وصفها القرآن بأن مفاتيح مخازنها يصعب على العصبة من الرجال حمل مفاتيحها، وقد حاول قارون جاهداً على أن تكون له زعامة بني إسرائيل وقد وضع الخطط ودبر المكائد ليصل إلى ذلك ولكن الله قضى على كيده ومكره ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[3] (الأحزاب: ٦٩).

---

(١) عبد الوهاب النجار:قصص الأنبياء،ص:٧٢، ٨٢، ١٣٣، ١٥٣، ١٦٣، ١٨٣، ٢١٠

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الرابع،ص:٨٥٢، ٨٥٥، ٨٦٥، ٨٧٤، ٨٧٧

(٣) القرآن الكريم:سورة الأحزاب:٦٩

وكان من أثر ذلك أن انضم أكثر بني إسرائيل إلى صف قارون وتركوا موسى ولم يؤمن بدعوته إلا عدد قليل منهم وقد أكد القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [1] (يونس: ٨٣).

وحينما تبين لموسى وهارون أن فرعون وقومه قد ازداد كفرهم وجرمهم وأن آيات الله العديدة لم تؤثر فيهم تاقت أنفسهما إلى الرحيل من مصر فأمر الله موسى بأن يسرى ليلاً بقومه فى اتجاه الحدود الشرقية لمصر بغرض الخروج منها إلى الأرض المقدسة فى فلسطين دون موافقة فرعون أو قومه، ولما حاول فرعون وآله الوقوف أمام إرادة الله فى خروج بني إسرائيل أغرقهم فى بحر لجي عميق بينما أنجى موسى وقومه ليبدءوا دوراً جديداً فى نشر دين الإسلام فى الأرض المقدسة وما حولها بل بين جميع ممالك العالم القديم حيث فرض سليمان عليه السلام سلطانه على جميع ممالك العالم القديم وقام بتبليغ رسالة الله إليهم[2].

علاقة بني إسرائيل بالمصريين القدماء

يري بعض المؤرخين إن بني إسرائيل يميلون بطبعهم إلى العزلة وعدم الاتصال والاحتكاك بغيرهم إلا أن هذا لا يتفق مع التكليف الإلهي لهم بنشر دعوه الإسلام بين الناس وخاصة أن هذا التكليف قد استمر من عصر يعقوب عليه السلام إلى عصر المسيح عيسى ابن مريم ولذا فإنه كان من الواجب عليهم إقامة علاقات ودية وطيبة مع بني جنسهم ومن يتحدث بلغتهم بهدف نشر دين التوحيد بينهم ونبذ عبادة الأوثان والأصنام.

---

(١) القرآن الكريم،سورة يونس:٨٣

(٢) رشدي البدراوي،أنبياء بني إسرائيل،قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الخامس،ص:١٩١-١٩٦

وربما العزلة التي قد قصدها هؤلاء المؤرخون تتمثل فى المحافظة على جنسهم وعدم انصهاره فى أجناس أخرى بما يضمن استمرار بقائهم وعدم خروج الدعوة من بينهم إلى غيرهم[1].

كما اعتقد البعض الآخر من المؤرخين أنهم لم يتأثروا بالمصريين القدماء لاختلافهم جنساً ولغة وأفكاراً وعقائدَ وحرفاً ومهناً ولكنه فى الواقع إذا ما بحثنا فى النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها نجد أنهم قد تأثروا بالمصريين القدماء سواء أثناء إقامتهم فى مصر أو بعد خروجهم منها[2] واستقرارهم بالأرض المقدسة فى فلسطين بينما رأى فريق آخر من المؤرخين أن بني إسرائيل لم يكن لهم أي تأثير يذكر على حياة المصريين القدماء فهم أقل ثقافة وحضارة منهم كما أنهم كانوا منبوذين منهم أيضاً باعتبارهم من البدو الرعاة الآسيويين الذين ينقصهم النظافة والطهارة ولما يتصفون به من صفات غير حميدة كالقتل والزنا والسلب والنهب والسرقة والتجبر وأن الأفكار السماوية التي نجدها فى الدين المصرى القديم سابقة لدخول بني إسرائيل إلى مصر وهي فيما يبدو موروثة عن أنبياء ورسل قد بعثوا إلى المصريين القدماء فى عصور قديمة وقام كتَّابهم وحكماؤهم ورجال الدين بتسجيلها بغرض الحفاظ عليها لما فيها من منافع فى حياتهم الدنيوية والآخروية[3].

إلا أننا فى الواقع نلمس أثر إبراهيم عليه السلام وبعض ذرية يعقوب كيوسف وموسى

---

(١) س.نايوفتس:مصر أصل الشجرة،الجزء الثاني،ص:٢٥٧

(٢) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر الخروج،٢٠/١-١٧

(٣) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الثالث،ص:٥٦٢

هارون عليهم جميعاً السلام حيث نجد بالنصوص المصرية القديمة ما يفيد[1].

١- إعادة الحياة لطير بعد فصل إجزائها عن بعضها البعض.

٢- شق ماء مجرى مائي وكشف جزء من قاعة.

٣- حلول الظلام بأرض مصر لمدة ثلاثة أيام نهاراً وليلاً.

٤- تحول ماء النهر إلى دماء.

٥- المساواة بين الناس دون اعتبارات الفوارق الاجتماعية أو السلطة أو الثراء واعتبارهم جميعا سواسية كأسنان المشط.

٦- عبادة إله واحد ونبذ الآلهة الأخرى.

٧- حدوث مجاعة عالمية استمرت سبع سنوات متصلة كانت أرض مصر هي المنقذ لمن أصابتهم هذه المجاعة..

٨- حلول جائحة شنعاء بالدلتا دون بقية أرض مصر حيث أصابت فرعون وقومه (العامو) تسعة ابتلاءات منها الضفادع والجراد والبعوض وغيرها[2].

لا يمكننا الاعتقاد بأن المصريين القدماء قد ميزوا بين بني إسرائيل والهكسوس الذين كانوا يعيشون فى كنفهم منذ عصر يعقوب ويوسف والأسباط عليهم السلام باعتبارهم يشكلان جنساً آسيوياً واحداً ويتكلم كل منهما لغة واحدة بل إن حرفتهما الرئيسية هي الرعي، كما يشتركان معاً فى كثير من العادات والتقاليد.

---

(1) سليم حسن:مصر القديمة،الجزء الثالث،ص:١٧٦
Lichtheim . Ancient Egyptian Literature. I. P.151- 156. W.Helck Die phrophe zeiung des Nfr. Ti. Weisbaden 1970 ...

كما لا يعتقد كذلك أن حكام الهكسوس قد سمحوا لبني إسرائيل بإقامة علاقات منفصلة مع غيرهم من أهل مصر وخاصة المصريين الوطنيين خوفاً من أن يؤمنوا برسالة كل من يعقوب ويوسف والأسباط وموسى وهارون مما ينشأ عنه انضمام المصريين إليهم وتشكيلهما حلفاً قوياً يكون مصدر خطر على وجود هؤلاء الحكام الأجانب وقومهم فى مصر خاصة أن الغالبية العظمى منهم لم يؤمنوا بدعوة أنبياء بني إسرائيل وبدأت تلوح فى الأفق مظاهر العداوة والبغضاء والكره بينهما كما أنه من غير المرجح أن:-.

أ- استمرار أكثر أسباط بني اسرائيل فى الإقامة فى مصر بعد طرد الملك أحمس الأول للهكسوس..

ب- خروج بني اسرائيل جميعهم أو سبطي يهوذا وأشير أو سبط يهوذا فقط من مصر مع الهكسوس حين تم طردهم على يد هذا الملك..

ج- دخول بني إسرائيل جميعهم أو بعض أسباطهم الأرض المقدسة قبل طرد الهكسوس من مصر ومطاردتهم فى بلاد الشام وتشتيتهم فى أماكن بعيدة عن النفوذ المصري..

د- دخول سبط يهوذا الأرض المقدسة فى فلسطين بافتراض أنهم الهكسوس الذين وقعوا معاهدة صلح مع الملك أحمس الأول.

لأن سماح الجيش المصري للهكسوس أو لأسباط بني إسرائيل أو بعضهم فى الإقامة فى فلسطين له أضرار وعواقب وخيمة على مصر إذ يُمكن للهكسوس اعادة احتلال مصر مرة أخري منتهزين أي فرصة ضعف تلوح لهم وكان الأمر نفسه سيحدث مع الأسباط الذين خرجوا مع هؤلاء الهكسوس باعتبار أن المصريين لم

يفرقوا بينهما بل كانوا يعتبرونهما نسيجاً واحداً.

كما أنه من غير المقبول الأخذ بالرأي القائل بأن بني إسرائيل كانوا يعيشون في مصر خلال عصر الدولة الحديثة ولم تذكر النصوص المصرية اسمهم أو أي حدث من أحداثهم وخاصة الابتلاءات التسع التي ذكرها القرآن الكريم وأشارت إليها التوراة كذلك لم تشر إلى أعمال التذبيح والقتل وهتك أعراض النساء بصورة واضحة جلية دون اللجوء إلى الرمزية.

انه لم يكن لدي الكتاب المصريين أية موانع تحول دون ذكرهم لاسم إسرائيل أو أي سبط من أسباطه فقد ذكروا خلال عصر الدولة الحديثة أسماء شاسو أدوم وشاسو سعير وشاسو موآب وغيرهم فضلاً عن ذكرهم لأسماء جماعات أجنبية صغيرة كانت تهدد مصالح مصر ومنها الثكر وغيرهم من أقوام شعوب البحر.

أما عن الأسباب التي حالت دون ذكر اسمهم فى النصوص المصرية أنهم عاشوا فى حقبة الاحتلال الهكسوسي لمصر والتي تعد فترة بغيضة للمصرين وخرجوا قبلهم واستقروا فى مواقع بعيدة عن النفوذ المصري ولم يشكلوا أي تهديد لهذا النفوذ.

ومما يؤكد عدم وجود بني إسرائيل فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة نصوص الكاهن الأوجاريتي ميلكو والتي أشار فيها إلى كل من سبط يهوذا وأشير كانا خارج الحدود المصرية وانه كان لكل منهما قوة عسكرية مؤثرة تمكنت من تهديد مصالح بعض الممالك والإمارات فى بلاد الشام وجزر البحر المتوسط.

العلاقات الدينية :

لقد أثبتت الوثائق المصرية القديمة أن حكام مصر وقومهم كان لديهم علم بالأنبياء الذين عاشوا على أرضهم وخاصة إبراهيم ويوسف وموسى وهارون ومن

هذه الوثائق ورقة وستكار وورقة ليدن رقم ثلاثمائة وأربع وأربعون وورقة ليننجراد وغيرها وإن لم تذكر هذه الوثائق أسماء هؤلاء الأنبياء صراحة إلا أنها قد أشارت إلى أهم الأحداث أو الآيات التي أيدهم الله بها ومنها شق مسطح مائي ضخم وكشف جزء من قاعه وحلول ظلام ليلاً ونهاراً لمدة ثلاثة أيام متصلة، وتحول ماء النهر إلى دماء ومجاعة أصابت مصر لمدة سبع سنوات وإحياء طير فصلت رؤوسه عن أجساده[1] ولكن لم تسجل هذه الأحداث فى النصوص المصرية إلا خلال عصر الدولة الحديثة، أي بعد خروج بني إسرائيل من مصر بسنوات عديدة ولكن فيما يعتقد بعض الكُتّاب الأجانب الذين سمح لهم بتولي بعض المناصب فى مصر يقفون وراء تسجيل هذه الأحداث وخاصة بعد تحسن العلاقات بين المصريين والآسيويين لأسباب عديدة منها زواج بعض ملوك مصر من أميرات وملكات من الأسر الملكية الحاكمة فى بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وعقد المعاهدات التي ترسي دعائم السلام بين مصر وبعض الممالك والإمارات فى آسيا فضلاً عن استقدام كثير من أمراء الأسر المالكة فى آسيا إلى مصر بغرض تعليمهم وتثقيفهم ولعقد علاقات صداقة بينهم وبين أمراء مصر وكان من بين هؤلاء الكتاب بعض اليهود وخاصة خلال العصر المتأخر والعصر اليوناني الروماني فى مصر حيث دخلوها وعاشوا فيها بعد أن تعرضوا للسبي أو الإبادة الجسدية علي يد الآشوريين ثم البابليين.

والكشف عن هذه النصوص فى مصر القديمة دون غيرها من ممالك وإمارات العالم القديم ليدل على وقوع هذه الأحداث فى مصر أو على الأقل ترتبط بالأنبياء

(1) Lichtheim. Ancient Egyptian Literature. I. p.151-156. W.Helck. Die phorphezeiung Des Nfr. ti. Kleine Agyptiscke Texte. Wiesbaden. 1970. p.16-28

الذين دخلوا مصر وعاشوا على أرضها فترة من الزمان.

كما عثر على مخطوط قبطي من القرن الثالث قبل الميلاد جاء فيه « هذا هو الذي أحضرهم خارجاً وقام بعمل الآيات والمعجزات فى مصر وفى البحر الأحمر وفى الصحراء..»[1] كما ورد مناظر علي جدران بعض مقابر جبانة البجوات بالواحة الداخلة من العصر اليوناني الروماني تشير إلى خروج بني إسرائيل من مصر ولكن الأمر الملفت للنظر أن هؤلاء الأنبياء لم يبعثوا إلى المصريين القدماء لاختلافهم فى الجنس واللغة ويبدو أن معرفة المصريين القدماء بأحداث هؤلاء الرسل قد جاءتهم عن طريق الآسيويين الذين كانوا يعيشون فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر والذين تولى كثير منهم بعض المناصب الهامة فى مصر وخاصة ابتداءً من عصر الملك تحتمس الرابع الذي فتح الباب على مصراعيه أمام حكام مصر وملوكها للزواج من أميرات آسيويات وقد امتلأت قصورهم بالجواري والإماء من مختلف إمارات وممالك بلاد الهلال الخصيب فضلاً عن دخول اليهود مصر وتكوين جاليات كثيرة لهم فى إنحاء مصر ومنها منف والفنتين والأشمونين وغيرها[2].

وهذه الآيات التي أظهرها الله على أيدي رسله قد نسبها هؤلاء الكتاب الأجانب أو المصريون إلى ملوك مصر بعد أن أضافوا إليها أو حذفوا منها مما يرفع فى النهاية من منزلة هؤلاء الحكام أو الملوك.

ولكن بعد أن دخل كثير من المصريين القدماء فى دين المسيح عليه السلام بدءوا

---

(١) ... آثار رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٨٦.

يسجلون هذه الآيات بمصداقية وينسبونها لأصحابها من الأنبياء والرسل.

يرى بعض المؤرخين وجود علاقة وطيدة بين مزامير داود، خاصة المزمور رقم مائة وأربع وأناشيد إخناتون الملك المصري الذي اعتلى العرش فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة وقد اختلفوا فى أيهما اقتبس من الآخر فقرر فريق منهم بأن داود عليه السلام قد تأثر بأناشيد إخناتون التي كتبها فى عصر سابق لميلاد داود بينما رأى فريق آخر أنها مجرد توارد أفكار أو أن كل منهما استقى أفكاره من مصادر سماوية قديمة.

كما أنه ليس من المقبول أن يقتبس نبي الله داود عليه السلام أفكاره من إخناتون التي أثبتت الأدلة والبراهين أنه لم يكن نبيّاً أو رسولاً أ و داعياً إلى عبادة الله وحده ومن هذه الأدلة.

أ- صُوِّر إخناتون وأفراد أسرته واقفين أمام الإله آتون الذي صور فى هيئة قرص الشمس يخرج منه أذرعة آدمية تمسك رمز الحياة وإن كان إخناتون نبيّاً حقّاً لما سمح لنفسه أو لغيره أن يُصوِّر الله بهذه الصورة فالله ليس مثله شيء ولم يحدد لنفسه صورة أمام الناس وإن كان وصف نفسه فى القرآن بصورة حسية مادية فهي على سبيل التقريب لعقول البشر العاجزة على التوصل إلى صورة وهيئة الله وقدرته بحكم إمكانياتهم التي خلقهم الله بها، وهذه الصورة التي وضعها إخناتون لربه لم ترد فى أي كتاب سماوي ولم يشر إليها أي نبي من أنبياء الله[1].

ب- يدَّعي البعض أن إخناتون لم يعبد قرص الشمس ولكنه كان يعبد القوة المحركة له ولكن يمكن الرد علي ذلك الرأي بأنه إذا كان إخناتون نبيّاً لم اقتصر على إثبات وجود الله على قرص الشمس حيث يوجد آيات ودلائل كثيرة لا تعد ولا

(١) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الثاني ص: ٢١٠، رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثاني ص: ٥٧٧ - ٥٨٢

تحصي تدل على وجود الله الخالق الأعظم فى الآفاق وفى النفس البشرية وعلى الأرض وجميعها تؤكد قدرته.

ج- أن إخناتون لم يتعبد للقوة المسيطرة على الشمس حيث ما ورد بتسابيحه تنفى أن الله هو المقصود (بآتون) فمثلاً ينادي إخناتون إلهه « يا ضوء النهار» فالشمس تشرق فتضىء ما تشرق عليه نهاراً واستخدام فعلي تشرق وتغرب يتصلان بالشمس لا برب الشمس فنور الله لا يغيب لحظة وإذا كان آتون يسكن فى السماء فهو لا يرتبط بالأرض إلا بأشعته وهذه الأشعة ليست لها الديمومة على الأرض كما أنها لا تتسلط على الأرض كلها فى آن واحد حيث تظهر فى مكان وتختفى فى مكان آخر كما إنها فى الموقع الذي تظهر فيه قد تحجبها السحب والغيوم. كما أن اسم آتون لا نجده ضمن أسماء أو صفات الله ﷻ بينما الشمس فى مزامير داود تعد خلقاً من مخلوقات الله ودليلاً على قدرته وليست إلهاً كما فى أناشيد وتراتيل إخناتون[1].

د- إذا كان إخناتون نبيّاً لما سمح لفناني عصره أن يصوروه علي تلك الهيئة التي ينهي الله عنها حيث أظهره فى هيئة خنثى فلا هو ذكر ولا هو أنثى وإنما جمع بينهما حيث نجده عارياً مجرداً من ثيابه بلا حياء وبدون عضوه الذكري حتى تكاد بعض صوره تشبه صور النساء وخاصة النصف الأسفل من جسده ويحاول البعض أن يجد من المبررات التي دفعت إخناتون الى ذلك حيث قالوا إن ذلك نوع من الحشمة والوقار وعدم تصوير العضو الذكري هو نوع من الطهارة ولكن يمكن الرد على ذلك بأنه كان يمكن تلافى هذا العري الذي هو من عمل الشيطان وذلك بستر منطقة العورة بأي نوع من الثياب، كما أن إزالة بعض أجزاء الجسد فيه تغيير لخلق الله وهو دعوة واضحة لإهمال هذا العضو الذكري الذي هو منّة من الله للإنسان لاستمرار

(1) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص: ٥٧٥

كثير من خلقه على الأرض بالطريق الشرعي الذي رسمه الله لهذا الخلق، وهذا التصوير تم فى حياة إخناتون وتحت سمعه وبصره وبمباركة منه[1].

ومن المقارنات التي عقدها هؤلاء المؤرخون بين أناشيد إخناتون والمزمور رقم مائة وأربع من مزامير داود.

١- مزمور داود : « تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يدب كل حيوان وعر[2].

أناشيد إخناتون: « حينما تغيب فى أفق السماء الغربي فإن الأرض تظلم كالموات فينامون فى حجراتهم ورؤوسهم ملفوفة ومعاطسهم مسدودة ولا يرى إنسان الآخر فى حين أن أمتعتهم تسرق وهي تحت رؤوسهم وهم لا يشعرون».

٢- مزمور داود : الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الإله طعامها.

أناشيد إخناتون : وكل أسد يخرج من عرينه ليفترس وكل الثعابين تنساب لتلدغ والظلام يخيم والعالم فى صمت فى حين أن الذي خلقهم فى افقه.

٣- مزمور داود : تشرق الشمس فتجتمع وفى مأويها تربص الإنسان، يخرج إلى علمه وإلى شغله إلى المساء.

أناشيد إخناتون: «الأرض زاهية حينما تشرق فى الأفق وعندما تضيء بالنهار مثل آتون فانك تقصى الظلمة إلى بعيد وحينما ترسل أشعتك تصير الأرض فى عيد والناس يستيقظون ويقفون على أقدامهم عند إيقاظك لهم وبعد غلسهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم ثم يرفعون أذرعتهم تعبداً لطلعتك ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم

---

(١) أحمد حسين: موسوعة تاريخ مصر، الجزء الأول، القاهرة: ١٩٩٢، ص: ١١٨، س. الدريه: الفن المصري القديم/تعريب أحمد زهير، القاهرة: ١٩٩٠، ص: ٢٢٥

(٢) أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة، ص: ١٨٢-١٨٤

في كل العالم...»[1].

٤- مزمور داود: « هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار هناك تجري السفن لوياثان هذه خلقته ليلعب فيه».

أناشيد إخناتون: « والسفن تقلع فى النهر صاعدة أو منحدرة فيه على السواء وكل فج مفتوح لأنك أشرقت والسمك يثب فى النهر أمامك وأشعتك تنفذ إلى وسط البحر الأخضر العظيم».

٥- مزمور داود: « ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك ».

أناشيد إخناتون: « ما أكثر تعدد أعمالك إنها على الناس خافية يا أيها الإله الأحد.

كما عقد المؤرخون أيضاً مقارنات بين سفر الأمثال لسليمان عليه السلام وتعاليم أمنموؤبي وقد اختلفوا فى أيهما اقتبس من الآخر وقد تعددت آراؤهم بحيث تكاد تتطابق مع الآراء التي أدلوا بها بخصوص مزامير داود وأناشيد إخناتون ومن هذه المقارنات[2].

١- سفر الأمثال:

« أمِلْ أذنيك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى علمي »[3].

تعاليم أمنموؤبي: « أعرني أذنيك واسمع الكلمات التي تقال واشحذ فكرك لتفسرها، وإنه لمن الخير أن تضعها فى قلبك».

---

(١) المرجع السابق،ص:١٨٣-١٨٤

(٢) المرجع السابق،ص:١٨٤-١٨٦ ؛سليم حسن:الأدب المصري القديم،الجزء الأول ؛ فى القصص والحكم والتأملات ... القاهرة: ١٩٤٥،ص:٢٧٢-٢٨٠؛ رشدي البدراوي: المرجع

٢- سفر الأمثال:

« فإنه يلذ إذا حفظت فى باطنك ويفيض على شفتيك».

تعاليم أمنمؤوبي: « فإنها ستكون بمثابة وخز للسانك».

٣- سفر الأمثال :

« لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ولا تسحق البائس عند الباب».

تعاليم أمنمؤوبي «احذر أن تسلب فقيراً معدوماً وأن تكون شجاعاً أمام رجل مهيض الجناح».

٤- سفر الأمثال

« من يقول إني زكّيت قلبي تطهرت من خطيئتي».

تعاليم أمنمؤوبي.

« لا تقولن ليس لي جريمة».

٥- سفر الأمثال:

« الساعي بالنميمة يفشي الأسرار فلا تخالط فاغر الشفتين».

تعاليم أمنمؤوبي: «لا تنشر أقوالك لآخر ولا تصاحبن إنساناً يكشف عما فى قلبه»[٤]

٦- سفر الأمثال:

« لا تقل أجزي على الشر بل انتظر الرب ليخلصك».

تعاليم امنمؤوبي« لا تقولن أوجد لي مخلصاً وأن رجلاً يكرهني قد أضرّبي وحقا

---

(٤) أحمد يوسف:المرجع السابق:ص:١٨٤-١٨٦؛سليم حسن:المرجع السابق:ص:٢٧٢-٢٨٠؛رشدي البدراوي: المرجع السابق:ص:٢١٤-٢٢٧

لك لا تعرف تدابير الإله ولا يمكنك أن تعرف الغد، فاجلس بين يدي الإله ورزانتك تغلب عليهم».

٧- سفر الأمثال:

«معيار رجس عند الرب وميزان الغش ليس بصالح».

تعاليم أمنمؤوبي «لا تتلاعبن فى كفتي الميزان ولا تغش الموازين ولا تنقص من أجزاء مكاييل الغلال».

٨- سفر الأمثال:

«ها إني كتبت لك حكما جليلة عن المشورة والعلم لأعلمك حقيقة أقوال الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك».

تعاليم أمنمؤوبي: « تأمل لنفسك هذه الفصول الثلاثين فإنها تمتع وتعلم لتعرف الإجابة عن سؤال يلقي عليك والرد علي مسألة لمن يستفسر عنها» [١].

٩- سفر الأمثال:

«لا تصاحب الرجل الغضوب ولا تساير الإنسان الحنق (الأحمق)».

تعاليم أمنمؤوبي«لا تخالطن الرجل الأحمق ولا تدن منه للمحادثة».

١٠- سفر الأمثال:

«لا تزح الحدود القديمة التي وضعها آباؤك».

تعاليم أمنمؤوبي: «لا تزحزح الحد الفاصل بين الحقول ولا تحولن موقع خيط المقياس».

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص: ٢٧٢-٢٨٠.
رشدي البدراوي: المرجع السابق، ص: ٢١٤-٢٢٧.
أحمد يوسف: المرجع السابق، ص: ١٨٤-١٨٦

١١- سفر الأمثال:

« إذا جلست لتأكل مع ذي سلطان فتأمل أشد التأمل فيما أمامك وضع سكينا لحنجرتك إن كنت ذا شره».

تعاليم أمنمؤوبي: « لا تأكل الخبز فى حضرة الشريف ولا تكن أول من يلوك بفمه، انظر إلى الوعاء الذي أمامك واجعله يكفى حاجتك».

١٢- سفر الأمثال:

«أرأيت الإنسان الذي يجد فى عمله، إنه يقف أمام الملوك».

تعاليم أمنمؤوبي: «أما من جهة الكاتب المدرب فى وظيفته فإنه سيجد نفسه أهلاً لأن يكون من رجال البلاط »[١].

وإذا ما نظرنا إلى الوصايا العشر لموسى عليه السلام نجدها لا تختلف كثيراً عن الأفكار الدينية للمصريين القدماء مما يستدل منه على أن كثيراً من الأفكار الدينية عند المصريين القدماء تعود إلى أصول سماوية فمن الوصايا العشر«أكرم أباك وأمك،لا تقتل،لا تزن،لا تسرق لا تشهد على قريبك زور،لا تشته قريبك،لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته»[٢] بينما فى كتاب الموتى الفرعوني نقرأ « إنى لم أسرق،لم أقتل، لم أنطق بالأكاذيب،لم أرتكب الزنا،لم أغرر بزوجة رجل،لم أغش،لم أسيء معاملة أحد،لم أظلم،لم أخالط الأشرار،لم أسب إلهة أو أخالف أمرها»[٣].

وكان من أهم ما أخذه اليهود عن المصريين القدماء المحرقة أو الصعيدة التي

---

(١) رشدي البدراوي:المرجع السابق،ص:٢١٤-٢٢٧؛أحمد يوسف:المرجع السابق،ص:١٨٤-١٨٦؛سليم حسن:المرجع السابق، ص:٢٧٢-٢٨٠

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الخروج:٢٠

(٣) رشدي البدراوي:المرجع السابق،الجزء الرابع،ص:٩٩١-٩٩٢

أطلقوا عليها (سب إن سجت) فقد قدم البحار الذي حطمت الأنواء سفينته وألقته الأمواج على شاطئ جزيرة منعزلة بالبحر الأحمر محرقة للإله بمناسبة نجاته من الغرق كما نجد هذه الشعيرة مسجلة بمقبرة المدعو سنب بجبانة الجيزة من عصر الدولة القديمة وبمقبرة مننا بجبانة طيبة من عصر الدولة الحديثة وكانت شعائر المحرقة عند اليهود تقضى بحرق ذبيحة فى الصباح وأخرى فى المساء وكذلك كان يفعل المصريون القدماء[1].

كما أورد كتاب التوراة ما نصه «والرب وزان القلوب... »[2] (سفر الأمثال:٢/٢١) ولا شك أن هذه العبارة تجد ما يؤكدها فى المناظر والنصوص المصرية القديمة وخاصة على جدران بعض المقابر وعلى أوجه بعض أوراق البردي وغيرها حيث يوضع قلب المتوفى فى أحد كفتى ميزان ويتم وزنه أمام إله العالم الآخر وفى حضور عدد آخر من المخلوقات المقدسة التي تضطلع بدور كبير فى هذا العالم[3].

حذر بعض أنبياء بني إسرائيل مَنْ هاجر منْ اليهود إلى مصر واستقروا بها وأقاموا جاليات كبيرة فيها من مجاراة المصريين فى عبادتهم للأوثان أو لغير الله أو تعريض أنفسهم للانصهار فى المجتمع المصري مما ينجم عن ضياع هويتهم على المدى الطويل فضلاً عن تعرضهم لغضب الرب حيث أنه قد سبق أن أخرجهم من مصر وأسكنهم الأرض المقدسة بفلسطين وعليهم أن يتمسكوا بما أمرهم والدفاع عن ما أعطاهم وعدم التفريط فيه وعدم الرحيل عن هذه الأرض مهما كانت الأسباب[4].

---

(١) سليم حسن، الأدب المصري القديم، الجزء الأول، ص: ٤٧-٥٤

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الأمثال: ٢/٢١

(٣) أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة، ص: ١٩١

(٤) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ٢٢٠

ولقد ساءت العلاقات بين المصريين القدماء واليهود خاصة بعد أن مارسوا شعائرهم الدينية بصوره علنية وتخلوا عن أدائها فى السر والخفاء بعيداً عن أعين المصريين مما أثار حفيظة المصريين تجاههم ومما جعلهم يناصبون اليهود العداء خاصة أنهم كان يحلون ذبح الكباش رمز إلههم خنوم وهو من الحيوانات المقدسة عند المصريين[1].

العلاقات السياسية

اعتقد بعض المؤرخين أن أحد حكام الدولة الوسطى أو الحديثة أو حاكمين منهم قد قام أحدهم بتذبيح أطفال بني إسرائيل بعد أن رأى حلماً فى نومه فسره له الكهنة بأن زوال ملكه وحكمه وسلطانه السياسي سيكون على يد طفل يولد فى بني إسرائيل بينما قام الآخر بتسخيرهم واضطهادهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم بعد أن كلف الله موسى بالتوجه إليه فى مصر وطلب منه ومن قومه الإيمان بالله وحده ونبذ عبادة الإنسان والأصنام والموافقة علي رحيل بني إسرائيل من مصر للإقامة بالأرض المقدسة فى فلسطين إلا أن هذا الحاكم وقومه قد رفضوا هذه الطلبات مما أوجب الانتقام الإلهي منهم بتسع ابتلاءات شداد شملت جميع نواحي حياتهم وانتهت بغرق هذا الحاكم فى البحر ومعه آله و جنوده بعد أن دخلوا البحر المشقوق خلف موسى وقومه وقد اختلفوا فى تحديد اسم كل منهما وهي كالتالي الملك سنوسرت الثاني أو سنوسرت الثالث أو أمنمحات الرابع من عصر الدولة الوسطي وكل من الملك أحمس الأول وأمنحوتب الأول وحتشبسوت وتحتمس الثالث وأمنحوتب الثاني وتحتمس الرابع وأمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع وتوت عنخ آمون وحور محب

---

(1) B.Trigger, and Others. Ancient Egypt. Social History. Cambridge .1998.P.315

ورمسيس الثاني ومرنبتاح وأخيراً رمسيس الثالث من عصر الدولة الحديثة إلا أنه لم يثبت أن أحداً من هؤلاء الملوك وجيشه قد غرق فى البحر[1] ورأى بعض المؤرخين أن أحد هؤلاء الملوك هو الذي طردهم بمحض إرادته لانتشار الأمراض وهذا الرأي أيضاً بعيد عن الصواب لأن كل من تحتمس الثالث وحتشبسوت لم يكونا معاصرين لسليمان عليه السلام[2].

كما ذكر المؤرخ اليهودي يوسفيوس أن ملكاً يسمى أمنحوتب وابنه قد ساءت فى عهدهما العلاقة بين المصريين وبين بني إسرائيل حيث أشار عليهما الكهنة باستعباد وتسخير بني إسرائيل واضطهادهم تقرباً للآلهة المصرية ويقللون من شأنها بل إنهم كانوا يهينونها ويحطمون تماثيلها كما أنهم فيما يعتقد كانوا وراء بث الفرقة والانقسام بين طوائف الكهنة المصريين كما أنهم كانوا وراء انتشار الأمراض المعدية بين المصريين وذلك باعتبارهم بدواً تنقصهم النظافة الشخصية[3]. وقد اختلف المؤرخون فى تحديد شخصية هذا الملك وابنه فمنهم من رأى أنه أمنحتب الثاني أو الثالث أو الرابع أما الشخصية الثالثة فهي تمثل أحد الكهنة المصريين الذي يدعى أوزيرسيف وقد انشق على الملك الحاكم وأسرته الملكية حيث تزعم كل من بني إسرائيل وبقية الكهنة المصريين الذين تم نقلهم مع إخوانهم من بني إسرائيل إلى أواريس تلك العاصمة التي سبق أن اتخذها الهكسوس أو اليهود عاصمة لهم ويذكر المؤرخ يوسفيوس أن هذا الكاهن المصري قد ساعد اليهود فى أورشليم على دخول مصر مرة ثانية واحتلالها لمدة ثلاثة عشر عاماً ومن المعلوم أن القوانين المصرية

---

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ٢١١-٢٢٧

(٢) عبد المنعم عبد الحليم: المرجع السابق، ص: ٧٣-٧٥

(٣) المرجع السابق، ص: ٨٣-٨٤، شكل ٥

تعد التآمر على أمن مصر وسلامة حكامها خيانة عظمى تكون عقوبتها الموت كما أن النصوص المصرية القديمة لم تشر إلى تآمر بعض المصريين أو أحدهم ضد وطنهم مصر أو ضد أحد حكامها ويبدو أن هذا المؤرخ يريد تشويه صورة مصر والمصريين وهذه الرواية التي نقلها عن مانيتون المؤرخ المصري لا تجد من الأسانيد ما يؤكدها حيث يتفق أغلب المؤرخين أنه لا يوجد دخول ثانٍ للهكسوس أو لليهود إلى مصر أو احتلال هكسوسّي أو يهوديّ للأراضي المصرية خلال عصر الدولة الحديثة.

كما يذكر بعض المؤرخين أن موسى عليه السلام قد أقام علاقات سياسية طيبة مع حور محب بعد أن أطاح بالملك إخناتون وعقيدته.

ويرى بعض المؤرخين أن حكام مصر قد دخلوا فى معارك حربية مع بعض أسباط إسرائيل خلال عصر الدولة الحديثة وذلك بعد دخولهم الأرض المقدسة فى فلسطين واستقرارهم بها وقد استنتج ذلك بعض المؤرخين مما أورده كتاب التوراة عن القاضية الإسرائيلية دبوره التي كانت تعيش فى مكان يطلق عليه تابور أو دبور وأن هذه القاضية قد دعت الإسرائيليين إلى مقاومه سيسرا وجنوده عند قادش حيث اعتبر سيسرا ما هو إلا الملك المصري رمسيس الثاني حيث أن هذا اللفظ العبري قريب من اللفظ المصري القديم رع-مسس أو مسس-رع[1] ويعتقد أن العلاقات بين ملوك مصر ومملكة إسرائيل الكبرى خلال عصر الملك داود عليه السلام لم تكن ودية ويستدل على ذلك أن الملك المصري بسوسنس الثاني قد استقبل الأمير حدد البالغ عمره سبع سنوات الذي نجا من المذبحة التي ارتكبها يوآب قائد جيش داود عليه السلام الذي أفنى فيها كل ذكر فى أدوم وأعطاه بيتاً وأرضاً وعين له طعاماً ولما بلغ مبلغ الشباب زوجه من

(١) مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر فى عصري البطالمة والرومان، القاهرة: ١٩٦٨، ص: ٤-٦

أخت امرأته تحفنيس[١] ولكن هذه العلاقات أخذت تتحسن تدريجياً بل زادت وقويت بزواج الملك سليمان من ابنة بسوسنس الثاني فرعون مصر وكانت هذه العلاقة سبباً وراء عدم السماح لحدد الأدومي بالعودة إلى مملكته وخاصة بعد وفاة داود وقائد جيشه موآب.كما أنه اشتم من طلب حدد الأدومي ترك مصر أنه ينوي الانتقام لمقتل والده من سليمان فلم يشأ أن يفسد العلاقات بينه وبين زوج ابنته سليمان[٢].

وقد ذكر كتاب التوراة «... وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بستمائة شاقل من الفضة والفرس بمائة وخمسين ثم يبيعها هكذا لجميع ملوك الحيثيين وملوك أرام»[٣] (ملوك أول:٢٦/١٠) ونعلم أن المصريين القدماء قد اهتموا اهتماماً كبيراً بالمركبات فأقاموا الورش المختلفة في أنحاء البلاد لصناعة العديد منها حتى صاروا أمهر الصناع على مستوى العالم القديم وعلى وجه الخصوص ابتداءً من عصر الدولة الحديثة وقد زينوها وخاصة الملكية منها بالمناظر والنصوص التي تشير إلى شجاعة الملك وإقدامه وجرأته على مهاجمة عدوه فى بسالة لا نظير لها كما كسوها برقائق ذهبية وطعموها بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة وكانت تسع المركبة لراكبين أو ثلاثة.

وكان يتم تدريب سائقها تدريباً جيداً لصعود الهضاب وتفادي المطبات والحفاظ على المركبة من الانقلاب وتهشم أجزائها.كما كان الملك وكبار الضباط يتدربون على قيادة مركباتهم بأنفسهم[٤].

---

(١) رشدي البدراوي:أنبياء بني إسرائيل،الجزء الخامس،ص:١٨٦

(٢) رشدي البدراوي:المرجع السابق،ص:٢٣٩

(٣) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر ملوك أول:٢٦/١٠

كما اهتم المصريون بالخيول التي تستخدم فى جر هذه المركبات فأقاموا لها الحظائر وخصصوا لها مراعيَ شاسعة وعينوا موظفين للإشراف على تغذيتها وسقايتها ونظافتها والحفاظ علي صحتها وتدريبها حتى أصبح لديهم أحسن سلالات الخيل وقد جهزوا هذه الخيول بأطقم للرأس والزمامات والأطوقة.

وأصبحت المركبات تشكل سلاحاً من ضمن أسلحة الجيش وترجع أهميته لقدرته علي الهجوم إما بمفرده أو بالتعاون مع سلاح المشاة وقد استغل المصريون سرعة هذا السلاح فى الحركة والانتقال وإجراء المناورات الإستراتيجية والتحركات التكتيكية.

وقد أقام سليمان حظائر للخيل فى جهات متعددة فى مملكته وخاصة فى بيت شان وحاصور ومجدو وتعنك وأورشليم وغيرها من المدن.

وقد كشفت بعثات التنقيب عن بعض هذه الحظائر ووجد أنها كانت تتكون من فناء دائري محيطه مائة وعشرة أقدام وحوله ممر بعرض عشرة أقدام وخارج الممر مرابط فسيحة عرض كل منها عشرة أقدام وكذلك معالف ومعدات للسقاية وكان يتصل بتلك الحظائر فناء خارجي خصص لحفظ المركبات[1].

ويري بعض المؤرخين أن الملك المصري شاشانق الأول أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين الليبية قد توسط لإصلاح العلاقات بين حدد الأدومي وبين نبي الله سليمان وكان من نتائج ذلك ضمان خضوع مملكة أدوم لإسرائيل فى مقابل أن يحكم حدد مملكته حكماً ذاتياً وبذلك نزع فتيل الحرب والصراع بينهما وضمن لهما علاقات طيبة[2].

ويبدو أن ولاء هذا الملك المصري لسليمان ومملكته كان ظاهرياً فقط حيث إنه قد آوى خصوم سليمان ومنهم يربعام الذي أنكر على سليمان بعض أعماله وعارضه

(١) المرجع السابق،ص:١٦٤

(٢) المرجع السابق،ص:٢٣٩-٢٤٠

في بعض قرارته وحينما توفى سليمان عاد إلى فلسطين ليشق عصا الطاعة عن رحبعام بن سليمان مما أدى إلى انقسام مملكة إسرائيل الكبرى إلى مملكتين صغيرتين متناحرتين وقد استقل يربعام بعشرة أسباط وهي قبائل الشمال واتخذ شكيم عاصمة له ثم السامرة بعد ذلك أما مملكه يهوذا فتكونت من سبطين واتخذت من أورشليم عاصمة لها.

وفى السنة الخامسة من حكم رحبعام قاد الملك شاشانق الأول جيشاً وتوجه إلى فلسطين حيث هاجم مملكة يهوذا واستولى على خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وعاد بها إلى مصر حيث أورد كتاب التوراة.

«... فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شاشانق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان[1] » (الملوك الأول:١٤/٢٥-٢٦) .

وقد سجل شاشانق أخبار هذه الحملة على الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الأعمدة الكبير فى الكرنك كما ترك آثاراً فى مجدو وغيرها من مدن فلسطين.

تآمر بنو إسرائيل على قتل نبي الله إلياس أو إل ياسين أو إيليا حسب ما حرره كتاب التوراة وخاصة بعد أن قام بذبح أنبياء البعل بعد أن تمسكوا بكفرهم ورفضوا الرجوع إلى عبادة الله ﷻ وهنا قرر الهروب إلى مصر حيث لجأ إلى جبل حوريب الذي كان يتعبد به نبي الله موسى عليه السلام بعد خروجه بقومه من مصر حيث تجلى له الرب كما تجلى لموسى وأمره بمسح كل من حزائيل ملكاً على آرام دمشق وياهو بن نمشى ملكاً على إسرائيل بدلاً من آخاب واليشع بن شافاط عوضاً عنه[2].

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر الملوك الأول:١٤/٢٥-٢٦

(٢) [illegible]

تحالف تف-نخت من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين المصرية مع هوشع ملك السامرة وقد أدى هذا التحالف إلى صمود السامرة عاصمة مملكة إسرائيل أمام حصار الآشوريين لمدة ثلاث سنوات خلال عهد الملك الآشوري شلمانصر الخامس إلا أنها ما لبثت انهارت وسقطت فى ولاية سرجون الثاني حيث قضى على استقلالها وشرد أهلها[1].

كما قام الملك المصري شاباكا بإرسال حملة عسكرية إلى فلسطين بقيادة ابن أخيه طهرقا وقدم طهرقا مساعدته لليهود إلا أن الآشوريين قد حذروا اليهود من الاعتماد على مساعدة مصر حيث استطاع الملك الآشوري سنخاريب بعد خمس سنوات من حكمه مهاجمة يهوذا وَأجبر ملكها حزقيا-الذي كان موالياً لمصر والذي كان قد كوَّن حلفا ضد آشور-على دفع الجزية لآشور لضمان بقائه على عرش يهوذا[2] وحينما تولى طهرقا عرش مصر استطاع استعادة بعض أملاك مصر فى بلاد الشام إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى مصر مصطحباً عددا من الجنود المرتزقة اليهود الذين ضمهم إلى جيشه.

وقد فر النبي اشعياء ومجموعة كبيرة من أتباعه إلى مصر من وجه ملك يهوذا منسي حيث حاول قتلهم والتخلص منهم وذلك لأسباب منها[3].

١- قاموا بمعارضته كما لم يرضوا عن أفعاله وتصرفاته وخاصة أنه أمر بعبادة الأوثان والكواكب من دون الله ﷻ.

---

(١) رمضان علي:رموز من تاريخ مصر القديمة،ص: ١٦٠

(٢) رمضان علي:المرجع السابق،ص: ١٦٠-١٦١

(٣) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الخامس،ص:٣٤٥-٣٥٨

٢- محاولاتهم إعادته إلى المعتقدات السماوية.

ومن نبوءات إشعياء النبي عن مصر « وحى من جهة مصر هو ذا الرب راكب على سحابة سريعا وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها وأهيج مصريين على مصريين فيحارب بعضهم بعضا فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبة مدينة تحارب مدينة وتراق دماء مصر داخلها وأفنى مشورتها فيسألون الأوثان والعارفين وأصحاب التوابع والعرافين وأغلق على المصريين فى يد مولى قاس فيتسلط عليهم ملك عزيز، يقول السيد رب الجنود وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس وتنتن الأنهار وتجف سواقى مصر ويتلف القصب وكل روض أو مزرعة على النيل تيبس... [1] » (إشعياء ١٩/٢٠).

حينما عين الآشوريون بسماتيك الأول المصري ملكاً على الدلتا ومنف فقد قام بتكوين جيش كبير من الجنود المرتزقة وخاصة اليهود وأسكنهم فى أقصى جنوب مصر ألفنتين وقد شجع وجود جنود مرتزقة من اليهود فى هذا الموقع إلى تدفق أعداد أخرى من اليهود المدنيين وذلك لإحساسهم بالأمان وقد مارسوا التجارة وصاروا من الأثرياء حتى إن بعض الوثائق الآرامية أشارت إلى أن أحد أفراد الجالية اليهودية فى ألفنتين كان يعمل فى خدمته عدد من العمال المصريين [2].

أرسل الملك المصري نيكاو الثاني إلى يوشيا ملك يهوذا بعد سقوط مملكة إسرائيل بالسامرة ما يفيد بأنه ليس لديه النية لمهاجمة مملكته أو الدخول معه فى حرب إلا أن يوشيا قد أساء فهم الموقف ولم يعمل له حساباً وأصر على قتاله، حيث أورد محررو التوراة ما نصه « صعد نخو ملك مصر الى قرقميش ليحارب

عند الفرات فخرج يوشيا للقائه فأرسل اليه رسلا يقولون مالى ذلك يا ملك يهوذا لست عليك أنت اليوم ولكن على بيت حربى والإله أمر بإسراعى فكف عن الإله الذي معى ولا يهلكك ولم يحول يوشيا وجهه عنه بل تنكر لمقابلته ولم يسمع كلام نخو من فم الاله بل جاء ليحارب في بقعة مجدو وأصاب الرماة الملك يوشيا فقال الملك لعبيده انقلوني لأني جرحت جدا فنقله عبيده من المركبة ونقلوه على المركبة الثانية التي له وساروا به الى أورشليم فمات ودفن فى قبور آبائه » [1] أخبار الأيام الثاني٣٥/٢٠-٢٤).

وقد قام الملك نيكاو بعزل يهو-آحاز الذي ملك يهوذا بعد وفاة يوشيا وقبض عليه وأرسله إلى مصر أسيراً وعين ملكاً تابعاً له هو إلياقيم الذي غير اسمه إلى ياهو ياقيم وأكد خضوعه للتاج المصري.

« دفع ياهو ياقيم الفضة والذهب إلى فرعون إلا أنه قوَّم الأرض لدفع الفضة بأمر فرعون كل واحد حسب تقويمه مطالباً شعب الأرض بالفضة والذهب ليدفع لفرعون نخوه » [2] (سفر الملوك الثاني:٢٣/٢٩-٣٥).

ثم قام الملك نيكاو بحملة عسكرية إلى بلاد الشام بغرض مساعدة أولياء نعمته وقد عاد جيشه إلى مصر ومعه عدد كبير من الجنود المرتزقة اليهود فضلاً عن كثير من المدنيين اليهود الذين خافوا على أنفسهم من هجوم بابل بعدسقوط العواصم الدينية والإدارية لآشور [3].

حاول الملك إبريس وهو (حفرع) عند كتّاب التوراة تأليب ممالك وإمارات بلاد

---

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم سفر أخبار الأيام الثاني:٣٥/ ٢٠-٢٤

(٢) الكتاب المقدس،العهد القديم سفر الملوك الثاني:٢٣/٢٩-٣٥

(٣) رمضان علي،رموز من تاريخ مصر القديمة ص:١٦١

الشام ضد البابليين اتقاءً لشرهم وكان ملك يهوذا صدقيا موالياً للتاج المصري وكذلك النبي حنانيا الذي دعى باسم الرب إلى كسر النير البابلي[1]

إلا أن النبي إرميا قد تنبأ بأن البابليين سيستولون على أورشليم ويحرقونها ويسبون أهلها إلى بابل وأنه باسم الرب يجب الخضوع للنير البابلي.

ولما كان البابليون قد أخرجوا النبي إرميا من السجن ولم يأخذوه أسيراً إلى بابل فقد أصبح اليهود يشكّون فى نبوته بل وفى ولائه وحينما قتل الحاكم الذى عينه نبوخذ نصر هرب اليهود فى جماعات كبيرة إلى مصر وأخذوا معهم النبي إرميا رغماً عنه دون رغبته وأقاموا فى تل دفنه على بعد عشرة كيلو مترات من القنطرة حالياً.

ومن نبوءات هذا النبي

١- «كلمه الرب التي صارت إلى إرميا عن الأمم عن مصر عن جيش فرعون نخو ملك مصر الذى كان على نهر الفرات فى قرقميش الذى ضربه نبوخذ نصر ملك بابل فى السنة الرابعة من حكم يهو ياقيم بعد يوشيا ملك يهوذا»[2] (إرميا:١/٤٦).

٢- وعن الملك المصرى ابريس المعروف باسم حفرع لدى كتّاب التوراة «هكذا قال الرب فأنذا أرفع فرعون حفرع ملك مصر ليد أعدائه وليد طالبي نفسه كما دفعت صدقيا ملك يهوذا لنبوخذ نصرْ ملك بابل عدوه وطالبي نفسه»[3] (إرميا:٣/٤٤).

وأخيراً تحققت نبوءة النبي إرميا حيث سقطت أورشليم وأسر ملكها صدقيا وأتباعه على يد الملك البابلي نبوخذ نصر وقام بإحراق أورشليم ونقل حوالي عشرة آلاف من أهلها بما فيهم الصناع وأهل العلم والمعرفة إلى بابل.

(١) المرجع السابق،ص:١٦٢

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر إرميا:١/٤٦

(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر إرميا:٣/٤٤

ثم تمكن الفرس من دخول مصر فى عهد الملك قمبيز الذى استسلم له الملك المصري بسماتيك الثالث وعين على مصر ولاة وحكاماً من الفرس كان يعاونهم عدد كبير من الموظفين الأجانب خاصة البابليين والسوريين واليهود وقليل من المصريين وكانت العلاقات ودية بين اليهود فى مصر وولاتها من الفرس حيث هدموا كثيراً من معابد المصريين وأبقوا على معابد اليهود بل سمحوا لهم بأداء شعائرهم الدينية بصورة علنية مما أشعل نار ثورة المصريين ضد الولاة ذوي الأصل الفارسي وقاموا بتدمير بعض معابد اليهود[1].

لقد ازدادت أعداد اليهود فى مصر زيادة كبيرة وذلك نتيجة لهروب كثير من المدنيين من بطش آشور وبابل فضلاً عن أن كثيراً من الجنود اليهود عملوا كمرتزقة فى الجيش المصري وكان ذلك سبباً فى استدعاء أهلهم وذويهم للعيش معهم فى مصر.

أما عن أسباب اختيار اليهود لمصر لإقامة جاليات بها فيرجع ذلك لأسباب منها[2]:

١- حسن معاملة المصريين للأجانب.

٢- وقوف مصر مراراً ضد الآشوريين والبابليين الذين سببوا مشاكل جمة لليهود ومنها حرق مدنهم وسبي أهلهم وفرض الجزى من الذهب والفضة عليهم مما أثقل كاهلهم.

٣- تمتاز مصر بثرائها ورغد العيش فيها وكانت مطمعاً لكل إنسان أن يعيش فى مصر.

٤- أنهم ينشدون الاطمئنان والأمان والاستقرار الذي فقدوه فى كل من مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا وكان ذلك متوافراً فى مصر.

(١) رمضان علي: المرجع السابق، ص: ١٦٤، ١٦٦

(٢) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ٢٢٠

٥- يتميز المصريون بعدم التعصب الديني والسماح بتعدد الآلهة طالما أن من سمح لهم بمزاولة شعائرهم الدينية لا يهينون آلهتهم أو معتقداتهم وإن كانوا سمحوا بذلك فقد اشترطوا السرية وعدم المجاهرة[١].

العلاقات الاجتماعية

كان الختان من العادات المصرية القديمة التي خرج بها بنو إسرائيل من مصر وتحولت إلى شعائر مقدسة فى ديانتهم.وقد عرف الختان فى مصر منذ فجر التاريخ قبل أربعة آلاف عام قبل الميلاد حيث عثر على جثث بلغ من حفظها أن أمكن فحصها والاستدلال منها علي اتباعهم عادة الختان، كما عثر على مناظر من عصر الدولة القديمة بمقبرة المدعو غنخ ماحور من أطباء الأسرة السادسة وأخرى من عصر الدولة الحديثة..

ويؤكد كتاب التوراة أن إبراهيم عليه السلام لم يختتن إلا بعد عودته من مصر إلى أرض كنعان وإنجاب ابنه إسماعيل وأن الختان كان يتم بأداة من الصوان تسمى (دس) وهو نفس الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على السكاكين التي صنعوها من الصوان واستخدموا بعضها فى إجراء عملية الختان[٢].

ومن هذه النصوص « وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله...[٣] (سفر التكوين:٢١/٤).

كما اتبع فيما يبدو بنو إسرائيل عادة المصريين القدماء فى عدم الجماع بامرأة

---

(١) رمضان علي:المرجع السابق،ص:١٦٤

(٢) عبد الوهاب النجار:قصص الأنبياء،القاهرة:٢٠٠٤،ص:١٢٤؛أحمد يوسف:مصر فى القرآن والسنة،ص:١٩٥

(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر التكوين٢١/٤

أيام نجاستها فقد كان المصريون يعتزلون النساء فى أيام المحيض والنفاس فقد ورد فى بردية وستكار أن زوجة الكاهن التي ولدت ثلاثة توائم قد تطهرت بعد أربعة عشر يوماً بمعنى أنها قد ظلت نجسة من بعد وضعها لأولادها التوائم الثلاثة لمدة أسبوعين[1] وقد أورد كتاب التوراة وصية لموسي قبل نزول الشريعة « قال الشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأه...» [2] (خروج ١٩/١٥).

وقد ورد عن داود « ألم نتجنب النساء منذ ثلاثة أيام فكل رجالي طاهرين[3] (صموئيل الأول:٢١/٤-٥).

كما ورد فى التوراة أيضاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمس علتها تكون نجسة فى اليوم الثامن تختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين فى دم تطهيرها كل شيء مقدس لا يمس وإلى المقدس لا تجيء حتى تكتمل أيام تطهيرها وأن ولدت أنثي تكون نجسة أسبوعين كما فى طمسها» [4].

وقد علم المصريون القدماء أنه إذا أصاب أحد منهم نجاسة نتيجة الجماع أو غيره فإنه يحذر عليه دخول المعابد أو ملامسة كافة الكتب أو الأدوات المقدسة ولا يباح له ذلك إلا بعد الاغتسال أو الاستحمام بالماء الجاري أو الطاهر بحيث يعم هذا الماء جسده كله باعتبار أن الماء يزيل النجاسات ويطهر الأجساد وهذا يتفق مع النص التوراني السابق وخاصة كل شيء مقدس لا يمس وإلى المقدس لا تجيء حتى تكمل أيام تطهيرها [5].

---

(١) سليم حسن: الأدب المصري القديم، الجزء الأول، ص:٨٦، حاشية:٢

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر الخروج:١٩/١٥

(٣) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر صموئيل الأول:٢١/٤-٥

(٤) الكتاب المقدس: العهد القديم، لاويين:١٢/١-٥

(٥) أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة، ص:١٩٥-١٩٦

كما ربطت علاقات الزواج بين بعض ذرية إسرائيل وبعض الأسر المصرية القديمة ومنها زواج الملك النبي سليمان بن داود عليه السلام من ابنة بسوسينس الثاني فرعون مصر أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين ويرجع نسبه إلى أصول ليبية ولذا لم يكن من المستغرب تزويج ابنته من أحد الملوك الأجانب حيث كان من عادة الأجانب الذين حكموا مصر تزويج بعض الفتيات من قومهم أو من المصريين القدماء من شخصيات أجنبية هامة ومنهم الحكام الهكسوس والحكام الرومان[1] وقد أشار كتاب التوراة إلى هذا الزواج فقالوا « وجلس سليمان علي كرسي داود أبيه وتثبت ملكه جدا وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها الي مدينة داود... « [2] (سفر الملوك الأول:١/٣) وبمناسبة هذا الزواج خرج الفرعون بسوسينس الثاني على رأس جيشه إلى مدينة جازر بكنعان واستولي عليها وقدمها مهراً لابنته امرأة سليمان وذلك لتثبيت وتعزيز العلاقات الودية بين المصريين وبني إسرائيل وإن كان بعض المؤرخين يري أن الملك شاشنق الأول هو الذي أحرق جازر بالنار وقتل سكانها من الكنعانيين وليس بسوسينس الثاني وقد ذكر كتاب التوراة « صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين بالمدينة وأعطاها مهراً لابنته امرأة سليمان... [3] (سفر الملوك الأول:١٦/٩).

وإن كان يرى بعض المؤرخين أن فرعون مصر الذي تزوج سليمان عليه السلام ابنته هو حور-محب حيث عثر على عدد من الهدايا التي أرسلها هذا الملك مع ابنته وبعد أن ازدادت أعداد اليهود فى مصر نتيجة للاعتداءات المستمرة من قبل بعض الملوك

---

(١) عبد الوهاب المسيري:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،الجزء الرابع،ص:٨٧

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الملوك الأول ١/٣

(٣) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر الملوك:١٦/٩

الأشوريين والبابليين فضلاً عن الخلافات فيما بينهم البعض. فقد كونوا جاليات يهودية فى منف والأشمونين والفنتين وكان لابد لهم من إقامة علاقات مع المصريين وخاصة فى مجال التجارة وكان نتيجة ذلك أن أقبل بعض الشباب المصري على الزواج بفتيات يهوديات وكان لهم نسل كثير منهم[1].

من الذي انقلب على بني إسرائيل الهكسوس أم المصريون القدماء؟ ومتى؟ وما هي الأسباب؟ ولماذا لجأ كتاب التوراة إلى ذلك؟.

يختلف المؤرخون فى تحديد هوية الجنس الذي انقلب على بني إسرائيل فمنهم من يرى أنهم قبائل البدو الرعاة الذين أطلق عليهم المصريون القدماء الهكسوس الذين سمحوا لهم بالمجيء من أرض كنعان والحياة على أرض مصر خاصة فى أرض جاسان التي تعد من أخصب المراعي فى مصر والذين عينوا يوسف علي خزائن الأرض، ومنهم من يرى أنهم المصريون القدماء الذين تمكنوا من أسر العديد منهم أثناء مطاردتهم للهكسوس أو الموافقة على استمرارهم فى الحياة على أرض مصر بعد أن طردوا أولياء نعمتهم من الهكسوس.

أولاً: الهكسوس هم الذين انقلبوا على بني إسرائيل فى أواخر أيام إقامتهم فى مصر ومن الأسباب التي تؤكد ذلك[2].

١- لقد سمح الهكسوس ليعقوب عليه السلام المسمى (بإسرائيل) ولبنيه وبني بنيه ولبناته وبنات بنيه بدخول مصر والإقامة فيها ورفعوا من شأنهم وذلك بسبب يوسف ابن يعقوب عليه السلام الذي تولى منصب الرجل الثاني فى مصر بعد الملك حيث يؤكد ذلك كتاب التوراة فقد تولى مسؤولية الإشراف على خزائن الأرض واستطاع بقدرة

(١) نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ٢٢١- ٢٢٧

(٢) محمد أبو رحمة: الإسلام والديانة ال...

واقتدار أن يحمي الهكسوس فى مصر وبعض الأقوام خارجها الذين كانوا يخضعون لسلطان حكامها من موت محقق واستمرت العلاقات الطّيبة فيما بينهما حتى إن منصب الإشراف على خزائن الأرض اقتصر على بني إسرائيل يتوارثونه جيلاً بعد جيل[1] إلا أنه فى عهد ملك من ملوك الهكسوس وذلك حسب اعتقاد جمهرة من المؤرخين المسلمين القدماء فضلاً عن بعض المؤرخين المحدثين أطلق عليه اسم فرعون كما أطلق على يعقوب اسم إسرائيل وعلى عيسو اسم أدوم وعلى إبراهيم اسم الخليل وعلى محمد ﷺ اسم الأمين وأبو بكر رضي الله عنه اسم (الصديق) وعلي عمر رضي الله عنه اسم (الفاروق) وهكذا -بدأ الصراع بين هذا الملك وجنوده من جهة وبين بنى إسرائيل من جهه أخرى ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه قد رأى فى أثناء نومه كان ناراً انطلقت من الأرض المقدسة تجاه قصوره وبيوت قومه فأحرقتها وتركت بيوت بني إسرائيل وقد فسّر العرافون والمنجمون ذلك بأنه سيولد طفل فى بني إسرائيل فى عهد هذا الملك يكون هلاكه على يديه فضلاً عن زوال ملكه وهنا أمر هذا الطاغية بذبح الأطفال الذكور الذين يولدون فى بني إسرائيل[2] واستثناء الأطفال الإناث ويعتقد أن كل من وصية يعقوب لأولاده فى مصر والتي وزع وقسم فيها الأرض المقدسة فى فلسطين عليهم بعد أن جمعهم حوله حينما شارف علي الوفاة وكذلك بشارة يوسف بظهور نبي فى قومه يخرج بهم من مصر إلى الأرض المقدسة فى فلسطين لم يكن لهما تأثير يذكر علي العلاقات بين الطرفين إذا لم يشر كتّاب التوراة إلى تردي هذه العلاقات إلا فى عهد فرعون وإن علم حكام الهكسوس بهذه

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الأول، ص: ٢٢٢، القرآن الكريم، سورة القصص: ٤، البقرة: ٤٩، الأعراف: ١٤١

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة: ٤٩؛ صابر طعيمة: اليهود بين الدين والتاريخ ص: ١٢٩-١٣١، القرآن الكريم، سورة القصص: ٣-٤؛ سيد القمني: النبي موسى، الجزء الثالث، ص: ٨٩٦

الأخبار فإنهم تغاضوا عنها لحاجتهم إلى خبرة يوسف فى إنقاذهم من أية مجاعات قد تحدق بهم مستقبلاً كما أنهم قد أغدقوا الأموال والمناصب علي بني إسرائيل حتى لا تراودهم فكرة الخروج من مصر ويظلوا فى خدمتهم ويؤكد ذلك ما أشار إليه القرآن الكريم عن أحد الشخصيات من بني إسرائيل وهو قارون كان يشغل منصباً رفيعاً من مملكة فرعون وكان لديه من الأموال ما تنوء العصبة من الرجال على حمل مفاتيح خزائنها ويعتقد أن فرعون قد سمح لقارون بهذا الثراء الفاحش وهذا المنصب الرفيع ليس خوفاً منه ولكن حتى يكون يداً مسلطة علي قومه فلا يجعلهم يفكرون فى الخروج من مصر بل يعمل علي إعلان ولائهم له ولقومه[1]. كما استمرت هذه العلاقة السيئة على أشدها خاصة بعد عودة موسى عليه السلام من مدين إلى مصر حيث قام فرعون وقومه بتسخير بني إسرائيل فى الأعمال الشاقة فضلاً عن قتل أبناء الذين آمنوا بدعوة موسى واستحياء نسائهم وكذلك قتل كل من آمن بدعوة موسى من قومه ومنهم السحرة وامرأته وغيرهم.

٢- إن فرعون وقومه قد خشوا أن يُحْرَمُوا من خيرات أرض فلسطين وغيرها من بلاد الشام وأن تتحول هذه الخيرات إلى بني إسرائيل فضلاً عن تخوفهم من زيادة قوة بني إسرائيل وتحالفهم مع غيرهم مما يدفعهم إلى الانقلاب عليهم فى مصر ويخرجونهم منها ولذا كانوا حريصين أشد الحرص على عدم السماح لهم بالخروج رغم ما عانوه من ابتلاءات ومصائب عديدة حلت بهم.

٣- يشكل بنو إسرائيل للهكسوس أهمية كبرى حيث إنهم كانوا يقومون بكافة الأعمال الشاقة فضلاً عن الخدمة فى بيوتهم وقصورهم وأنه فى حالة رحيلهم عن مصر ستقع تلك الأعمال الشاقة على عاتقهم ويؤكد ذلك أنه قد أشارت الوثائق

(١) القرآن الكريم،سورة القصص:٧٦-٨٣

القديمة إلى تخوف وجهاء الهكسوس من قوم فرعون من أن تقع الأعمال الشاقة عليهم إن استمر فرعون فى تذبيح المواليد الذكور فى بني إسرائيل[١] وعلى ذلك أمر فرعون بذبح الأطفال الذكور عاماً واستثنائهم عاماً.

وإن كان هناك فريق آخر من الباحثين يستبعد أن يكون الهكسوس هم الذين انقلبوا علي بني إسرائيل وذلك للاعتبارات الآتية:[٢].

أ- أنهم فى الواقع هم اليهود وذلك حسب رواية المؤرخ اليهودي يوسفيوس (الذي يدّعي أنه ينقل أو يقتبس من كتاب المؤرخ المصري القديم مانيتون) فلا يعقل أن تنقلب ذرية إسرائيل على بعضها البعض وخاصة بعد المحنة التي مروا بها حينما تآمروا علي حياة أخيهم يوسف عليه السلام إذ كانت درساً لهم لا ينسوه أبداً وإن الاضطهاد لم يحدث لبقية الأسباط إلا بعد طرد سبط يهوذا علي يد أحمس الأول.

ب- أنهم إن كانوا من قبائل البدو الرعاة التي تربطهم ببني إسرائيل وحدة الجنس واللغة والعادات والتقاليد فضلاً عن تطابق حرفهم ومهنهم، كما أنهم هم الذين سمحوا لبني إسرائيل بالدخول إلى مصر والإقامة فيها وإنهم يعدون بني إسرائيل أعواناً لهم فهم الذين أنقذوهم من الموت جوعاً ومن تفشي الأمراض بينهم فضلاً عن إنقاذهم من ضياع سلطانهم وزوال ملكهم.

ثانياً: المصريون القدماء هم الذين انقلبوا علي بني إسرائيل وذلك استناداً على الأدلة الآتية[٣].

---

(١) رشدي البدراوي: المرجع السابق، الجزء الرابع، ص ٨٧٧ - ٨٧٩

(٢) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، الجزء الأول، ص ٧٩

(٣) المرجع السابق، ص ٧٩-٨١، نور الدين عبد الصمد، المرجع السابق، ص ١٢١، أحمد

انقلب الحكام المصريون القدماء على بني إسرائيل خلال عصر الدولة الحديثة وخاصة الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة لخوفهم من قيام بني إسرائيل حينما يدخلون فلسطين:-.

أ- إثارة القلاقل والفتن والدسائس التي تمرسوا عليها بين الممالك والإمارات الخاضعة للسلطان والحكم المصري فى بلاد الشام فضلاً عن تأليبهم ضد مصر.

ب- محاولة نشر دينهم بين أهل هذه الممالك والإمارات مما ينشأ عن ذلك وحدة دينية يعقبها وحدة سياسية تكون قادرة على السيطرة على مصر كما سيطر الهكسوس عليها من قبل.

ويستبعد رأي آخر من المؤرخين أن يكون المصريون القدماء هم الذين انقلبوا علي بني إسرائيل بينما تشير أصابع الاتهام إلى الهكسوس ويسوقون بعض الأدلة التي تؤكد ذلك ومنها[1]:

أن المصريين القدماء فى الوقت الذي يفترض أن بني إسرائيل خرجوا فيه من مصر وهو عصر الدولة الحديثة كانوا من أعظم القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية فى العالم القديم وكانوا لا يخشون بأس مجموعة من البدو لا يملكون أي قوة عسكرية أو عتاد حربي أو جنود مدربين تدريباً عالياً بل كانوا مجموعة من الناس المطحونين الضعفاء والأذلاء ويؤكد القرآن الكريم ذلك إذ ورد به قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[2] (القصص، ٥).

١- كان لدى المصريين القدماء عمالة يدوية كثيرة ذات خبرة وكفاءة عالية فى

---

(١) محمد أبو رحمة: الإسلام والديانة المصرية القديمة، ص: ٥١- ٧٢

(٢) القرآن الكريم، سورة القصص: ٥

كافة المجالات ولم يكونوا بحاجة إلى مجموعة من البدو لا تعرف سوى رعي المواشي والخدمة فى البيوت وصنع الطوب اللبن وإنما الذين كانوا فى حاجة إليهم هم قبائل البدو الرعاة التي احتلت مصر وقامت بتجنيد كل قادر من ذكورها علي حمل السلاح ولذا فإنهم كانوا فى حاجة إلى من ينجز أعمالهم المدنية.

٢- أنه لا يوجد أي أثر اقتصادي أو اجتماعي على المصريين القدماء جراء الابتلاءات التسع التي حلت بأرضهم طبقا لما ورد فى القرآن وما كتبه محررو التوراة بل كانت الحياة المصرية خلال الوقت الذي خرج فيه بنو إسرائيل وهو عصر الدولة الحديثة حسب اعتقاد أغلب المؤرخين كان عصراً مزدهراً اقتصاديا وسياسيّاً وعسكريا وعلميّاً وأدبيّاً.

٣- لم يترك بنو إسرائيل أية وثائق تدل على تحدثهم باللغة المصرية القديمة سواء أثناء إقامتهم فى مصر أو بعد خروجهم منها حتى إن اللغة العبرية التي اختاروها لأنفسهم بعد دخولهم أرض فلسطين لا تمت للغة المصرية القديمة بأية صلة[1].

٤- سمح حكام مصر القدماء وقومهم لبعض ذرية إسرائيل بالإقامة فى مصر وتكوين جاليات لهم فى مختلف أنحاء مصر وذلك خلال العصر المتأخر ونشأت بينهم علاقات تجارية واجتماعية إن كان فرعون وجنوده الذين أصابهم الغرق فى البحر بسبب بني إسرائيل من المصريين القدماء لما سمح حكام مصر وقومهم لبني إسرائيل بدخول مصر أبداً كما أنه من جهة أخرى لن يفكر بنو إسرائيل فى دخول مصر لنفس السبب.

٥- أن النصوص المصرية القديمة تشير إلى حسن معاملة الحكام المصريين

(١) ... نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق ص: ٩٤، ١١٦-١٢٦

للإنسان والحيوان والطير والنبات لأنهم كانوا يؤمنون بالآخرة ويعلمون بأن الإله سيحاسبهم عما وقع منهم من شرور وآثام سواء تجاه أنفسهم أو تجاه غيرهم بينما كان علي العكس من ذلك حكام الهكسوس وقومهم الذين تمرسوا على القتل وسفك الدماء والزنا والسرقة والكذب لأنهم لا يؤمنون بالحساب كما كانوا يكفرون بالآخرة[1].

أحوال العالم القديم منذ خروج بني إسرائيل من مصر وانهيار ملكهم وتشتتهم فى الأرض.

أولاً: حينما خرج بنو إسرائيل من مصر كان حكّام الهكسوس وقواتهم العسكرية فى ضعف شديد بسبب غرق فرعون وجنوده فى البحر ثم اشتعال ثورة أمراء طيبة ضدهم مما جعلهم ينشغلون بأمرهم فى مصر وكان مع موسى حين خروجه ببني إسرائيل قوة عسكرية محدودة ولكن كان فى استطاعتها دخول الأرض المقدسة وإن كان شعورهم بضعف قوتهم وقلة عددهم قد أضاع عليهم فرصة دخول الأرض المقدسة وقد عاقبهم الله على ذلك بأن جعلهم يهيمون على وجوههم فى الصحراء الجرداء ولا يستقرون فى مكان واحد لمدة أربعين عاماً تقريباً وخلال سبعة وثلاثين عاما من هذه السنوات الأربعين ظل الصراع محتدماً بين الهكسوس من جهة وأمراء طيبة من جهة أخرى حتى تمكن الملك أحمس الأول من دخول أواريس وقام بتدميرها على بكرة أبيها وجعل عاليها سافلها وفر الهكسوس إلى فلسطين حيث لجئوا إلى حصونها وظلوا يدافعون عن أنفسهم لمدة ثلاث سنوات إلى أن تمكن الملك أحمس من القضاء عليهم وعلى أعوانهم الذين استقروا بأرض كنعان وقدموا لهم العون والمساعدة وتشتيتهم فى الأرض ولم يعد لهم قائمة وبذلك أصبح الباب مهيأ أمام

---

(١) رمضان علي: رموز من تاريخ مصر القديمة، ص: ١٥٨- ١٦٨؛ نور الدين عبد الصمد: المرجع السابق، ص: ٢١١- ٢٢٧

بنو إسرائيل لدخول الأرض المقدسة بعد أن تم القضاء على القوم الجبارين الذين يسكونها علي أيدي القوات المصرية القديمة[١].

كما ظهر عامل آخر أسهم فى دخول بني إسرائيل إلى فلسطين يتمثل فى مرض بعض حكام مصر والذي أثبتته الفحوص الطبية التي أجريت على جثثهم منذ سنوات قلائل فضلاً عن صراعهم على السلطة وبلغ هذا الصراع أشده بين أتباع الملكة حتشبسوت وأتباع الملك تحتمس الثالث هذا بجانب انشغالهم بإعادة بناء ما دمره الهكسوس خلال فترة احتلالهم للبلاد[٢].

ثانياً: دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة يشوع بن نون ولكن الأماكن التي احتلوها أو دخلوها لم تكن تمثل أطماعاً للقوى الكبرى آنذاك فى مصر أو بلاد الرافدين أو لبعض الممالك القوية المجاورة لهم. وقد انشغل بنو إسرائيل بحياتهم وتوفير مطعمهم ومشربهم فضلاً عن انتشار الفرقة والانقسام فيما بينهم ويعتقد أنهم بعد سنوات من استقرارهم قد عملوا على تأليب ممالك بلاد الشام ضد مصر من جهة وضد بعضها البعض من جهة أخرى مما يضمن لهم العيش فى سلام وأنهم كانوا فيما يبدو وراء الحملات العسكرية العديدة التي قادها ملوك مصر وخاصة من عهد الملك تحتمس الثالث وحتى عصر الملك رمسيس الثالث،ويبدو أن بعضاً منهم قد تعرض للقوات العسكرية المصرية فكان عاقبته القضاء عليهم وبدأت فكره تأسيس مملكة لهم تظهر إلى حيز الوجود[٣].

(١) ابن كثير:تفسير القرآن العظيم:الجزء الأول،ص:١١٤- ١١٥؛نور الدين عبد الصمد:المرجع السابق:ص:١١٢

(٢) زاهي حواس: الكشف عن مومياء الملكة حتشبسوت،مجلة آثار مصر،القاهرة،٢٠٠٩،ص:٢-٨ ... ص:٢٤٢

ثالثاً : أن تفرق بني إسرائيل إلى عدد من الأسباط جعل نشر دعوه الإسلام بين الممالك المجاورة أمراً صعب التنفيذ ولذا فقد هيأ الله ﷻ تكوين مملكة موحدة على يد طالوت الذى ورد اسمه فى القرآن أو شاؤل حسب التوراة وهما شخصية واحدة حيث إن طالوت تعريب لاسم شاؤل الذى يعد أول ملوك مملكة إسرائيل الموحدة وأصبح لبني إسرائيل جيش قوى استطاع خلال عهد كل من الملك داود وابنه الملك سليمان نشر دعوة الإسلام فى ربوع الأرض من مشرقها إلى مغربها وقد أكد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة اتساع نفوذ هذه المملكة وخاصة أن الضعف والانحلال قد حل بالأسر المالكة فى مصر وبلاد النهرين مما كان فرصة لعلو نجم مملكة إسرائيل[1] بحيث خطبت الممالك الأخرى ودها واستمر الحال على ذلك حتى دب الضعف فى تلك المملكة بوفاة سليمان عليه السلام ثم انقسامها إلى مملكتين متناحرتين ارتد كثير من ملوكهما عن دين الإسلام مما جعلهما عرضة لأطماع القوى الكبرى لتسقط مملكة إسرائيل على يد الآشوريين وتسقط مملكة يهوذا علي يد البابليين وتشتت بنو إسرائيل فى الأرض نتيجة لمعصيتهم لله ورسله كما تشتت الهكسوس من قبل إلا أن الله قد أبقاهم ليعودوا إلى فلسطين مرة أخرى فى نهاية النصف الأول من القرن العشرين وقد تمكنوا من تأسيس دوله لهم لها وقادوا صراعاً مع من جاورهم من المسلمين والمسيحيين على حد سواء وسيستمرون علي قيد الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لمشيئة حدَّدها[2].

---

(١) نور الدين عبد الصمد :المرجع السابق،ص:٢١٥

(٢) عبد الجليل شلبي:اليهود واليهودية،ص:٥٩، ٦٢- ٦٣

الفصل الثامن

بنو إسماعيل وأدوم ومديان
وعلاقاتهم بحكام مصر وبني إسرائيل

بنو إسماعيل

- نسبهم.
- ديانتهم.
- علاقاتهم بحكّام مصر وأهلها.
- علاقاتهم بالأدوميين.

بنو أدوم

- اسمهم.
- نسبهم.
- ديانتهم.
- علاقاتهم بحكام مصر وأهلها.
- علاقاتهم ببني إسرائيل.

بنو مديان

- نسبهم.
- ديانتهم ولغتهم.
- حرفهم وصناعتهم.
- علاقاتهم بحكّام مصر وأهلها.
- علاقاتهم ببنى إسرائيل.

أولاً: بنو إسماعيل

١- نسبهم

هم ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وجدتهم هي السيدة هاجر التي أهداها ملك مصر إلى إبراهيم وامرأته سارة ثم تزوجها إبراهيم فيما بعد وقد رفع الله منزلتها وكرَّمها فى العالمين.

٢- ديانتهم

كانوا على ملة جدهم إبراهيم وأبيهم إسماعيل يعبدون الله عز وجل ولا يشركون به شيئًا وقد استقروا بالقرب من البيت الحرام وتحملوا مسؤولية إقامة شعائر الصلاة اليومية، ومناسك الحج السنوية خاصة بعد أن رفعت قواعد البيت الحرام وأمر الله جدهم إبراهيم بدعوة الناس لحج البيت ثم زاد عددهم وكثر نسلهم فسكنوا فى أماكن أخرى بعيدة عن مكة حيث ورد فىالتوراة عن إسماعيل وذريته « ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جدّاً اثنى عشر رئيسا لبلد وأجعله أمة كبيرة [١] » (سفر التكوين:١٧/ ٢٠).

ثم بعد فترة من الزمان ضلوا عن طريق التوحيد وعبدوا أصناماً لا تنفع ولا تضر ووضعوها بالكعبة وإستمروا على حالهم هذا حتى بعث الله فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم وإمام وسيد المرسلين [٢] الذي حطم الأصنام وطهر البيت منها وأعادهم إلى عبادة

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:١٧/ ٢٠

(٢) رشدي البدراوي [illegible] الجزء الثاني،ص:١٧٨- ١٧٩، ١٩٩

الله وحده وإلى دين الإسلام وحملوه من بعده على عاتقهم ونشروه فى مختلف أنحاء الأرض بين العرب والعجم على حد سواء إلى يومنا هذا.

٣-علاقاتهم بحكام مصر وأهلها

كان زواج إبراهيم ثم ابنه اسماعيل عليه السلام من امرأتين مصريتين كريمتين سبباً هاماً فى تقوية الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين حكام مصر وقومهم من جانب وبين ذرية إسماعيل من جانب آخر وقد أكدت الأحاديث الشريفة وكذلك التوراة زواج إبراهيم بهاجر التي تربت ونشأت وتعلمت على أرض مصر وقد ذكرت التوراة أيضاً زواج إسماعيل من امرأة مصرية تتصف بكثير من صفات أمه بعد أن ترك زوجته الأولى بناء على توصية من أبيه والتي كانت فيما يبدو من سلالة الرفقة التي عاشت مع أمه هاجر بجوار بئر زمزم[١].

يرى بعض المؤرخين أن إسماعيل عليه السلام هو أول من استخدم الجياد وأول من ركبها واهتم بتدريبها وترويضها وقد استعان بها فى رحلات الصيد والقنص التي كان يقوم بها فى الصحراء حول مكة ويؤكد ذلك أنه قد ورد فى الحديث الشريف قوله ﷺ « اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل» [٢].

يرى بعض الباحثين –أن شبه الجزيرة العربية فى عصر إبراهيم عليه السلام لم تكن كحالها اليوم بل كانت تتميز بعض مناطقها بسقوط أمطار تسمح بنمو حشائش ونباتات صالحة لأن يتغذى عليها حيوانات برّية مختلفة ومنها الغزلان والظباء والجياد وغيرها فضلاً عن نمو بعض المزروعات،ويفهم من قول إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم بأنه أسكن من ذريته فى وادٍ غير ذي زرع،أنه كانت فى شبه الجزيرة

(١) المرجع السابق،الجزء الثالث،ص:٤٥٠

(٢) المرجع السابق،الجزء الثاني،ص: ٢٠٠

العربية مناطق ومواقع أخرى ذات أمطار و زروع ونجد أن معظم الأراضي الساحلية الواقعة على الخليج العربي و المحيط الهندي والبحر الأحمر تتعرض لأمطار وسيول غزيرة حتى يومنا هذا.

وقد أخذ الخيل عنه ذريته وجهزوها بمركبات بغرض نقلهم ومتاعهم من مكان الى آخر وكانت سبباً فى استحواذهم على أكبر مساحات من المراعى لأغنامهم وأنعامهم[١].

ويعتقد أن هذه الذرية كانت وراء تجهيز الهكسوس أولئك البدو الرعاة الذين حكموا مصر بالجياد والمركبات حيث يرى كثير من الباحثين أن الهكسوس حينما دخلوا مصر لم يكن بحوزتهم جياد أو عجلات حربية وقد أكدت ذلك التوراة حيث إن إبراهيم عليه السلام حينما منحه الملك الكثير من خيرات مصر لم يرسل معه مركبات لتوصله الى أرض كنعان بينما أشارت الى ذلك فى عهد يوسف عليه السلام وفى هذا العهد الأخير أو قبله بدأت العلاقات والاتصالات تقوى وتزداد بين الإسماعيليين وحكام مصر وقومهم وكان ذلك سبباً فى إحتلال الإسماعيليين مكانة كبرى لدى الهكسوس وصارت لهم الحظوة دون بقية القبائل الأخرى ومنها قبائل مدين وقبائل أدوم وغيرها[٢].

وكان بدو شبه الجزيرة العربية حتى يومنا هذا يهتمون بالخيول حتى إن بعضهم كان يبيت الطوى فى سبيل توفير الطعام والشراب لخيوله ويعتقد أن خيول نَجد من أجود أنواع الخيول فى العالم مما يجعلها الأصل للخيول العربية الأصيلة التي تتمتع

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثالث، ص: ١٧٨، ٢٠٠؛ على الحلبي: السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون إنسان العيون، ج١، بيروت، د.ت.، ص: ٣٠-٣١، الجزء الثاني، ص: ١٠٩-١١٠

بشهرة عالمية كبيرة إلى يومنا هذا.

وقد أكد القرآن الكريم هذه العلاقات التي نشأت بين الهكسوس فى مصر وقبائل الإسماعيليين الذين كانوا يرسلون قوافلهم التجارية الى جهات مختلفة فى العالم القديم وخاصة بلاد الهلال الخصيب وأثناء سير إحدى هذه القوافل بالطريق التجاري القريب من مراعي إسرائيل عثر واردها على يوسف عليه السلام الذي تعلق بحبل الدلو الذي أنزله إلى البئر بغرض تزويد أفراد القافلة بالمياه، وهى البئر التي أُلقى فيه يوسف من قبل إخوته بغرض التخلص منه وقد ضمه أفراد القافلة ضمن بضائعهم وقد قرروا بيعه فى مصر وضم ثمنه لأموال القافلة وإن لم يحدد القرآن جنسية أفراد القافلة التي باعت يوسف إلى عزيز مصر لكن تفصح نصوص التوراة أنهم كانوا من الإسماعيليين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[1]

(يوسف: ١٩ – ٢١) ويؤكد القرآن الكريم أن القافلة التي عثرت على يوسف هي التي باعته فى مصر بدراهم معدودة إلا أن كتَّاب التوراة قد خلطوا الحابل بالنابل فهم مرة قد ذكروا أن الإسماعيليين هم الذين باعوا يوسف عليه السلام فى مصر ومرة أخرى يذكرون أن الميديانيين هم الذين باعوا يوسف إلى فوطيفار خصى فرعون ورئيس الشرط فى مصر كما أن هؤلاء الكتَّاب على عكس ما أكده الله فى قرآنه الكريم ادَّعوا أن القافلة التجارية التي أصعدت يوسف من البئر كان رجالها من مدين وأنهم قد باعوه إلى إحدى قوافل الإسماعيليين التجارية بما يعني أن من عثر على يوسف

(١) القرآن الكريم سورة يوسف: ١٩ – ٢٠

بالبئر غير الذي باعه فى مصر بما يعد مخالفة صريحه للنص القرآني الذي تكفل الله بحفظه ومن هذه النصوص:-.

أ- وأما الميديانيون فباعوه فى مصر لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط[1] (تكوين:٣٧/٣٦).

ب- « فقال يهوذا لإخوته ما الفائده أن نقتل أخانا ونخفى دمه تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع له إخوته واجتاز رجال ميديانيون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا يوسف إلى مصر» [2] (سفر التكوين:٣٧ /٢٦ - ٢٨) وساعد فى ازدهار العلاقات الاقتصادية بين الطرفين الى جانب ما تم الإشارة إليه أنهما من البدو الآسيويين الذين يعتمدون فى حياتهم على حرفة الرعى وأن لغة كل منهما واحدة كما يتشابها فى العادات والتقاليد فضلاً عن جودة بضائع الإسماعيليين وتنوعها والتي كانت تلقى رواجاً عند حكام مصر وقومهم الذين كانوا يعيشون حياة مرفهة حيث كانت تتكدس الأموال والثروات فى خزائنهم ويستدل على ذلك من أن أحد أتباعهم وهو قارون الذي كان من ذرية إسرائيل الذين كانوا يخدمونهم فى قصورهم ومنازلهم كان لديه من الثروة والأموال ما يفوق عن الوصف حتى تحدث عنها القرآن الكريم[3].

٤- علاقتهم بالأدوميين

تزوج عيسو (أدوم) بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام من ابنة عمه إسماعيل وقد

---

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر التكوين: ٣٧-٣٦

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم،سفر التكوين: ٣٧/٢٦-٢٧

رحب والده بهذه الزيجة وسكنت فى فلسطين ويقال إنها ولدت له الروم حيث ورد فى التوراة « فذهب عيسو إلي إسماعيل وأخذ محل بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له على نسائه [1]» (سفر التكوين:٩/٢٨) ويبدو أن هذه الزوجة و ذريتها قد انتقلت معه الى أرض سعير بعد أن ضاقت المراعى فى أرض كنعان ولم تعد تكفى لرعى أنعامه وأنعام أخيه يعقوب.

يعتقد بعض المؤرخين أن كلا من الإسماعيليين والآدوميين إسمين مختلفين يشيران إلى نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وينفوا أن يكون لإبراهيم ذرية أخرى غير ذرية كل من ابنه إسماعيل ابن هاجر وابنه إسحاق ابن سارة بمعنى أنهم لا يعترفون بقطوره زوجه لإبراهيم أو أن أبناءها من نسله ودليلهم فى ذلك أن كتاب التوراة ذكروا مرة أن الإسماعيليين هم الذين باعوا يوسف عليه السلام إلى عزيز مصر ثم مرة أخرى أن الميديانيين هم من قاموا بذلك بما يعني أن مديان كان ابناً لإسماعيل وليس ابنا لإبراهيم عليه السلام ومن النصوص التي تؤيد ذلك.

أ- « أما الميديانيون فباعوه لفوطيفار رئيس الشرط... [2] » (سفر التكوين:٣٧/٣٦).

ب-» وأما يوسف فأنزل به إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون، رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسماعيليين[3] «(سفر التكوين:٣٩/١).

بينما يعتقد فريق آخر من المؤرخين أن الميديانيين ليسوا من ذرية إسماعيل ولكن من ذرية مديان بن إبراهيم من زوجته قطورة بنت يقطن التي عاشت معه فى حبرون

---

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:٩/٢٨

(٢) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:٣٦/٣٧

(٣) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:١/٣٩

فلسطين وولدت له ستة أبناء، وبعد وفاة إبراهيم انتقلت الى أرض عشيرتها في شمال الحجاز وشرق خليج العقبة حينما بلغ أولادها مبلغ الشباب..

ويؤكد ذلك ما أورده كتاب التوراة « فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين،ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع له إخوته، واجتاز رجال ميديانيون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا يوسف الى مصر[1] (سفر التكوين:٣٧/٢٦- ٢٨).

ولا يمكننا القول إن الذين أخرجوا يوسف من البئر هم إخوته ليبيعوه إلى التجار الميديانيين الذين اجتازوا الطريق التجاري أمامهم والا فلا معنى للجملة التي تلت ذلك وهي «وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة» كما أن هذا يخالف ما أكده الله ﷻ في قرآنه العظيم من أن الذي أخرج يوسف من البئر ليس إخوته وإنما وارد القافلة التجارية التي مرَّت بجوار البئر وإن إخوة يوسف لم يقابلوا أحداً من هذه القافلة» قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[2] (يوسف، ١٩) فضلاً عن أن تلك القافلة التي عثرت عليه هي ذاتها التي باعته الى عزيز مصر بدراهم معدودة قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] (يوسف، ٢٠ - ٢١)؛ ثم

---

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:٣٧/٢٦- ٢٨

(٢) القرآن الكريم،سورة يوسف:١٩

(٣) القرآن الكريم،سورة يوسف:٢٠-٢١

إذا كان الذي عثر على يوسف فى البئر قافله الميديانيين على حد زعم كتاب التوراة وباعته للإسماعيليين بعشرين من الفضة فإن أفراد هذه القافلة لن يبيعوا يوسف إلى عزيز مصر بدراهم معدودة،كما أنهم لن يكونوا فيه من الزاهدين،بل كانوا سيبيعونه بثمن يفوق الثمن الذى دفعوه للمديانيين أضعافاً مضاعفة ويفهم من ذلك أن المديانيين غير الإسماعيليين وأن لكل منهما قوافله التي تجوب إمارات وممالك بلاد الشام وما جاورها..

واحقاقاً للحق فإن أحد إخوة يوسف قد أنقذه من موت محقق،كما أنقذ بقية إخوته من أن يكونوا قتلة مارقين،وأضاف كُتاب التوراة أنهم بعد أن ألقوه فى غيابة الجب حاولوا إخراجه منه حتى لا يهلك وبينما هم على هذه الحال سبقهم وارد إحدى القوافل وأخرجه منها.

ثانياً: بنو آدوم (عيسو)

١- اسمهم:

يعني اسم أدوم فى اللغتين العربية والعبرية التراب الأشقر المائل إلى الحمرة وقد أرجع كتاب التوراة هذا الاسم الذي أطلق على عيسو بن إسحاق إلى أنه قد باع بكوريته لأخيه يعقوب نظير ثمن بخس يتمثل فى طعام قليل كان يشتهيه ويحبه وهو العدس المطبوخ ذو اللون الأحمر وأيضا إلى لون بشرته التي كانت تميل إلى الاحمرار.

٢- نسبهم

هم ذرية عيسو بن إسحاق بن إبراهيم، ويعدون أبناء عمومة لذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الذي اصطفاه الله وجميع أولاده بالنبوة وجعل أيضاً النبوة فى ذريتهم حيث إنهم تحملوا نشر دين التوحيد بين الناس على اختلاف جنسياتهم فى أنحاء الأرض وخاصة فى عهد المملكة الموحدة الكبرى، وقد أطلق عليهم وعلى أرضهم اسم أدوم نسبة إلى جدهم الأعلى عيسو وذلك بسبب حُمرة فى بشرته[(١)] فقد ورد فى التوراة « ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وجميع نفوس بيته ومواشيه وكل بهائمه وكل مقتناه الذي اقتنى فى أرض كنعان ومضى إلى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه لأن أملاكهما كانت كثيرة على السكنى معاً ولم تستطع أرض غربتهما أن تحملهما من

---

(١) رشدي البدراوي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الثالث، ص: ٤٠٧-٤٠٨، ٤١١، ٤٢٤-٤٢٧؛ الكتاب ... ٢٤-٢٠، ٣٦-٢١ ...

أجل مواشيهما فسكن عيسو في جبل سعير»[1] (تكوين:٣٦/٦-٨) وهذه الأرض إما جبلية أو صحراوية في أغلبها ولكن تكثر بها الآبار والعيون حيث سمحت بالزراعة حولها وكان يكثر بجزئها الشمالي الأمطار فنشأت به المدن..

٣- ديانتهم ومملكتهم:

كانوا على دين إبراهيم يعبدون الله ﷻ إلا أنه بمرور الوقت انتقلت إليهم عبادة الأصنام من شعوب الدول المجاورة لهم فأرسل الله لهم أيوب وذا الكفل لهدايتهم وقد سارت لهم مملكة مزدهرة إبان إقامة بني إسرائيل في مصر وقد رفض ملكهم عبور موسى وقومه بأرضه حينما أرادوا دخول أرض كنعان[2].

٤- علاقاتهم بحكام مصر:

يعتقد أن قبائل أدوم كانت على علاقة طيبة بحكام مصر حيث كانت تربطهم بعض المصالح التجارية المشتركة،حيث ورد بإحدى البرديات المصرية القديمة من عصر الدولة الحديثة والمحفوظة بالمتحف البريطاني «وانتهينا من السماح لقبائل الشاسو الأدومية بعبور قلعة مرنبتاح التي في زيكو حتى بحيرات بيثوم ليظلوا هم وقطعانهم أحياء بفضل إحسان فرعون»[3].

ويعتقد أنهم كانوا يرعون ماشيتهم وأغنامهم وكافة حيواناتهم في المراعي التي يرى بعض المؤرخين أنها هي نفسها التي كان بنو إسرائيل قبل خروجهم يرعون فيها قطعانهم وقطعان حكام الهكسوس ويعتقد أن بيثوم أو بي-توم هي نفسها فيثوم التي وردت في نصوص التوراة..

---

(١) الكتاب المقدس،العهد القديم،سفر التكوين:٣٦/٦-٨

(٢) محمد بيومي مهران:مصر والشرق الأدنى القديم،الجزء الثالث،ص:٤٩٢

(٣) الكتاب المقدس،سفر الملوك الأول:١١/٦-٢٢،نور الدين عبد الصمد:المرجع السابق،ص:٢١٨،محمد بيومي مهران:المرجع السابق،ص:٤٩٢

احتضن الملك بسوسنس الثاني فرعون مصر خلال الأسرة الحادية والعشرين من العصر المتأخر الأمير حدد الأدومي الذي تم تهريبه إلى مصر وهو فى مرحلة الطفولة إذ كان عمره آنذاك سبع سنوات وذلك بعد اجتياح يوآب قائد جيش داود مملكة أدوم وقتل فيها كل الذكور من أهلها ومن البيت المالك كذلك وقد أعطى بسوسنس حاكم مصر الأمير حدد بيتاً وأرضاً وعَيَّنَ له طعاماً وحينما بلغ مبلغ الزواج زوجه أخت امرأته تحفنيس الملكة وحينما وصلت الأخبار للأمير حدد بوفاة كل من داود وقائد جيشه يوآب طلب الإذن بالعودة الى مملكته إلا أن بسوسنس قد رفض طلب حدد ولم يُمكّنه من العودة لأدوم حيث إنه قد اشتم من طلب حدد أنه ينوي الانتقام لمقتل والده من سليمان بن داود ولم يشأ أن يفسد العلاقات الطيبة بينه وبين صهره[1] وقد جاء بالتوراة أن حدد هرب ورجال أدوميون من عبيد أبيه معه ليأتوا الى مصر وكان حدد غلاما صغيراً وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران وأخذوا معهم رجلاً من فاران وأتوا إلى مصر إلى فرعون ملك مصر فأعطاه بيتاً وعين له طعاماً وأعطاه أرضا فوجد حدد نعمة فى عيني فرعون جدّاً وزوجه أخت امرأته تحفنيس الملكة وسمع حدد فى مصر بأن داود قد اضطجع مع آبائه رئيس الجيش قد مات فقال حدد لفرعون أطلقني إلى أرضي فقال له فرعون ماذا أعوذك عندي حتى تطلب الذهاب إلى أرضك فقال لا شيء إنما تطلقني»[2].

فلما مات بسوسنس الثاني وتولى بعده شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين المصرية الليبية سمح له أن يترك مصر فعاد الى أدوم وأقام نفسه ملكاً فيها وظل يثير المتاعب لسليمان فى الفترة الأخيرة من حكمه.

---

(١) رشدي البداروي: قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الخامس، ص: ١٨٦

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول: ١١/١٦-٢٢

وساطة مصر للصلح بين الأدوميين وبني إسرائيل

كانت العلاقات متوترة بين مملكة سليمان ومملكة أدوم مما أدى الى تدخل ملك مصر شيشنق الأول لإصلاح تلك العلاقات بين الجارين المتخاصمين وعقد معاهدة صلح بينهما نصت على:-.

١- حصول مملكة أدوم على الحكم الذاتي.

٢- خضوع أدوم لمملكة سليمان بأن تعلن لها الولاء ولا تقف مع أعدائها وكان نتيجة ذلك أن حل السلام بين المملكتين وسادت العلاقات الطيبة بينهما وحلت محل الحروب والقتال وكان ذلك حلاً مرضياً للطرفين إذ أرضى تطلعات حدد وضمن لسليمان العيش فى سلام مع جاره[١].

٥- علاقاتهم مع بني إسرائيل

حاول موسى عليه السلام حينما خرج بقومه من مصر متجهاً إلى الأرض المقدسة فى فلسطين ليدخلها بناء على أمر ربه أن يحصل على موافقة ملك أدوم إلا أن هذا الملك لم يسمح له باستخدام أرضه،رغم أن موسى قد قدم له كافة الضمانات التي تكفل عدم إحداث أية أضرار لمملكته أثناء مرورهم بأرضه،وقد تمثلت أسباب الرفض فيما يبدو فى الآتي:-.

أ- الخوف من انقلاب بني إسرائيل عليهم فى حالة انتصارهم.

ب- الخوف من انقلاب الممالك المجاورة عليهم بسبب تقديم المساعدة لبني إسرائيل فى حالة انتصار تلك الممالك على موسى وجيشه.

ج- الجروح القديمة التي تتغلغل فى أنفس ذرية عيسو (أدوم) بسبب أخذ عمهم

(١) رشدي البدراوي: أنبياء بني إسرائيل،الجزء الخا...

يعقوب حق البكورية منهم بدون وجه حق ولم تتحسن العلاقة بين أدوم وبين بني إسرائيل بعد دخولهم الأرض المقدسة بل اشتد الصراع بينهما.

خضعت أدوم لمملكة إسرائيل الكبرى خاصة فى عهد داود وابنه سليمان عليهما السلام وتؤكد نصوص التوراة ذلك.

أ- «وحدث لما كان داود فى أدوم عند صعود يوآب رئيس الجند لدفن القتلى ضرب كل ذكر فى أدوم لأن يوآب وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا على كل ذكر فى أدوم[1] » (سفر الملوك الأول:١١/١٤/٢٢).

ب- « وعمل الملك سليمان سفناً فى عصيون جابر التي بجانب إيلة فى أرض أدوم[2] » (سفر الملوك الأول:٩/٢٦).

(١) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر الملوك الأول:١١/١٤-٢٢

(٢) الكتاب المقدس:العهد القديم:سفر الملوك الأول:٩/٢٦

ثالثاً :- بنو مديان

١- نسبهم

أنجب إبراهيم عليه السلام من زوجته قطوره بنت يقطن ستة أبناء ذكورا منهم مديان الذي اجتبى الله من ذريته أنبياء ورسلاً منهم شعيب عليه السلام بعد أن زاد عددهم وكثر نسلهم أما الأرض التي سكنوا بها فقد اختلف المؤرخون فى تحديد حدودها وهي بوجه عام تقع الى شرق خليج العقبة وقد تمتد الى البحر الميت أو الى شمال شرق سيناء[١].

٢- لغتهم وعقيدتهم

كانوا يتكلمون لغة أبيهم إبراهيم عليه السلام التي لا تختلف عن اللغة التي كان يتكلم بها ذرية إسحاق وخاصة بنو أدوم أو الأدميون أو بنو إسرائيل وكذلك ذرية إسماعيل. كما كانوا موحدين يعبدون الله عز وجل الا أنهم قد تأثروا بعقائد الأقوام المجاورة لهم والذين كانوا يعبدون غير الله مثلهم فى ذلك مثل بني إسرائيل وبني إسماعيل وبني أدوم. والتي انتشرت فيما بينهم صفات لا يرضى عنها الله عز وجل ومنها الغش فى المكيال والميزان فضلاً عن استشراء الفرقة والانقسام فيما بينهم فتقاعسوا عن مساعدة بعضهم بعضاً[٢].

---

(١) محمد بيومي مهران:تاريخ العرب القديم، الإسكندرية١٤٣٧هـ،ص:١٧٠-١٧٢؛الكتاب المقدس،سفر التكوين:١/١٤-١٨، ١/٢٤-٣٣، ١/٢٥-٢؛أخبار أيام أول:١/٣٢

(٢) محمد بيومي مهران:المرجع السابق،ص:١٧٠

٣- حرفهم وصناعتهم

كانوا يشتغلون بحرفة الرعى وكانوا يعتمدون فى حياتهم على مياه الآبار ليشربوا منها ويسقوا منها أيضاً قطعان حيواناتهم وبهائمهم فضلاً عن زراعة بعض الأراضي المجاورة لها بالشعير أو القمح أو بالأشجار المثمرة كما عملوا بعد ذلك بحرفة التجارة حيث كانت تخرج من أرضهم قوافل تجارية تتخذ طريقها عبر أراضي الأردن وفلسطين حاليا حتى تصل إلى سوريا حيث تقايض أو تبيع بضائعها وتعود محملة ببضائع البلاد التي تمر عليها فازدهرت بلادهم وازدادت ثرواتهم وأموالهم[١].

٤- علاقاتهم بحكام مصر وأهلها

كان موسي فيما يُرَّجح رئيساً للشرطة فى مصر فى عصر فرعون وذلك فيما يعتقد بناء على توصية من امرأة فرعون بإعتبار أن موسى كان فى منزلة ابنها وكانت تؤثره وتحبه وتفعل كل ما يرضيه أو يؤدي إلى سعادته إلا أنه أثناء تدخله لفض قتال بين رجلين أحدهما من شيعته قتل-بدون قصد-رجلاً من قوم فرعون وعلم الناس أنه القاتل فأبلغوا فرعون الذي أمر بقتله و إهدار دمه وهنا أتاه رجل ممن يحبونه ويخافون عليه على وجه السرعة وأبلغه بأن الناس يأتمرون به لقتله ونصحه بالهروب حيث ورد فى القرآن الكريم ما نصه:-.

أ- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢] (القصص: ١٥ – ١٦).

(١) القرآن الكريم: سورة الأعراف: ٨٥؛ سورة هود: ٨٤-٨٥؛ سورة الشعراء: ١٨١-١٨٣

(٢) القرآن الكريم: سورة القصص: ١٥-١٦

ب- «قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] (القصص: ٢٠ – ٢١).

وقد استطاع موسى بنجاح وأمان اجتياز الحدود المصرية ليدخل سيناء وسلك فيها دروباً غير مطروقة تخوفاً من عثور أهل القتيل أو جنود فرعون عليه إن فكّروا فى مطاردته والقبض عليه وقد سار موسى فى طريق يوصله إلى مدين وهي أقرب الأماكن التى على علم بها حتى تكون مقرّاً له للاختفاء من ملاحقة فرعون وجنوده له حيث ورد فى القرآن الكريم» قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] (القصص: ٢٢).

لم يكن يرتبط أهل مدين بأية علاقات مع المصريين القدماء وإن كانوا على علم بهيأتهم وبزيهم ويفهم ذلك من اختيار موسى عليه السلام لها كمنفى اختياري له وانه لم يكن يفعل ذلك إن كانوا يرتبطون بأي نوع من العلاقات مع المصريين خوفاً على نفسه أن يشي به أحد منهم ويبلغ عن مكانه فيقتله المصريون أو على الأقل يقتادونه إلى مصر لتنفيذ عقوبة الجريمة التي اقترفها خاصة وإن أكثر أهل مدين تنقصهم الشهامة والمروءة ولا يساعدون الضعفاء منهم ولا يكرمون ضيوفهم ولا يجدي معهم سوى القوة والجبروت.

وبعد أن وصل موسى إلى أرض مدين استراح فى ظل شجرة أو جبل أو هضبة بجوار بئر[3] ووجد عليها جماعة من الناس يسقون أغنامهم وابلهم وماشيتهم كما

---

(١) القرآن الكريم:سورة القصص:٢٠-٢١

(٢) القرآن الكريم:سورة القصص:٢٢

(٣) رشدي البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٨٢٤

وجد بينهم امرأتين تحبسان أغنامهما بعيداً عن البئر انتظاراً لأن يفرغ الرعاة من سقاية أغنامهم باعتبارهما امرأتان ضعيفتان ليست لديهما القوة لسقاية أغنامهما قبل غيرهما والانصراف مبكراً ولا يكون من نصيبهما الماء الكدر المختلط بالطين.فلما رأى موسى أن تلك الجماعة من الناس تنقصها الشهامة والمروءة إذ يفترض فيهم أن يساعدوا هاتين المرأتين على سقاية أغنامهما قبلهم.قام من مقعده وسألهما عن سبب عدم سقاية أغنامهما خاصة أن مَنْ ورد الماء بعدهما سقى أغنامه وانصرف فقالتا له مما يفهم منه أن أباهما شيخ كبير فى السن وأنه ليس لهما من يساعدهما فى السقاية من البئر وهنا سقى لهما ولم ينتظرا حتى يصدر الرعاة مما جعلهما تعودان مبكرتين عما اعتادتا عليه لأبيهما الذى ربما سألهما عن السبب وراء ذلك فأخبرتاه بحقيقة الأمر.حيث ورد بالقرآن « قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (القصص: ٢٣ – ٢٤) وهنا أمرهما أبوهما بأن تتوجه إحداهما إلى موسى عند البئر وإخباره بأنه يريد أن يتشرف بمقابلته لإعطائه أجره أو رد المعروف الذي فعله معهما وحينما جاءه موسى وعرف منه اسمه وعقيدته وقومه ومكان إقامتهم وسبب تواجده فى مدين طمأنه وقال له لا تخف فأنت هنا فى مكان آمن ولن يتعرض لك أحد بسوء وطلبت إحدى ابنتيه أن يستأجره لما يتمتع به من صفات حسنة كالشهامة والمروءة والأمانة والقوة وهنا تشجع الشيخ بعد أن وجد مدحاً واستحساناً من إحدى ابنتيه لموسى فعرض عليه أن يزوجه واحدة من إبنتيه وهذا يتوقف على

اختيار موسى ورغبته ولا يتوقف على رغبته أو رغبة ابنتيه وقد اتضح لموسى أن هذه الأسرة على خلق وتدين بين وواضح وهو ما يطلبه أي شاب مقبل على الزواج[1].

امرأتا مدين تحددان جنسية موسى

حسب ما ورد فى التوراة فإن ابنتيّ شيخ مدين استطاعتا أن تحددا جنسية موسى فقالتا عنه إنه رجل مصري أو من مصر « فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وأنه استقى لنا وسقى الغنم»[2] (خروج:٢/١٩-٢٠).

ويفهم من ذلك ومما ورد فى القرآن الكريم وخاصة ببعض آيات سورة القصص أمرين أولهما استنتاجاً من ملابسه وزيه وهيئته وثانيهما أنه ربما عرَّفهما بنفسه ومن أين قدم والى أي قوم ينتمي ومقر إقامته ولكن يعتقد أن الرأي الأول أقرب إلى الصواب لأسباب منها.

أ- عاش موسى فى مدين حوالي عشر سنوات متصلة ولم يعلم أحد من أهل مصر بوجوده فى مدين كما دخل سيناء وكان يرعى فيها غنمه بعد انفصاله عن شيخ مدين ولم يعلم به أحد من عيون فرعون أو من أهل القتيل.

ب- رغم أنهم كانوا أهل تجارة وكانت تجوب قوافلهم التجارية بلاد الشام فتبادل وتبيع بضائعها وتعود محملة ببضائع تلك البلاد ورغم أن الطرق التي يسلكونها قريبة للطرق المؤدية إلى مصر إلا أنهم قد أحجموا لسبب ما عن إقامة علاقات تجارية مع حكامها بينما تركوا هذا الدور لقبائل الإسماعيليين الذين يعدون أولاد وذرية عمهم إسماعيل عليه السلام.حيث اكتفوا بالتجارة مع قوافل الإسماعيليين التي كانت تحضر بضائع المصريين لهم دون عناء ذهابهم إلى مصر وهذا يؤكد فساد الرأي القائل

(١) رشدي البدراوي:المرجع السابق،ص:٨٢٦

(٢) رشدى البدراوي:قصص الأنبياء والتاريخ،الجزء الرابع،ص:٨٢٤

بأن المديانيين من نسل إسماعيل عليه السلام لأنه إن كان الأمر كذلك لما فكر موسى فى اللجوء إلى أرض مدين لأنه سيُكشف أمره من قبل التجّار الذين كانوا يتاجرون مع الأسرة المالكة فى مصر والإمارات المجاورة ويستنتج من ذلك أن لغة موسى وقومه ولغة فرعون وقومه ولغة بنى مديان ولغة بني إسرائيل ولغة بني أدوم واحدة[1].

٥- علاقاتهم ببني إسرائيل

حاول أهل مدين تدمير بني إسرائيل من الداخل بعد خروجهم من مصر ومحاولاتهم دخول الأرض المقدسة بفلسطين حيث قاموا بالآتي:-.

١- إغواء شباب بني إسرائيل فى الوقوع فى الرذائل والمجون.

٢- محاولة تثبيط همم بني إسرائيل عن نشر الدعوة ومنعهم من دخول الأراضي المقدسة فى فلسطين.

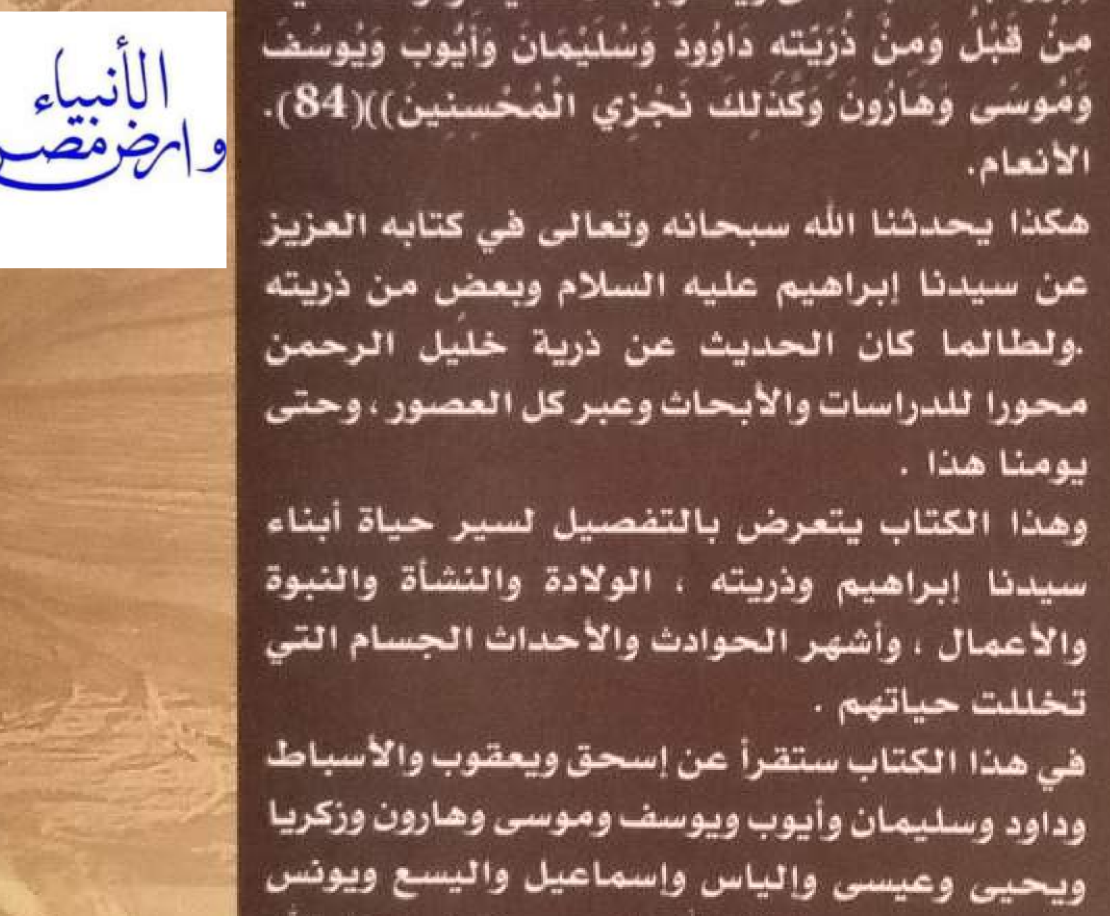
ويعتقد أن الأسباب التي تكمن وراء ذلك خوفهم من أن يكون لبني إسرائيل كيان سياسي وعسكري قوي يفرض سلطته وسيادته عليهم مما يحرمهم من كثير من المزايا التي يتمتعون بها.

---

(١) رشدي البدراوي، المرجع السابق، ص:٨٢٧

فهرس المصادر والمراجع

ذرية إبراهيم وحكام مصر



((ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين))(84). الأنعام.

هكذا يحدثنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وبعض من ذريته .ولطالما كان الحديث عن ذرية خليل الرحمن محورا للدراسات والأبحاث وعبر كل العصور، وحتى يومنا هذا .

وهذا الكتاب يتعرض بالتفصيل لسير حياة أبناء سيدنا إبراهيم وذريته ، الولادة والنشأة والنبوة والأعمال ، وأشهر الحوادث والأحداث الجسام التي تخللت حياتهم .

في هذا الكتاب ستقرأ عن إسحق ويعقوب والأسباط وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط ومحمد صلوات الله عليهم ، وكيف جعل الله في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب و اصطفاهم مع ذرية آل عمران على العالمين.